Ishaqi



كتاب اخبار الاول فيمن تصرف
في مصر من ارباب الدول تاليف
العبد الفقير الى عفو ربه الكريم
الباقي محمد عبد المعطي بن
ابي الفتح بن احمد بن عبد
المغني بن علي
الاسحاقي
المنوفي
م

مسائل عبد الله بن سلام — مناجاة موسى عليه السلام

قصة الجارية — قصة سيدنا زين العابدين رضي الله عنهم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك العزيز فى ملكه واقتداره الذى ملك الوجود بقوته وأوجده بارادته واختياره وملك منه ما شاء لمن شاء مع علمه بسره على سريره قبل اختباره فاوت بين مراتب الملوك وأمد بالملكة كل خاشع لسلوك ونظمه فى سلك أبراره ووعد من راعى رعاياه أن يظله فى ظل عرشه يوم يلقاه ويتلقاه برحمته وابراره فسبحان من أدار الافلاك بالحكمه وأنفذ فى براياه قضاياه وحكمه وسلم من سلم اليه الامر من الاسواء والمكاره أحمده سبحانه وتعالى لا احصى ثناء عليه كما هو أثنى على نفسه سائلا من منه ان يجعل ظل الخلافة مستمدا من حضرات قدسه وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة ندخل بها مع السابقين أوسع جنته وتكون لنا من النيران أنفع جنته وأشهد ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله أول شارع لسنة السماحة والحماسه وشارح للصدور بالقول الشارح قضايا الشرع والسياسه وشارط النصح على العمال أهل الولايات والسياسه القائل

وقوله

وقوله لا سبيل الى حدة ولا لرفضه مصر كنانة الله فى أرضه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الركع السجود وخاصة الاتباع والاشياع والجنود الذين عاد بهم الدين فى مقام الاعظام والتمييز وشادوا قواعده فهى من عروة النقص والنقض فى حرز حريز ولا يزال ان شاء الله تعالى الى يوم القيامة بكل قائم منهم وهو عزيز وبعد فانه لا يخفى على كل ذى ذوق سليم وفهم رائق مستقيم أن فن التاريخ من فاكهة المفاكهة بالغاية القصوى ونهاية الشأن فى الطلاوة والجدوى لانه توقيع وقائع الزمان وتدوين الحوادث الدائرة بها الدوران الف نفائس كتب الالبا والف مطالعته من رق طبعا وراق لبا يطلع الشاهد على ما كان فى الغائب مختبا ويودع السمع اسماء اسمار كان لرؤية أهلها محبا كما قال من حاول المعنى وأنبا

فاتنى ان أرى الديار بعينى فلعلى أرى الديار بسمعى

فكم صدر فى الصدر الاول من عجائب يتوقف منه عليها وغرائب أحوال نهتدى بسطور الطروس اليها ومابرح المؤرخون يتناولون المقبول من المنقول عن الدول والمناصب فمن متقن منتق ومن جامع مكثر والناس فى الفنون مراتب كما قيل

لقد غرسوا حتى أكلنا واننا لنغرس حتى تأكل الناس بعدنا

فعن لى ان أحبر ما يليق بالجمع وأسطر ما يروق بالسمع من حكايات باهرة واذكر من ولى مصر والقاهرة ذاهبا مذهب الايجاز والتهذيب اخذا عن النقل المبرء من التكذيب فما سمعت فوعيت وجمعت فأوعيت مع ايراد ما شاهدته فى الزمن عيانا وخففت عن معنى نوادره البديعة بيانا فكان كتابا حسنا فى بابه ممتعا لمن تعلق بأسبابه أنيسا لا تمل مؤانسته وجليسا لا تمل مجالسته تستروح اليه النفوس وتجد فى مطالعته ما تجده فى معاطات الكؤس شعر

لم يبق شئ من الدنيا نسر به الا الدفاتر فيها الشعر والسمر

فعلقه بحمد الله فى حاشية لنسيجه الرفيع وطرة لنسخة البديع فى دولة رافع عماد المملكة الشريفة مجدد نظام الدولة العثمانية المنيفة

شامل الرعايا بظل معدلته الوريقه مجمل التخت الشريف بعز حضرته
اللطيفه المختص بما استحق ان يكون على الخليفة الخليفه القائم من
الالتفات الى الصلاح والاصلاح بأرفع وظيفه الراقى مراتب العز لما كمل
طالعه سعدا وشرفا الماحى بصوارمه من بغى فى الارض بغيا وسرفا
من اقتدى بابيه وجده فى عدله وجده واقتفى سر سرير الملك مولانا
السلطان مصطفى لا برحت ألوية ولايته فى الخافقين خافقه
وألسنة أقلام مدى الايام بمدحه ناطقه ولا برحت الكواكب تقبل
سدته العليه والثريا لاثمة فى العلا عاتقه كما غدت ريح الصبا
لثرى أعتابه ناشقه والآفاق بفائق مجده وحدائق انسه باسقه
وسميته لطائف اخبار الاول فيمن تصرف فى مصر من ارباب
الدول وقد رأينا ان نقسم هذا الكتاب على مقدمة وعشرة ابواب
وخاتمه المقدمة فى فضائل مصر وذكرها فى كتاب الله المبين وما
ورد فيها من أحاديث سيد المرسلين ومن كان بها من الانبياء والصديقين
وغير ذلك على ما يأتى بيانه مفصلا ان شاء الله تعالى والله تعالى
أسأل أن يحسن بختامه كالاول الباب الاول فى خلافة الخلفاء
الاربعة ومن ولى بعدهم وهو الحسن بن على بن ابى طالب الباب الثانى
فى دولة بنى أمية الباب الثالث فى الدولة العباسية الباب الرابع
فى من ولى مصر من نواب الخلفاء الراشدين وبنى امية والعباسية وما داخلها
من تغلب بنى طولون والاخشيدية الباب الخامس فى دولة الفواطم
الباب السادس فى دولة الايوبية السنية السنيه الباب
السابع فى الدولة التركية المعروفين بالمماليك البحرية الباب الثامن
فى دولة الجراكسة الباب التاسع فى ظهور ملوك آل عثمان وهى
دولة أقرت العيون وسرت الاعيان اذ جاءت منقادة لشرع سيد ولد
عدنان ادام الله تعالى بقاها ما دام الفرقدان الباب العاشر
فيمن تصرف بمصر من نواب آل عثمان المكرمين وأخصاء الوزراء المعظمين
وايراد اخبارهم ومدة مقامهم بالديار المصرية واحكامهم الخاتمة
فى مواعظ ونصائح وسلوك وآداب للسلاطين والملوك المقدمه

أقول

أقول وبالله المستعان أمّا مصر حرسها الله تعالى فان الله عز وجل ذكرها
في كتابه العزيز في ثمانية وعشرين موضعا منها ما هو صريح ومنها
ما دلّ عليه القرائن وكتب التفسير قال الله تعالى مخبراً عن فرعون أليس
لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي قال ابن الجوزي يفتخر فرعون
بنهر ماء الله أجراه ما أجراه وقال تعالى ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوّأ
صدق وقال تعالى فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم
الى وأورثناها بني اسرائيل وقال تعالى كم تركوا من جنات وعيون
الى وأورثناها قوما آخرين يعني قوم فرعون وان بني اسرائيل ورثوا
مصر بعدهم وقال بعض المفسرين المقام الكريم الفيوم وقيل ما كان
لهم من المنابر والمجالس وقيل سمي كريما لانه مجلس الملوك قاله مجاهد
وسعيد بن جبير وقالا هي المنابر وقال تعالى واويناهما الى ربوة قال
ابن عباس وسعيد بن المسيب ووهب بن منبه وعبد الرحمن بن يزيد
ابن أسلم هي مصر والربا لا تكون الا بمصر وقال تعالى اهبطوا مصرا
وقال تعالى ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقال تعالى ونمكن لهم
في الارض وقال تعالى ادخلوا الارض المقدسة وقال تعالى لكم الملك
اليوم ظاهرين في الارض وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل
بما صبروا وقال تعالى ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك وقال تعالى
وأوحينا الى موسى وأخيه ان تبوّآ لقومكما بمصر بيوتا وقال تعالى
أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض وقال تعالى اجعلني على خزائن
الارض وقال تعالى ولقد مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث
يشاء وقال تعالى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا في الحياة
الدنيا وقال تعالى وقدر فيها اقواتها وقال تعالى ارم ذات العماد قال
محمد بن كعب القرظي هي الاسكندرية وقال تعالى عسى ربكم ان يهلك
عدوكم ويستخلفكم في الارض وقال تعالى وجاء من اقصى المدينة
قال بعض المفسرين هي منف وقال تعالى ان فرعون علا في الارض
وقال تعالى فلن أبرح الارض وقال تعالى ان تريد الا ان تكون جبارا
في الارض قال ابن عباس سميت مصر بالارض كلها في عشرة مواضع

(ومن السنة) قوله صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم ذمة ورحما وقال صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا بها جندا كثيفا فذلك الجند خير اجناد الارض فقال له أبو بكر رضي الله عنه لم يا رسول الله قال لانهم وازواجهم في رباط الى يوم القيامة وفي حديث ستفتح عليكم بعدي مدينة يذكر فيها القيراط فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما فقالوا أما رحمهم فأم اسمعيل عليه السلام وأما ذمتهم فأم ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم ويقال لها هاجر من قرية يقال لها أم دنين وقيل أصلها من مدينة عين الشمس التي تسمى الآن بالمطرية ومارية من قرية يقال لها حفن وقيل من أهل كورة انصنا واسم أبيها شمعون وتوفيت في المحرم سنة خمس عشرة من الهجرة ودفنت بالمدينة وقوله صلى الله عليه وسلم في اهل مصر ما كادهم أحد الا كفاهم الله مؤنته وقال عليه أفضل الصلاة والسلام مصر أطيب الارض ترابا وعجمها أطيب العجم وقال عليه افضل الصلاة والسلام قسمت البركة عشرة أجزاء تسعة بمصر وجزء بالامصار كلها وقوله عليه افضل الصلاة والسلام مصر خزائن الله والجيزة غيضة من غياض الجنة وقد روى الحافظ أبو بكر بن ثابت من حديث نبيط بن ريط قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيزة روضة من رياض الجنة ومصر خزائن الله في أرضه ذكر ذلك المقريزي في خططه عند ذكر الجيزة قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لما خلق الله آدم عليه السلام مثل له الدنيا شرقها وغربها وسهلها وجبلها وانهارها وبحارها وبناها وخرابها ومن يملكها من الامم ومن يسكنها فلما راى مصر وارضها ذات نهر جار ومادته من الجنة تنحدر فيه البركة وتمزجه الرحمة وراى جبلا من جبالها مكسوا بالنور لا يخلو من نظر الحق اليه في سفحه أشجار مثمرة فروعها في الجنة تسقى بماء الرحمة فدعا آدم عليه السلام في النيل بالبركة ودعا في ارضها بالرحمة والبر والتقوى وبارك في سهلها وجبلها سبع مرات فقال ايها الجبل المرحوم سفحك

جنة

بنة وزينتك مسكنة لاخلتك يا مصر من بركة ولازال فيك ملك وعز
فيك الخبايا والكنوز سال نهرك عسلا كثر الله زرعك وادر ضرعك
وزكى نباتك وعظم بركتك فائدة النقباء ثلاثمائة والنجباء سبعون
والابدال اربعون والاخيار سبعة والعمد اربعة والغوث واحد فمسكن
النقباء الغرب ومسكن النجباء مصر ومسكن الابدال الشام
والاخيار سياحون فى الارض والعمد فى زوايا الارض ومسكن الغوث
مكة فاذا حدث للعامة امر ابتهل النقباء ثم النجباء ثم الابدال
ثم الاخيار ثم العمد فان اجيبوا والا ابتهل الغوث فلا تتم مسئلته
حتى تجاب دعوته وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال كان لنوح
عليه افضل الصلاة والسلام اربعة من الولد حام وسام ويافث
ويحطون وان نوحا رغب الى الله عز وجل وساله ان يرزقه الاجابة
فى ولده وذريته حتى يعاملوا بالنماء والبركة فوعده بذلك فنادى
نوح ولده وهم نيام عند السحر فلم يجبه الا ابنه سام وارفخشد فانطلق
معه فوضع نوح يمينه على سام وشماله على ارفخشد وسال الله عز وجل
ان يبارك فى سام وان يجعل الملك والنبوة فى ولده ارفخشد ثم نادى
حاما وتلفت يمينا وشمالا فلم يجبه ولم يقم اليه هو ولا احد من
ولده فدعا الله عز وجل نوح ان يجعل ولده اذلاء وان يجعلهم عبيدا
لولد سام وكان مصر بن بيصر بن حام نائما الى جنب جده حام
فلما سمع دعاء نوح على جده وولده قام يسعى الى نوح وقال يا جدى
قد اجبتك اذ لم يجبك ابى ولا احد من ولده فاجعل لى دعوة من
دعائك ففرح نوح ووضع يده على راسه وقال اللهم انه قد اجاب دعوتى
فبارك فيه وفى ذريته واسكنه الارض المباركة الطيبة التى هى ام
البلاد وغوث العباد قال الشاعر

من شاهد الارض واقطارها | والناس انواعا واجناسا
ولا رأى مصرا ولا اهلها | فما راى الدنيا ولا الناسا

وقال ايضا

لعمرك ما مصر بمصر وانما | هى الجنة العليا لمن يتفكر

واولادها الولدان من نسل آدم وروضتها الفردوس والنهر كوثر

وقال أيضا

اذا كنت في مصر ولم تك ساكنا على نيلها الجاري فما أنت في مصر
وان كنت في مصر بشاطئ نيلها وما انت في شئ فما أنت في مصر
وان كنت في شئ ولم تك صاحبا لالف له لطف فما أنت في مصر
وان كنت ذا الف ولم تك مالكا لكيس حوى الفا فما انت في مصر
وان حزت ما قلنا ولم تك هائما تميل لمن تهوى فما أنت في مصر

وكان بمصر من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابراهيم الخليل واسمعيل ويعقوب واثنا عشر سبطا من أولاد يعقوب وولد بها من الانبياء ادريس وموسى وهارون ويوشع بن نون ودانيال وارميا ولقمان وعيسى بن مريم ولد باهناس ثم سار الى الشأم قال الجلال السيوطي رحمه الله ناظما لمن حل مصر من الانبياء بوفاق وخلاف ومن جملتهم الاربع نسوة المختلف في نبوتهن شعر

قد حل في مصر فيما قد رووا زمر من النبيين زادوا مصر تأنيسا
فهاك يوسف والاسباط مع أبهم وحافد وخليل الله ادريسا
لوطا وأيوب ذا القرنين خضرهم سليمان أرميا يوشعا هارون مع موسى
وأمه سارة لقمان آسية ودانيالا وشعيا مريما عيسى
شيثا ونوحا واسماعيل قد ذكروا لازال من أجلهم ذا المصر محروسا

وكان بها من الصديقين مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وكان بها وزراء فرعون الذين وصفهم الله بالعقل وفضلهم على قوم فرعون حين قالوا ارجئه واخاه وقال وزراء نمروذ اقتلوه أو حرقوه قال البيضاوي في تفسيره عند قوله تعالى اجعل لي وزيرا من أهلي ان اشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يتحمل الثقل عن أميره أو من الوزر وهو الملجأ لان الامير يعتصم برأيه ويلتجأ اليه في أموره ومنه الموازرة وقيل أصله ازير من الازر بمعنى القوة كالعشير والجليس وكان بها من السحرة الذين احضرهم فرعون لموسى اثنا عشر ساحرا رؤساء تحت يد كل ساحر عشرون عريفا تحت يد كل عريف الفا من السحرة فكان جميع السحرة

مائتي ألف وأربعين ألفا ومائتين واثنين وخمسين ساحرا بأمر رؤساء العرفاء
فلما عاينوا ما عاينوا أيقنوا أن ذلك من السماء وأن السحر لا يقاوم أمر
الله وآمنوا جميعا في ساعة واحدة ولم يعلم جماعة أسلموا في ساعة
واحدة أكثر من جماعة القبط قال المهدوي في تفسيره ان السحرة
الذين حشرهم فرعون من سبع مداين وهي شطا وبوصير وبنها
وطنان وارمنت واسيوط وانصنا ومع ذلك لم يغن عنهم عددهم
ولا كثرة عددهم بل لما ألقى موسى عصاه باذن الرب الاله خروا له ساجدين
وقالوا آمنا برب العالمين قيل انه لما ألقى موسى عصاه فاذا هي ثعبان مبين
اي حية صفراء فاتحة فاها بين لحييها ثمانون ذراعا وقيل ارتفعت
من الارض قدر ميل وقامت على ذنبها واضعة حنكها الاسفل في الارض
والاعلى على سطح القصر الذي فيه فرعون فوثب فرعون هاربا وأحدث
بل اخذته البطنة في ذلك اليوم اربعمائة مرة وحملت على الناس
فانهزموا ومات منهم خلق كثير ذكر البيضاوي في تفسيره في سورة
الاعراف عند قوله تعالى فالقى موسى عصاه فاذا هي ثعبان مبين لما انهزم
الناس مزدحمين مات منهم خمسة وعشرون الفا وذكر ان فرعون
صاح وقال خذها يا موسى وانا أومن بك وارسل معك بني اسرائيل
فأخذها فعادت عصى ولم يؤمن فرعون بل كفر وعصى وكان بمصر
من الصديقات آسية امرأة فرعون التي سألت ربها عز وجل ان يبني لها
عنده بيتا في الجنة وأن ينجيها من فرعون وعمله فاستجاب لها بصبرها
على محنة فرعون قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم شممت في الجنة
ليلة الاسرا رائحة ما شممت اطيب منها فقلت يا جبريل ما هذه فقال
رائحة آسية امرأة فرعون وصاهر أهل مصر من الانبياء عليهم
الصلاة والسلام ابراهيم الخليل تسرى بها جرام اسماعيل وتزوج
يوسف الصديق بنت عين شمس وتزوج ايضا زليخا بعد أن عجزت
وعميت فدعى الله تعالى فرد عليها بصرها وجمالها ورزق منها الولد
وتسرى نبينا صلى الله عليه وسلم بمارية القبطية التي أهداها
المقوقس ملك مصر فولدت من النبي صلى الله عليه وسلم ابراهيم عليه

السلام ومات رضيعا ودفن بالبقيع ظاهر طيبة على ساكنها افضل الصلاة
والسلام ولد في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة ومات في ربيع الاول
سنة عشرة وكان عمره ستة عشر شهراً وصلى عليه النبي صلى الله عليه
وسلم وقال الحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون رضي الله عنه
وقال عليه افضل الصلاة والسلام ان له ظئرا اي مرضعا يتم رضاعه
في الجنة وقال عليه افضل الصلاة والسلام لو عاش ابراهيم لوضعت
الجزية عن كل قبطي وحزن عليه صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا حتى دمعت عيناه
الشريفتان فقال ان العين لتدمع وان القلب ليحزن ولا نقول الا ما يرضي
ربنا وانا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون قال ابو بكر البرقي جميع اولاد
النبي صلى الله عليه وسلم سبعة القاسم وعبد الله وابراهيم وزينب
ورقية وام كلثوم وفاطمة كلهم من خديجة الا ابراهيم ولما مات
القاسم ثم عبد الله قال العاص بن وائل السهمي قد انقطع ولده فهو ابتر
فانزل الله تعالى ان شانئك هو الابتر ولم تزل مصر دار العلماء والحكماء
فمنهم الاسكندر ذو القرنين صاحب السد الذي ذكره الله في كتابه
العزيز في سورة الكهف فانه على اختلاف الاقوال ملك الارض كلها وبلغ
مغرب الشمس ومشرقها وبنى الاسكندرية المشهورة واسكندرية
اخرى ببلاد الجون واسكندرية اخرى ببلاد الروم وبنى سمرقند
والمناظر والابراج ذكر الدماميني في كتاب عين الحياة ان محمد بن الربيع
الجيزي روى في مسنده عمن دخل مصر من الصحابة عن عقبة بن عامر
رضي الله عنه انه قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اخدمه فاذا انا
برجال من اهل الكتاب معهم مصاحف وكتب فقالوا استأذن لنا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرفت اليه صلى الله عليه وسلم واخبرته
بمكانهم فقال صلى الله عليه وسلم ما لي وما لهم يسألوني عما لا ادري
انما انا عبد لا اعلم الا ما علمني ربي تعالى ثم قال ابغ وضوءا فتوضأ ثم قام الى
المسجد في بيته ثم ركع ركعتين فلم ينصرف حتى عرف السرور في وجهه
والبشر ثم انصرف فقال اذهب فادخلهم ومن وجدته معهم بالباب من
اصحابي فادخلهم فلما دفعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان شئتم

سألتم ولئن شئتم أخبرتكم قالوا بلى اخبرنا قبل أن نتكلم قال جئتم تسألوني
عن ذى القرنين وسأخبركم عما تجدونه عندكم مكتوبا الله أول أمره
انه غلام من الروم أعطى ملكا فسار حتى جاء ساحل أرض مصر فابتنى
عنده مدينة يقال لها الاسكندرية فلما فرغ من بنائها أتاه ملك فعرج به
حتى استقله فرفعه ثم قال انظر ماذا تحتك فقال أرى مدينتي وأرى مدائن
معها ثم عرج به فقال انظر فقال اختلطت مدينتي مع المدائن فلم أعرفها ثم
زاد فقال انظر فقال أرى مدينة واحدة لا أرى غيرها فقال له
الملك انما تلك الارض كلها والذى يرى محيطا بها هو البحر وانما أراد
ربك عز وجل ان يريك الارض وقد جعل لك سلطانا وسوف تعلم الجاهل
وتثبت العالم فسار حتى بلغ مغرب الشمس ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس
ثم أتى الى السدين وهما جبلان لينان يزلق عنهما كل شئ فبنى السد
ثم جاز يأجوج ومأجوج ثم قطعهم فوجد قوما وجوههم وجوه
الكلاب يقاتلون يأجوج ومأجوج ثم قطعهم فوجد قوما قصارا
يقاتلون القوم الذين وجوههم وجوه الكلاب ثم مضى فوجد امة
من الحيات تلتقم الحية منهم الصخرة العظيمة ثم افضى الى البحر المحيط
بالارض فقالوا نشهد ان أمره كان هكذا كما ذكروا انا نجد هذا فى كتبنا
وكان بمصر حكماء الطب والهندسة والكيمياء وعلوم الرصد والحساب
والمساحات عدة منهم افلاطون وبطليموس وسقراط
وارطاليس وجالينوس وكان فى الازمنة الاول تسير الى مصر
أرباب العلوم والحكم لتكون أذهانهم على الزيادة وقوة الذكاء وروى
عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه سأل كعب الاحبار عن طبائع البلدان
واختلاف سكانها فقال ان الله لما خلق الاشياء جعل كل شئ لشئ فقال
العقل انا لاحق بالشام فقالت الفتنة وانا معك وقال الخصب وانا
لاحق بمصر فقال الذل وانا معك وقال الشقاء وانا لاحق بالبادية
فقالت الصحة وانا معك ويقال لما خلق الله الخلق خلق معهم
عشرة اشياء الايمان والحياء والنجدة والفتنة والكبر والنفاق
والغنا والفقر والذل والشقاء فقال الايمان انا لاحق باليمن فقال

فقال الحياء وأنا معك وقالت النجدة أنا لاحقة بالشام فقالت الفتنة وأنا معك وقال الكبر انا لاحق بالعراق فقال النفاق وأنا معك وقال الغنا انا لاحق بمصر فقال الذل وانا معك وقال الفقر انا لاحق بالبادية فقال الشقاء وأنا معك **وعن** عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال المكر عشرة اجزاء تسعة منها في القبط وواحد في سائر الناس **ويقال** ان الغدر عشرة أجزاء تسعة في اليهود وواحد في سائر الناس والحمق عشرة أجزاء تسعة في المغاربة وواحد في سائر الناس والقسوة عشرة أجزاء تسعة في الترك وواحد في سائر الناس والشجاعة عشرة أجزاء تسعة في العرب وواحد في سائر الناس والبلم عشرة اجزاء تسعة في العبيد وواحد في سائر الناس **وقد** ملك مصر سبعة من الكهنا ولهم الاعمال العجيبة والأمور الغريبة **الكاهن الاول** اسمه صنلم وهو أول من اتخذ مقياسا لزيادة النيل وعمل بركة من نحاس وعليها عقابان ذكر وانثى وفيها قليل من الماء فاذا كان أول شهر يزيد فيه النيل اجتمعت الكهنة وتكلموا بكلام فيصفر أحد العقابين فان كان الذكر كان النيل عاليا وان كان الانثى كان النيل ناقصا **الكاهن الثاني** اسمه اعشامش من اعماله العجيبة انه عمل ميزانا في هيكل الشمس وكتب على الكفة الاولى حقا وعلى الثانية باطلا وعمل تحتها فصوصا فاذا حضر الظالم والمظلوم أخذ فصين وسمى عليهما ما يريد وجعل كل فص منهما في كفة فتثقل كفة المظلوم وترتفع الظالم **الكاهن الثالث** عمل مرآة من المعادن فينظر فيها الاقاليم السبعة فيعرف ما أخصب فيها وما أجدب وما حدث من الحوادث وعمل في وسط المدينة صورة امرأة جالسة في حجرها صبي كأنها ترضعه فأي امرأة أصابها وجع في جسمها مسحت ذلك الموضع من جسد تلك الصورة فتبرأ من ساعتها **الكاهن الرابع** عمل شجرة لها أغصان من حديد بخطاطيف اذا تقرب منها الظالم خطفته وتعلقت به فلا تفارقه حتى يقر بظلمه وعمل صنما من كدان أسود وسماه عبد زحل يتحاكمون اليه فمن زاغ عن الحق ثبت في مكانه

ولم يقدر على الخروج حتى ينتصف من نفسه ولو أقام سبع سنين

الكاهن الخامس عمل شجرة من نحاس فكل وحش وصل اليها لم يستطع الحركة حتى يؤخذ فشبعت الناس في ايامه لحما وعمل على باب المدينة صنمين صنما عن يمين الباب وصنما عن شماله فاذا دخل أحد ان كان من أهل الخير ضحك الصنم الذي عن يمين الباب وان كان من اهل الشر بكى الصنم الذي على يسار الباب الكاهن السادس عمل درهما اذا ابتاع صاحبه شيئا اشترط ان يزن له بزنته من النوع الذي يشتريه فاذا وضع في الميزان ووضع في مقابلته كلما وجد من الصنف الذي يريد شراءه لم يعدله ووجد هذا الدرهم في كنوز مصر في ايام بني امية

الكاهن السابع كان يعمل اعمالا عجيبة من جملتها انه كان يجلس في السحاب في صورة انسان عظيم فاقام مدة ثم غاب فاقاموا بلا ملك الى ان رأوه في صورة الشمس في برج الحمل فأخبرهم انه لا يعود اليهم وان يولوا فلانا بعده ومن فضائل مصر انها تمير اهل الحرمين وتوسع عليهم ومصر يحمل خيرها الى ما سواها واهلها يستغنون بها عن كل بلدة حتى لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور لاستغنى اهلها بها عن سائر البلاد ومن محاسن مصر انه يوجد فيها في كل شهر من شهور القبط صنف من الماكول والمشموم فيقال رطب توت ورمان بابه وموز هاتور وسمك كيك وماء طوبه وخروف امشير ولبن برمهات وورد برموده ونبق بشنس وتين بؤنه وعسل أبيب وعنب مسرى ومن محاسن مصر أيضا ما روى عن مجير الغفاري انه سمع ابن العاص يقول في خطبته اعلموا يا اهل مصر انكم في رباط الى يوم القيامة لكثرة الاعداء حولكم ولاشراف قلوبهم اليكم والى دياركم فان دياركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية وعن عبد الرحمن الاشعري انه قدم من الشام الى عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له عبد الله ما اقدمك بلادنا فقال كنت تحدثني ان مصرا اسرع الارض خرابا ثم أراك قد اتخذت فيها القصور واطمأننت فيها قال ان مصر قد أوفت خرابها حطمها بخت نصر فلم يدع

فيها الا السباع والضباع فهى اليوم أطيب الارض ترابا وأبعدها خرابا
ولا تزال فيها بركة مادام فى شئ من الارض بركة ويقال ان مصر متوسطة
فى الدنيا سلمت من حر الاقليم الاول ومن برد الاقليم السادس والسابع
ووقعت فى الاقليم الثالث فطاب هواها وضعف حرها وخف بردها
وسلم أهلها من مشاتى الاهواز ومصايف عمان وصواعق تهامة
ودماميل الجزيرة وجرب اليمن وطواعين الشام وبرسام العراق
وطحال البحرين وعقارب عسكر وحمى خيبر وأمنوا من غارات الترك
وهجوم العرب ومكايد الديلم وتزف الانهار وقحط الامطار وقال
عبد الله بن عمر خلقت الدنيا على خمس صور على صورة الطير برأسه
وصدره وجناحيه وذنبه فالرأس مكة والمدينة واليمن والصدر
الشام ومصر والجناح الايمن العراق وخلف العراق أمة يقال لها
واق وخلف واق أمة يقال لها واق واق وخلف ذلك أمم لا يعلمها
الا الله تعالى والجناح الايسر السند وخلف السند الهند وخلف
الهند أمة يقال لها ناسك وخلف ناسك أمة يقال لها منسك
وخلف ذلك امم لا يعلمها الا الله تعالى والذنب من ذات الحمام الى المغرب
وشر ما فى الطير الذنب وقد ملك مصر أربعة وثلاثون فرعونا
أقلهم عمرا مائتا سنة وأكثرهم عمرا ستمائة سنة ولم يكن فيهم
أعتى ولا أشر من فرعون موسى قال وهب بن منبه كان فرعون
موسى قصيرا وطول لحيته سبعة أشبار وقيل كان طوله قدر
ذراع قال قتادة الفراعنة ثلاثة أولهم سنان بن الاشل صاحب
سارة كان فى زمن الخليل بمصر الثانى الريان بن الوليد وهو فرعون
يوسف الثالث الوليد بن مصعب ملك مصر وهو فرعون موسى
وهو عات وكل عات فرعون والعتاة الفراعنة فائدة لا بأس
بذكرها روى أبو الحاكم قال أبو عبد الله وهب بن منبه بن كامل
ابن الشيخ الصنعانى ويقال الزمارى والزمارة قرية من قرى
صنعاء على مرحلتين منها ولد سنة أربع وثلاثين فى خلافة سيدنا
عثمان بن عفان رضى الله عنه لقى عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو

ابن العاص وعبد الرحمن بن عمرو بن العاص وجابر بن عبد الله وأبا
هريرة وعبد الله بن الزبير وأنس بن مالك والنعمان بن بشير وأبا
سعيد الخدري ومن أحمد بن عطا قال سمعت سلمة بن همام بن
منبه يذكر عن آبائه ان وهبا أصله من خراسان من بلد هراة ومنبه من
أهل هراة خرج فوقع الى فارس أيام كسرى وكسرى أخرجه من هراة
ثم أسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكن هو وأولاده
باليمن وقد روى عن أبي ذرعة أنه قال وهب بن منبه يماني ثقة
وفي رواية لغير ابي ذرعة ان وهب بن منبه تابعي ثقة توفي بصنعاء
سنة ست عشرة ومائة وقيل سنة اربع عشرة ومائة وهو ابن
ثمانين سنة روى عن مثنى بن الصباح أنه قال رأيت وهب بن منبه
اربعين سنة لم يسب شيئا فيه روح ولبث عشرين سنة لم يجعل
بين العشاء والصبح وضوءا قال وهب بن منبه لقد قرأت ثلاثين
كتابا نزلوا على ثلاثين نبيا وفي رواية لمسلم بن خالد قال لبث
وهب بن منبه أربعين سنة لا يرقد على فراش وقال وهب بن منبه
لقد قرأت نيفا وسبعين كتابا في الكنائس ونيفا وعشرين كتابا
لا يعلمها الا قليل من الناس وجدت فيها كلها من وكل نفسه الى شيء
من المشيئة فقد كفر ومن كلام وهب بن منبه ثلاثة من كن فيه
أصاب البر سخاوة النفس والصبر على الاذى وطيب الكلام
وقال أيضا اذا سمعت الرجل يمدحك بما ليس فيك فلا تأمن ان يذمك
بما ليس فيك وقيل جاء رجل الى وهب بن منبه فقال له ان فلانا
شتمك فقال له أما وجد الشيطان بريدا غيرك وعن جابر قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في أمتي رجلان
أحدهما يقال له وهب بن منبه يؤتيه الله الحكمة والآخر يقال له
غيلان هو على أمتي أشد من ابليس رجعنا الى ما نحن بصدده
من أمر فرعون موسى قيل ان فرعون موسى ملك مصر خمسمائة سنة لم
يصبه ألم ولا نصب ولم يزل مخولا في نعم الله تعالى الى ان أخذه الله
نكال الآخرة والاولى قال ابن عباس رضي الله عنهما الاولى قوله ما علمت

لكم من اله غيري والاخرى قوله أنا ربكم الاعلى قال فعذبه الله في اول النهار بالماء و في آخره بالنار ولم يكن فرعون من اولاد الملوك وانما كان عطارا بأصبهان افلس وركبته الديون فخرج هاربا فاتى الشام فلم يستقم حاله فجاء الى مصر فرأى ملكها مشتغلا بلهوه فتوصل اليه بحيلة وخرج الى المقابر وسمى نفسه عامل الاموات وصار يأخذ من كل ميت جعلا حتى بلغ الملك خبره وكلمه فاعجبه عقله ومعرفته فاستوزره ثم قتل الوزير فسار في الناس سيرة حسنة وكان عدلا سخيا يقضي بالحق ولو على نفسه فأحبه الناس لكثرة عدله فتوفى الملك فولوه عليهم فعاش زمنا طويلا حتى مات منهم ثلاث قرون وهو باق فبطر وتجبر وبغى وقال أنا ربكم الاعلى فاستخف قومه فاطاعوه وقال موسى يارب ان فرعون يجحدك مائتي سنة فكيف أمهلته فاوحى الله تعالى الى موسى انه عمر بلادي وأحسن الى عبادي فلما أراد الله تعالى هلاك فرعون خرج في طلب موسى عليه الصلاة والسلام وفي طلب بني اسرائيل وكان على مقدمة فرعون هامان في ألف ألف وستمائة ألف سوى القلب والجناحين ولم يخرج معه من عمره فوق الاربعين ولا دون العشرين وكان في عسكره ذلك اليوم سبعون الف أدهم وقيل مائة ألف حصان من الدهم فلما انتهى موسى ومن معه من بني اسرائيل الى بحر القلزم وهو منتهى حد مصر من شرقيها المعروف الآن ببركة الغرندل فيما بين السويس والطور هاجت الرياح وتراكمت الامواج كالجبال فقال يوشع بن نون ياكليم الله اين أمرت فقد غشينا فرعون من ورائنا والبحر أمامنا فقال موسى عليه الصلاة والسلام الى ههنا فخاض يوشع الماء فقال الذي يكتم ايمانه وهو حزقيل مومن آل فرعون ياكليم الله اين أمرت فقال ههنا فكبح حزقيل فرسه اى نخعها باللجام حتى طار الزبد من شدقيها ثم أدخلها البحر فارتسبت في الماء اى غارت فذهب قوم موسى يفعلون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى عليه أفضل الصلاة والسلام لايدرى كيف يصنع فأوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فاذا مومن آل فرعون واقف على فرسه وصار البحر اثني عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم

ويقال بركة فرعون

بينهما.

بينها مسالك قد خل كل سبط من بني اسرائيل مسلكا يرى بعضهم بعضا من خلال الماء ودخل فرعون وقومه في اثرهم فلما استقروا جميعا اطبق الله البحر عليهم فاغرق فرعون ومن معه جميعا كما قال الله تعالى في كتابه المبين وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الآخرين وممن غلب على مصر من الفراعنة بخت نصر وهو من قرية من قرى بابل يقال لها هو لم يعرف له اب واختلف في ثمانة حتى انه شبه بثمان سحرة فرعون وذلك بعد ان خرب بيت المقدس وملك مصر واستولى عليها واخذها من ايدي القبط وبقيت مصر خرابا اربعين سنة ليس بها احد ثم ردهم بخت نصر فعمرها وملك عليهم رجلا من جهته ومن ذلك الوقت بقيت مصر معمورة قال صاحب الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل ان ارميا النبي عليه افضل الصلاة والسلام رأى بخت نصر قديما وهو صبي اقرع ياكل ويتغوط وياكل قملا فقال له ما هذا فقال اذى يخرج ومنفعة تدخل وعدو يقتل فقال له سيكون لك شأن وكان ولاية بخت نصر قبل الهجرة الشريفة بالف وثلاثمائة وتسعة وتسعين سنة ومائة وسبعة عشر يوما وقد اهلك الله بخت نصر ببعوضة دخلت في دماغه ونجا الله من بقي من بني اسرائيل ولم يبق ببابل احد قيل سئل وهب بن منبه عن بخت نصر امات مسلما فقال وجدت اهل الكتاب مختلفين فيه فقال بعضهم امن قبل ان يموت وقال بعضهم قتل الانبياء وخرب بيت المقدس فلم تقبل منه توبة فائدة من الانس الجليل اول من بنى الاقصى الملئكة ثم جدده ادم ثم سام بن نوح ثم يعقوب بن اسحاق ثم داود وسليمان عليهم الصلاة والسلام وروى ان مفتاح بيت المقدس كان عند سيدنا سليمان بن داود لا يامن عليه احدا فقام ليلة ليفتحه فتعسر عليه ثم استعان بالانس فتعسر عليهم ثم استعان بالجن فتعسر عليهم ثم جلس كئيبا حزينا فظن ان ربه قد منعه منه فبينما هو كذلك اذ اقبل عليه شيخ يتكاء على عصى له وقد طعن في السن وكان من جلساء داود عليه السلام

فقال يا نبي الله أراك حزيناً فقال نعم هذا الباب افتحه فتعسر علي فاستعنت بالانس والجن فلم يفتح فقال الشيخ ألا أعلمك كلمات كان أبوك يقولهن عند كرب فيكشف الله عنه قال بلى قال قل اللهم بنورك اهتديت وبفضلك استغنيت وبك أصبحت وأمسيت ذنوبي بين يديك استغفرك وأتوب اليك يا حنان يا منان فلما قالها فتح ثم ظهرت الروم وفارس على سائر البلاد وقاتلت أهل مصر ثلاث سنوات براً وبحراً الى ان صالحوهم على شئ يدفعونه اليهم في كل عام فرضيت الروم وفارس بذلك وجعلوا نصف مال مصر لكسرى والنصف لهرقل وأقاموا على ذلك تسع سنين ثم غلبت الروم فارس فاخرجوهم وصار صلح مصر كله للروم وذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية والحديبية بئر قريب من مكة المشرفة على طريق جدة في ذي القعدة سنة ست من الهجرة وفيها كانت بيعة الرضوان التي بايع النبي صلى الله عليه وسلم قريشا تحت الشجرة وهم العشرة المقطوع لهم بالجنة قال العلامة ابن حجر الهيثمي ناظما

لقد بشر الهادي من الصحب زمرة بجنات عدن كله فضله اشتهر
سعيد زبير سعد طلحة عامر ابو بكر عثمان ابن عوف علي عمر

وكان هرقل صاحب الروم قد وجه المقوقس الى مصر أميراً عليها وولاه حربها وخراجها وكانت فارس قد بدأت بعمارة الحصن المعروف بقصر الشمع ثم تممت الروم بناءه ولم يزل واقفاً الى حين الفتح ولما بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم الى سائر الانام ليظهر الاسلام ويبين لهم الاحكام أقام صلى الله عليه وسلم بمكة قبل البعثة وبعدها ثلاثا وخمسين سنة وقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين في ثاني عشر ربيع الأول لعشرين خلتا من عام الفيل في عهد كسرى أنوشروان وقد مضى من ملكه اثنان واربعون سنة وأقام في بني سعد خمس سنين وتوفيت امه وهو ابن ست وكفله جده عبد المطلب الى ان توفي وهو ابن ثمان فكفله عمه أبو طالب وخرج معه الى الشام وهو ابن اثني عشر سنة ثم خرج في تجارة لخديجة وهو ابن

خمس وعشرين سنة وتزوجها في تلك السنة وبنت قريش الكعبة ورضيت بحكمه فيها وهو ابن خمس وثلاثين سنة وبعث وهو ابن أربعين سنة وتوفي عمه ابو طالب وهو ابن سبع وأربعين سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوما وتوفيت خديجة بعد أبي طالب بثلاثة أيام وخرج الى الطائف بعدها بثلاثة أشهر ومعه زيد بن حارثة فأقام بها شهرا ثم رجع الى مكة في جوار المطعم بن عدي ولما تمت له خمسون سنة وفد عليه جن نصيبين وأسلموا ولما تمت له احدى وخمسون سنة اسري به وعاش ثلاثا وستين سنة ونحر في حجة الوداع ثلاثا وستين بدنة واعتق ثلاثا وستين رقبة صلى الله عليه وسلم وكان الفيل في العام الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم والمشهور عند الاكثرين انه ولد بعد الفيل بخمسين يوما وقيل بعده بخمسة وخمسين يوما وقيل بشهرين وقيل باربعين يوما قال الكلبي كان مولده قبل الفيل بعشرين سنة وقال مقاتل باربعين سنة وقال الدماميني في عين الحياة ان أبرهة بن الاشرم ملك الحبشة حضر الى الكعبة يريد هدمها في المحرم سنة اثنين وثمانين وثمانمائة من تاريخ اسكندر الثاني الملقب بذي القرنين المتقدم ذكره ومبدؤه من السنة التي خرج فيها من مقدونية وطاف الارض وهي السنة السابعة من ملكه وطريق معرفة سنيه أن تزيد على سني القبط التامة خمسمائة وتسعين سنة يحصل سني الروم المطلوبة وبينه وبين السنة التي هاجر فيها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة تسعمائة وثلاث وثلاثون سنة وخمسة وخمسون يوما وأول سني الروم تشرين الاول ومدخله في رابع بابه تشرين الثاني أوله خامس هاتور كانون الاول أوله خامس كيك كانون الثاني أوله سادس طوبه سباط أوله سابع أمشير اذار أوله خامس برمهات نيسان أوله سادس برموده ايار أوله سادس بشنس حزيران أوله سابع بؤنه تموز أوله سابع أبيب آب أوله ثامن مسرى ايلول أوله رابع توت وكان النبي صلى الله عليه وسلم حملا في بطن أمه

وفي المسند عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ونبئ يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين ورفع الحجر يوم الاثنين رجعنا الى قصة الفيل وذلك ان ابرهة بن الاشرم المذكور بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد صرف الحجاج عن الكعبة اليها ثم ان جماعة من قريش خرجوا في تجارة حتى جاءوا قريبا من تلك الكنيسة فاضرموا نارا ثم ارتحلوا فهبت ريح فاحرقت الكنيسة فغضب النجاشي فقال له ابرهة لا تحزن فنحن نهدم الكعبة فطلب ابرهة من النجاشي فيله المعروف بمحمود ومعه عشرة من الفيلة وقيل اثنا عشرة وقيل الف فيل ولما قرب ابرهة من مكة امر بالغارة على اهل الحرم فاخذ لعبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم مائتي بعير وجهز ابرهة رسولا الى عبد المطلب يقول له لم آت لقتال وانما اتيت لهدم هذه البنية فجاء الرسول الى عبد المطلب وبلغه الرسالة فقال عبد المطلب هذا بيت الله وبيت ابراهيم خليله ونحن ما لنا يدان نقاتل هذا الملك وتوجه مع الرسول الى ابرهة ودخل عليه بعد ما عرفوه بشرفه فاكرمه ابرهة وعظمه ونزل عن سريره واجلسه معه على البساط وقال لترجمانه قل له يسأل عن حاجته فقال يرد الملك علي الابل التي اخذها فقال ابرهة قل له قد زهدتك في عيني انا جئت لهدم بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم فلم تكلمني فيه وتسألني عن رد مائتي بعير فقال عبد المطلب انا رب هذه الابل ولهذا البيت رب يحميه ويمنعه فقال ابرهة ما كان ليمنعني منه فقال دونك فرد عليه ابله فعاد عبد المطلب الى مكة وامر قومه ان يتفرقوا في رؤس الجبال واتى الى البيت وحده واصبح ابرهة بجيشه يقدمهم فيله محمود فبعثه الى نحو الحرم فلم ينبعث فضربوه بالمعول في راسه فابى وبرك فوجهوه نحو اليمن فقام وهرول وقد روي ان عبد المطلب اخذ بحلقة باب الكعبة وقال

يارب لا ارجو لهم سواكا ... يارب فامنع منهم حماكا

ان عدو البيت قد عاداكا   امنعهم ان يخربوا قراكا

ولن عبد المطلب لم يزل آخذا بحلقة باب الكعبة حتى نشات من قبل اليمن
من البحر طير فقال عبد المطلب أرى طيرا ما اعرفها ما هي بنجدية ولا
تهامية ولا عربية ولا شامية اشباه اليعاسيب قد اقبلت يكسع
بعضها بعضا امام كل فرقة طير يقودها أحمر المنقار اسود الرأس
طويل العنق فجاءت الى الجيش والقت على رأس كل واحد حصاة فكان
الحجر يقع على بيضة أحدهم فيخرقها حتى يقع فى دماغه ويخرق الفيل
والدابة ويغيب فى الارض من شدة وقعها وكانت تقع على رأس الرجل
وتخرج من دبره فهلكوا جميعا وأما ابرهة فانها كانت تتساقط
اعضاؤه فتسقط انمله ويتبعها مدة ودم وقيح حتى وصل صنعاء
وطائره فوق رأسه وهو لا يشعر حتى أتى النجاشى فقص عليه القصة
فلما انتهى القى الطائر عليه الحجر فمات بين يدى النجاشى واختلف
فى قوله تعالى وارسل عليهم طيرا ابابيل فقال سعيد بن جبير هى طير
تعيش بين السماء والارض وتفرخ لها خراطيم الطير واكف الكلاب
وعن عكرمة هى طير خضر خرجت من البحر لها رؤس كرؤس السباع
وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى كالبلسان   وعن عائشة رضى الله
عنها هى اشبه شئ بالخطاطيف وقيل السنونو الذى يأوى المسجد
الحرام والسنونو بضم السين والنونين نوع من الخطاطيف
فائدة اذا دخل أحد على من يخاف شره فليقرأ كهيعص حمعسق ويعقد
لكل حرف من هذه الحروف العشرة اصبعا من اصابع يديه يبدأ بابهام
يده اليمنى ويختم بابهام اليسرى فاذا فرغ من عقد جميع الاصابع
قرأ فى نفسه سورة الفيل فاذا وصل الى قوله ترميهم كرر لفظ ترميهم
عشر مرات يفتح فى كل مرة اصبعا من الاصابع المعقودة فاذا فعل
ذلك أمن من شره وهو مجرب عجيب وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم
لما بلغ من العمر اربعين سنة ويوما بعثه الله رسولا الى الناس كافة
من عرب ومن عجم فكان بعد ذلك لا يمر على حجر ولا مدر الا وقال
السلام عليك يا رسول الله   وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال

انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل النبوة قال القاضى عياض هو الحجر الاسود وروى عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يدعو الى الاسلام من أول ما نزل عليه الوحى ثلاث سنين مستخفيا ثم أمر باظهار الدعوة قال صاحب المواهب اللدنية ان مقامه صلى الله عليه وسلم بمكة من حين النبوة الى حين خروجه منها بضعة عشر سنة ويدل على ذلك قول صرمة

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة   يذكر لو يلقى صديقا مواتيا

وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لما اشتد البلاء على المسلمين من المشركين شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استأذنوه فى الهجرة فقال قد رأيت دار هجرتكم وهى ارض سبخة ذات نخل بين لابتين ثم مكث بعد ذلك أياما وخرج الى أصحابه وهو مسرور فقال قد أخبرت بدار هجرتكم الا وهى يثرب فمن اراد منكم الخروج فليخرج فصار القوم يتجهزون ويترافقون فكان اول من دخل المدينة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سلمة الاسدى ثم قدم بعده عامر بن ربيعة مع زوجته ليلى وهى أول ظعينة قدمت الى المدينة ثم صار القوم يرحلون من مكة أولا باول ولم يبق بمكة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعلى رضى الله عنهما ثم اجتمع قريش ومعهم ابليس فى صورة شيخ نجدى فى دار الندوة دار قصى بن كلاب وكانت قريش لا تقضى أمرا الا فيها ويتشاورون ماذا يصنعون فى أمره عليه الصلاة والسلام فاجتمع أمرهم على قتله وتفرقوا على ذلك فاتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فقال له لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى تبيت عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه فأمر عليه الصلاة والسلام عليا فنام مكانه وغطى ببرد أخضر فخرج صلى الله عليه وسلم وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان فى يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله تعالى فاغشيناهم فهم لا يبصرون ثم انصرف حيث أراد فاتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله والله قد خرج محمد عليكم ما ترك

منكم

منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته فما ترون ما بكم فوضع كل رجل يده على رأسه فاذا عليه تراب وفى رواية ابى حاتم كما صحح الحاكم من حديث ابن عباس ما أصاب رجلا منهم حصاة الا قتل يوم بدر كافرا وفى ذلك نزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك الآية فقال ابو بكر الصحبة بأبى أنت وأمى يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فجهزناهما أحسن جهاز وصنعنا لهما سفرة من جراب فقطعت اسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين وكان من قوله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة ووقف على المروة ونظر الى بيت الله الحرام وقال والله انك لاحب ارض الله الى ولولا أهلك أخرجونى ما خرجت منك ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها فلم يجدوه فشق على قريش خروجه وجعلوا مائة ناقة لمن رده ولله در الابوصيرى حيث قال

ويح قوم جفوا نبيا بارض	ألفته ضبابها والظباء
وسلوه وحن جذع اليه	وقلوه وود ه الغرباء
أخرجوه منها واواه غار	وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت	ما كفته الحمامة الحصداء

روى أن أبا بكر رضى الله عنه لما خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها الى الغار جعل طورا يمشى أمامه وطورا يمشى خلفه وطورا عن يمينه وطورا عن شماله فقال عليه افضل الصلاة والسلام ما هذا يا ابا بكر فقال يا رسول الله أذكر الرصد فأحب أن اكون أمامك وأتخوف الطلب فأحب أن اكون خلفك وأحفظ الطريق يمينا وشمالا فقال لا بأس عليك يا أبا بكر الله معنا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حافيا فحفى فحمله أبو بكر رضى الله عنه على كاهله حتى انتهى الى الغار فلما أراد النبى صلى الله عليه وسلم ان يدخل الغار قال أبو بكر والذى بعثك بالحق نبيا لا تدخله حتى أدخل فاسبره قبلك فدخل أبو بكر رضى الله عنه فجعل يلتمس بيده الغار فى ظلمة الليل

مخافة ان يكون فيه شئ يؤذى النبي صلى الله عليه وسلم فلما لم ير فيه شيئا
دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار وباتا فيه وامر الله العنكبوت
فنسجت على فم الغار ولله در القائل

ودود القز ان نسجت حريرا يجمل لبسه في كل شئ
فان العنكبوت اجل منها بما نسجت على راس النبي

وروى عن عطا بن ميسرة قال نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود عليه
افضل الصلاة والسلام حين كان جالوت يطلبه ومرة على راس النبي
صلى الله عليه وسلم في الغار وفى تاريخ ابى القاسم ابن عساكر ان العنكبوت
نسجت ايضا على عورة زيد بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم
لما صلب عريانا سنة احدى وعشرين ومائة واقام مصلوبا اربع
سنين وكانوا وجهوه لغير القبلة فدارت خشبته الى القبلة فاحرقوا
الخشبة وجسده وقال ابن خلكان في تفسير ترجمة يعقوب بن
صابر المنجنيقي انه وقف بالقاهرة على البيتين المشهورين الى جماعة من
الشعراء وهما

ألقنى في لظى فان أحرقتنى فتيقن ان لست بالياقوت
جمع النسج كل من حاك لكن ليس داود فيه كالعنكبوت

فقال ابن صابر في جوابهما شعرا

أيها المدعى الفخار دع الفخر لذى الكبرياء والجبروت
نسج داود لم يفد ليلة الغا ر وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند في لهب النا ر مزيل فضيلة الياقوت

ومن خواص العنكبوت انه اذا جعل نسجها على الجراحة الطرية في ظاهر
البدن حفظها بلا ورم ويقطع سيلان الدم واذا لكت الفضة للتغير
بنسجه جلاها والعنكبوت الذى ينسج على الكنيف اذا علق على المحموم
برأ باذن الله وان الله سبحانه وتعالى امر اليراع فنبتت على فم الغار
وحمامتين فعششتا وباضتا وأقبل فتيان قريش بسهامهم وسيوفهم
ومعهم كرز بن علقمة القصاص فقص الاثر حتى انتهى الى الغار فقال لهم
الى هنا انتهى اثره فما ادرى بعد ذلك اصعد الى السماء ام غاص في الارض
فقال لهم قائل ادخلوا الغار فقال امية بن خلف ما تنظرون الى الغار وان عليه

لعنكبوتا

لعنكبوتا من قبل ميلاد محمد ثم بال حتى سال بوله بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وحمام الحرم من نسل تينك الحمامتين وفى الصحيحين عن انس قال قال أبو بكر نظرت الى قدام المشركين من الغار على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو ان أحدهم نظر الى قدميه لابصرنا فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم أبصارهم فعميت عن دخولهم وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار والى هذا يشير صاحب البردة رضى الله تعالى عنه بقوله

أقسمت بالقمر المنشق ان له	من قلبه نسبة مبرورة القسم
وما حوى الغار من خير ومن كرم	وكل طرف من الكفار عنه عمى
فالصدق فى الغار والصديق لم يرما	وهم يقولون ما بالغار من ارم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على	خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة	من الدروع وعن عال من الأطم

وكان مكثه صلى الله عليه وسلم هو وابو بكر فى الغار ثلاث ليال واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وابو بكر عبد الله بن الارقط دليلا وهو على دين كفار قريش ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما ووعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم على طريق السواحل فمروا بقديد على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية فطلبوا لبنا ولحما يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيئا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لها من لبن فقالت هى اجهد من ذلك فقال أتأذنى لى أن أحلبها قالت نعم بابى أنت وأمى ان رايت لها حلبا فاحلبها فدعى بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها فصحت وسمى الله فتفاجت ودرت ودعى باناء يشبع الجماعة فحلب فسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب مرة أخرى وبقية قصة أم معبد مذكورة فى المواهب اللدنية فمن أراد الاطلاع عليها فليراجع ثم تعرض للنبى صلى الله عليه وسلم وابى بكر رضى الله عنه سراقة

ابن مالك المدلجي وعلم انهما اللذان جعلت فيهما قريش ما جعلت لمن اتى بهما
نوكب فرسه وتبعهما بزعمه فبكى ابو بكر وقال يارسول الله أتينا قال
كلا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات فساخت قوائم فرسه
فطلب الامان وقال أعلم أن قد دعوتما علي فادعوا الي ولكما أن أرد الناس
عنكما ولا اضركما قال سراقة فوقفا لي ثم ركبت فرسي حتى جئتهما قال فوقع
في نفسي حين لقيت ما لقيت ان سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأخبرتهما بما يريد الناس منهما وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يقبلا
واجتاز صلى الله عليه وسلم في وجهه بعد ذلك بعبد يرعى غنما فكان
من شانه من طريق البيهقي عن قيس بن النعمان قال لما انطلق النبي صلى
الله عليه وسلم وابو بكر مستخفيين مرا بعبد يرعى غنما فاستسقياه
اللبن فقال ما عندي شاة تحلب غير أن هنا شاة حملت عام أول وما
بقي لها لبن قال فادع بها فاعتقلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسح
ضرعها ودعا الله حتى انزلت وجاء أبو بكر بمجن فحلب فسقى ابا بكر ثم
حلب فسقى الراعي ثم حلب فشرب فقال الراعي بالله من أنت فوالله ما
رأيت مثلك فقال واراك تكتم علي حتى أخبرك قال نعم قال فاني محمد
رسول الله قال فاشهد انك نبي وان ما جئت به حق وانه لا يفعل ما فعلت
الا نبي وانا متبعك قال انك لن تستطيع ذلك يومك فاذا بلغك أني
قد ظهرت فائتنا ولما بلغ المسلمين بالمدينة خروج رسول الله صلى الله
عليه وسلم كانوا يغدون كل يوم الى الحرة ينتظرون رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما اطالوا الانتظار
فلما آووا الى بيوتهم اوفى رجل من اليهود على اطم من اطامهم لامر ينظر
اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه يزول بهم السراب
فلم يملك اليهودي نفسه فنادى باعلا صوته يا بني قيلة هذا جدكم أي
حظكم ومطلوبكم قد أقبل فخرج اليه بنو قيلة وهم الاوس والخزرج
بسلاحهم فتلقوه فنزل بقبا على بني عمرو بن عوف وعن اسعد انه قال
قدم النبي صلى الله عليه وسلم لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول وقال
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة

يوم الاثنين وقدم المدينة يوم الاثنين لهلال ربيع الاول وقدم على
رضي الله عنه بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثة أيام ثم
أدركه بقبا يوم الاثنين واقام صلى الله عليه وسلم بقبا يوم الاثنين
والثلاثا والاربعا والخميس واسس مسجد قبا على التقوى من اول يوم
ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبا يوم الجمعة حين ارتفع
النهار فادركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها بمن كان معه من
المسلمين وهم مائة في بطن وادى رانونا براء مهملة ونونين ممدودا
وركب راحلته يوم الجمعة متوجها الى المدينة وكان عليه افضل
الصلاة والسلام كلما مر على دار من دور الانصار يدعونه الى المقام
عندهم يقولون يا رسول الله هلم الى القوة والمنعة اين قول الانصار
رضي الله عنهم من قول أهل مكة وقسوتهم واخراجهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مكة وهي بلده ومسقط رأسه ولقد انصف من قال

لا تنكرن لاهل مكة قسوة ... والبيت فيها والحطيم وزمزم
آذوا رسول الله وهو نبيهم ... حتى حته أهل طيبة منهم

لان اهل مكة كانوا يؤذونه في نفسه ويقصدون نكايته في أهله
قتلوا اعمامه وعذبوا أصحابه وأخرجوه من أحب البقاع اليه ولما يسر
الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فتح مكة دخلها بغير حمدهم فظهرت
كلمته فيها على رغمهم قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وشكره على ما منحه
من الظفر ثم قال لهم أقول لكم كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم
يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ذكر عبد الرحمن بن رجب الحنبلي
في كتابه لطائف المعارف لو قام المذنبون في الاسحار على اقدام الانكسار
ورفعوا قصص الاعتذار مضمونها يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر
وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا لبرز لهم التوقيع
عليها لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين
يا يعقوب الهجر هب ريح يوسف الوصل فلو استنشقت لعدت بعد
العمى بصيرا ولوجدت ما كنت لفقده فقيرا نقل الفزي نزيل مكة
كتابه قال الشيخ مظفر الدين الامشاطي أهل مكة عندهم أنفة

وتعاظم وكبر وحسد والكذب فاش بينهم والنميمة والخداع والطمع
فيما في أيدي الناس وبغض الغريب الا ان يكون مع الغريب شئ من الدنيا
فهم عبيد له يسلبونه ما معه ثم يلمزونه بالسوء ويسلقونه بالسنة
حداد وأما أهل المدينة يغلب على أهلها الترحم وحب الغربا ومواساتهم
والاحسان اليهم وفي طبعهم الجود والكرم ويحبون من هاجر اليهم
ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان
بهم خصاصة ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للانصار خلوا
سبيل الناقة فانها مأمورة وقد ارخى زمامها وما يحركها وهي تنظر
يمينا وشمالا حتى اتت دار مالك بن النجار ثم سارت وهو صلى الله
عليه وسلم عليها حتى بركت على باب ابي ايوب الانصاري ثم سارت وبركت
في مبركها الاول وألقت باطن عنقها وصوتت من غير ان تفتح فاها
فنزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شاء الله واحتمل
ابو ايوب رحله وادخله بيته ومعه زيد بن حارثة وكانت دار بني النجار
اوسط دور الانصار وأفضلها وهم أخوال عبد المطلب جد النبي صلى
الله عليه وسلم وقد ذكر ان بيت ابي ايوب بناه التبع الاول للنبي
صلى الله عليه وسلم لما مر بالمدينة وترك فيها اربع مائة عالم وترك
كتابا له صلى الله عليه وسلم ودفعه الى كبيرهم وسأله ان يدفعه للنبي
صلى الله عليه وسلم فتداول الملاك الدور الى ان صارت الى ابي ايوب
وهو ولد ذلك العالم قال وأهل المدينة الذين نصروه عليه الصلاة
والسلام من اولاد اولئك العلما فعلى هذا انما نزل في منزل نفسه لا
منزل غيره وفرح أهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم وأشرقت
المدينة بحلوله فيها وسرت القلوب قال أنس بن مالك رضي الله عنه
لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
أضاء منها كل شئ وصعدت ذوات الخدور على الاجاجير عند قدومه
يقلن طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعى
لله داع ايها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع وروى البيهقي
عن أنس لما بركت الناقة على باب ابي ايوب خرج جوار من بني النجار يقلن

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار فقال صلى الله عليه وسلم تحبونني قلن نعم يا رسول الله فقال عليه افضل الصلاة والسلام ان قلبي يحبكم ووعك ابو بكر وبلال بالمدينة فقال بلال اللهم العن شيبة بن ربيعة وامية بن خلف كما اخرجونا من ارضنا الى ارض الوباء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد اللهم بارك لنا في صاعها ومدها وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة وقال صلى الله عليه وسلم ان المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد وبهذا تمسك مالك رضي الله عنه في تقديم اجماع فقها المدينة على الحديث ولم يركب مالك رضي الله عنه ظهر دابة بالمدينة قط ويقول استحيي أن أطأ بحافر دابة أرضا فيها قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما أشرف أبو الفضل الجوهري رحمه الله على المدينة نزل عن راحلته وأنشد قول ابي الطيب

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا

نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وأقام صلى الله عليه وسلم عند ابي ايوب سبعة أشهر ولما اراد عليه الصلاة والسلام بناء المسجد الشريف قال يا بني النجار ثامنوني بحائطكم فقالوا لا نطلب ثمنا الا الى الله فأبى ذلك صلى الله عليه وسلم وابتاعها صلى الله عليه وسلم بعشرة دنانير اداها من مال أبي بكر قال انس وكان في موضع المسجد نخل وخرب ومقابر مشركين فامر بالقبور فنبشت والخرب فسويت والنخل فقطعت وامر باتخاذها فاخذت وبنى المسجد وسقف بالجريد وجعلت عمده من خشب النخل وكان صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة الى جذع في المسجد قائما فقال ان القيام قد شق علي فصنع له المنبر وحنين الجذع في السنة الثامنة من الهجرة وجزم ابن سعد بانه عمل في السنة السابعة قال الشيخ ابن عبد الله بن النعمان حديث حنين الجذع الذي يخطب عليه النبي صلى الله عليه وسلم حنين العشار متواتر رواه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمع الكثير والجم الغفير قال جابر فصاحت الخشبة صياح

الصغير فضمه اليه وفى بعض الروايات والذى نفسى بيده لولم التزمه
لم يزل هكذا الى يوم القيامة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
الحسن اذا حدث هذا الحديث بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم أحق ان تشتاقوا
الى لقائه ونظم فى ذلك بعضهم فقال

وحن اليه الجذع شوقا ورقة ورجع صوتا كالعشار مرددا
فبادره ضما فقر لوقته لكل امرئ من دهره ما تعودا

وروى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما لما هاجر النبى صلى الله عليه
وسلم المدينة واليهود اكثرها يستقبلون بيت المقدس أمره الله أن
يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها سبعة عشر شهرا
وكان صلى الله عليه وسلم يحب ان يستقبل قبلة ابراهيم فكان يدعو
وينظر الى السماء فنزلت الآية قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك
قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وعن سعيد بن المسيب
قال سمعت سعد بن ابى وقاص يقول صلى صلى الله عليه وسلم بعدما قدم
المدينة ستة عشر شهرا الى بيت المقدس ثم حول بعد ذلك الى المسجد الحرام
قبل بدر بشهرين قال الزهرى صرفت القبلة نحو المسجد الحرام لرجب
على رأس ستة عشر شهرا من مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما
حول الله القبلة حصل لبعض الناس من المنافقين والكفار ارتياب وزيغ
عن الهدى وشك وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها اى ما لهؤلاء
تارة يستقبلون كذا وتارة كذا فانزل الله فى جوابهم قل لله المشرق
والمغرب اى الحكم والتصرف لله كله فحيث ما وجهنا توجهنا فالطاعة
فى امتثال أمره ولو وجهنا كل يوم الى جهات متعددة فنحن عبيده وفى
تصرفه وخدامه حيثما وجهنا توجهنا وقيل قالت اليهود اشتاق
الى بلد أبيه وهو يريد ان يرضى قومه ولو ثبت على قبلتنا لرجونا ان يكون
هو النبى الذى ننتظر أن يأتى فانزل الله وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون
انه الحق من ربهم يعنى اليهود الذين انكروا استقبالكم الكعبة وانصرافكم
عن بيت المقدس يعلمون ان الله سيوجهكم اليها بما فى كتبهم عن انبيائهم

فائدة في ذكر نزول جبريل عليه السلام على الرسل عليهم الصلاة والسلام
نزل على آدم اثنتي عشرة مرة ونزل على ادريس اربع مرات ونزل على
نوح خمس مرات ونزل على ابراهيم اثنين واربعين مرة مرتين في صغره
ونزل على موسى أربع عشرة مرة ونزل على عيسى عشر مرات ثلاث
في صغره ونزل على محمد صلى الله عليه وسلم اربعة وعشرين الف
مرة ذكر ذلك ابن عادل في تفسيره في سورة النحل عند قوله ينزل
الملائكة بالروح من أمره وروى ان جبريل عليه السلام نزل على النبي
صلى الله عليه وسلم في مرض موته فقال يا جبريل هل تنزل من بعدي
فقال نعم يا رسول الله انزل عشر مرات ارفع العشر جواهر من الارض
قال يا جبريل وما ترفع منها قال الاول ارفع البركة من الارض الثاني
أرفع المحبة من قلوب الخلق الثالث أرفع الشفقة من قلوب الاقارب
الرابع ارفع العدل من الامراء الخامس ارفع الحياء من النساء السادس
أرفع الصبر من الفقراء السابع ارفع الورع والزهد من العلماء الثامن
أرفع السخاء من الاغنياء التاسع ارفع القرآن العاشر أرفع الايمان
قال وان عدة الانبياء عليهم الصلاة والسلام مائة ألف واربعة وعشرون
ألفا منهم مرسل ثلثمائة وثلاثة عشر نبيا مرسلا والمذكور منهم
في القرآن باسمه العلم ثمانية وعشرون ومنهم من لم يكن مرسلا
وبعضهم كان يوحى اليه في المنام وبعضهم كان يسمع الصوت من الملك
من غير ان يرى شخصه نبذة من أخبار الانبياء عليهم الصلاة
والسلام روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم خلق الله آدم طوله ستون ذراعا وأنزل عليه تحريم الميتة
والدم وحروف المعجم في احدى وعشرين ورقة وفيها ألف لغة وعلمه
ألف حرفة وخلق حواء من ضلع آدم في آخر النهار من يوم الجمعة
وفيه أهبط الى الارض وأنزل معه الحجر الاسود وعصى موسى وكانت
من آس الجنة ومرض آدم أحد عشر يوما وقبض يوم الجمعة وصلى عليه
شيث وفي رواية كان طوله ستين ذراعا في عرض سبعة اذرع وانزل
الله عليه الكلمات الوجودية والعدمية وعلمه سبعين الف باب من العلم

ولم يمت حتى بلغ ولد ولده أربعين ألفا واختلف في موضع قبره فقال أبو اسحاق دفن في مشارق الفردوس وقال غيره دفن بمكة في غار أبي قبيس وهو غار يقال له غار الكنز وقال ابن عباس دفن ببلاد الهند في موضع يقال له بوزبا فلما كان أيام الطوفان حمله نوح عليه السلام ودفنه ببيت المقدس وقال عروة لما مات آدم عليه السلام وضع بباب الكعبة وصلى عليه جبريل والملائكة ودفن في مسجد الخيف وقد روى ان الله تعالى أتحف آدم بثلاث تحف على يد جبريل عليه السلام بالعقل والحياء والدين وقيل له يا آدم اختر أيهن شئت فألهمه الله ان اختار العقل فقيل للحياء والدين ارتفعا فقالا أمرنا أن لا نفارق العقل وقد روى ان الله تعالى لما خلق آدم قال له من أنت قال أنت أعلم يا رب فقال أنت انسان فقال وما الانسانية يارب قال اطلاق الوجه وحلاوة اللسان وبسط اليدين والخلق الحسن قال صاحب البردة يشير الى النبي صلى الله عليه وسلم بالخلق الحسن

فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم يدانوه في علم ولا كرم

وفي الحديث ان حسن الخلق معلقة بسلسلة في باب الجنة مربوطة بصاحبه يذهب صاحبه كل مذهب فلا تزال به حتى ترده الى الجنة وأن سوء الخلق معلقة بسلسلة بباب جهنم مربوطة بصاحبه فلا تزال به حتى يدخله النار فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا روى الحسن عن أبي الحسن عن جد الحسن انه قال ان أحسن الحسن الخلق الحسن شيث عليه السلام نبي مرسل وأنزل عليه خمسين صحيفة وهو أول من بنى الكعبة بالطين والحجر وعاش سبعمائة سنة وعنه أخذت الشريعة ادريس عليه السلام نبي مرسل أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة ولد بمصر وهو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب وأول من بنى الهياكل وسجد لله فيها وفي عصره انتهت اليه الرياسة في علم النباتات واسرار الحروف وغير ذلك من الحقائق الحكمية والادوار الفلكية وهو أول من رتب الناس على ثلاث طبقات كهنة وملوك ورعية ورفع الى السماء وهو ابن ثلثمائة

سنة وعشرين سنة نوح عليه السلام بن لامك بن متوشلخ بن
ادريس نبي بعث بعد ادريس وهو ابن خمسين سنة او اربعين سنة
وهو اول من قسم الارض بين اولاده فاما سام فاعطاه بلاد
الحجاز واليمن والشام وهو ابو العرب والفرس والروم واما حام
فاعطاه بلاد المغرب وهو ابو السودان والبربر والقبط واما يافث
فاعطاه بلاد المشرق وهو ابو ياجوج وماجوج والترك والصقالبة
ولبث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما وكان طول السفينة
ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وسمكها ثلاثين ذراعا
وجعل لها ثلاث بطون فجعل في أسفلها الدواب والوحش وفي
وسطها الانس وفي أعلاها الطير وروي انه كان اذا اراد ان
تجري قال بسم الله فجرت واذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست
وعاش بعد الغرق خمسين سنة هود عليه السلام نبي مرسل
بعثه الله الى عاد بن صفوان بن سام وبعثه الى ثمود فكذبوه
فأهلكهم الله بالصواعق والزلزلة وعاش ثمانمائة سنة وخمسين
سنة حنظلة بن صفوان عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى
أصحاب الرس فقتلوه وأحرقوه بالنار فمسخهم الله حجارة
ابراهيم عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى النمرود بن كنعان
فاهلكه الله ببعوضة قال ابو الحسن الماوردي ابراهيم
بالسريانية أب رحيم وانزل عليه عشر صحائف وهو أول من
قاتل بالسيف وأول من اختتن واول من لبس السراويل وأول
من جز شاربه وأول من قص أظفاره واول من رأى الشيب وأول
من أضاف الضيوف وأول من ثرد الثريد وعاش مائة وخمسة
وسبعين سنة ودفن عند قبر سارة بمزرعة حبرون بالحاء المهملة
ذو القرنين كان قبل من ابراهيم عليه السلام قال عكرمة كان
ذو القرنين نبيا وقال علي بن ابي طالب كان عبدا صالحا وكان
الخضر وزيره وابن خالته وكان له مربع مائة في مائة موضوع على ...
ويرا فتح ا ... البلاد قال المفسرون ملك الدنيا مؤمنان

ذو القرنين وسليمان وكافران بخت نصر ونمرود بن كنعان تو
الاسكندر اثنان رومي وهو صاحب الخضر ويوناني وهو صاحب
ارسطو وايضا دانيال اثنان الاكبر وهو الذي حفر دجلة والفرات
وكان انقرذراعا وهو بعد نوح عليه السلام ودانيال الاصغر
وهو بعد سليمان ولقمان اثنان العمادي وهو في زمن ذي الحكم
ولقمان الثاني وهو في زمن داود عليه السلام روي انها لما ملكت
عاد بقي لقمان بالحرم فقال يارب اعطني عمر سبعة انسر وكان
يعيش كل نسر ثمانين سنة فلما مات النسر السابع مات لقمان
وموسى اثنان موسى بن ميشا وموسى بن عمران وهو صاحب فرعون
لوط عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى اهل سدوم فكذبوه
فاهلكهم الله بحجارة من سجيل وعاش ثمانين سنة اسماعيل
نبي مرسل بعثه الله الى العمالقة وهو اول من ركب الخيل ومن
ولده قيدار وعاش مائة وثمانين سنة اسحاق عليه السلام
نبي مرسل ولد بعد اسماعيل بثلاثة عشر سنة وولد اسحاق العيص
ويعقوب وهو ابن ستين سنة فاما العيص فانه تزوج بنت عمه
اسماعيل عليه السلام فولدت الروم وصاروا ملوك الارض واليونان
من ولده وعاش مائة وثمانين سنة وتوفي بفلسطين ودفن عند قبر
ابيه بمزرعة حبرون يعقوب عليه السلام نبي مرسل وهو
اسرائيل الله وعاش مائة وسبعة وعشرين سنة يوسف عليه
السلام نبي مرسل وهو اول من صنع القرطاس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن
يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وعاش
مائة وعشرين سنة بمصر ايوب عليه السلام نبي مرسل وكان روميا
من اولاد عيص بن اسحاق استنباه الله سبحانه وتعالى وكثر اهله
وماله فابتلاه الله سبحانه وتعالى بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم
وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشر سنة او ثلاث عشرة او
سبعة وسبعة اشهر وسبع ساعات روي ان امرأته قالت له يوما

أو دعوت الله سبحانه وتعالى ان يشفيك فقال لها كم كانت مدة الرخاء
فقالت ثمانين سنة فقال انى استحى من الله سبحانه وتعالى ان ادعوه
وما بلغت مدة بلائى مدة رخائى وعاش ثلاثا وتسعين سنة
وكان فى ضياعه اربعون ألف وكيل شعيب نبى مرسل بعثه الله
الى اهل مدينته فكذبوه فاهلكهم الله بالصيحة وهو خطيب الانبياء
عاش مائة واربعين سنة وقبره بالمسجد الحرام قبالة الحجر الاسود
موسى عليه السلام نبى مرسل ارسله الله تعالى وأخاه هارون عليه
السلام الى فرعون فكذبهما فاغرقه الله وجنوده فى اليم وانزل على موسى
عشر صحائف والتوراة فى ألواح الزمرد وهى الف سورة فى كل سورة
الف آية روى ابن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال كلم الله موسى مائة الف وعشرين الفا وثلثمائة وثلاثة عشر
كلمة وعاش موسى عليه السلام مائة وعشرين سنة وقبره
عند الكثيب الاحمر بفلسطين وعاش هارون مائة وعشرين سنة
ومات قبل موسى بثلاثين سنة فى التيه الخضر عليه السلام قيل
انه نبى من الانبياء وقيل انه ولى من أولياء الله تعالى يوشع بن نون
عليه السلام نبى مرسل بعثه الله بعد موسى عليه السلام وقد رد
الله له الشمس فى قتال الجبارين على مدينة اريحاء وهو الذى ارسل الله
تعالى على قومه ظلمة فمات منهم فى ساعة واحدة سبعون الفا وعاش
مائة وعشرين سنة كالب بن يوقنا عليه السلام قيل انه نبى وقيل
انه ولى حزقيل عليه السلام قيل انه نبى بعثه الله الى بنى اسرائيل وهو
حزقيل بن بورى الذى أحيا الله له القوم الذين خرجوا من ديارهم
بعد موتهم بدعائه ولا بعله قال عطاء الخراسانى
كانوا أربعة آلاف وقال مقاتل والكلبى ثمانية آلاف وقال
ابو مالك ثمانين الفا وقال ابن جريج اربعين الفا وقال ابن ابى رباح سبعين
الفا الياس عليه السلام نبى مرسل بعثه الله الى بنى اسرائيل فاعطاه
الله قوة سبعين نبيا وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكان انسيا
ملكيا ارضيا سماويا اليسع بن عدى بن سوار بن افرائيم بن يوسف

الصديق بعثه الله بعد الياس عليه السلام الى بني اسرائيل وعاش
خمسا وسبعين سنة ذو الكفل عليه السلام بعثه الله بالشام وهو
من اولاد ايوب عليه السلام قال ابو موسى الاشعري ان ذا الكفل لم
يكن نبيا ولكن كان رجلا صالحا وقيل هو الياس وقيل هو زكريا
شمويل عليه السلام بن بالي بن علقمة بن حام ارسله الله الى بني اسرائيل
ومعناه بالعبرانية اسماعيل وهو الذي قام لطالوت الملك داود
عليه السلام نبي مرسل وانزل عليه الزبور بالعبرانية وهي مائة
وخمسون سورة والان له الحديد ولم يعط احد من الخلق مثل صوته
وكان لا ياكل الا من عمل يده وهو اول من قال اما بعد قال ابن عباس
رضي الله عنه كان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثون الفا وكان عمر داود
مائة سنة وشيع جنازته اربعون الف راهب وكان الانس والجن
يستمعون لحسن قراءته اذا قرأ الزبور وكذلك الوحوش والطير يستمعون
وكان يحمل من مجلسه في بعض الاوقات اربعمائة جنازة ممن قد مات
في مجلسه من لذة سماع صوته وحسن قراءته سليمان عليه السلام
نبي مرسل قال كعب بن محمد القرظي كان عسكر سليمان عليه السلام
مائة فرسخ وخمسة وعشرون فرسخا للانس ومثلها للجن ومثلها للوحوش
ومثلها للطير وهو اول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم
واول من دخل الحمام واول من صنع له النورة وكان حرس سليمان ستمائة
الف وكان له الف بيت من قوارير على خشب فيها ثلثمائة امرأة
وسبعمائة سرية قال ابن عباس رضي الله عنهما كان في مطبخ سليمان
مائة الف رجل وكان يذبح له كل يوم الف شاة وثلاثون الف بقرة
وكان ياكل الشعير ويلبس الصوف وعاش ثلاثا وخمسين سنة
فبينما هو متكئ على عصاه فمات فدفن على ساحل بحيرة طبرية
لقمان الحكيم بن باعورا بن اخت ايوب عاش خمسمائة وخمسين سنة
واختلف في نبوته فقال عكرمة كان نبيا وقال حذيفة كان عبدا صالحا
وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل وقيل كان عبدا اسود نوبيا من سودان
مصر وقيل كان خياطا او نجارا او راعي غنم وقد اخذ الحكمة عن الف نبي

وقبره ما بين مسجد الرملة وسوقها وفيه قبر سبعين نبيا وكان داود عليه السلام يقول يا لقمان لقد اوتيت الحكمة وصرفت عنك النقمة
فائدة المعمرون شيث عليه السلام عاش سبعمائة سنة نوح عليه السلام لبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الغرق خمسين عاما ابراهيم عليه السلام عاش مائة وخمسة وسبعين عاما اسماعيل عليه السلام عاش مائة وثمانين عاما وكذلك اسحاق عليه السلام يعقوب عليه السلام عاش مائة وسبعين عاما يوسف عليه السلام عاش مائة وعشرين عاما شعيب عليه السلام عاش مائة واربعين عاما موسى عليه السلام عاش مائة وعشرين عاما وكذلك هارون عليه السلام وكذلك يوشع عليه السلام لقمان عاش خمسمائة وستين عاما المستوغر بن ربيعة عاش ثلثمائة وثلاثين عاما معديكرب الحميرى عاش مائة وخمسين عاما عامر بن الظرب عاش ثلثمائة عام وكذلك اكثم بن صيفى وكان من حكما العرب وادرك الاسلام واختلف في اسلامه قس بن ساعدة الايادى عاش ستمائة عام وكان من عقلاء العرب وشعرائهم وهو اول من اقر منهم بالبعث واول من قال في الخطبة اما بعد دريد بن الصمة عاش دهرا طويلا حتى سقط حاجباه على عينيه ولم يسلم وشهد حنينا عبيد الجرهمى عاش مائة وعشرين سنة معاذ بن مسلم عاش مائة وخمسين عاما صحب بنى مروان وفيه يقول الشاعر

قل لمعاذ اذا مررت به … قد ضج من طول عمرك الابد

رجعنا لما نحن بصدده من اخبار الانبياء يونس عليه السلام نبى مرسل بعثه الله الى اهل نينوى قرية بمصر وهو ابن اربعين عاما فالتقمه الحوت فمكث في بطنه ثلاثة ايام وقيل سبعة ايام وقيل اربعين يوما شعياء عليه السلام من انصنا بعثه الله تعالى الى بنى اسرائيل وهو الذى بشر بعيسى وبمحمد صلى الله عليه وسلم ارمياء عليه السلام نبى بعثه الله الى بنى اسرائيل فكذبوه فارسل بختنصر فخرب بيت المقدس واحرق التوراة وقتل من بنى اسرائيل

سبعين ألفا وأسر سبعين الف غلام وذهب بهم الى بابل وفيهم دانيال
وخرقيل النبي عليهما السلام وسبعة الاف من آل داود عليه السلام
عزير عليه السلام بن شريق عليه السلام أماته الله وهو ابن اربعين
سنة فاماته مائة عام ثم بعثه وهو ابن مائة واربعين سنة وقيل
ابن مائة وعشرين سنة واحيى حماره دانيال عليه السلام
نبي مرسل بعثه الله الى بني اسرائيل وهو ممن آتاه الله الحكمة والنبوة
والقاه بخت نصر في اتون الحمام فلم يحترق وبه انقذ الله بني اسرائيل
من ارض بابل وقبره بالسوس زكرياء عليه السلام بعثه الله
الى بني اسرائيل فقتلوه وكان نجارا يحيى عليه السلام روي انه
تنبأ وفهم التوراة وهو ابن ثلاث سنين او سبع وقتل بدمشق
واسم المرأة التي قتلته ارميل وانها قتلت سبعين نبيا آخرهم يحيى
عليه الصلاة والسلام قال يحيى بن المسيب لما دخل بخت نصر دمشق
رأى دم يحيى عليه السلام يفور فقتل عليه سبعة وخمسين ألفا
وقد بعث الله بين موسى وعيسى ألف نبي من بني اسرائيل عيسى
عليه السلام نبي مرسل بعثه الله على رأس ثلاثين سنة من عمره
فكذبوه فرفعه الله الى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وأنزل
عليه الانجيل باللغة السريانية وهو كلمة الله وأمه مريم بنت عمران
وهو من اولي العزم المرسلين وأحيى الله له سام بن نوح عليه السلام
بعد أربعة الاف سنة قال كعب بعث الله بعد عيسى بن مريم
رسولين من الحواريين من مدينة إنطاكية حبيب النجار وهو ثالث
الرسل وقبره بانطاكية وشمعون ومن زمن هبوط آدم عليه السلام
من الجنة الى رفع عيسى عليه السلام خمسة الاف وخمسمائة وخمسون
سنة وكانت الفترة التي لم يبعث فيها رسول اربعمائة وأربعا وثلاثين
سنة فائدة لا بأس بذكرها وهو ان المصفي الحلي صحف اسم
عيسى فقال

سألت الحب ما اسمك وهو ظبي ... من العرب الكرام فقال عيسى الاسم
فقلت له انتسبت لاي قوم ... تكون من الكرام فقال عيسى علسي

نسب العجمي

فقلت وما صنيعك في البوادي ... لتحصيل الحطام فقال عيسى عيسى
فقلت وما انيسك في الفيافي ... باناء الظلام فقال عيسى عيسى
فقلت وعمّ تسأل كل غاد ... يمر على الدوام فقال عيسى عيسى
فقلت ولم عصيت نصيح حب ... دعاك الى المقام فقال عيسى عيسى
فقلت لقد سلبت القلب مني ... بلحظك والقوام فقال عيسى عيسى
فقلت عساك تسمح لي بوصل ... ايا بدر التمام فقال عيسى عيسى
فقلت وما الذي يدعوك حتى ... تجافي بالكلام فقال عيسى عيسى
فقلت له صدقت واي شيء ... تقول على النظام فقال عيسى عيسى
فقلت بمن اعيش وانت سؤلي ... وتجهد بالغرام فقال عيسى عيسى

ذيله الشهاب الحجازي بما اخل به الصفي الحلي من الالفاظ المصحفة

فقال

فقلت اراك يا سؤلي طروبا ... لا نشاد النظام فقال عيسى غنيتني
فقلت اراك حيرانا ذهولا ... لما تسأل حديث فقال عيسى عنيتني
فقلت من الهوى حملت ثقلا ... بما حملتنيه فقال عيسى عييتني
فقلت ولا اريد سواك فاعطف ... على فقري اليك فقال عيسى غنيتني
فقلت اراك ذا نظر لخود ... تثنت بالقوام فقال عيسى عيّنتني
فقلت فنيت في حبك فارحم ... وداوي ذا السقام فقال عيسى عنيتني
فقلت معاتبا فاحمر خدا ... الذا الاحمرار فقال عيسى عتبتني
فقلت علام طفت من اي شيء ... تمايل ذا القوام فقال عيسى عنّفتني

فائدة اول من تكلم بالتصحيف في الاسلام الامام علي رضي الله عنه من ذلك قوله كل عنب يتطيبه الكرم الا عنبا الذنب معناه كل عيب يغطيه الكرم الا عيب الدين ومنه نجم عشق يحي معناه نجم عسق يحيى رجحنا الماهن بصدمه لاحقة في ذكر جماعة من الانبياء عليهم الصلاة والسلام دراوستاناوسي عليه السلام وهو نبي وقيل ولي من عباد الله الصالحين وهو من اهل فلسطين بعثه الله الى قوم يعبدون الاصنام فدعاهم الى الله سبعين مرة وخرقال وشمعون وبجيعون من انبياء بني اسرائيل

من القناة
عن عيني
من الاحيا
منذ الدهر
من العناية
من العتاب

خالد بن سنان العبسي كان في الفترة عليه السلام وله

شهيد على أحمد انه رسول من الله بارئ النسم
فلو مد عمري الى عمره لكنت وزيرا له وابن عم

محمد رسول الله وقد تقدم الكلام على بعثته ومقامه بمكة وهجرته
ولما استقر عليه أفضل الصلاة والسلام بالمدينة المنورة
واجتمع عليه أصحابه وقاموا بنصرته وصارت المدينة لهم دار
اسلام شرع الله له جهاد الاعداء فكان مقامه صلى الله عليه وسلم
بالمدينة الى حين وفاته عشر سنوات وفي سنة ست من الهجرة
كاتب النبي صلى الله عليه وسلم المقوقس ودعاه الى الاسلام وكان
الرسول اليه حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ذكر البيضاوي في
تفسيره في اول سورة الممتحنة في قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا
لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نزلت في حاطب المذكور فانه لما
علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يغزو أهل مكة كتب
اليهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وأرسله
مع سارة مولاة بني عبد المطلب فنزل جبريل عليه السلام وأخبره
بذلك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير
والمقداد وأبا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها
ظعينة معها كتاب من حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان
أبت فاضربوا عنقها فادركوها ثمت فجحدت فسل علي عليها السيف
فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حاطبا وقال له ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ
أسلمت وما غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا
في قريش وليس لي فيهم من يحمي أهلي فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد
علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعذره رجعنا الى ما نحن بصدده فلما انتهى حاطب الى
الاسكندرية وجد المقوقس في مجلس مشرف على البحر فلما حاذى ا
مجلسه أشار بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم بين اصبعيه فأمر المقوقس

بجمل حاطب فلما وصل اليه ناوله كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فضمه الى صدره وقال هذا زمان يخرج فيه النبي الذي نجد نعته ووصفه
في كتاب الله وانا نجد صفته انه لا يجمع بين أختين في زواج وانه لا
يقبل الصدقة ويقبل الهدية وان جلساءه المساكين وان خاتم النبوة
بين كتفيه ثم قرأ الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عند محمد
رسول الله الى المقوقس عظيم القبط سلام الله على من اتبع الهدى
أما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام فأسلم تسلم يوتك الله اجرك مرتين
يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله
ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان
تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فلما أتم المقوقس قراءة الكتاب
أخذه فجعله في حق من عاج وختم عليه وارسل اليه فأخذ حاطبا
عنده وليس عنده أحد الا ترجمان فقال له الا تخبرني عن امور
أسألك عنها فاني أعلم ان صاحبك قد تخيرك حين بعثك فقال حاطب
لا تسألني عن شيء الا صدقتك فيه فقال الى ما يدعو محمد فقال ان
نعبد الله ولا نشرك به شيئا ونخلع ما سواه ويأمر بالصلاة فقال
كم تصلون فقال خمس صلوات في اليوم والليلة وصيام رمضان
وحج البيت الحرام والوفاء بالعهد وينهى عن اكل الميتة والدم قال من
اتباعه قال الفتيان من قومه وغيرهم قال وهل بعثك قومه قال
نعم قال صفه لي بصفته قال فوصفه بصفة من صفاته ثم قال بقي اشيا
لم أراك ذكرتها في عينيه حمرة قلما تفارقه وبين كتفيه خاتم النبوة
يركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزي بالتمرات والكسر لا يبالي
من لاقى من عم ولا ابن عم قلت نعم هذه صفته ثم قال كنت أعلم ان
نبيا قد بقي وكنت اظنه يخرج من الشام وهناك كانت تخرج
الانبياء من قبله فاراه قد خرج في العرب في أرض جهد وبؤس
والقبط لا تطاوعني فارجع الى صاحبك ثم دعا بكاتب يكتب
بالعربية فكتب اما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو
وقد علمت ان نبيا قد بقي وكنت اظنه يخرج من الشام وقد اكرمت

رسولك وبعث اليك جاريتين لهما مكانة فى القبط وهى مارية وأختها
شيرين وخصيا يقال له مابور وبغلة وحمارا وعسلا وقباطى من
قباطى مصر وكان الذى بعثه المقوقس مع الهدية شخص اسمه جبير
القبطى فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم الهدية فقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدية فلما نظر الى مارية وأختها اعجبتاه
وكره أن يجمع بينهما فقال اللهم اختر لنبيك فاختار الله له مارية
فاسلمت وآمنت ومكثت اختها ساعة وأسلمت فوهبها رسول الله
صلى الله عليه وسلم لمحمد بن سلمة الانصارى رضى الله عنه ولم تزل
مصر فى يد المقوقس مدة حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وايام خلافة
أبى بكر رضى الله عنه وصدرا من خلافة عمر رضى الله عنه وفتحت
مصر فى سنة تسع عشرة من الهجرة روى أن سيدنا عمر بن الخطاب
رضى الله عنه لما قدم الجابية خلا به عمرو بن العاص وقال يا أمير
المؤمنين ائذن لى بالمسير الى مصر فانك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين
وعونا لهم وهى اكثر أهل الارض اموالا واعجزهم حربا وقالا فتخوف
عمر رضى الله عنه على المسلمين فلم يزل يعظم أمرها عنده حتى ركن لذلك
عمر رضى الله عنه فعقد له على أربعة آلاف رجل وقال له سروا مضى
واستعن بالله واستنصره فسار عمرو حتى نزل العريش وهو من
حدود أرض مصر ثم سار حتى وصل قريبا من مصر فقاتله المقوقس
قتالا شديدا فكتب عمرو بن العاص الى سيدنا عمر بن الخطاب يستنجده
فامده باثنى عشر الفا منهم أربعة قوموا باربعة آلاف وهم الزبير
ابن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت وسلمة بن
مخلد فوصلوا اليه وأحاطوا بالحصن فنصب عمرو رضى الله عنه
الفسطاط وهو البيت الذى من الشعر فاقاموا على باب الحصن
سبعة أشهر فلما رأى المقوقس ذلك نزل فى سفينة كانت بباب الحصن
وهو قصر الشمع ومعه أهل القوة فلحق بالجزيرة وهى الروضة وسأل
فى الصلح فبعث اليه عمرو بن العاص رضى الله عنه عبادة بن الصامت
والمقداد بن الاسود فصالحه المقوقس عن القبط والروم وجعل الخيار له

في الصلح الى أن يوافي كتاب ملكهم بما يكون وأن القبط يعطون عن كل بالغ من الرجال دينارين فكان عدتهم يوم الصلح ستة آلاف نفس وان عليهم الضيافة للواردين ثلاثة أيام وذلك في سنة ثماني عشرة من الهجرة ثم أن المقوقس توجه الى الاسكندرية وفي سنة تسع عشرة هلك ملك الروم وفتحت الاسكندرية وقت الظهر يوم الجمعة مستهل محرم سنة عشرين وذلك بعد ان حوصرت أربعة عشر شهرا وقتل من المسلمين ثلاثة عشر رجلاً والله تعالى أعلم

الباب الاول

في خلافة الخلفاء الاربعة ومن ولي بعدهم وهو الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه روى عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لحوضي أربعة اركان ركن منه في يد ابي بكر والثاني في يد عمر والثالث في يد عثمان والرابع في يد علي فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه ابو بكر ومن احب عمر وأبغض ابا بكر لم يسقه عمر ومن احب عثمان وأبغض عليا لم يسقه عثمان ومن احب عليا وابغض عثمان لم يسقه علي ومن احسن القول في ابي بكر فقد اقام الدين ومن احسن القول في عمر فقد اوضح السبيل ومن احسن القول في عثمان فقد استنار بنور رب العالمين ومن احسن القول في علي فقد استمسك بالعروة الوثقى ومن احسن القول في اصحابي فهو مؤمن ومن أساء القول في اصحابي فهو منافق ويروى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم متوكئا على ابي بكر وعمر وهو يقول هكذا نحيي وهكذا نموت وهكذا ندخل الجنة روى محمد بن ادم قال رأيت بمكة أسقفا يطوف بالكعبة فقلت له ما الذي أخرجك عن دين آبائك فقال تبدلت خيرا منه فقلت وكيف ذلك قال ركبت البحر فلما توسطناه انكسرت المركب فلم تزل الامواج تدافعني حتى رمتني في جزيرة من جزائر البحر فيها اشجار كثيرة ولها ثمر احلى من الشهد والين من الزبد وفيها نهر عذب فحمدت الله على ذلك وقلت آكل من الشجر واشرب من هذا النهر حتى يقضي الله ما هو

فلما ذهب النهار خفت على نفسي من الوحش فطلعت على شجرة فنمت على
غصن من أغصانها فلما كان في جوف الليل واذا دابة على وجه الماء تسبح
الله تعالى وتقول لا اله الا الله العزيز الجبار محمد رسول الله النبي
المختار ابو بكر الصديق صاحبه في الغار عمر الفاروق فاتح الامصار
عثمان القتيل في الدار علي سيف الله على الكفار فعلى مبغضهم لعنة
العزيز الجبار ومأواهم النار وبئس القرار ولم تزل تكرر هذه الكلمات
الى الفجر فلما طلع الفجر قالت لا اله الا الله الصادق الوعد والوعيد
محمد رسول الله الهادي الرشيد أبو بكر الموفق السديد عمر بن الخطاب
سور من حديد عثمان الفضيل الشهيد علي بن ابي طالب ذو الباس الشديد
فعلى مبغضيهم لعنة الملك المجيد ثم أقبلت الى البر فاذا رأسها رأس
نعامة ووجهها وجه انسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب
سمكة فخشيت على نفسي الهلكة ثم هربت فنطقت بلسان فصيح
يا هذا قف والا تهلك فوقفت فقالت ما دينك فقلت دين النصرانية
فقالت ويلك ارجع الى دين الحنيفية فقد حللت بفناء قوم من مسلمي
الجن لا ينجو منهم الا من كان مسلما فقلت وكيف الاسلام فقالت
تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقلتها فقالت تمم اسلامك
بالترحم على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فقلت ومن
اتاكم بذلك قالت قوم منا حضروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
سمعوه يقول اذا كان يوم القيامة تأتي الجنة فتنادي بلسان طلق
فصيح الهي قد وعدتني ان تشيد اركاني فيقول الجليل جل جلاله قد شيدت
اركانك بابي بكر وعمر وعثمان وعلي وزينتك بالحسن والحسين ثم
قالت الدابة أتريد المقام ههنا ام الرجوع الى أهلك فقلت الرجوع الى
أهلي فقالت اصبر حتى تمر مركب فبينما نحن كذلك واذا بمركب أقبلت
تجري فاومئت اليهم فدفعوا الى زورقا فنزلت فيه ثم جئت اليهم
فوجدت المركب فيها اثنا عشر الف رجل كلهم نصارى فقالوا ما الذي
جاء بك الى ههنا فقصصت عليهم قصتي فتعجبوا كلهم واسلموا عن آخرهم
ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما يحكى عن عبد الله بن زيد

قال

قال كنت في مركب فطرحتنا الريح الى جزيرة فاذا فيها رجل يعبد صنما
فقلت له يا رجل من تعبد فاومأ الى الصنم فقلت ان معنا في المركب من
يسوي مثل هذا ليس هذا باله يعبد قال فانتم لمن تعبدون قلنا الله
قال وما الله قلنا الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي الاحيا
والاموات قضاؤه قال كيف علمتم بذلك قلنا وجه الينا هذا الملك
رسولا كريما فاخبرنا بذلك قال فما فعل بالرسول قلنا لما أدى الرسالة
قبضه الله اليه قال فهل ترك عندكم علامة قلنا ترك عندنا كتاب الملك
قال أروني كتاب الملك ينبغي ان تكون كتب الملوك حسانا فاتيناه
بالمصحف فقال لا اعرف هذا فقرأنا عليه سورة من القرآن فلم نزل
نقرأ عليه وهو يبكي حتى ختمنا السورة فقال ينبغي لصاحب هذا الكلام
ان لا يعصى ثم اسلم وحملناه معنا وعلمناه شعائر الاسلام وسورا
من القرآن وكنا حين جن الليل صلينا العشاء وأخذنا مضاجعنا
فقال لنا يا قوم هذا الاله الذي دللتموني عليه اذا جن الليل ينام
قلنا يا عبد الله هو حي قيوم لا ينام قال بئس العبيد انتم تنامون
ومولاكم لا ينام فاعجبنا كلامه فلما قدمنا عبادان فقلت لاصحابي
هذا قريب عهد بالاسلام فجمعنا له دراهم واردنا ان نعطيها له فقال
ما هذا فقلنا نفقة تنفقها فقال لا اله الا الله دللتموني على طريق ما
سلكتموها انا كنت في جزائر البحر اعبد صنما من دونه ولم يضيعني
فيضيعني وانا اعرفه فلما كان في بعض الايام قيل لي انه في الموت
فاتيته فقلت هل لك من حاجة فقال قضى حوائجي من جاء بكم الى
الجزيرة قال عبد الواحد فغلبتني عيني فنمت عنده فرأيت مقابر
عبادان روضة وفيها قبة وفي القبة سرير عليه جارية لم ير أحسن
منها فقالت سألتك بالله الا ما عجلت به فقد اشتد شوقي اليه فانتبهت
فاذا به قد فارق الدنيا فقمت اليه فغسلته وكفنته وصليت عليه
وواريته فلما جن الليل نمت فرأيته في القبة مع الجارية وهو يقرأ
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم
عقبى الدار (خلافة سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه)

اسمه عبد الله بن ابي قحافة واسم ابي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب
ابن سعيد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب التيمي القرشي يلتقي مع
النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وأمه سلمى بنت صخر بن عامر بن
سعيد بن تيم بن مرة ماتت مسلمة قيل كان اسم ابي بكر عبد رب الكعبة
فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله وانما سمي عتيقا لان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى
ابي بكر وهو اول الرجال اسلاما شهد المشاهد كلها وكان مولده بمكة
بعد الفيل بسنتين وأربعة أشهر وايام وكان أبيض اللون خفيف
العارضين بويع له في شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة
فجلس على المنبر وخطب الناس فقال أيها الناس قد وليت امركم
ولست بخيركم انما انا متبع ولست بمبتدع فان احسنت فاعينوني
وان زغت فقوموني فان الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف
فيكم قوي عندي على اريح عليه حق الله ان شاء الله والقوي فيكم
عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه ان شاء الله لا يدع الجهاد قوم في سبيل
الله الا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم الا عمهم الله بالبلاء
أطيعوني ما اطعت الله ورسوله فان عصيت الله ورسوله فلا
طاعة لي عليكم قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله ثم قام سيدنا عمر بن
الخطاب رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال ايها الناس كنت قلت لكم مقالة ما كانت
في كتاب الله عز وجل ولا كانت عهدا عهده رسول الله صلى الله عليه وسلم
الينا ولا كانت عن رأي ان الله عز وجل قد جمع امركم على خيركم
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثاني اثنين في الغار فقوموا
فبايعوه فقام الناس الى مبايعته عامة ولما بايع علي رضي الله عنه
أبا بكر اعتنقا وتباكيا وسر المسلمون بذلك فقال ابو سفيان
ابن حرب ارضيتم يا بني عبد مناف ان تليكم تيم والله لئن ولي امركم ابن ابي
قحافة والله لئن شئتم لأملأنها عليكم خيلا ورجالا فقال علي رضي
الله عنه يا ابا سفيان ان المسلمين قد نصح بعضهم لبعض ولولا ان

رأينا أبا بكر أهلا لها ما بايعناه . نبذة في فضائله رضي الله عنه
منها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر في مرض موته بتجهيز أسامة
ابن زيد في سبعمائة بطل لغزو الروم وانه أمير عسكره وذلك في يوم
الاثنين لاربع بقين من شهر صفر سنة احدى عشرة وقال له سر الى
موضع مقتل ابيك فاوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فاغد
صباحا على أهل أبنى وحرق عليهم وأسرع السير فان ظفرك الله عليهم
فاقلل اللبث فيهم وخذ معك الادلاء وقدم العيون والطلائع
فلما كان يوم الاثنين بدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوجع فحم
وصدع فلما كان يوم الخميس عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء
بيده لأسامة ثم قال اغز باسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله
فخرج بلوائه معقودا فدفعه الى بريدة بن الخصيب الاسلمي فتكلم
قوم وقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين فغضب
رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وقد عصب رأسه
بعصابة وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال
أما بعد أيها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة
ولئن طعنتم في امرتي أسامة فلقد طعنتم في امرتي أباه من قبله وايم الله
ان كان أبوه لخليقا للامارة وان ابنه من بعده لخليق للامارة فاستوصوا
به خيرا فانه من خياركم ثم نزل فدخل بيته وجاء المسلمون الذين
يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل
يقول انفذوا بعث أسامة فلما كان يوم الاحد اشتد الوجع برسول
الله صلى الله عليه وسلم فدخل أسامة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو
مغمور فطأطأ أسامة يقبله والنبي صلى الله عليه وسلم لا يتكلم فجعل
يرفع يديه الى السماء ويضعهما على اسامة وعاد أسامة الى معسكره
فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين في شهر ربيع الاول
بلا خلاف في حين زاغت الشمس وقيل حين اشتد الضحى من يوم الاثنين
في مثل الوقت الذي دخل فيه المدينة واختلفوا في تعيين ذلك اليوم
من الشهر فقيل كان اوله وقيل كان ثانيه وقيل ثاني عشر وقيل

ثالث عشره وقيل خامس عشره والمشهور انه كان ثاني عشر شهر ربيع الاول وكان ابتداء مرضه صلى الله عليه وسلم في اواخر شهر صفر وكان مدة مرضه ثلاثة عشر يوما في المشهور وقيل اربعة عشر يوما واختلفوا في وقت دفنه صلى الله عليه وسلم فقيل دفن من ساعته وقيل بعد وقيل من ليلة الثلاثا وقيل يوم الثلاثا وقيل ليلة الاربعا ثم ان عسكر اسامة دخل المدينة ودخل بريد باللواء حتى اتى به باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزه فلما ولي ابو بكر الخلافة امر الناس بما كان امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الانصار لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قل لابي بكر يرجع بالمسلمين فان ابى ان لا يفعل فليول علينا رجلا اقدم سنا من اسامة فبلغ اسامة ذلك فارسل الى عمر بن الخطاب يساله في عرض ذلك على ابي بكر رضي الله عنه وهل ياذن لي ان ارجع بالناس فان وجوه الناس معنا ونخاف ان اثقال المسلمين يخطفها المشركون فاتى عمر ابا بكر رضي الله عنه فذكر له ذلك فقال ابو بكر رضي الله عنه لو خطفتني الكلاب والذئاب لم ارد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فعند ذلك رجع عمر الى اسامة والانصار فذكر لهم مقالة ابي بكر رضي الله عنه فقام الانصار وقالوا لعمر لابد ان تراجع ابا بكر في ذلك فراجعه عمر رضي الله عنه فقام ابو بكر فاخذ بلحية عمر وقال ثكلتك امك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة وامره وتامرني ان انزعه قال فعند ذلك رجع عمر رضي الله عنه الى الناس واخبرهم بالجواب فتجهزوا وخرجوا وخرج ابو بكر فشيعهم وهو ماش واسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة ابي بكر فقال اسامة لابي بكر يا خليفة رسول الله والله لتركبن او لانزلن فقال ابو بكر والله لا اركب والله لا تنزل والله ما ضرني ان اغبر قدمي في ساعة في سبيل الله وعاد ابو بكر وسار اسامة بالجيش ولم يضره حداثة سنه وكان لا يمر بقبيلة تريد الارتداد الا وقالوا لولا ان لهؤلاء قوة ما خرج هذا من عندهم وان اسامة وصل الى اهل ابنى

في عشرين

في عشرين ليلة فشن عليهم الغارة وسبى حريمهم وحرق منازلهم وحرثهم وأجال الخيل في عرصاتهم وأصاب الغنائم منهم وكان أسامة على فرس أبيه فقتل قاتل أبيه في الغارة ووصل الى المدينة سالما وكان سن أسامة سبع عشرة سنة (وذكرت) على سبيل الاستطراد بعض لطائف لاجل المناسبة بما في ذكرها فيه (منها) ما حكاه المسعودي في شرح المقامات ان المهدي لما دخل البصرة رأى اياس بن معاوية وهو صبي وخلفه اربعمائة من العلماء وأرباب الطيالسة واياس يقدمهم فقال المهدي أف لهذه العثانين أما كان فيهم شيخ يقدمهم غير هذا الحدث ثم ان المهدي التفت الى اياس وقال له كم سنك يا فتى سني أطال الله بقاء أمير المؤمنين سن أسامة بن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا وكان في الجيش من الصحابة من هو أقدم سنا من أسامة فقال له تقدم بارك الله فيك (وحكى) أن يحيى بن أكثم لما ولاه المأمون قضاء البصرة وكان سنه عشرين سنة فاستصغروه فقال أحدهم كم سن القاضي فقال أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذي وجه به رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على مكة يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجه به رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على اليمن وأكبر من كعب بن سوار الذي وجهه عمر قاضيا على البصرة فجعل جوابه احتجاجا (وحكى) ان المأمون لما حضر اليه يحيى بن أكثم المذكور أطال النظر اليه وكان يحيى بن أكثم دميم الخلقة فقال له يا أمير المؤمنين انظر الى خلقي ولا تنظر الى خلقي فقال له المأمون هلك هالك عن ابوين وبنت وأختين ولم تقسم التركة حتى ماتت احدى الاختين عن من ذكر فسأله فقال يا أمير المؤمنين الميت الاول ذكر أم أنثى فعرف المأمون فضله وقال بفرقك بين الذكر والانثى قد سهل عليك الجواب (وقد ذكر) انه لما استخلف عمر بن عبد العزيز قدم عليه وفود اهل كل بلد فقدم وفد اهل الحجاز فتقدم منهم غلام للكلام فقال عمر يا غلام ليتقدم من هو أسن منك فقال الغلام يا أمير المؤمنين

انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فاذا منح الله عبده لسانا لافظا وقلبا
حافظا فقد أجاد له الاختيار ولو كان الامر بالسن لكان ههنا من
هو أحق بمجلسك فقال عمر صدقت فهذا هو السحر الحلال فقال
يا أمير المؤمنين نحن وفد التهنئة لم يكن يقدمنا اليك رغبة ولا
رهبة الا أنا قد أمنا في أيامك ما خفنا وأدركنا ما طلبنا فسأل
عمر عن سن الغلام فقيل له عشرون سنة (وقد روى ان محمد
ابن كعب القرظي كان حاضرا فنظر الى وجه عمر وقد تهلل عند ثناء
الغلام عليه فقال يا امير المؤمنين لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك
بنفسك فان قوما خدعهم الثناء وغرهم الشكر فزلت اقدامهم
فهووا في النار أعاذك الله أن تكون منهم وألحقك بسالف هذه
الأمة فبكى عمر حتى خيف عليه وقال اللهم لا تخلنا من واعظ
وقد سمعت من بعض الافاضل ان أبا عبد الله المازرى وهو غلام لم يبلغ
الحلم جلس نهارا في شهر رمضان لتدريس العلم الشريف وخلفه ما
ينوف عن مائة رجل من طلبة العلم الشريف يستفيدون منه ما يلقيه
لهم من العلوم فقال لهم اصبروا حتى اتغدى فقال له شخص من الحاضرين
تكون شيخ هذه الطائفة وتتغدى نهارا في رمضان فأجابه بان قال
له يا طويل الاذان ما وجب علي صوم فخجل الرجل (وحكى انه كان
للعتابي غلام بديع الحسن حسن الصورة وكان مشغوفا بحبه
فكتب اليه يقول قد علمت أبرك الله مسألتي اليك واستمالة قلبي
عليك وأنت تؤثر بعدي وتكره قصدي وانا أشكو احوالي كلها
اليك واستعين بك عليك (فأجابه) الغلام يقول شكواك
يقتضي انصافك وايثار صيانتنا تمنعنا اسعافك ومكروه
مع صيانتنا أولى من الاجتماع على فضيحتنا فان وجدت أيدك
الله فرصة ليس معها انتهاك الستر وقبح الذكر صرت اليك
ومع هذا الاثم في بلوغ الشهوات باسقاط المروآت ولا خير في شيء
تذهب لذته وتبقى تبعته فاختر أيدك الله أحد الامرين اما
طاعة الله لسخطك او سخطه لطاعتك قال بل طاعة الله احب

وأوجب

والوجب والرجوع اليه أحسن واقرب والله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون شعر في المعنى

تفنى اللذاذة ممن نال لذتها من الحرام ويبقى الاثم والعار
تبقى عواقب سوء من مغبتها لا خير في لذة من بعدها نار

قال ابراهيم بن محمد المهلبي الواسطي شعر

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن اهوى فيقنعني منه الفكاهة والتحديث والنظر
اهوى الملاح وأهوى ان أجالسهم وليس لي في حرام منهم وطر
كذلك الحب لا اتيان معصية لا خير في لذة من بعدها سقر

وحكي ان شخصا نظر الى ولد امرد جميل الصورة فكتب اليه يقول

ماذا تقول اذا اجتمعا في غد وأقول الرحمن هذا قاتلي

فاجابه الولد بانه قال اقول له يارب هذا طلب مني فعل السوء فما وافقته (وحكي ان رجلا خلى بولد امرد فقيل له في ذلك فقال أردت ان اريه باب الفاعل والمفعول فقيل له وما هذا المشترك بينكما فقال حرف باء لمعنى وحكي عن علي بن بسام البغدادي انه قال كنت أتعشق غلاما لخالي ابن حمدون فنمت ليلة عنده وقمت لادب عليه فلسعتني عقرب فانتبه خالي فقال لي ما أتى بك هاهنا فقلت له قمت لابول فقال صدقت في است غلامي وانشد يقول

ودار اذا نام سكانها يقيم بها حرس العقرب
اذا غفل الناس عن مالهم فان عقاربها تضرب

وفي المعنى يقول

ولقد سريت مع الظلام لموعد حصلته من غادر كذاب
فاذا على ظهر الطريق معدة سوداء قد عرفت أوان ذهابي
لا بارك الرحمن فيها انها دبابة دبت الى دباب

ومن عجيب امر العقرب انها لا تضرب الميت ولا النائم حتى يحرك شيء من بدنه وربما لسعت الافعى فمات وقال الشيخ عمارة اليمني فقال

اذا المرء يسالملك الزمان فحارب ... وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب
ولا تحقرن كيدا ضعيفا فربما ... تموت الافاعي من سموم العقارب
فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد ... وخرب فار قبل ذا سد مارب
اذا كان رأس المال عمرك فاحترز ... عليه من التضييع في غير واجب
وبين اختلاف الليل والصبح معرك ... يكر علينا جيشه بالعجائب

وفي ربيع الابرار ان ارض حمص لا تعيش بها العقرب وزعم أهلها ان ذلك لطلسم وان طرحت فيها عقرب غريبة ماتت لوقتها وقد سمعت من شخص من اهل حمص انه رحل منها وسكن في مصر وكان من جملة أمتعته الذي اصحبها معه بساط ففرشه بالمنزل الذي سكن فيه بمصر فكلما دب عليه عقرب مات لوقته وهذا عجيب (وروى الحافظ أبو نعيم في تاريخ أصبهان والمستغفري في الدعوات والبيهقي في الشعب عن علي رضي الله عنه أنه قال لدغت النبي صلى الله عليه وسلم عقرب وهو في الصلاة فلما فرغ قال لعن الله العقرب لا تدع مصليا ولا غيره ولا نبيا ولا غيره الا لدغته وتناول نعله فقتلها بها ثم دعى بماء وملح فجعل يمسح عليها ويقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين (وروى) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة قال اما انك لو قلت حين أمسيت اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك ان شاء الله (حكاية) عن جابر قال كان بالمدينة رجل يكنى ابا مذكور يرقي من العقرب وينفع بها الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا مذكور ما رقيتك هذه فقال أبو مذكور شجينة قرينة ملحة بحر قفطا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا باس بها انها مواثيق أخذها سليمان بن داود على الهوام (عدنا الى ذكر الدب وما أدراك ما الدب قال ابو نواس شعر

اذا هجع النيام فخل عني ... وعن من كان يصلح للدبيب
ألذ الليل ما كان اغتصابا ... بمنع الحب او منع الرقيب

وقال الاشعري

كنت

كنت مثل النسيم عند دبيبي ... سحرا نحو ردف حبيبي
فلهذا فتحت زهرة ورد ... بقضيب عند الهبوب رطيب

وقد جمع ابن دانيال آلات الدب في بيت

قل لمادب في السماعات الا ... لقبوني بالاانبط الدبّاب
ولعمري قد كنت افحم الدب ... والآلة معي في جراب
مثل درج وابرة وخيوط ... وعقيد وبيضة وتراب

قال في القاموس دب يدب دبا ودبيبا مشى على هينة كالسقم في الجسد والبلاء في الثوب سرى وعقار به سرت عليه وأذ نموهو دبوب ودبوب والدبوب الجامع بين الرجال والنساء والنمام والقواد (وحكي) ان رجلا حكى وبعض القضاة حاضر ان الجاحظ مر على مكتب فرأى غلاما حسنا فحلف لابد من تقبيله عشرا فلما استوفى يمينه قال الغلام بيننا الحاكم فحضرا فادعى الغلام وأقر الخصم فقال القاضي ما حملك على فعلك فقال

تعلم العطف من خديه فانعطفا ... وكان من دينه ان لا يرى فوقا
دب العذار على ميدان وجنته ... حتى اذا هم ان يسري به وقفا
كأنه كاتب عن المداد به ... اراد يكتب لاما فابتدا الفا

فقال القاضي اتحبون ان احكم بينكما بحكم الله أو بحكم الناس فقال الصبي بحكم الله قال القاضي قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به قم فقبله كما قبلك فغضب الغلام وقال لا أريد ذلك فانشد القاضي يقول

اذا كنت للتعنيق والبوس كارها ... فلا تمش في الاسواق الا منقبا
ولا تخرج الاصداغ من تحت طرة ... وتظهر منها فوق خديك عقربا
فتهتك مستورا وتتلف عاشقا ... وتترك قاضي المسلمين معذبا

فانشد الغلام يقول

وقد كنت أرجو أن أرى العدل بيننا ... فاعقبني بعد الرجاء قنوط
متى تفلح الدنيا وتفلح أهلها ... اذا كان قاضي المسلمين يلوط

(حكاية لطيفة) وهي عشق صبي جارية في مكتب فجعل نفسه عند

الفقيه مريضا فترقب العريف غفلة الفقيه وكتب في لوحها

ماذا تقولين في صب أخي وله ... أضحى بحبك بين الناس ولهانا
ولم يجد فرجا مما يكابده ... الا عرافته ما لكتاب تبيانا

فكتبت تحته تقول

ان العريف اذا ما كان ذا وله ... بحبنا وبنا قد صار ولهانا
أواصلنه على غيظ الوشاة فدع ... لمن يكون علينا كيف ما كانا

فنظر الفقيه ذلك اللوح وقرأه وكتب تحته

صلي العريف ولا تخشين من أحد ... ان العريف حزين القلب ولهانا
اما الفقيه فلا تخشين حرمته ... لانه قد بلي بالعشق ألوانا

فبينما هم كذلك اذ دخل ابو الجارية فأخذ اللوح وقرأ ما فيه وكتب تحته يقول

والله والله لا فرقت بينكما ... ولا اكون على ما قلت ندمانا
أما الفقيه فلا والله ما نظرت ... عيناي أعرص منه قط انسانا

(حكي) ان بعضهم رأى امرأة حسناء في طاقة فاحبها ولازم المقام ببابها والمرور تحت طاقتها الى ان أعيا وقل صبره وحصل على الاياس منها فدق عليها الباب فخرجت الجارية اليه فدفع اليها صحيفة وقال دعي سيدتك تبول في هذه الصحيفة فبالت في الصحيفة وقالت للجارية اتبعيه وانظري ما يصنع فلم يزل الى ان دخل بعض الخرابات فوضع ايره في ذلك البول وقال يا ميشوم اذا فاتك اللحم فاشرب المرق .

(ذكر وفاة سيدنا ابي بكر رضي الله عنه)

عن ابن شهاب ان ابا بكر والحارث بن كلدة كانا يأكلان حريرة اهديت لابي بكر فقال الحارث ارفع يدك يا خليفة رسول الله والله ان فيها السم سنة وانا وانت نموت في يوم واحد عند انقضاء السنة وقيل اغتسل في يوم بارد فحم بجسمه خمسة عشر يوما فقيل له أندعوا الطبيب فقال قد رآني فقالوا فأي شيء قال فقال لهم قال اني فعال لما اريد وقيل سبب موته لما لذعته الحية في الغار تنقض عليه السم ذكر ذلك ابن الاثير في جامعه (فكانت

خلافة ابي بكر من بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين
وثلاثة اشهر وتوفي ليلة الجمعة سابع جمادى الاخرة سنة ثلاث عشرة
وسنه ثلاث وستون سنة سن رسول الله صلى الله عليه وسلم واوصى
أن تغسله زوجته فغسلته ودفن بجانب رسول الله صلى الله عليه
وسلم (روى) عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه لما بلغه وفاة
ابي بكر رضي الله عنه جاء مسرعا باكيا وقال رحمك الله يا ابا بكر
والله لقد كنت أول القوم اسلاما واخلصهم ايمانا وأشدهم يقينا
واخوفهم بالله وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم واحسنهم
صحبة وافضلهم مناقبا واكرمهم سوابقا واقربهم من رسول الله
صلى الله عليه وسلم واشبههم به هديا وخلقا وسمتا وفضلا
واكرمهم عليه وأوثقهم عنده فضلا وفخرا فجزاك الله عن الاسلام
خيرا صدقت رسول الله حين كذبه الناس فسماك الله في كتابه
العزيز صديقا فقال والذي جاء بالصدق وصدق به اوليك هم
المتقون واسيته حين بخلوا وقمت معه حين قعدوا وصحبته
في الشدة اكرم صحبة ثاني اثنين في الغار والمنزل عليه السكينة
ورفيقه في الهجرة ومواطن الكره فقويت حين ضعف أصحابك
وبرزت حين استكانوا ونهضت حين وهنوا وقمت حين كسلوا
ومضيت بتقوى الله عز وجل حين وقفوا كنت أطولهم صمتاً
وأشغلهم قلبا وأشدهم يقينا وأحسنهم عملا تحملت اثقال
ما عنه ضعفوا وحفظت ما أضاعوا ووعيت ما أهملوا وعلوت
اذ ظلموا وصبرت اذ جزعوا وكنت كالجبل لا تحركه العواصف
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ضعيف في بدنه قوي في
أمر دينه متواضع في نفسه عظيم عند الله محبوب الى أهل
الارض والسموات فجزاك الله عنا وعن الاسلام خيرا قال
حسان رضي الله عنه شعرا

اذا تذكرت شجوا من أخي ثقة	فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا
خير البرية اتقاها وأعدلها	بعد النبي وأوفاها بما حملا

الثاني الثاني المشهود مشهده ... وأول الناس منهم صدق الرسلا
وكان حب رسول الله قد علموا ... من البرية لم يعدل به رجلا

(خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه)

هو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عدي بن عبد العزى بن رياح ابن عبد الله بن رواح بن عدي بن كعب بن لوي بن غالب يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في لوي بن كعب (وأمه) حنتمة بنت هشام وهشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم (اسلم) بمكة وشهد المشاهد واسلامه سنة ست من النبوة وبه تمت الاربعون وهو أول من دعي امير المؤمنين وأول من كتب التاريخ واول من أشار الى ابي بكر رضي الله عنه بجمع القرآن في المصحف وجمع الناس في قيام شهر رمضان (كان) أبيض اللون يعلوه حمرة أصلع شديد حمرة العينين في عارضيه خفة أعسر صفته في التوراة قرن من حديد أمير شديد (ولما) أسلم نزل جبريل وقال يا محمد استبشر أهل السماء باسلام عمر وقال عليه الصلاة والسلام عمر سراج أهل الجنة في الجنة (بويع له بالخلافة) بعد موت أبي بكر رضي الله عنه لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة (ولما دفن ابو بكر صعد المنبر فجلس دون مجلس ابي بكر رضي الله عنه ثم قام فحمد الله واثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس اني داع فأمنوا اللهم اني غليظ فالهمني الى أهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الاخرة وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك من غير ظلم مني ولا اعتداء عليهم اللهم اني شحيح فسخني في نوائب الموت قصدا من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة ابتغي بذلك وجهك الكريم والدار الآخرة وارزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين فاني كثير الغفلة والنسيان والهمني ذكرك على كل حال ثم قال الا ورب الكعبة لأحملنهم على الطريق ثم نزل (نبذة) في مناقبه رضي الله تعالى عنه (منها) انه لما استخلف

حمل اليه مال يفرقه فبدأ بالحسن والحسين رضي الله عنهما فالتفت اليه ولده عبد الله وقال يا أبت أنا أحق أن تقدمني بالعطية لمكاني في الخلافة فقال له هات لك أبا كأبيهما أو جدا كجدهما حتى أقدمك بالعطية فجاء وأعاد ذلك على أبيهما رضي الله عنه فالتفتا اليهما وقال مرائه وفرحاه بأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن جبريل عن الله عز وجل ان عمر سراج اهل الجنة فجاء وبشراه بذلك ففرح فرحا شديدا وقال خذا بهذا الذي ذكرتما خط علي رضي الله عنه فجاء اليه واخذ لخطه بذلك فلما دنا قبض عمر رضي الله عنه قال لولده اذا مت فادفنوا معي خط الامام علي رضي الله عنه ففعل ذلك (ومنها) انه خرج يطوف ليلة من الليالي بالمدينة ببعض السكك فسمع امرأة من نساء جنده وهي تقول

تطاول هذا الليل تسري كواكبه وارقني الا ضجيع الاعبه
لقد ضرني من كنت آلف قربه ولم أنسه لما نسته اقاربه
فوالله لولا العار والنار بعده لحرك من هذا السرير جوانبه

ثم تنفست وقالت هان على ابن الخطاب وحشتي في بيتي وغيبة زوجي عني فلما اصبح بعث اليها نفقة وبعث الى عامله برد زوجها ثم ان عمر رضي الله عنه ابنته حفصة كم تصبر المرأة فقالت أربعة أشهر وعشرا (ومنها) انه لما قدم بيت المقدس وقف بطور سيناء ولم يأمر بقتال فارسل البطريق الذي ببيت المقدس رجلا من اعظم اصحابه وقال انظر الى ملك العرب وائتني بحليته فجاء فرآه راكبا على فرسه وعليه جبة صوف مرقعة مستقبل الشمس بوجهه ومخلاة فرسه معلقة في قربوص السرج وعمر يدخل يده في المخلاة فيخرج منها خبزا فيمسحه من التبن ويلوكه فوصف ذلك للبطريق فقال هذا الذي يفتح بيت المقدس فسلموه له من ساعته (ومنها) انه فتح في خلافته بلاد الروم والترك وبعض الصين والهند والجزر والشام والعراق والسواحل ومصر وقبرس والاسكندرية وسليس والنوبة (ومنها) ان

عمرو بن العاص لما فتح مصر اتى اليه أهلها وقالوا أيها الامير ان
لنيلنا هذا سنة لا يجرى الا بها فقال لهم وما هى قالوا انه اذا كانت
لثنتى عشرة ليلة تخلو من بؤنة من اشهر القبط عمدنا الى جارية بكر
وأخذناها من ابويها وحملناها من الحلى والثياب افضل ما يكون
ثم نلقيها فى النيل فقال لهم عمرو لا يكون هذا فى الاسلام وان الاسلام
يهدم ما قبله فاقاموا بؤنة وابيب ومسرى لا يجرى النيل فيها
لا قليلا ولا كثيرا حتى همّ اهل مصر بالرحيل فلما راى عمرو بن العاص
ذلك كتب الى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب الى عمرو
ابن العاص انى كتبت اليك بطاقة فالقها فى النيل فاخذها عمرو بن العاص
فقرأها فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله امير المؤمنين
الى نيل مصر اما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجرى وان كان الله
الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار ان يجريك
فالقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم واحد فلما
اصبحوا يوم الصليب اجرى الله النيل ستة عشر ذراعا فى ليلة
واحدة وقطع الله تلك السنة السيئة عن اهل مصر وصار
يعمل فى ليلة وفاء النيل المبارك فى كل سنة اشارة عظيمة كبيرة
ينصب بها قناديل تعلق بحبال كثيرة على اخشاب مرتفعة توضع
بمركب وتوقد القناديل وتسير فى البحر يمينا وشمالا وتزف بالطبول
وتسمى عروسة البحر وذلك باق مستمر الى تاريخه ومنها عن زيد
ابن أسلم وهو عبد من عبيد سيدنا عمر بن الخطاب قال خرجنا مع عمر
ابن الخطاب الى حرة واقم وهى منزلة بظاهر المدينة فراى نارا فقال
لابن اسلم انظر الى تلك النار هل هو ركب اضر بهم الليل والبرد فقلت
لا اعلم يا امير المؤمنين قال انطلق بنا اليهم قال فخرجنا نهرول
فاذا امرأة معها صغار ولها قدر منصوب على نار وصبيانها يبكون
قال عمر رضى الله عنه السلام عليكم يا اهل هذا الضوء وكره ان
يقول يا اهل هذه النار فقالت المرأة وعليك السلام ورحمة الله
وبركاته ادن بخير او فدع فقال لها ما بال هذه الصبية يتضاغون

قالت

قالت من الجوع قال فما فى هذا القدر قالت ماء اسكتهم به قال لها عمر يرحمك الله ما الذى يدرى عمر بن الخطاب بحالكم فالتفت امير المؤمنين الىّ وقال انطلق بنا فرجعنا نهرول الى المدينة حتى اتينا دار الدقيق وقال احمل هذا العدل علىّ فقلت انا احمله عنك يا امير المؤمنين فقال ثانيا احمله علىّ فقلت انا أحق به عنك يا امير المؤمنين فقال ثالثا احمله ثكلتك امك انت تحمل عنى وزرى يوم القيامة قال فحملته عليه وانطلق وانطلقت معه وهو يهرول حتى اتينا اليها فالقى ذلك العدل عندها فاخرج قطعة من دهن والقاها فى القدر وجعل يقول للمرأة ذرى وأنا أحرك لكم قال اسلم والله لقد رأيت امير المؤمنين وهو ينفخ فى النار والدخان يخرج من خلال شعر ذقنه حتى طبخ القدر ثم أنزله بيده وقال لها أعطنى شيئا فأتته بقصعة أو قال بصحفة فافرغ الطعام فيها وقال لهم كلوا وأنا أسطح لكم ثم توارى من المرأة وجعل يربض كما يربض السبع وانا اقول يا امير المؤمنين ما خلقت لهذا فلم يلتفت الىّ حتى رأيت الصغار يضحكون ثم نام وقاموا وهو يضحك ويحمد الله تعالى ثم جعل يده على يدى ثم قصدنا المدينة وقال لى يا أسلم ان الجوع عدو وقد رأيتهم وهم يبكون فاحببت أن أفارقهم وهم يضحكون ومنها ما ذكره القاضى البيضاوى فى تفسيره فى سورة البقرة عند قوله عزوجل من كان عدوا لجبريل قيل دخل عمر رضى الله عنه مدارس اليهود فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب كل خصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله سبحانه وتعالى فقالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لان كانا كما تقولون فليسا بعدوين وانكم لأكفر من الحمير ومن كان عدو أحدهما فهو عدو الله ثم رجع فوجد جبريل قد سبقه بالوحى فقال عليه افضل الصلاة والسلام لقد وافقك ربك يا عمر ومنها ان طائفة من النصارى جاءت اليه رضى الله عنه وسألته بأن قالت له لأى شئ

آدم دخل الجنة وخرج منها فقال لهم جنة الله نظيفة مليحة لايكون فيها الا النظيف اخرج آدم منها حتى تنظف ظهره من الزبالة التى مثلكم فى الدنيا ولما صار نظيفا أدخل الجنة ومنها ان الشعبى روى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال حججنا مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلما أخذ فى الطواف استقبل الحجر وقال اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ومضى فقال له على بن ابى طالب يا امير المؤمنين بل يضر وينفع قال له لم قال بكتاب الله عزوجل قال واين ذلك من كتاب الله تعالى قال فى قوله تعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى خلق الله آدم ومسح بيده على ظهره أخرج ذريته من ظهره فقررهم بانه الرب وانهم العبيد وأخذ عليهم مواثيقهم وكتب ذلك فى رق وكان لهذا الحجر عينان ولسان فقال افتح قال فألقمه ذلك الرق وقال اشهد لمن وافاك يوم القيامة فهو يضر وينفع قال عمر أعوذ بالله ان أعيش فى قوم لست فيهم يا ابا الحسن (ذكر البيضاوى فى تفسيره عند قوله واذن فى الناس بالحج بدعوة الحج والامر به روى انه عليه الصلاة والسلام صعد ابا قبيس فقال ايها الناس حجوا بيت ربكم فأسمع الله من فى اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب من سبق فى علمه انه يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بذلك فى حجة الوداع (غريبة) نقلتها من حياة الحيوان

فائدة

وهى بينما عمر رضى الله عنه جالس واذا برجل معه ابنه فقال له ويحك ما رأيت غرابا اشبه بغراب من هذا منك قال يا امير المؤمنين هذا ما ولدته أمه الا وهى ميتة فاستوى عمر جالسا وقال حدثنى قال خرجت وأمه حامل به فقالت تخرج وتتركنى على هذا الحال حاملة مشتغلة فقلت استودع الله ما فى بطنك فخرجت وغبت اعواما ثم أتيت فاذا بابى مغلق فقلت ما فعلت فلانة فقالوا ماتت فقلت انا لله وانا اليه راجعون ثم انطلقت الى قبرها فبكيت

عندها ثم رجعت فجلست الى بني عمي فبينما انا كذلك اذ ارتفعت لي
نار من بين القبور فقلت لبني عمي ما هذه النار قالوا ترى على قبر
فلانة كل ليلة فقلت انا لله وانا اليه راجعون أما والله لقد كانت
صوامة قوامة عفيفة مسلمة انطلق بنا اليها فانطلقنا فاخذت
الفاس واتيت القبر فاذا القبر مفتوح واذا هي جالسة وهذا
الولد يدور حولها واذا مناد ينادي ايها المستودع ربه ودبعة
خذ ودبعتك أما والله لو استودعت أمه لوجدتها فاخذته وعاد
القبر كما كان والله يا امير المؤمنين (فائدة) اذا علق منقار الغراب
على انسان حفظ من العين واذا غمس الغراب الاسود جميعه في الخل
بريشه وطلي به الشعر سوده وزبل الابلق ينفع من الجنازير
واذا صر في خرقة وعلق على الصبي الذي لم يبلغ الحلم نفعه من
السعال المزمن وقطعه (ونظيره) ما حكاه الكمال الدميري
ان رجلا من البهنسا اخبرني شفاها ان بها شخصا مشهورا بابن الميتة
قال وذلك ان امه ماتت وهي حامل به فلما مضى مدة من دفنها ماتت
امرأة من اقاربها ففتحوا قبرها لدفن تلك الميتة فاحس الحفار
بشئ يدور حول الميتة فطلع الحفار وهو مرعوب وأخبر من حضر
بما شاهده في القبر فظنوه وحشا ثم اوقدوا نارا واشرفوا على داخل
القبر فوجدوا ولدا معلقا بالميتة ملتقما ثديها وقد أجرى الله فيه
اللبن لرضاعه فأخذ الحفار الولد وضمه الى صدره وعصب عينيه
خوفا من مفاجأة النور واطلعه من القبر وعاش وتزوج ورزق
الاولاد فسبحان من يحيي العظام وهي رميم (وايضا) سمعت
من بعض الافاضل انه قال لي شفاها طالعت مسامرة الشيخ الاكبر
فرأيت بها اعجوبة وهي ان الشيخ الاكبر حكى ان بعض التجار اخبره
انه سافر الى بلاد الهند بمتجر فدخل مدينة من مدائن الهند
فباع لشخص منها متجرا بالف مثقال ذهبا نسيئة وتوجه بما بقي
معه من البضايع الى مدينة اخرى فباع ما بقي معه ومكث الى ان
قبض ثمن ما باعه ثم عاد الى المدينة الاولى فوجد الرجل الذي اخذ منه

البضايع بالف مثقال مات يوم قدومه ودفن فحصل له من الغم والحزن
مالا يوصف وقال انا لله وانا اليه راجعون قد ذهب مالي لاحول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم فقال له شخص من اهل المدينة لا تحزن فانه
لا يضيع لك شئ من مالك قال وكيف لا احزن والرجل قد مات
ومن اين اجد حق بضاعتي فقال لي صاحبك الميت يطلع من قبره
بعد ثلاثة ايام ويفتح حانوته ويقضي ديونه قال فاستبعدت ذلك
وقلت كيف يتصور ذلك وصرت متفكرا متعجبا من ذلك فلما مضت
الثلاثة ايام طلع الرجل من قبره وفتح حانوته وجلس نهارا والناس
حوله من ورثته وغيرهم ثم جئت اليه فقال لا باس عليك واخذ دفترا
كان بجانبه ونظر فيه وقال لك الف مثقال ذهبا فقلت نعم فنقدها
لي فاخذتها وتقدم اليه بعدي ممن كان له علاقة فمازال يوفي
ديونه الى ان قضاها جميعا وضبط ما بقي من امتعته وقفل حانوته
وسلم مفتاحها الى ورثته وتوجه الى المقبرة فتبعته الى ان تلاحقت
به وقبضت على اثوابه وقلت له الله عليك انت صاحبنا المتوفى
ام لا فقال لا وانما انا ملك من ملائكة ربي وقد جرت عادة الله في
اهل هذه المدينة اذا مات منهم احد يلقي الله شبهه على ملك من
الملائكة ويطلع بعد ثلاثة ايام ويفعل ما رأيت قال فتعجبت من ذلك
غاية العجب وانصرفت الى حال سبيلي وهذا من العجب العجاب قلت
وفي ذلك من دقائق حكمة الله ما يبعث اولي الافكار على الاعتبار يخرج
الحي من الميت ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار (واقام) عمر رضي الله
عنه في الخلافة عشر سنين وستة اشهر وخمس ليال (ذكر وفاته
رضي الله عنه) حكى الطبري قال جاء كعب الاحبار اليه رضي الله عنه
فقال له يا امير المؤمنين اعهد فانك ميت بعد ثلاث فقال عمر وما
يدريك قال اجد صفتك وحليتك في التوراة وانه قد اقترب اجلك
وكان عمر رضي الله عنه حينئذ لا يجد وجعا ولا الما فلما كان الغد
جاء كعب الاحبار وقال يا امير المؤمنين ذهب يومان وبقي يوم وليلة
قال فلما كان الصبح خرج عمر الى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجلا

فاذا

فاذا استوت الصفوف جاء هو ينظر فى الناس فدخل ابو لولؤة فى الناس
وفى يده خنجر له رأسان ونصابه فى وسطه فضرب عمر ثلاث ضربات
احداهن تحت سرته وهى التى قتلته وقتل معه كليب بن النضر الليثى
فلما وجد عمر حرالحديد سقط الى الارض وقال أفى الناس عبد الرحمن
ابن عوف قالوا نعم يا امير المؤمنين قال فليتقدم يصلى بالناس فصلى
عبد الرحمن بن عوف وعمر طريح على الارض ثم حمل الى داره ثم قال
لولده اخرج فانظر من قتلنى فقال له يا امير المؤمنين قتلك ابو
لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فقال الحمد لله الذى لم يجعل قتلى
الا على يد رجل لم يسجد لله سجدة واحدة يا عبد الله اذهب الى
عائشة فاسألها هل تأذن لى ان ادفن مع النبى صلى الله عليه
وسلم وابى بكر يا عبد الله ان اختلف القوم فكن مع الاكثر ولو ثلاثة
يا عبد الله ائذن للناس ان يدخلوا قال فجعل الناس يدخلون
المهاجرون والانصار يسلمون وكان كعب الاحبار فى الناس فلما
نظر عمر الى كعب الاحبار انشا يتمثل

فاوعدنى كعب ثلاثا اعدها ولاشك ان الحق ما قاله كعب
وما بى حذار الموت انى لميت ولكن حذار الموت يتبعه الذنب

ثم توفى ليلة الاربعاء لثلاث ليال من ذى الحجة سنة
ثلاث وعشرين من الهجرة ودفن مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة سن رسول الله صلى الله عليه
وسلم

(خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه)

هو ابو عبد الله عثمان بن عفان بن ابى العاص بن أمية بن عبد شمس
ابن عبد مناف يلتقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
عبد مناف وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد
شمس بن عبد مناف وامها ام حكيم بنت عبد المطلب اسلم قديما
وهاجر الهجرتين وأروى أسلمت رضى الله عنها وأسلم عثمان

رضي الله عنه في أول الاسلام على يد ابي بكر قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم ولم يشهد بدرا لانه تخلف لمرض (كان ابيض اللون وقيل اسمر اللون رقيق البشرة كثير شعر الراس عظيم اللحية وسمي ذا النورين لجمعه بين بنتي النبي صلى الله عليه وسلم رقية وام كلثوم وسمع ابو سعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم ان عثمان رضيت عنه فارض عنه وحث رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش العسرة فقال عثمان رضي الله عنه علي مائة بعير ثم حث فقال علي ثلاثمائة بعير فقال عليه الصلاة والسلام ما على عثمان بعد هذا وكان عثمان رضي الله عنه يطعم الناس طعام الامارة ويدخل بيته ياكل الزيت بالخل (بويع له بالخلافة) اول محرم سنة اربع وعشرين من الهجرة (نبذة) من فضائله رضي الله عنه (منها) انه سئل من علي رضي الله عنه عن عثمان قال ذاك امرؤ يدعى في الملا الاعلى ذا النورين وعن ابي سعيد الخدري قال رمقت رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الليل الى طلوع الفجر يقول اللهم اني رضيت عن عثمان فارض عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لك يا عثمان ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة وفي رواية جابر اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه فقيل له يا رسول الله ما رأيناك تركت الصلاة على أحد قبل هذا قال انه كان يبغض عثمان فابغضه الله عز وجل وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليشفع عثمان في سبعين الفا عند الميزان ممن استوجبوا النار وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال دخل عثمان رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم وركبته بادية فغطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبته فقيل له دخل عليك أبو بكر وعمر وعلي فلم تغطها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لاستحي ممن استحيت منه الملائكة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

ليلة أسري بي لما اسرى بي الى السماء دخلت جنة عدن فاعطيت تفاحة فلما وضعتها في كفي انفلقت عن حوراء عيناء مريضة الاجفان عينيها قوادم النسور فقلت لها لمن انت فقالت للخليفة من بعدك المقتول ظلما عثمان بن عفان (ومن فضائله) رضي الله عنه عن ابي قلابة قال كنت في رفقة بالشام فسمعت رجلا يقول واويلاه النار فقمت اليه واذا رجل مقطوع الرجلين واليدين اعمى العينين منكب على وجهه فسألته عن حاله فقال اني كنت ممن دخل على عثمان يوم الدار فلما دنوت منه صرخت زوجته فلطمتها فقال عثمان مالك قطع الله يديك ورجليك واعمى عينيك وادخلك النار قال فاخذتني رعدة عظيمة وخرجت هاربا ولم يبق من دعائه الا النار (ومن فضائله) رضي الله عنه انه افتتح في ايام خلافته سابور وافريقية وسواحل الاردن وسواحل الروم واصطخر الاخرة وفارس الاولى وطبرستان وكرمان وسجستان والاساورة ومنها انه اختصم يوما هو وابو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنهما فقال ابو عبيدة يا عثمان تخرج علي في الكلام وأنا افضل منك بثلاث فقال عثمان وما هن قال الاولى اني كنت يوم البيعة حاضرا وانت غائب والثانية شهدت بدرا ولم تشهده والثالثة كنت ممن ثبت يوم أحد في الوقعة ولم تثبت انت فقال عثمان صدقت أما يوم البيعة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الى مكة في حاجة ومد يده عني وقال هذه يد عثمان بن عفان وكانت يده الشريفة خيرا من يدي وأما وقعة بدر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلفني على المدينة ولم يمكني مخالفته وكانت ابنته رقية مريضة فاشتغلت بخدمتها حتى ماتت ودفنتها وأما انهزامي يوم أحد فان الله عفا عني واضاف فعلي الى الشيطان فقال تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا عنهم ان الله غفور حليم فخصمه عثمان اي غلبه (ذكر قتله) حوصر رضي الله عنه في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وهو بداره اكثر من عشرين يوما روى

عن ابي علي الكندي انه قال اشرف علينا عثمان يوم الدار وقال ايها الناس لا تقتلوني فانكم ان قتلتموني كنتم كهاتين وشبك بين أصابعه وعن عبد الله بن سلام قال اتيت عثمان يوم الدار فدخلت لأسلم عليه وهو محصور فقال مرحبا يا اخي فقلت يسرني لو كنت فداك يا امير المؤمنين فقال الليلة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مثل لي في هذه الخوخة واشار عثمان بيده الى خوخة في أعلى داره فقال يا عثمان حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم قال فدلى دلوا شربت منه فها أنا أجد برودة ذلك الدلو بين ثديي وبين كتفي فقال ان شئت فطرت عندنا وان شئت نصرت عليهم فاخترت الفطر وكان عنده بالدار ستمائة رجل ثم دخلوا عليه من دار بني حزم الانصاري فضربه نيار بن فياض الاسلمي وقيل جبلة بن الايهم وقيل سوار بن حمران وقيل رومان اليماني وضربه بمشقص في جبهه فسال الدم في حجره وكان قتله بالمدينة يوم الجمعة لثمان عشر او سبع عشر ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وهو يومئذ ابن اثنين وثمانين سنة ودفن بالبقيع ليلا وصلى عليه جبير بن مطعم (فكانت خلافته) اثنى عشر سنة الا اثنى عشر ليلة

خلافة سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه

وهو علي بن ابي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه فاطمة بنت أسد بن هشام بن عبد مناف وهي اول هاشمية ولدت هاشميا اسلمت وهاجرت الى المدينة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اول من اسلم من الذكور والصبيان واختلف في سنه قيل كان له خمس عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة شهد المشاهد كلها غير تبوك وكان رضي الله عنه شديد الادمة عظيم العينين اقرب الى القصر أبطن كثير الشعر عريض اللحية بويع له بالخلافة سنة خمس وثلاثين من الهجرة فانه لما قتل عثمان اجتمع الناس من المهاجرين والانصار على الامام علي رضي الله عنه

وقالوا لا بد لنا من امام وأنت أحق بها فقال لهم لا حاجة لي في أمركم فمن اخترتموه رضيته قالوا نختارك قال اذا ولا بد فان بيعتي لا تكون خفية فخرج الى المسجد وعليه ازار وقميص وعمامة خز ونعلاه في يده متكئ على قوسه وبايعه الناس وكان أول يد مدت اليه يد طلحة بن عبد الله وكانت يده مشلولة فنظر اليه حبيب بن ذؤيب وقال انا لله أول يد مدت اليه بالبيعة يد شلاء لا يتم هذا الامر وكانت البيعة يوم الجمعة ثم ان عليا صعد المنبر وحمد الله وأثنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أيها الناس ان هذه امرتكم ليس لاحد فيها حق الا من أمرتموه وقد افترقنا بالامس على أمر وكنت كارها لامركم فأبيتم الا ان اكون عليكم أميرا وليس لي ان آخذ درهما دونكم فان شئتم والا قالوا بلى نحن على ما فارقناك عليه بالامس وبايعه الناس كافة ثم دخل بيته فدخل عليه المغيرة ابن شعبة وقال يا أمير المؤمنين ان لك عندي نصيحة قال وما هي قال ان أردت ان تستقيم لك الخلافة فاستعمل طلحة بن عبد الله على الكوفة وعبد الله بن الزبير بن العوام على البصرة ومعاوية ابن ابي سفيان على الشام على ما كانوا عليه حتى تلزمهم طاعتك وتأتيك بيعتهم فاذا استقر قرارها رأيت في رأيك تعزل من تريد وتولي من تريد فقال أما طلحة والزبير فسأرى فيهما رأيي وأما معاوية فوالله لا يراني الله أستعين به على حالتي ولكنني ادعوه الى البيعة فان هو أجابني والا حاربته فانصرف المغيرة مغضبا وهو يقول

نصحت عليا في ابن هند مقالة ... فردت فلم اسمع لها الدهر ثانيه

وقلت له اوجز عليه بعهده ... وبالامر حتى يستقر معاويه

وتعلم أهل الشام ان قد ملكته ... وان أذن صارت لامرك واعيه

فتحكم فيه ما تريد فانه ... لداهية فارفق بها اي داهيه

فلم يقبل النصح الذي قد نصحته ... وكانت لهذاك النصيحة كافيه

فلما بلغ معاوية كتب الى علي رضي الله عنه أما بعد فلو علمنا ان الحرب

يبلغ بنا وبك لم يجن بعضنا على بعض وان كان قد غلب على عقولنا فقد بقي لنا ما نرم به ما مضى ونصلح به ما بقي وقد كنت سألتك الشام على ان لا يلزمني لك طاعة وانا ادعوكم اليوم لما دعوتكم اليه بالامس فانك لا ترجو من البقا الا ما ارجو ولا تخاف من اللقا الا ما اخاف وقد والله رقت الاجساد وذهبت الرجال ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل يستدل به على عزيز ولا يسترق به حر فكتب اليه على بن ابي طالب رضي الله عنه أما بعد فقد جاء في كتابك تذكر فيه انا لو علمنا ان الحرب يبلغ بنا وبك لم يجن بعضنا على بعض وانا واياك نلتمس منها غاية لم نبلغها واما طلبك مني الشام فاني ما اعطيتك بالامس فامنعك اليوم واما استواؤنا في الخوف والرجا فليس على حد سواء وليس أهل الشام على الدنيا باحرص من أهل العراق واما قولك انا بنو عبد مناف فكذلك وليس امية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا الطليق كالمهاجر ولا المبطل كالمحق ولا المؤمن كالمدغل وفي ايدينا فضل النبوة التي قتلنا بها العزيز وبعنا بها الحر والسلام فكتب اليه معاوية رضي الله عنه يا أبا الحسن انا لي فضائل كثيرة كان ابي سيدا في الجاهلية وصرت أنا ملكا في الاسلام وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتب الوحي فقال على رضي الله عنه ايفاخرني معاوية أكتب يا غلام

محمد النبي اخي وصهري ... وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يمسي ويضحي ... يطير مع الملائكة ابن امي
وبنت محمد سكني وعرسي ... منوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا احمد ولداي منها ... فايكم له سهم كسهمي
سبقتكم الى الاسلام طفلا ... صغيرا ما بلغت اوان حلمي
واوجب طاعتي فرضا عليكم ... رسول الله يوم غدير خم
فويل ثم ويل ثم ويل ... لمن يرد القيامة وهو خصمي

فكتب اليه معاوية أما بعد يا على فانك قلت ما يضرك وتركت ما ينفعك وأيم الله لأرمينك بشهاب قابس لا تذكه الرياح

ان وقع في الارض ارتسب او وقع في الصخر نقب والسلام فكتب اليه
علي اما بعد يا معاوية فاني قاتل عمك وجدك وخالك والسيف
الذي قتلتهم به معي لم استبدل بالسيف سيفا ولا بغير الله ربا
ولا بغير النبي نبيا فافعل ما شئت ستجد في بطلا شديدا قاتل
كل جبار عنيد وطوى الورقة ودفعها الى رجل اسود يقال له
الطرماح فتعمم الطرماح بعمامة سودا وركب ناقة ثم
سار حتى وافى دمشق فقال اعوان معاوية هذا اعرابي قدم من
عند علي بن ابي طالب قوموا حتى نهزء به فقالوا له يا اعرابي معك
خبر من اهل السماء جئت به الى اهل الارض وما خلفت وراءك
قال ملك الموت لقبض ارواحكم فقالوا انحب ان ندخل على امير
المؤمنين فقال الطرماح نحن المؤمنون فمن امره علينا فذهبوا
الى معاوية يخبروه بقدوم الطرماح فامر باحضاره فلما دنا من
قصر معاوية واذا يزيد بن معاوية جالس على باب القصر فقال
الطرماح من يكون هذا الميشوم الواسع الحلقوم المضروب على
الخرطوم قالوا هذا يزيد بن معاوية امير المؤمنين فقالوا انحب
الدخول على الملوك فقال احبا لدخول على ابن اكالة الاكبا دالنا
من طريق الرشاد التي قال الله في حقها في جيدها حبل من مسد
فلما حضر بين يدي معاوية لم يطأ بساطه فقال له معاوية هات
كتابك فقال الطرماح لمعاوية تنزل عن مرتبتك وتأخذ كتابي
بيدك فقد امرت ان لا اسلمه الا من يدي الى يدك فقام معاوية
من مكانه وقبل الكتاب فضمه فلما قرأه اغتاظ غيظا وقال
للطرماح كيف خلفت عليا واصحابه قال خلفته خصما سالما
سليما ان اتى جيشا هزمه وان اتى حصنا هدمه واصحابه
حوله كالنجوم الزاهره والعصابة القاهره وهو بينهم كالقمر
المنير ان نهاهم ارتدعوا وان امرهم ابتدروا فامر له معاوية
بالف دينار فاخذها وانصرف وفيما اوردناه كفاية والله اعلم
بحقيقة الحال واليه المرجع والمآب (نبذة) من فضائل الامام

على رضى الله عنه منها ما حكى عن كميل رضى الله عنه قال دخلت
على امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه وبين يديه قصعة
فيها ثردة خبز شعير وملح وزيت فقال يا كميل هلم الى الزاد
فتقدمت واكلت ثم قلت يا امير المؤمنين لو احسنت الى نفسك فى لون
يتخذ لك فانه حكى لى من دخل على معاوية وحضر الطعام عنده انه
قدم له مائدة فيها مائة وستون لونا وفيها لون لم نعرفه فسأل
معاوية فدعا بصاحب مطبخه فسأله عنه فقال ادمغة الكراكى
فى مصارين البط مقليا بدهن الفستق والعسل والسكر الطبرزد
والزعفران والماورد فقال يا كميل ذاك طعام الجبابرة وروى عن
عبد الله بن أسعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى
بى أتيت الى ربى عز وجل فأوحى الى او أمرنى فى على بثلاث انه سيد
المؤمنين وولى المتقين وقائد الغر المحجلين وروى عن انس
رضى الله عنه انه قال قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج
فادع لنا ابا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد
الرحمن بن عوف وسعيد بن ابى وقاص والزبير وعدة من الانصار
قال فدعوتهم فلما اجتمعوا عنده صلى الله عليه وسلم وكان على
غائبا فى حاجة النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم
الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع بسلطانه
المرهوب من عذابه وسطوته النافذ امره فى سمائه وأرضه الذى
خلق الخلق بقدرته وميزهم باحكامه وأعزهم بنبيه محمد
وأن الله تبارك اسمه وتعالى عظمته جعل المصاهرة سببا لاحقا
وأمرا مفترضا اوشج به الارحام والزمه الانام فقال عز من قائل
وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا
فامر الله يجرى الى قضائه وقضاؤه يجرى الى قدره ولكل قضاء
قدر ولكل قدر أجل ولكل اجل كتاب يمحوا الله ما يشاء ويثبت
وعنده ام الكتاب ثم ان الله عز وجل امرنى ان ازوج فاطمة
بنت خديجة من على بن أبى طالب فاشهدوا انى قد زوجته على

اربعمائة مثقال فضة ان رضى بذلك ثم دعى بطبق من بسر فوضعه
بين ايدينا ثم قال انهبوا فنهبنا فبينما نحن ننهب اذ دخل على على
النبى صلى الله عليه وسلم فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم فى وجهه
وقال ان الله امرنى ان ازوجك فاطمة على اربعمائة مثقال فضة
ارضيت بذلك فقال رضيت بذلك يا رسول الله قال انس فقال
النبى صلى الله عليه وسلم جمع الله شملكما واسعد جدكما وبارك
عليكما وزوجك بكوا كثيرا طيبا قال انس فوالله لقد خرج منهما
كثيرا طيبا ومنها ما حكى عن ضرار رضى الله عنه انه قال كان
على رضى الله عنه بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا
ويحكم عدلا تنفجر الحكم من جوانبه وينطق العلم من نواحيه
يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستانس بالليل ووحشته
كان والله غزير العبرة طويل الفكرة يخاطب نفسه يعجبه
من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن كان فينا كاحدنا
يجيبنا اذا دعوناه ويعطينا اذا سالناه وينبئنا اذا استنبئنا
ونحن والله مع تقربيه ايانا وقربه منا لنا جنان ان نكلمه لهيبته
ولا نبتديه لعظمته فان تبسم تبسم عن لؤلؤ منظوم يعظم اهل
الدين ويحب المساكين لا يطمع القوى فى باطله ولا ييأس
الضعيف من عدله واشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد
ارخى الليل ستوره وغارت نجومه وقد تمثل فى محرابه قابض
على لحيته يتململ تململ السقيم ويبكى بكاء الحزين ويقول
يا دنيا غرى غيرى لا حاجة لى بك اياى تعرضت والى تشوقت
هيهات هيهات قد ابنتك ثلاثا لا حاجة لى فيك فعمرك قصير
وخطرك حقير آواه آواه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق
فقيل لضرار ما حزنك عليه قال حزن امرأة ذبح ولدها فى حجرها
فلا ترقى لها عبرة ولا تنقضى لها حسرة واخبرنا ابو عبد الله بن
منصور بن سكبان التسترى قال اخبرنا محمد بن الحسن بن غراب
قال حدثنا القاضى موسى بن اسحاق قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن

ابى شيبة قال حدثنا محمد بن فضيل عن عبد الله الاسدى قال كان
على بن ابى طالب رضى الله عنه يقول فى مناجاته الهى لولا ما جهلت
من امرى ما شكوت عثراتى ولولا ما ذكرت من الافراط ما سفحت
عبراتى الهى فامح مثبتات العثرات بمرسلات العبرات وهب كثير
السيئات لقليل الحسنات الهى ان كنت لا ترحم الا المجد فى طاعتك
فالى من يلتجئ المخطؤن وان كنت لا تكرم الا أهل الاحسان فالى من يصنع
المسيئون وان كان لا يفوز يوم المحشر الا المتقون فكيف يستغيث
المذنبون الهى ان كان لا يجوز على الصراط الا من اجازته براءة عمله
فانى بالجواز لمن لم يتب قبل حلول أجله الهى ان كان حجبك عن موحديك
عهد جنايتهم أو قمعهم غضبك بين المشركين فى كرباتهم الهى
فاوجب لنا بالاسلام مدخور هباتك واستصف لنا ما كدرته
الجرائم بصفح صلاتك الهى ارحم غربتنا اذا ضمتنا بطون لحودنا
وعميت علينا باللبن سقوف بيوتنا واضجعنا على الايمان فى قبورنا
وخلفنا فرادى فى اضيق المضاجع وصرعتنا المنايا فى انكى المصانع
وصرنا فى ديار قوم كانها ما هوله وهى فيهم بلاقع الهى اذا جئناك
عراة مغبرة من ثرى الاجداث رؤسنا وشاهبة من ثرى الملاحة
وجوهنا وخاشعة من اهوال القيامة ابصارنا وبادية هنالك
للعيون سوآتنا ومثقلة من تحمل الاوزار ظهورنا ومشغولين
بما قد دهانا من اهلينا واولادنا فلا تضعف علينا المصائب
باعراض وجهك الكريم عنا وسلب عائدة ما مثله الرجا منا الهى
ما حنت هذه العيون الى بكائها ولا جادت مشربة بمائها ولا
اشتهرت بنحيب المثكلات فقد عزائها الا لما سلف من نفورها
وابائها وما دعاها اليه عواقب بلائها وانت القادر يا كريم
على كشف غمائها الهى ثبت حلاوة ما يستعذب بلسانى من النطق
فى بلاغتها بزهادة ما يرفعه قلبى من النصح بزهادة ما يرفعه
قلبى من النصح فى دلالته الهى امرت بالمعروف وأنت اولى به من
المامورين وامرت بصلة السؤال وأنت خير المسؤلين الهى كيف

يقل بنا اليأس عن الامساك كما لمجنا بطلابه وقد ادرعنا من تأميلنا
اياك اسبغ اثوابه الهى اذا تلونا من صفاتك شديد العقاب اشفقنا
واذا تلونا منها الغفور الرحيم فرحنا فنحن بين امرين لايؤمننا
سخطك ولا ييأسنا رحمتك الهى ان قصرت بنا مساعينا عن
استحقاق نظرك فما قصرت رحمتك بنا عن اندفاع نقمتك الهى
كيف تفرح بصحبة الدنيا صدورنا وكيف تلتئم فى عمرانها امورنا
وكيف يملكنا باللهو واللعب غرورنا وقد دعتنا باقتراب آجالنا
قبورنا الهى كيف نبتهج بدار حفرت لنا حفائر صرعتها وقيدتنا
بايدى المنايا حبائل غدرتها وجرعتنا مكرهين جرع مرارتها
ودلتنا العبر على انقطاع عيشتها الهى فاليك التجى
من مكائد خدعتها وبك نستعين على عبور قنطرتها وبك
نستعصم الجوارح على خلاف شهوتها وبك نستكشف جلابيب
حيرتها وبك يقوم من القلوب استضعاف جهالتها الهى كيف
للدور ان يمنع من فيها من طوارق الرزايا وقد اصيب كل دار
سهم من اسهم المنايا الهى ما تفجع بانفسنا عن الديار ان لم يوحشنا
هناك عن موافقة الابرار الهى ما تضرنا فرقة الاخوان والقرابا
اذا قربتنا اليك يا ذا العطايات الهى ارحمنى اذا انقطع من الدنيا
اثرى وامحى من المخلوقين ذكرى وصرت فى المنسيين كمن نسى
الهى كبر سنى ودق عظمى ورق جلدى ونال الدهر منى واقترب اجلى
ونفدت ايامى وذهبت شهوتى وبقيت تبعتى وامحت محاسنى
وبلى جسمى وتقطعت اوصالى وتفرقت اعضائى الهى فارحمنى
الهى افحمتنى ذنوبى وانقطعت مقالتى فلا حجة لى ولا عذر
فانا المقر بجرمى والمعترف باساءتى والاسير بذنبى المرتهن بعملى
المشهور فى خطيئتى المتحير عن قصدى الهى فصل على محمد وعلى
آل محمد وارحمنى برحمتك وتجاوز عنى اللهم ان صغر فى جنب
طاعتك عملى فقد كبر فى جنب رجائك املى الهى كيف انقلب
بالخيبة من عندك محروما وكان ظنى بجودك ان تقلبنى مرحوما

لانى لم اسلط على حسن ظنى بك قنوط الايسين فلا تبطل صدق رجائى لك بين الآملين الهى فان كنا مرحومين فاننا نبكى على ما ضيعناه فى طاعتك ما نستوجبه وان كنا غير مرحومين فاننا نبكى على انفسنا اذ فاتنا من جودك ما نطلبه الهى عظم جرمى اذ كنت المبارز به وكبر ذنبى اذ كنت المطالب به الهى اذا ذكرت ذنوبى وعظيم غفرانك وجدت الحاصل لى بينهما عفو رضوانك الهى اذا اوحشتنى الخطايا من محاسن لطفك فقد آنسنى اليقين بمكارم عطفك الهى ان انامتنى الغفلة عن الاستعداد للقائك فقد انبهتنى المعرفة بكريم آلائك الهى ان عظم لبى عن تقويم ما يصلحنى فما عزب ايقانى بنظرك لى فيما ينفعنى الهى جئتك ملهوفا قد البست ثوب عدمى وفاقتى واقام مقام الاذلين بين يديك ذل حاجتى الهى اكرمنى اذ كنت من سؤالك وجد بمعروفك فاخلطنى باهل نوالك الهى اصبحت على باب من ابواب منحك سائلا وعن التعرض لغيرك بالمسألة عادلا وليس من جميل امتنانك ان ترد سائلا ملهوفا ومضطرا لانتظار امرك مالوفا الهى اقمت على قنطرة الاخطار مبلوا بالاعمار وبالاعتبار وانا الهالك ان لم تعن عليها بتخفيف الاصار الهى امن اهل الشقاء خلقتنى فاطيل بكائى ام من اهل السعادة فانشر رجائى الهى ان لم تهدنى الى الاسلام ما اهتديت ولو لم تطلق لسانى بدعائك ما دعوت ولو لم تعرفنى حلاوة نعمتك ما عرفت ولو لم تبين لى شديد عقابك ما استجرت الهى ان اقعدنى التخلف عن السير مع الابرار فقد اقامتنى الثقة بك على مدارج الاخيار الهى نفسا اعززتها بتأييد ايمانك فكيف تذلها بين اطباق نيرانك الهى لسانا كسوته من توحيدك انفق اثوابك كيف تهوى اليه من النار مشعلات التهابها الهى كل مكروب فاليك يلتجى وكل محزون فاليك يرتجى الهى سمع العابدون بجزيل ثوابك فخشعوا وسمع المذنبون بسعة غفرانك فطمعوا حتى اذدحمت عصائب

العصاة ببابك وعج منهم اليك العجيج والضجيج بالدعاء فى بلادك وكل امل ساق صاحبه اليك محتاجا وكل قلب تركه يارب وجف الخوف منك منهاجا فأنت المسؤل الذى لا تسود لديه وجوه المطالب الهى ان اخطات طريق النظر لنفسى بما فيه كراماتها فقد اصبت طريق الفزع بما فيه سلاماتها الهى ان كانت نفسى قد استسعدتنى متمردة على ما يؤذيها فقد استسعدتها الآن بدعائك على ما ينجيها الهى ان قسطت فى الحكم على نفسى بما فيه خسرتها فقد اقسطت فى تعزيتى اياها من رحمتك اسباب رأفتها الهى ان قطعنى قلة الزاد فى المسير اليك فقد وصلته بما اعددته من فضل تعويلى عليك الهى اذا ذكرت رحمتك ضحكت لها عيون وسائلى واذا ذكرت سخطك بكت لها عيون مسائلى الهى ادعوك دعاء من لم يرج غيرك فى دعائه وارجوك رجاء من لم يقصد غيرك فى رجائه الهى كيف أسكت بالافحام لسان ضراعتى وقد اقلقنى ما ابهم من مصيرعاقبتى الهى قد علمت حاجة جسمى الى ما تكفلت له من الرزق فى حياتى وعرفت قلة استغنائى عنه فى الجنة بعد وفاتى فيا من سمح لى به متفضلا فى العاجل فلا تمنعنيه يوم فاقتى اليه فى الآجل الهى ان عذبتنى فعبد خلقته لما اردته فعذبته وان رحمتنى فعبد القيته مسيئا فأنجيته الهى لا احتراس من الذنب الا بعصمتك ولا وصول الى عمل الخيرات الا بمشيئتك وكيف لى بافادة ما اسلبتنى فيه مشيئتك وكيف لى باحتراس من الذنب ما لم تدركنى فيه عصمتك الهى انت دللتنى على سؤال الجنة قبل معرفتها فاقبلت النفس بعد العرفان على مسالتها افتدل على خير بالسؤال ثم تمنعه وانت الكريم المحمود فى كل ما تصنعه يا ذا الجلال والاكرام الهى ان كنت غير مستأهل لما ارجو من رحمتك فانت اهل ان تجود على المذنبين بفضل سعتك الهى نفسى قائمة بين يديك وقد اظلها حسن التوكل عليك فاصنع بى ما انت أهله وتغمدنى برحمة منك الهى ان كان دنا أجلى ولم يقربنى منك عملى فقد جعلت الاعتراف

بالذنب وسائل عللي فان غفرت فمن اولى منك بذلك وان عذبت فمن
اعدل منك في الحكم هنالك الهي انك لم تزل بارّاً بي في أيام حياتي
فلا تقطع برك بي بعد مماتي الهي كيف أيئاس من حسن نظرك
بعد وفاتي وأنت لم تولني الا الجميل في حياتي الهي ذنوبي قد أخافتني
ومحبتي لك قد أجارتني فتول في أمري ما أنت أهله وجد بفضلك
على من غمره جهله يامن لا يخفى عليك خافية صل على سيدنا محمد
وعلى آل محمد واغفر لي ما خفي عن الناس من امري الهي ليس اعتذاري اليك
اعتذار من يستغني عن قبول عذره فاقبل عذري يا خير من اعتذر اليه
المسيئون الهي لو اردت اهانتي لم تهدني ولو اردت فضيحتي لم تعافني
فمتعني بما له هديتني وادم على ما به سترتني الهي لولا ما اقترفت من
الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك
وأنت أكرم الاكرمين بتحقيق آمال الآملين فارحم من استرحم
في تجاوزه من المذنبين الهي نفسي تمنيني بأنك تغفر لها
فأكرم بها أمنيتي فقد بشرت بعفوك وصدق كرمك مبشر أمنيتها
وهب لها بجودك مقصرات تجنيها الهي القتني الحسنات بين جودك وكرمك
والقتني السيئات بين عفوك ومغفرتك وقد رجوت ان لا يضيع بين
هذين وهذين محسن ومسئ الهي اذا شهد الاحسان بتوحيدك وانطلق
لساني بتمجيدك ودلني القرآن على فضل جودك فكيف لا يبتهل رجائي
بحسن موعدك الهي تتابع احسانك يدلني على حسن نظرك فكيف يشقى
امرؤ أوليته منك حسن النظر الهي اذا انظرت بالهلكة الى عيون سخطك
فما نامت عن استنقاذي عيون رحمتك الهي ان عرضني ذنبي لعقابك
فقد ادناني رجائي من ثوابك الهي ان غفرت فبفضلك وان عذبت
فبعدلك فيا من لا يرجى الا فضله ولا يخاف الا عدله صل على محمد وامنن
على بفضلك ولا تستقصر على بعدلك الهي خلقت لي جسما وجعلت لي
آلات أطيعك بها وأعصيك واغضبك بها وارضيك وجعلت لي من
نفسي داعيا الى الشهوات واسكنتني دارا ملئت من الآفات وقلت لي
ازدجر فبفضلك اعتصم واحترز واستوفقك فيما يرضيك واسئلك

فان سؤالی لا یخفیك الهی لو عرفت اعتذارا وتنصلا هو ابلغ من الاعتراف بالذنب لاتیته فهب لی ذنبی بالاعتراف ولا تردنی فی طلبی بالخیبة عند الانصراف الهی کانی بنفسی وقد اضطجعت فی حفرتها وانصرف عنها المشیعون من عشیرتها وناداها من شفیر القبر ذو موتها ورحمها المعادی لها فی الحیاة عند صرعتها ولم یخف علی الناظرین الیها ذل فاقتها ولا علی من رآها توسدت الثری عجز حیلتها وقالت ملائکته غریب نای عنه الاقربون وبعید جفاه الاهلون وخذله المامولون نزل بنا قریبا فاصبح فی اللحد غریبا وقد کنت فی دار الدنیا داعیا ونظرك الی فی هذا الیوم راجیا فتحسن عند ذلك ضیافتی وتکون اشفق علی من اهلی وقرابتی الهی سترت علی فی الدنیا ذنوبا فلم تظهرها فلا تفضحنی یوم القاك علی رؤس العالمین بها واسترها علی هناك یا ارحم الراحمین الهی لو طبقت ذنوبی بین السماء والارض وخرقت النجوم وبلغت اسفل الثری ماردنی الیاس عن موقع غفرانك ولا صرفنی القنوط عن انتظار رضوانك الهی سعت نفسی الیك تستوهبها وفتحت افواه املها تستوجبها فهب لها ما سالت وجد لها بما طلبت فانك اکرم الاکرمین بتحقیق امل الآملین الهی قد اصبت من الذنوب ما عرفت واسرفت علی نفسی بما قد علمت فاجعلنی اما عبدا طائعا لك فاکرمتنی واما عاصیا فرحمتنی الهی دعوتك بالدعاء الذی علمتنی فلا تحرمنی من جزائك التی عرفتنی فمن النعمة ان هدیتنی بحسن دعائك ومن تمامها ان توجب لی حسن جزائك الهی انتظرت عفوك کما ینتظره المسیئون ولست آیسا من رحمتك التی یتوقعها المحسنون الهی جودك بسط املی وشکرك قبل عملی فصل علی محمد وآل محمد وبشرنی بلقائك واعظم رجائی بجزائك الهی انت الکریم الذی لا یخیب لدیك امل الاملین ولا یبطل عندك سبق السابقین الهی ان کنت لا استحق معروفك ولم استوجبه فکنت انت اهل التفضل به علی فالکریم من لم یضیع معروفه عند من لا یستوجبه الهی مسکنتی لا یجبرها الا عطاؤك وامنیتی لا یغنیها الا نعماؤك الهی استوفقك لما یدنینی منك واعوذ بك مما یصرفنی عنك الهی احب الامور الی نفسی واعودها علی منفعة

ما استرشدتها بهدايتك اليه ودللتها برحمتك عليه فاستعملها بذلك عنى اذ انت ارحم الراحمين بها منى الهى ارجوك رجا من لا يخافك واخافك خوف من لا يرجو ثوابك فهبنى بالخوف شر ما احاذر واعطنى بالرجا خير ما احاذر الهى انتظرت عفوك كما ينتظره المذنبون ولست آيسا من رحمتك التى يتوقعها المحسنون الهى مددت اليك يدا بالذنوب مأسورة وعينا بالرجا مزرورة وحق لمن دعاك بالندم تذللا ان تجيب له بالكرم تفضلا الهى اذ عرضنى ذنوبى لعقابك فقد ادنانى رجاى من ثوابك الهى لم اسلط على حسن ظنى بك قنوط الآيسين فلا تبطل صدق رجاى لك بين الاملين الهى اذ انعرضت بغير ما احببت من السعى ايامى فبلا نعمائك امضيتها الماضيات من اعوامى الهى ان اخطات طريق النظر بما فيه كراماتها فقد اصبت طريق الفزع بما فيه سلامتها الهى ما اضيق الطريق على من لم تكن انت دليله وما اوحش المسلك على من لم تكن انت انيسه الهى انهملت عبراتى حين ذكرت خطيئاتى وما لها لا تنهمل وما ادرى ما يكون اليه مصيرى وماذا يهجم عليه عند البلاغ مسيرى وارى نفسى تخاتلنى وايامى تخادعنى وقد خفقت فوق راسى الوية اجنحة الموت ورمتنى عن قريب اعين الفوت فما عذرى وقد اوجس فى مسامعى رافع الصوت لقد رجوت ممن البسنى بين الاحياء ثوب عافيته ان لا يعرينى بين الاموات بجود رأفته ولقد رجوت ممن تولانى بانى حياتى باحسانه ان يسعفنى بعد وفاتى بغفرانه يا انيس كل غريب انس فى القبر وحشتى ويا ثانى كل وحيد ارحم فى القبر وحدتى ويا عالم السر والاخفى ويا كاشف الضر والبلوى كيف نظرك لى من بين ساكنى الثرى وكيف صنيعك بى فى دار الوحشة والبلا قد كنت بى لطيفا ايام حياتى فلا تقطع برك عنى بعد وفاتى يا افضل المنعمين فى آلائه وانعم المتفضلين فى نعمائه كثرت عندى اياديك فعجزت عن احصائها وضقت ذرعا فى شكرى المسائل بجزائها فلك الحمد على ما اوليت ولك الشكر على ما ابليت

يا خير من دعاه داع وافضل من رجاه راج بذمة الإسلام اتوسل
اليك وبحرمة القرآن أعتمد عليك فصل على محمد وآل محمد واختم لي
بخير واعصمني من النار واسكني الجنة مع الابرار ولا تفضحني بسريرتي
حيا ولا ميتا وهب لي الذنوب التي فيما بيني وبينك وارض عبادك
عني في مظالمهم قبلي واجعلني ممن رضيت عنه فحرمته على النار
واصلح لي اموري التي دعوتك بها في الدنيا والاخرة يا حنان يا منان
يا ذا الجلال والاكرام يا حي يا قيوم يا من له الخلق والامر تباركت
يا احسن الخالقين يا رحيم يا قدير يا كريم صل على محمد وآله الطيبين
وعليه وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته انه حميد مجيد والحمد
لله رب العالمين روي عن شريح انه قال اشتريت دارا بالكوفة فبلغ
ذلك أمير المومنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال يا شريح
اشتريت لك دارا بالكوفة فقلت نعم فقال اشهدت عدولا فقلت
نعم فقال اتق الله فانه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسأل عن
بينتك اذ انظرت ان لا تكون اشتريت دارا من غير مالك ووزنت
مالا من غير حقه فاذا انت خسرت الدارين جميعا الدنيا والاخرة
يا شريح لقد كنت حين اشتريت هذه الدار صرت الي كنت اكتب لك
الصك على هذه النسخة اذا ما كنت تشتريها بدرهمين قلت وما كنت
تكتب يا أمير المؤمنين قال كنت اكتب بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما اشترى العبد الذليل من ميت قد ازعج للرحيل اشترى هذا
العبد المفتون بالامل من هذا العبد المزعج بالاجل دار الحسنة والغرور
من الجانب الفاني في عسكر الهالكين لها حدود اربعة فحدها
الاول ينتهي الى دواعي الآفات الثاني ينتهي الى دواعي الهلكات
الثالث ينتهي الى دواعي المصيبات والحد الرابع ينتهي الى الهوى
والردا والشيطان الغوي وفي هذا الحد مشرع باب هذه الدار في الخروج
من عز القنوع والدخول في دار الحرص والفضول فما ادرك هذا الذي المشتري
من درك كسرى وقيصر وتبع وحمير ومن بنى وشيد وقصر
ونسيت يا مغرور وانك ميت ايقن بانك في المقابر نازل تبلى وتفنى

والخلائق للبلاء بمثل هذا العيش يفرح عاقل وكانت مدة خلافة الامام
علي رضي الله عنه اربع سنين وتسعة أشهر وتوفي قتيلا يوم
الجمعة سابع عشر رمضان سنة اربعين من الهجرة وكان سنه
ثلاثا وستين سنة ودفن سحرا بقصر الامارة بالكوفة وغير قبره
والله أعلم وكان السبب في قتله رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه لما
اختلف نوابه ونواب معاوية بسبب قتل عثمان بن عفان اتفق طائفة
من الخوارج على قتلهما فقال عبد الرحمن بن ملجم أنا اكفيكم عليا وقال
الحجاج بن عبد الرحمن الصيرفي وأنا اقتل معاوية فأما عبد الرحمن بن
ملجم فانه توجه الى الكوفة وكان يكتم أمره ولا يظهر الذي يقصده
على احد ثم انه أتى قوما من بني تيم فرأى امرأة جميلة الصورة يقال
لها قطام وكان الامام علي قد قتل أباها وأخاها يوم النهروان فخطبها ابن
ملجم فقالت له لا اتزوجك الا على شروط ثلاثة اولها ثلاثة آلاف درهم
والثانية قينة تغني والثالثة قتل علي بن أبي طالب فقال لها
اما الدراهم والقينة فهما مهر وأما قتل علي بن ابي طالب فلم ذكرت لي
ذلك وما تريدين منه قالت تلتمس ضربه بالسيف فان ضربته
وسلمت شفيت نفسي منه ونفعك العيش معي والا فما عند الله لك
خير مني فقال لها والله ما جئت الا لقتل علي بن ابي طالب وكان
ما اراده الله في الازل وتوجه من عندها الى الكوفة وكان من عادة
الامام علي رضي الله عنه اذا خرج الى الصلاة من بيته وقف بباب
المسجد ونادى ايها الناس الصلاة الصلاة وكان ابن ملجم قد
وقف له مقابل المسجد فاعترض الامام عليا وكان رفيقا لابن ملجم شبيب
ابن بجرة قال ابن التياح فرأيت بارقة السيف وسمعت قائلا يقول
الحكم لله يا علي ثم رأيت سيفا ثانيا فأما سيف ابن ملجم فأصاب جبهة
الامام علي رضي الله عنه مع قرنه الى ان وصلت الى دماغه وأما سيف
ابن بجرة فوقع في الطاق فقال علي لا يفوتنكم هذان الرجلان فشد
الناس عليهما من كل جانب فأما ابن بجرة فتبعته خيل المغيرة بن شعبة
فقتلوه وأما ابن ملجم فصرعوه ودخلوا به على الامام رضي الله

عنه فقال طيبوا طعامه والينوا فراشه فان انا اعيش فانا ولي
دمي فاما ان اقتص منه واما ان اعفو عنه وان مت فالحقوه بي
واخاصمه عند رب العالمين ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين
قال في زهر الاداب ان عليا رضي الله عنه لما رأى عبد الرحمن بن ملجم
قال انت الذي تخضب هذه من هذه فقيل له يا امير المؤمنين الا
تقتله قال كيف يقتل الانسان قاتله وفي رواية ومن يقتلني واحضر
عبد الرحمن بن ملجم بعد وفاة الامام علي رضي الله عنه وجاء
الناس بالنفط والبواري وقطعت يداه ورجلاه وكحلت عيناه
ولم يتأوه بل يتلو القرآن فلما ارادوا قطع لسانه تأوه وامتنع
من اخراجه فقيل له قطعت يداك ورجلاك وما تألمت ولا امتنعت
ولم هذا الامتناع عند قطع لسانك فقال لئلا يفوتني شيء من
تلاوة القرآن وانا حي فشقوا شدقه واخرجوا لسانه وقطعوه
وقتل شر قتلة والله يحكم بين العباد قال بكر بن حماد يرثي الامام علي
رضي الله عنه

قل لابن ملجم والاقدار غالبة ... هدمت ويلك للاسلام اركانا
قتلت افضل من يمشي على قدم ... واول الناس اسلاما وايمانا
واعلم الناس بالقرآن ثم بما ... سن النبي لنا شرعا وتبيانا
صهر الرسول وعاضده وناصره ... اضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له ... ما كان هارون من موسى بن عمرانا
وكان في الحرب سيفا ماضيا بطلا ... ليثا اذا القى الاقران اقرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر ... فقلت سبحان رب العرش سبحانا
اني لاحسبه ما كان من بشر ... يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
اشقى مراد اذا عدت قبائلها ... واخسر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الاولى التي جلبت ... على ثمود بارض الحجر خسرانا
فكان يخبرهم ان سوف يخضبها ... قبل المنية ازمانا وازمانا
فلا عفا الله عنه ما تحمله ... ولا سقى قبر عمران بن حطانا

وقال ايضا

وهز علي بالعراقين لحية — مصيبتها حلت على كل مسلم
وقال سيأتيها من الله حادث — يخضبها أشقى البرية بالدم
فباكره بالسيف شلت يمينه — لشوم قطام عنه ذل ابن ملجم
فيا ضربة من خاسر ضل سعيه — تبوأ منها مقعدا في جهنم

وقال البحتري

ولا عجب للاسد ان ظفرت بها — كلاب الاعادي من فصيح وأعجم
فضربة وحشي سقت حمزة الردا — وموت علي من حسام ابن ملجم

(خلافة سيدنا الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهما)

هو سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم بويع له يوم مات أبوه وأقام ستة اشهر وخلع نفسه في ربيع الاول سنة احدى وأربعين ومات سنة خمس وسنه سبع واربعون سنة ودفن بالبقيع روى سفينة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدي ثلاثون عاما ثم تكون ملكا عضودا وكان آخر ولاية الحسن ثلاثون سنة من خلافة ابي بكر رضي الله عنه وروي ان النابغة الجعدي نظر الى الحسن والحسين ابني علي بن ابي طالب رضي الله عنهم فقال رحبا على رحب وقربا على قرب هذان سبطا محمد صلى الله عليه وسلم ودعوة ابراهيم وصريحا اسمعيل وفرعا قريش وشبلا هاشم وسيدا شباب أهل الجنة ثم انشأ يقول

بدران من شمس كريما نبعة — افنانها بيد النبوة تزهر
من حجر طاهرة لفرع طاهر — كرمت منابته وطاب العنصر
الاطيبون ارومة من هاشم — والاكرمون مآثرا لا تنكر
جبريل منهم والنبي محمد — والمروتان وزمزم والكوثر
والبيت بيتهم ونسب منهم — ومنى يورثها الصعيد الاكبر
واذا وقفت على العشاء عشية — جرتهم جمراتها والمشعر

مسئلة مفيدة سئل عنها مولانا شيخ الاسلام الشيخ شهاب

الدين احمد الرملي الشافعي تغمده الله برحمته وهي هل يقال لمن هو
من ذرية العباس رضي الله عنه سيد وشريف وهل له تعليق علامة
الشرف ام لا أجاب ليس الامور المذكورة لاحد من اولاد العباس
ولا لاحد من اقاربه واولاد بناته صلى الله عليه وسلم الا اولاد سيدتنا
فاطمة رضي الله عنها فالشرف مختص باولادها الحسن والحسين ومحسن
فاما محسن فمات صغيرا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم والعقب
للحسن والحسين وانما اختصا بالشرف هما وفروعهما لامور كثيرة
منها كونهما مشاركين للنبي صلى الله عليه وسلم في نسبه فانهما هاشميان
ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم لهما وكونهما سيدي شباب أهل الجنة
في الجنة قال صلى الله عليه وسلم انهما بضعة مني يؤذيني ما يؤذيهما
ويؤذيني ما يؤذيهما وكونها اشبه بناته به في الخلق والخلق حتى
في المشية ومنها اكرامه لها حتى انها كانت اذا جاءت اليه قام لها
واجلسها في مجلسه لما اودعه الله فيها من السر ومنها انه صلى الله
عليه وسلم قال ابشر يا ابا الحسن فان الله عز وجل قد زوجك بها
في السماء قبل ان ازوجك بها في الارض ولقد هبط علي ملك من السماء
قبل أن تأتيني فقال لي السلام عليك يا رسول الله ابشر باجتماع الشمل
وطهارة النسل فما استتم كلامه حتى هبط جبريل فقال السلام
عليك ورحمة الله وبركاته ثم وضع من يده حريرة بيضاء مكتوب
فيها سطران بالنور فقلت ما هذه الخطوط فقال ان الله عز وجل اطلع
الى الارض اطلاعة فاختارك من خلقه وبعثك برسالته ثم اطلع
اليها ثانية فاختار لك منها أخا ووزيرا وصاحبا وحبيبا فزوجه
ابنتك فاطمة فقلت من هذا الرجل فقال اخوك في الدين وابن عمك
في النسب وقد أمرني أن آمرك بتزويجها بعلي في الارض وان ابشرهما
بغلامين زكيين محبين فاضلين طاهرين خيرين في الدنيا والآخرة
ومما أفاده مولانا شيخ الاسلام ابن حجر الهيتمي في كتاب الصواعق المحرقة
حيث قال ينبغي لكل أحد أن يكون له غيرة على هذا النسب الشريف وضبطه
حتى لا ينتسب اليه صلى الله عليه وسلم أحد الا بحق ولم تزل انساب أهل

البيت النبوي مضبوطة على تطاول الايام وأحسابهم التي بها يتميزون محفوظة عن ان يدعيها الجهال واللئام عند من يقوم بتصحيحها في كل زمان ومن يعتني بتفاصيلها في كل أوان خصوصاً أنساب الطالبين والمطلبيين ومن ثم وقع الاصطلاح على اختصاص الذرية الطاهرة بفاطمة من بني ذوي الشرف كالعباسيين والجعافرة بلبس الاخضر اظهار المزية شرفهم ثم في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة أمر السلطان الاشرف شعبان بن السلطان حسن بن الناصري محمد بن قلاوون ان يمتازوا عن الناس بعصائب على العمائم ففعل ذلك باكثر البلاد كمصر والشام وغيرهما وفي ذلك يقول ابن جابر الاندلسي نزيل حلب وهو صاحب شرح الفية ابن مالك المسمى بالاعمى والبصير

جعلوا لابناء الرسول علامة ... ان العلامة شان من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم ... يغني الشريف عن الطراز الاخضر

وقال في ذلك جماعة من الشعراء ما يطول ذكره ومن احسنه قول الاديب محمد بن ابراهيم بن بركة الدمشقي

اطراف تيجان اتت من سندس ... خضر لاعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم بها ... شرفا ليعرفهم من الاطراف

فائدة عظيمة وهو ان النابغة الجعدي المذكور كان من شعراء الجاهلية ثم ادرك الاسلام روي عنه انه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فانشدته قصيدتي حتى انتهيت الى قولي

أتيت رسول الله اذ جاء بالهدى ... ويتلو كتابا واضح الحق نيرا
بلغنا السما مجدا وجودا وسوددا ... وانا لنرجوا فوق ذلك مظهرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اين يا ابا ليلى فقلت الى الجنة يا رسول الله فقال الى الجنة ان شاء الله ثم انتهيت الى قولي

ولا خير في حلم اذا لم يكن له ... بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له ... حلم اذا ما اورد الامر اصدرا

فقال صدقت واحسنت لا يفضض الله فاك قال فبقيت عمري

أحسن

احسن الناس ثغرا وعمرت عمرا طويلا فكنت كلما سقطت لى سن نبتت مكانها اخرى لدعوة النبى صلى الله عليه وسلم وعظم وشرف وكرم

الباب الثانى فى دولة بنى أمية

كانت بالشأم وعدة الخلفاء منهم اربعة عشر خليفة وكانت عمالهم بمصر وغيرها ومدة نصرفهم اثنان وتسعون سنة (اولهم) معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه واسمه صخر بن حرب بويع له فى ذى الحجة سنة اربعين ببيت المقدس قال الطبرى لما مات الامام على ابن ابى طالب رضى الله عنه اتفق معاوية وعمرو بن العاص على ان يكون معاوية بالشام وعمرو بن العاص بمصر ولا يكون لأحدهما على الآخر كلام ثم جعل الناس يقدمون على معاوية من سائر الاقطار وهو يرضى الناس بالاموال فلما فرغ ما عنده من الاموال كتب الى عمرو بن العاص انه قد كثر على وراد الحجاز ووفود العجم والشام والروم واليمن ولم يكن عندى شئ ارضيهم به فصير الى خراج مصر سنة واحدة لاستعين به على من يرد على فقال عمرو بن العاص فى نفسه متى سيرته اليه ملا يطلب منى فى كل سنة فكتب جوابا لمعاوية يقول له هذه الابيات

معاوى انه تدرك نفس شحيحة ... فما ورثتنى مصر امى ولا ابى

وما نلتها عفوا ولكن شرطها ... وقد دارت الحرب العوان على قطبى

ولولا دفاع الاشعرى وصحبه ... لالفيتها تدعو كها قدة الصبى

فكتب اليه معاوية انه قد تردد كتابى اليك بطلب خراج مصر وانت تمتنع وتدافع ولم تسيره فسيره الى قولا واحدا وطلبا جازما والسلام فكتب اليه عمرو بن العاص جوابا وهى القصيدة الجلية المشهورة التى اولها

معاوية الفضل لا تنس لى ... وعن منهج الحق لا تعدل

نسيت احتيالى فى جلق ... على أهلها يوم لبس الحلى

وقد اقبلوا ازمرا يهرعوا ... ويأتون كالبقر المهمل

ولولاى كنت كمثل النسا ... تعاف الخروج من المنزل
نسيت محاورة الاشعرى ... ونحن على دومة الجندل
والعقته عسلا باردا ... وامزجت ذلك بالحنظل
السن فيطمع فى جانبى ... وسهمى قد غاب فى المفصل
واخلعها منه عن خدعة ... كخلع النعال من الارجل
والبستها فيك لما عجز ... ت كلبس الخواتم فى الانمل

ومنها ايضا

ولم تك والله من اهلها ... ورب المقام ولم تكمل
وسيرت ذكرك فى الخافقين ... كسير الجنوب مع الشمال
نصرناك من جهلنا يا ابن هند ... على البطل الاعظم الافضل
وكنت ولن تراها فى المنام ... فزفت اليك ولا مهر لى
وحيث تركنا اعالى النفوس ... نزلنا الى سفل الارجل
وكم قد سمعنا من المصطفى ... وصايا مخصصة فى على

ومنها ايضا

وان كان بينكما نسبة ... فاين الحمام من الجندل
واين الثريا واين الثرى ... واين معاوية من على

فلما سمع معاوية هذه الابيات لم يتعرض له بعد ذلك قيل دخل عقيل بن ابى طالب على معاوية وقد كف بصره وجلس الى جانبه على سريره فقال له معاوية انتم معاشر بنى هاشم تصابون فى ابصاركم فقال له عقيل وانتم معاشر بنى امية تصابون فى بصائركم فسكت ولم يتكلم (وقيل ان معاوية قال يوما لجلسائه ما تعدون الغريب فيكم فقال الذى لا احد له فقال بل الغريب الذى مات نظراؤه الذى كان يستأنس بهم وانشد

اذا ذهب القرن الذى انت منهم ... وخلفت فى قرن فانت غريب
مفرد فى المعنى

اجالس معشرا لا شكل فيهم ... واشكالى قد اعتنقوا اللحودا

قيل دخل بجار العدوى على معاوية وعليه عباءة فازدراه فقال

يا امير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك وانما يكلمك من فيها فقال
معاوية ما رأيت احقر منه اولا ولا اكبر آخرا منه وقيل قال الاسكندر
لرجل دنا من مجلسه فتكلم بفصاحة ليكن حسن ثيابك لحسن
كلامك فقال اما الكلام فانا قادر عليه واما الثياب فانت تقدر
عليها فخلع عليه واكرمه (ذكر قدوم عكرشة بنت الاطروش بن
رواحة على معاوية قيل لما دخلت عليه وهي متكئة على عكازها
فسلمت عليه بالخلافة ثم جلست فقال لها معاوية اليوم صرت
عند امير المؤمنين فقالت له نعم اذ لا علي حي فقال لها معاوية
يا عكرشة الست يوم صفين المقلدة حمائل سيفك بين الصفين
وانت واقفة تقولين ايها الناس عليكم انفسكم لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم ان الجنة لا يحزن من سكنها ولا يموت من دخلها فابتاعوها
بدار لا يدوم نعيمها ولا تنصرم همومها مستظهرين بالصبر
على من طلب حقوقكم ان معاوية قد وفد عليكم بعرب العجم غلف
القلوب لا يفقهون الايمان ولا يدرون الحكمة دعاهم بالدنيا
فاجابوه واستدعاهم بالباطل فلبوه فالله الله عباد الله في
دين الله يا معشر المهاجرين والانصار امضوا على بصيرتكم واصبروا
على عزيمتكم واعلموا ان مصيركم الى الموت كاني بكم غدا وقد لقيتم
اهل الشام كالحمر الناقرة وكاني اراك على عكازك هذه وقد
انكفا عليك العسكران يقولون هذه عكرشة بنت الاطروش
كان كدت تقتلي اهل الشام وكان امر الله قدرا مقدورا فما حملك
على ذلك قالت يا امير المؤمنين يقول الله عز وجل يا ايها الذين
آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان اللبيب اذا
كره امرا لم يحب اعادته فقال لها معاوية صدقت اذكري حاجتك
وما جئتني بسببه قالت ان صدقاتنا تؤخذ من اغنيائنا فترد
على فقرائنا وانا قد فقدنا ذلك فلا يجبر لنا كسير ولا ينتعش
لنا فقير ثم قالت فان كان ذلك عن رأيك فمثلك من انتبه من
الغفلة وراجع التوبة وان كان عن رأي غيرك فمثلك من لا يستعين

بالخونة ولا يستخدم الظلمة فقال لها معاوية يا هذه اتق الله انه
ينوبنا من امور عيتنا أمور تنفتق وبحور تندفق فقالت
سبحان الله والله ما فرض لنا حقا وفيه ضرر لغيرنا وهو علام
الغيوب فأمر لها معاوية ولمن معها برد صدقاتهم اليهم وانصرفهم
واكرامهم واعطاها خمسمائة دينار فأخذتها وانصرفت وأقام
معاوية في الخلافة عشرين سنة وتوفي في رجب سنة ستين
وسنه ثمان وسبعون سنة ودفن بدمشق

خلافة يزيد بن معاوية بن ابي سفيان

بويع له يوم مات أبوه قيل جلس يزيد في بيته يأكل الطعام
فاجلس على بن الحسين بن على بن أبي طالب رضي الله عنهم على ركبته
اليمنى واجلس خالدا ولده على ركبته اليسرى وكان سن كل واحد
منهما خمس سنين فقال لعلى يا ابا الحسن اما تقوم تصارع
انت وابن عمك خالد لنتفرج عليكما فقال على بن الحسين وما
يأتينا من الصراع يا عم أعطني سيفا وأعطه سيفا وانظر أيّنا
أصبر على الموت قال فنظر اليه يزيد شزرا وقال والله كنت احسب
ان الضغائن تفرغ من القلوب ولا تلد الحية الا حوية ثم رفعه
من على ركبته وكان قبل ذلك يأكل معه في البيت فلم يطلبه بعدها
ومات يزيد في تلك السنة ومما يحكى انه لما قتل الحسين
ابن على بن ابي طالب رضي الله عنهما ووصل رأسه الى يزيد وضعه
بين يديه وقرعها بقضيب كان معه على ثناياه ثم أمر بالرأس
فنصب أياما على باب دمشق وطلب يزيد اهل الشام واحضرهم حوله
وأحضر عليا الاصغر بن الحسين والنساء معه ينظرون اليهم
فقال يزيد لعلى ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا
في أبيك الذي قطع رحمي ونازعني في سلطاني فصنع الله به ما رأيت
فقال على ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب
فقال يزيد لابنه خالد أجبه عما قال فلم يدر خالد ما يقول فقال

يزيد وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير روى الطبري أن يزيد أمر بخطيب من بني امية أن يصعد المنبر فصعد وخطب ونال من علي ومن الحسين واطنب في ذلك فاستأذن علي ابن الحسين في ان يصعد المنبر ويذكر ما يريد فامتنع يزيد من ذلك فالح عليه في ذلك فاذن له فصعد المنبر وخطب خطبة بليغة حتى ابكى العيون واوجل القلوب من جملتها ايها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فاني اعرفه بنفسي وانسب له حسبي ونسبي انا ابن مكة انا ابن زمزم والصفا انا ابن من حمل الركن باطراف الردا انا ابن خير من ائتزر وارتدى انا ابن خير من انتعل واحتفى انا ابن خير من حج ولبى انا ابن خير من ركب البراق في الهوا انا ابن خير من اسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى انا ابن خير من بلغ به جبريل سدرة المنتهى انا ابن من دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى انا ابن خير من صلى بملائكة السما انا ابن محمد المصطفى انا ابن علي المرتضى انا ابن فاطمة الزهرا انا ابن سيدة النسا انا ابن الاوليا انا آخر الاصفيا فعند ذلك ضج الناس بالبكا وكادت ان تكون فتنة فنزل وخشي الفتنة ولما حمل رأس الحسين الى الشام خرجت زينب بنت علي بن أبي طالب في نساء من قومها من بني هاشم وهن حاسرات وكن يومئذ بدمشق وهي تنشد وتقول شعر

ماذا يقولون اذ قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم
بعترتي وباهلي بعده فتقدكي نصفا سارى ونصف خضبوا بدم
ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم ان تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

وقيل ان يزيد بن معاوية قال من جاء برأس الحسين ملأت ركابه ذهبا فانفرد واحد من القوم وهو على ما قيل انه شبل بن يزيد الحميري وقيل شمر بن ابي الجوشن وحز رأسه ودفعها الى اخيه خولى وقيل غيره ولما قدموا بها على يزيد وضعها الحامل لها بين يديه وانشد مخاطبا ليزيد املا ركابي فضة وذهبا انا قتلت السيد المحجبا

فقلت خير الناس أمّا وأبا وخيرهم اذ ينسبون نسبا

فقال له يزيد لما علمت انه موصوف بهذه الاوصاف لاى شئ قدمت على قتله فامر بضرب عنقه لوقته وفاته ما امله من الذهب والى جهنم قد ذهب وقد سئل مولانا شيخ الاسلام الشيخ شهاب الدين احمد الرملى الشافعى رحمه الله تعالى فى يزيد بن معاوية هل يجوز لعنه لانه قتل سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمر بقتله اولا يجوز لعنه لانه لم يقتله ولا أمر بقتله كما صرح به جماعة منهم صاحب الخلاصة وغيره لانه صلى الله عليه وسلم نهى عن لعن المسلمين ومن كان من أهل القبلة ولا يخالفه قول بعض المتأخرين انهم اتفقوا على جواز اللعن على من قتل الحسين أو أمر بقتله أو اجازه اورضى به لانه معناه على وجه التعميم وهو لعن الطوايف المذكورة بالاوصاف دون تعيين الانسان ليكون من باب لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبايعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها رواه ابوداود وابن ماجة بل لم يثبت انه قتل الحسين رضى الله عنه ولا أمر بقتله كما صرح به جماعة منهم حجة الاسلام الغزالى قال فى الانوار ولا يجوز لعن يزيد ولا تكفيره فانه من جملة المسلمين ان شاء رحمه وان شاء عذبه قاله الغزالى والمتولى وغيرهما وقد طعنه سنان بن ابى انس فالقاه عن فرسه واجهز عليه خولى ابن يزيد من حمير ونزل ليحتز رأسه فارتعدت يداه فنزل اخوه شبل ابن يزيد فاحتز رأسه ودفعه الى أخيه خولى ولما قدموا به على يزيد وذكروا له قتله دمعت عيناه وقال ويحكم كنت ارضى من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن مرجانة اما والله لو كنت صاحبه لعفوت عنه ثم قال رحم الله اباعبدالله وغفرله ولما دخل عليه على بن الحسين فى السبى قال خلوا عنهم وكساهم واخرج لهم جوائز كثيرة ثم قال لو كان بينهم وبين ابن مرجانة نسب ما قتلهم ثم ردهم الى المدينة واما عبد الرحمن بن ملجم الذى قتل عليا كرم الله وجهه فهو مسلم من الخوارج الذين يكفرون مرتكب الكبائر فقد

قال

قال الامام الشافعي رضي الله عنه انه قتل متأولا لانه وكل امرأة قتل
على أباها بعض متأولا عند نفسه بما كان مخاطبا فيه وفيما لا يحتمل
التأويل وليس كل من يأول كان له ان يتأول وقد قطع عبد الله بن
جعفر يديه ورجليه فلم يجزع ثم ارادوا قطع لسانه فجزع فقيل له لم
لا جزعت لقطع يديك ورجليك وجزعت لقطع لسانك قال اني اكره
ان تمر ساعة على من نهار ولا اذكر فيها اسم الله تعالى (نكتة مضحكة
قال صاحب النوادر اللطيفة مات مأبون يقال له قرنفل فرآه
شخص في المنام فقال كيف حالك يا قرنفل قال لا تسألني عن شيء
قال الى اين صرت يا قرنفل قال الى جهنم قال ويحك ومن يلوط بك في
جهنم قال يزيد بن معاوية وانا واياه اصحاب ذكر في القاموس
في باب الثاء في حرف الدال الدغبوث بالضم هو المأبون قال
مؤلف النفحات المسكية اجمع العلماء من الحنفية والمالكية والشافعية
والحنابلة على تحريم اللواط ومن قال بحل ذلك فهو زنديق كافر من غير
خلاف بين أهل السنة والكتاب قال صلى الله عليه وسلم من عمل عمل
قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط
فاقتلوا الفاعل والمفعول به وعن جابر انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي فعل قوم لوط فمن عمل عمل قوم
لوط فاحرقوه وقال ابن عباس حد اللواط ان يرمى فاعله من سطح
عال ثم يرجم حتى يموت وفي رواية ينكس من مكان مرتفع وقيل
يهدم الجدار عليه وعن مالك والشافعي واحمد بن حنبل يرجم
في الاظهر لقوله صلى الله عليه وسلم اقتلوا الفاعل والمفعول به ومن
استحله كفر واذا ركب الذكر الذكر اهتز العرش حكي عن بعض اهل
اللطافة قال طلعت يوما الى نحو القرافة في تحف وترافة لازور
من فيها من الاموات وأتعظ على ما فات والى ما هو آت واذكر
هادم اللذات ومفرق الجماعات وميتم البنين والبنات
واستجليت عجبها وجعلت أجول بطرفي في ازهارها وعشبها واتفكر

كيف ساوت تلك البقعة بين الملك والمملوك وخالطت بين الغني والصعلوك وكم فيها قبر مزار وكم قبر مندرس علا عليه التراب والغبار فجعلت تارة ادير طرفا غرغرت عليه الدموع وتارة أعاتب قلبا للفراق الاحبة موجوع وتارة اندب ناسا ساروا واخلوا الاطلال والربوع وتارة أبكي لفقد اناس كانت وجوههم أضوء من الشموع واسبح الله الذي افقدهم المحيي المميت الذي لاراد لامره ولا لقضاوه ممنوع فبينما أنا كذلك وفي وسط الطريق سالك اذ نظرت في كهف الجبل الى بناء منقطع وجوسق في الجو مرتفع فمشيت اليه الى ان وصلت اليه ونويت الجلوس على بابه لاسقط التعب عليه واذا أنا بصوت داخل البناء احسن من نغمات الاوتار واطيب من صوت المزمار وتسجيع الاطيار يكرر بصوته النياحة ويندب بنغمته اوقات الراحه بصوت تميل اليه قلوب سامعيه لما فيه من الذكاء والفصاحه يهيج الاشواق ويفتت قلب المشتاق وتتطاول اليه الاعناق وتهمي بسماعه العيون من الاماق بقلب جريح كانه كابد مرارة الفراق ينشد ويقول

ما أنت يا قبر لا روض ولا فلك	فكيف يجمع فيك الشمس والقمر
بالله يا قبر لا تبلي محاسنه	وهل تغير ذاك المنظر النضر
وهل بها وجهه زالت وبهجته	وهل فني بفناه نشره العطر
وهل تدوم مسراتي لفرقته	هيهات قد عاد صفوي بعده كدر

ثم شهقت شهقة في اثر انشادها وتزايد بي تعبي بترداد ها وتقطع قلبي بنواحها وبكائها وتعدادها الى ان سلبت كل عضو مني واذهبت نومي عني فقلت والله لاجلسن على هذا الباب واحظى بسماع هذا الخطاب وانظر من هذا الذي هو مصاب فلعلي الاحظ هذا الشاكي فاشاكيه فاما أسليه واما انسيه فطرقت الباب طرق متردد في امره حامدا لله على زيادة نعمه وشكره ففتح لي الباب سريعا والجواب مريعا فاذا هي امرأة ذات جمال فايق وشكل لايق وقد شاهق صاحبة عطف ومعاطف كأن

شمائلها

شمائلها سرقت من الظبى المعاطف بغنج ودلال وقدّ واعتدال وبهاء وكمال كما قال فيها الشاعر

تشابه غصن البان كالبدر والشمس ۔ وقد طهرت من كل عيب ومن رجس
وليس لها بين البرية مشبه فسبحان من بالحسن والحسن لها يكسى
اذا انظرت عيناى نور جمالها تزايد بى شوقى ووجدى مع الانس
تحاكى لغصن البان والبدر في الدجى وطول نهارى في محاسنها درسى
عسى خالقى يمنن علىّ بوصلها فمالى سواها في حياتى وفي رمسى

ثم سألت اذ نافى العبور فانعمت وسلمت السلام التام واكرمت فبدأت بقراءة آيات من كتاب الله تعالى رب الارباب واهديتها لسكان التراب ثم تجاسرت بكلامى عليها وتقدمت اليها وسلمت عليها وسألتها عن قصتها وحالها وقضيتها وما جرى لها فقلت لها من هذا الذى تندبينه وفى هذه البرية تنكبينه وتنعينه اذ هبت عنوان شبابك وقتلت نفسك بين اترابك فقالت يا اخى هذا بعلى الذى احسن الىّ فيما مضى وظفنى للشقاوة والقضا فقلت لها يا اختى اشتغلى بما ينفعك عنه فالموت سبيل لابد منه فابدت بكاء وعويلا ونظرت الى القبر طويلا بدمع هاطل يشبه السيول وانشدت تقول

يا ساكن القبر فوق القبر ذات جوى يرثى لها القبر من حزن ومن شجن
تخالفت فيك احوالى اسى وضنى الى لقاك وطرف طالب الوسن
وخالف القلب فيك العين من كمد واسود بالغم وابيضت من الحزن
من بعد بعدك بت الليل ساهرة لم يهن لى بالجوى سكنى الى سكنى
واصبحت بعدك الاطلال خالية وكم اياد لبعلى ثم كم منن
وكنت عوناً لجمع النائبات وكم احسنت يا بعل لى فى سالف الزمن

ثم بكت حتى غشى عليها ومالت كليتى بالشفقة اليها واحرقت قلبى ببكائها ورحمت قلقها ونواها فلما فرغت من البكاء مالت بجنبها الى جانبى وغازلتنى بالعين والكف وتنهدت علىّ بالخصر والردف فلما رأيت ذلك من حالها وما ابدته من فعالها

تزايد بي الطمع ودخلني في مداخلتها الرجا ولم اجد عن هواها سبيلا ومخرجا فقلت ياسيدتي بحق من البسك الجمال وخصك بالحسن والبها والكمال الاما رضيتيني لك بعلا وتجدينك اهلا لاكون اسبق الناس الى مرضاتك وابذل المجهود في قضاء حاجاتك فنظرت الي شزرا وغضبا وامتلأ قلبي منها رعبا وانشدت

تقول

أتطلب مني ان اكون مزوجا ... فلست ارى هذا سبيلا ومخرجا
ولم الق زوجي له المثل في الورى ... ولا مثله لي في البرية مرتجا
فوالله لا اضجعت من تحت غيره ... الى ان اراه من فنا القبر اخرجا
فزوجي له قدر وعلم وحكمة ... وحلم وفضل وهو للخير مرتجا
فبالله دع هذا الكلام ولا تكن ... بقولك هذا اما برحت مبهرجا
فلا زلت مقلاة بغير تزوج ... وربي من ضيقي يكون مفرجا

ثم قالت وحق رب العباد الذي الين حلة الحداد وقضى علي بالفراق والبعاد لا كان ذلك الى يوم المعاد فقلت لها اذا لم تنعمي لي بالزواج وانا من هذا الامر في ضيق وانزعاج فسألتك بحق اله شفى كل علة وابرد كل غلة الاما تصدقت على مملوكك بقبلة فقالت لقد اقسمت علي بقسم عظيم وحلفتني بالله كريم ثم ناحت وبكت لفرقة الاحباب وتأوهت تأوه المصاب وولعت بعود كان معها في التراب وقالت ان كان ولا بد يا شاب فلعظيم اقسمك تكون القبلة من فوق النقاب فلما سمعت ذلك بادرت اليها وارميت كليتي عليها ونهضت اليها نهضة العاشق اليها وقبلتها تقبيل الرجل المشغوف وانشدت

اقول

أحباب قلبي انعموا بالخطاب ... ولا طفوا واغتنموا للثواب
وقد رضوا من بعد ما قد جفوا ... وراق لي وقتي وطاب العتاب
وانعموا لي بالوفا عاجلا ... بقبله قبلت فوق النقاب
وطالت الخلوة ما بيننا ... ونائب الهجران ولى وغاب

ثم قلت يا سيدتي بحق اله علام الغيوب وكاشف الكروب الا ما وصلتيني وصال محب لمحبوب فنظرت الي عند ذلك وقالت يا شاب ان قلبي بالفراق مكسور وحالي معذور وتطلب مني أن توقعني في محظور ويكون ذلك بين القبور ويبقى عرضي معك مهتوك غير مستور واعصي الاله الغفور فوالله لاكان ذلك الى يوم النشور وأنشدت تقول

اتطلب مني الوصل في جيرة القبر وتقصد هتكي في البرية مع ستري
وتقصد في المحظور يا صاح ترمني ليزداد اثمي والخطا يا مع الوزر
وفي جيرة الاموات اعصي الخالق فلا كان هذا القول لو ينقضي عمري
وأنتي عهود الله بيني وبينه ونحن توافينا الى ابد الدهر

قال فحصل لي عند ذلك الاياس وتزايد بي نحوها القلق والوسواس وتزايدت بي الحسرات وانهملت العبرات وقلت يا سيدتي بحق اله يرى ولا يرى وبحرمة نبي أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الى السموات العلى الى سدرة المنتهى لنحو خالقه سرى وصلي وحج واعتمر وحلل وحرم وتعبد في حرى الا ما قضيت لي بالوصل وطرا فقالت والله لقد اقسمت علي بما يقسم الورى والله لاكان هذا ولا جرى فان كان ولا بد فيكون من ورا فلما استمكنت كلامها حتى اجبتها الى ما اختارت وأدرتها على جنبها فاندارت وهمت افعل فيها ما اشارت ومهجتي من الفرح قد طارت فنحت عن مؤخر السراويل وكشفت وساوعت في الايلاج وتركته ساعة طويلة بلا اخراج وانا في لذة وحبور وقد تلت فرحا وسرور فلما قضيت الحاجة وزالت عنا اللجاجة انشدت تقول

قد واصلوني احبابي وما كسروا	قلبي وبالوصل ما بينا الورى جبروا
تالله ما كان احلى وصلنا عجلا	ونحن في لذة لم يعلمها كدر
والواشي عنا غفول والرقيب معا	وسادتي عن محاسن وجههم سفروا
هذا هو العيش لو دام الزمان بيه	لكن زماني هذا كله غير

فافهم لقولي واسمع يا أخا نعمه فولا بدي ما حكاه في الورى سمر
فقلت بعد ذلك لابد من معرفتها لا فوز بقربها وصحبتها فقلت يا
سيدتي بحق اسماعيل الذبيح وبحق من جعل النار بردا وسلاما على
ابراهيم بعدان كان فيها طريح وبحق من نجا من اليهود المسيح الاما
كشفتي لي عن وجهك الصبيح ومتعتيني بجمالك المليح لاكون
لك عارفا ولمحاسنك واصفا ولسائر اشغالك خادما وعلى بابك
لم أزل ملازما فمدت يدها بتكليف وكشفت عن وجهها الظريف
فاذا هو شيبة بيضاء قد فرشت سطرين وحكت بياض الجبين
فعلاني البكاء والنحيب والزفير واللهيب ووقعت في غم عظيم
وحزن مضني كظيم وقلت الحي بحرمة محمد ساكن طيبة لا تختم
بخير لهذه الشيبة وخيبها الله اعظم خيبة يا انحس الناس
وانجس من الوسواس الخناس هذه الشيبة التي لا يستحي الله
من عذابها ولا يبالي من اي باب من أبواب النار أتى بها ما حملك
أيها الشيخ المنحوس على هذه الصوره وما الجاك يا مأبون الى هذه
الضروره فقال لي يا قليل الادب يا من لم يزل من وراء حجاب
يا عديم الرأي والتوفيق والصواب هكذا تصطاد الارباب
فعلمت انه شيخ جاهل ومختل ليس بعاقل وفهمت ان به مرضا
من الامراض يحتال به على غرض من الاغراض فتركته ودخلت
المدينة ومقلتي باكية حزينه فسألت ناسا من الاحباب
والاصدقاء والاصحاب عن هذا الشيخ القليل الميزه الذي ستر
وجهه وكشف طيزه فقيل لي هذا محتسب الجيزه فانصرفت
وانا متفكر في هذه القضيه وشؤم هذه الرزيه ونسأل الله
حسن الخاتمه بمحمد واله (حكى الراغب في تذكرته) قيل أول
من ظهرت فيه الابنه العزيز صاحب يوسف الصديق عليه الصلاة
والسلام وكان ابو جهل مأبونا واذا أخزته الذاء القم دبره حجرا
ويقول واللات والعزى لا علاك ذكر وكان جالينوس مأبونا فعفل
به غلام خلف حائط فطارت دجاجة ففزع الغلام وقام عنه فقال

جالينوس دعني والدجاج فما زال يصفه للمرضى حتى انقطع أصل الدجاج من المدينة ودخل مطيع على صديق له فرأى تحته غلاما وفوقه آخر فقال له ما هذا قال اللذة المضاعفة حكى صاحب النوادر ان امرأة من الفواجر علت فوق رجل وهو نائم على قفاه وادخلت ذكره في فرجها ثم ان رجلا آخر علاها وادخل ذكره في دبرها فصار لها بينهما انخفاض وارتفاع وغير ذلك وهي تارة تلقم شفتها لمن هو تحتها وتارة تلتفت وتلقم شفتها لمن هو فوقها واستمرت على هذا الحال الى ان تم العمل ثم انها سئلت عن ذلك فقالت هذا نكاح العالي وايضا اللذة للتحتاني والفوقاني وقيل لمابون لم لزمت هذا الغلام قال ان في ايره خمسة اشياء من العروض الطويل والمديد والبسيط والوافر والكامل وقيل لمابون ان ابنك برابنة فقال المفتاح لا يخرج من نحى شيبه وقيل لمابون في شهر رمضان هذا شهر كساد فقال ابقى الله اليهود والنصارى وقال بعضهم

رأيته تحت عبد بات يرهزه ... فقلت ترضى بذا اقبحت من رجل
وكيف يعلوك عبد السوء قال نعم ... لي اسوة بانحطاط الشمس عن زحل

وقال آخر

رأيت أبيض لون تحت أسوده ... والوجه منه يضاهي الشمس في الحمل
فقلت هذا عجيب قلت لا عجب ... لي اسوة بانحطاط الشمس عن زحل

وقال آخر

يقول له المعشوق وهو يلوطه ... لعلك تحتي بعد ذاك تنام
فقال وهل في العيش للناس لذة ... اذا لم يكن فوق الكرام كرام

وقال آخر

ولم انس ملقا نكته وهو واسع ... طويل عريض المنكبين خفيف
فقال الخصي للاير نقعد ها هنا ... فقال ادخلا ضيف الكرام يضيف

وقد سمعت ان شخصا من ذوي الاعراض ابتلى بمرض الابنة فخشي ان يشاع عنه ذلك فيمتهن عند الناس فصنع له خشبة مثل الذكر وكان اذا تحرك عليه المرض خلا بنفسه في بستان له داخل داره

ويحكم غلق أبوابه خوفا ان يطلع عليه أحد ويعالج نفسه بالخشبة الى
ان يغيب عن وجوده ولما يفيق يتضرع الى الله سبحانه وتعالى بالدعا
والابتهال فى ازالة هذا المرض وكان يعتريه فى كل شهر ما يزيد على أربع
مرات ومدة ابتلائه بهذا المرض وهو مصفر اللون متغير الوجه ثم انه
غفل يوما عن قفل باب البستان وكان متزوجا بابنة عمه وكلما يدخل
البستان ويغلقه يحصل لها منه تطير وتظن انه مختل باحد فداخلها
ما يداخل النساء من الغيرة وكانت ترصده عند دخول البستان رجاء
أن تطلع على حاله فلم يتيسر لها ذلك فجاءت يوما فوجدت باب البستان
مفتوحا فدخلت فوجدت ابن عمها وهو ملقى على الارض منكب على وجهه
مكشوف العورة وقد نزع الخشبة من دبره وهو مغشى عليه فنظرت
الى دبره وقد خرجت منه دودة لها قرنان وهى تنفنف حول حلقة دبره
على ما خرج من العفونات فانتزعت الدودة من دبره فوجدتها نحو
الفتر وهو لا يشعر ثم انها وضعتها فى قطنة بداخل علبة صغيرة
فلما أفاق تضرع الى الله تعالى على معافاته من هذا المرض ثم مضى عليه
ثلاثة أشهر ولم يعتره شئ فحمد الله على ذلك وعمل مولدا فقالت له ابنة
عمه ما سبب هذا المولد فقال لها كان اعترانى مرض وازاله الله
فضحكت فقال لها ما سبب هذا الضحك فلم تنبئه فما زال يلح عليها
حتى أنبأته بالخبر وجاءت له بالعلبة التى بها الدودة واخرجتها من
القطنة فنظر اليها وقال جزاك الله خيرا فيما فعلت واحسن اليها
فسبحان من عافاه مما ابتلاه وقال بعض الحكماء الابنة مرض يذل
الله به الجبابرة وهو احتكاك فى المسربة من داخل يورث اكلة
فلا تبرد على صاحبها الا بحك الذكر وتقطير المنى وقد ذكر العارف
بالله الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى مختصره لتذكرة السويدى
يؤخذ الماء الذى نقع فيه السمك المملوح ويحتقن به صاحب الابنة
عشرين يوما كل يوم مرة فانها تذهب وكذلك يؤخذ الشعر الذى
على الفخذ الايمن من الضبع الذكر والانثى ويحرق ويدهن برماده
صاحب الابنة يبرأ باذن الله تعالى وذكر الامام الاكمل جمال الدين

محمد فى رسالته الشهابية فى علم الطب أن هذا المرض قد يعترض لمن اعتاد
باللواط واتيان النساء فى الدبر ويكون منه كثيرا قليل الحركة
وقلبه ضعيفا وانتشاره قليلا العلاج الضرب والحبس
والاستهانة وانقاعه فى هموم وغموم ومحاكمات وان يستفرغ
البلغم بمثل الفاريقون وشحم للحنظل وان شرب كل يوم وزن درهم
من البسفايج نفعه وكذلك من السورنجان وذكروا ان اكل قلب
الديك مشويا ينفعه وكذلك الحمام واذا اكل من ورق الآس وزن
درهم نفعه وكذلك اكل الثوم واذا تحمل بالصابون او شجر الخطمى
نفعه فنسأل الله العفو والعافية من هذه البلية رجعنا الى
ما نحن بصدده من أمر يزيد فانه اقام ثلاث سنوات وسبعة اشهر
وتوفى فى رابع عشر ربيع الاول سنة أربع وستين وسنه تسع
وثلاثون سنة ودفن بدمشق

خلافة سيدنا عبد الله بن الزبير رضى الله عنه

هو أول مولود ولد بالمدينة المنورة بعد عشرين شهرا من الهجرة
بويع له بمكة سنة اربع وستين وخلع يزيد بن معاوية ولعنه
واعابه بشرب الخمر ولعب الكلاب والفهود والغفلة عن الدين
وكثرة العبيد وقتل الحسين وخلو الحجاز من الاشراف وبايعه
كثير من الامصار وقد اخترنا السكوت عما وقع لسيدنا عبد الله
ابن الزبير فان واقعته مستفيضة والله يحكم بين العباد
روى السهيلى فى كلامه على غزوة أحد فى حديث مسند انه لما
ولد عبد الله بن الزبير نظر اليه النبى صلى الله عليه وسلم وقال هو
هو فلما سمعت بذلك أسماء امسكت عن ارضاعه فقال لها النبى
صلى الله عليه وسلم أرضعيه ولو بما هو كبش بين ذئاب وذئاب
عليها ثياب ليمنعن البيت او ليقتلن دونه فاقام تسع سنين
وقتل فى خلافة عبد الملك بن مروان على يد عامله الحجاج الثقفى
فى سادس جمادى الآخرة بمكة سنة ثلاث وسبعين

خلافة معاوية بن يزيد المكني بابي ليلى وكان رجلا

صالحا صعد المنبر وشهد ان عليا رضي الله عنه كان احق بالخلافة
من جده وان الحسين رضي الله عنه كان أولى بها من ابيه ثم جلس
طويلا وخطب خطبة بليغة تشتمل على الثناء على الله والصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختنقته العبرة فبكى طويلا ثم
قال صرت انا الثالث والساخط على أكثر من الراضي وما كنت لاتحمل
آثامكم ولا يراني الله جلت قدرته متقلدا أوزاركم وألقاه بتبعاتكم
فشأنكم وامركم فخذوها ومن رضيتموه فولوه فلو خلعت بيعتي
من اعناقكم والسلام فاقام خليفة اربعين يوما ولما احتضر
قالوا الم لا توصي بالخلافة فقال ماذقت حلاوتها لا اتجرع مرارتها
فتوفي بعد اربعين يوما وكان عمره ثلاثا وعشرين سنة

خلافة مروان بن الحكم

ولد قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بثمان سنين وجرى بينه
وبين نائبه ابن الزبير محاربة على المدينة المنورة بويع له بالشام
سنة اربع وستين وملكه بمصر والشام حكى ان معاوية كتب اليه
لما بلغه قتل عثمان وكان مروان اذذاك بالمدينة المنورة اذا قرأت
كتابي هذا فكن كالفهد ولا يصطاد الا بغلبة ولا يساور الا عن حيلة
وكالثعلب لا يغلب الا روغانا واخف نفسك عنهم اخفاء القنفذ عند
لمس الاكف وابحث عن اخبارهم بحث الدجاجة عن حبة الدخن
عند نفاسها فالحازم في الحرب خير من الف فارس لان الفارس
يقتل عشرة او عشرين والحازم يقتل جيشا كبيرا وقال عقلاء
الترك ينبغي للقائد في الحرب ان يكون فيه شئ من اخلاق البهائم
والطيور شجاعة الديك وقلب الاسد وحملة الخنزير وروغان الثعلب
وصبر الكلاب على الجراحة وحراسة الكركي وحذر الغراب وغارة
الذئب وقيل الحزم ابلغ من النجدة فاقام مروان عشرة شهور وكان

سنه ستا وثمانين سنة وقتلته زوجته بان وضعت على وجهه مخدة محشوة ريشا فمات وخلف احد عشر رجلا

خلافة عبد الملك بن مروان

بويع له يوم مات أبوه قبل قتل عبد الله بن الزبير وكان من دهاة العالم واحزمهم رايا حتى قيل كل والد ولد والا مروان فانه ولد والدا يرشد الى هذا تشعب البلاد عليه فى اول امره واستيلاء القائمين على غالب ملكه حتى على مقر مملكته دمشق وانتظامها بعد ذلك فى اتم سلك ودخولها بعد الخروج فى أحرز ملك واعظم ملك لكن كان له ظلم فى بداءة أمره واجحاف فى سره وجهره حكى فى سراج الملوك ان عبد الملك بن مروان ارق ليلة فاستدعى سميرا يحدثه فكان فيما حدثه ان قال له يا أمير المؤمنين بالبصرة بومه وبالموصل بومه فخطبت بومة الموصل لابنها بنت بومة البصرة فقالت بومة البصرة لا افعل الا ان تجعل لى صداقها مائة ضيعة خراب فقالت بومة الموصل لا اقدر على ذلك الآن ولكن ان دام والينا سلمه الله تعالى سنة واحدة صيرت لك ذلك فانتبه عبد الملك وجلس للمظالم وانصف الناس بعضهم من بعض وتفقد أمور الولاة ومما نقل من كتاب مفاكهة الظرفاء ان ملك الروم أرسل الى عبد الملك يطلب منه عالما من علمائهم يسأله عن مسائل فارسل له الشعبى فلما وصل الى ملك الروم سأله عن أشياء قال له بلغنا ان الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون أيمكن مخلوق لا يفعل فقال الشعبى مثلهم كمثل النفس يصعد وينزل وانت تتكلم وتاكل وتشرب قال صدقت فقال له وبلغنا ان أهل الجنة ياكلون ويشربون ولا يتغوطون كيف ذلك قال كالجنين فى بطن أمه ياكل ويشرب ولو تغوط داخل المشيمة لاحترق قال صدقت قال وبلغنا ان نعيم الجنة لا ينقص بالانفاق كيف ذلك قال كالسراج تقتبس منه جميع المصابيح ولا ينقص

قال صدقت فانعم عليه وكتب الى الخليفة معه عجبت منكم كيف لا يجعلون
رسولكم خليفة، فلما قرأ عبد الملك بن مروان ما كتب ملك الروم قال
يا شعبي انظر ما قال عنك قال يا امير المؤمنين ما رآك ولو رآك
لاستصغر مني ما استكبر ولا استحقر مني ما استعظم قال لله
درك كم اعطاك قال الفان الفين قال له لم قلت أولا الفين
قال لما لحن امير المؤمنين تابعته في اللحن ثم لما اعرب تابعته
في الاعراب ولا يحسن ان اعرب وقد لحن امير المؤمنين فاعجبه
ذلك وقال املؤا فاه جوهرا فملؤه ثم قال هذا يدخر ولا ينفق
فامر له بثلاثين الف درهم وثياب فاخرة فاخذها وانصرف
وروى ابو العزا حمد بن عبد الله المسلمي فيما قرأ على استاذه وقال
اروعني انبأ فلان عن فلان عن ابي حاتم العتبي قال لما حضرت
عبد الملك بن مروان الوفاة جمع ولده وفيهم مسلمة وكان سيدهم
فقال اوصيكم بتقوى الله فانها عصمة باقية وجنة واقية
وهي احصن كهف وازين حلية ليعطف الكبير منكم على الصغير
وليعرف الصغير منكم حق الكبير مع سلامة الصدور والاخذ
بجميع الامور واياكم والفرقة والخلاف فبها هلك الاولون
وذل ذو العز المعظمون انظروا مسلمة فاصدروا عن رأيه
فانه نابكم الذي منه تعبرون ومجنكم الذي يستجنون واكرموا
الحجاج فانه وطأ لكم المنابر واثبت لكم الملك وكونوا بني أم بررة
ولا دبت بينكم العقارب كونوا في الحرب احرارا وللمعروف منارا
واحلولوا في مرارة ولينوا في شدة وضعوا الذخائر عند ذوي
الاحساب والالباب فانه اصون لاحسابكم واشكر لما يسدى
اليهم ثم اقبل على ابنه الوليد فقال لا الفينك اذا مت تعصر عينيك
وتحن حنين الامة ولكن شمر واتزر والبس جلد نمر ودلني في
حفرتي وخلني وشأني وعليك وشأنك ثم ادع الناس الى البيعة
فمن قال هكذا فقل بالسيف هكذا ثم ارسل الى عبد الله بن زيد بن
معاوية وخالد بن اسيد فقال هل تدريان لما بعثت اليكما قالا لا

ثم لترينا آثار عافية الله اياك قال لا ولكن حضر من الأمر ما ترياك
فهل فى انفسكما من بيعة الوليد قال لا والله ما نرى احدا احق بها منه
بعدك يا أمير المؤمنين قال اولى لكما أما والله لو غير ذلك قلتما الضرب
الذى فيه عينكما ثم رفع رأسه فاذا السيف مشهور ثم قال مسلمة
اياكم والضجاج فانكم ان صلحتم صلح الناس وان فسدتم كان الفساد
أسرع وقال

لقد افسد الموت الحياة وقد اتى ... على شخصه يوم على عصيب
فان تكن الايام أحسن مدة ... الى فقد عادت لهن ذنوب
أتى بعد حلو العيش حتى امرّه ... فكرت على آثارهن كروب

فقال سليمان مات والله أمير المؤمنين فكانت مدة تصرف
عبد الملك بن مروان احدى وعشرين سنة ومات سنة ستة
وثمانين وتولى وسنه ستون سنة ومما يحكى ان ملكا من
ملوك النصارى أرسل راهبا من علماء ملته لمناظرة علماء المسلمين
وكان ابو حنيفة اذ ذاك صغيرا فلما جاء الراهب الى علماء المسلمين
واجتمع بهم فى المسجد الجامع رقى المنبر ليسألهم عن مسائل فقام
ابو حنيفة من بين العلماء أسائل أنت أم مسؤل فقال سائل
فقال انزل مكانك الارض ومكانى المنبر فصعد ابو حنيفة المنبر
وقال سل ما شئت قال الراهب ماذا قبل الله قال ابو حنيفة أنت
تعرف العدد قال نعم قال ماذا قبل الواحد قال لا شئ قبله قال
اذا كان الواحد الفانى لا شئ قبله فالله سبحانه وتعالى لا شئ قبله
ثم قال فى أى جهة يكون وجه الله قال اذا وقدت السراج ففى
أى جهة يكون وجهه قال ذاك نور يملأ البيت وليس له جهة
قال اذا كان النور الزائل الحادث لا جهة له فوجه ربى جل وعلا
ملأ كل شئ قال بماذا يشتغل الله قال اذا كان عالم موحد مثلى
رفعه واذا كان كافر مثلك وضعه كل يوم هو فى شان فخرس
الراهب وتوجه مخزيا عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى
الله عليه وسلم فى قوله تعالى كل يوم هو فى شان قال من شانه أن

يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين ذكر البيضاوي في تفسيره في قوله تعالى كل يوم هو في شأن يحدث أشخاصا ويجدد أحوالا على ما سبق به قضاؤه وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا وقيل ولد الامام الاعظم أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه سنة ثمانين من الهجرة ومات ببغداد سنة خمسين ومائة فعمره سبعون سنة وولد الامام مالك بن انس رضي الله عنه سنة اربع وتسعين من الهجرة ودفن بالمدينة المنورة سنة تسع وسبعين ومائة فعمره خمس وثمانون سنة وولد الامام الشافعي رضي الله عنه سنة خمسين ومائة ودفن بمصر المحروسة سنة اربع ومائتين فعمره أربع وخمسون سنة وولد الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه سنة أربع وستين ومائة ودفن ببغداد سنة احدى وأربعين ومائتين فعمره سبعة وسبعون سنة والله أعلم

خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان

بويع له يوم مات أبوه سنة ست وثمانين بعهد من أبيه ثم انه صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال انا لله وانا اليه راجعون يا لها من مصيبة ما اعظمها واجسمها وأعمها واوجعها موت أمير المؤمنين ويا لها نعمة ما أعظمها وأجسمها واوجب الشكر لله على بها خلافة التي سربلنيها فكان اول من عزى نفسه وهنأها بالخلافة فلما بايعه الناس جلس مجلس عبد الملك وجمع أهل بيته ثم قال

انفوا الضغاين والتحاسد بينكم عند المغيب وفي حضور المشهد
فصلاح ذات البين طول بقائكم ان مد في عمري وان لم يمدد
فلمثل هذا الدهر الف بينكم بتواصل وتراحم وتودد
حتى تلين قلوبكم وجلودكم لمسود منكم وغير مسود

وان الوليد المذكور هو الذي عمر الجامع الذي بدمشق المعروف

بجامع بنى امية (حدث) ابراهيم بن هشام انه قال حدثنى ابى عن جدى
قال قال عبد الملك لروح بن زنباع يا ابا زرعة قد غلبنى الوليد باللحن
وساء ظهر العشية كآبته فاسالنى عنها فلما اذن العشا ظهر كآبته
وعنده الوليد وسليمان فقال له روح ما هذه الكآبة يا امير المؤمنين
لا يسوءك الله ولا يريك مكروها قال ذكرت ما فى عنقى من هذه الامة
والى ابن اصير امرها بعدى فقال روح يغفر الله لك يا امير المؤمنين
فاين انت من الوليد سيد شباب العرب فقال يا ابا زرعة لا ينبغى ان
يلى العرب الا من يتكلم بكلامها فقام الوليد ودخل منزله وجمع
اصحاب النحو فاقام ستة اشهر معهم وخرج وهو اجهل بالنحو
يوم دخل ذكر شيخ الاسلام العلامة عمر بن الوردى فى خريدته
ان جملة ما انفق على عمارة الجامع الذى عمره الوليد بدمشق
مائة الف صندوق من الذهب وفى كل صندوق اربعة عشر الف دينار
واجتمع فى ترخيمه اثنا عشر الف مرخم وبنى بانواع الفصوص المحكمة
والمرمر المصقول ويقال ان العامودين اللذين تحت القبة اشتراهما
الوليد بالف وخمسمائة دينار ويقال ان رخام الجامع المذكور كان
معجونا ولهذا اذا وضع على النار ذاب وفى المحراب عمودان صغيرا
يقال انهما كانا فى عرش بلقيس ومنارة الجامع الشرقية يقال
ان عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل عليها وعندها حجر يقال
ان قطعة من الحجر الذى ضربه موسى عليه الصلاة والسلام بعصا
فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ذكر صاحب سراج الملوك قال
خرج الوليد بن عبد الملك من باب الجامع الصغير فوجد رجلا عند
الحائط تحت المأذنة الشرقية وهو ياكل الخبز بالتراب فوقف على
راسه وقال له ما شأنك ايها الرجل حتى انفردت عن الناس فقال
احببت العزلة قال وما حملك على اكل الخبز بالتراب قال فى ذلك قنع
فلما رجع الوليد الى منزله امر باحضاره فلما مثل بين يديه قال
اصدقنى بالحق والا ضربت عنقك فقال الرجل يا امير المؤمنين كان
اشغل رجلا جمالا ومعى ثلاثة من الجمال حملتها غلالا فاتيت الى

خربة بالشام فقعدت لا بول فرأيت البول ينصب فى شق فاتبعته حتى انكشف فاذا هى حفيرة فنزلت فيها فرأيت بها مالا مسكوبا فانخت رواحلى وأفرغت ما كان عليها من الغلال وملأت الركائب من ذلك المال وغطيت المكان الذى فيه الذهب كما كان فلما سرت قليلا وجدت معى مخلاة فقلت ارجع الى ذلك المكان واملأها من الذهب فجئت الى ذلك الموضع فخفى عنى فرجعت الى الجمال فلم أجدها فى المكان الذى تركتها فيه فتأسفت على ذلك المال وآليت على نفسى ان لا اكل الخبز الا بالتراب وروى ان الجمال التى كانت عليها الذهب اتت الى بعض عمال الوليد واناخت بما فيها واحضرها الى الوليد وكان هذا سببا لعمارة الجامع وقيل ان الوليد توعك فبلغه ان اخاه سليمان شمت فيه فكتب اليه يقول

تمنى رجال ان أموت فان أمت ... فتلك طريق لست فيها بأوحد
وقد علموا لو ينفع العلم عندهم ... لئن مت ما من شامت بمخلد
منيته تجرى لوقت وحتفه ... سيلحقه يوما على غير موعد
فقل للذى يبقى خلافا للذى مضى ... تهيأ لاخرى مثلها فكأن قد

فكتب اليه فهمت ما كتبت يا أمير المؤمنين فوالله لئن كنت تمنيت ذلك تأميلا لم لا يخطر فى النفس انى لاول لاحق به ومنعى الى أهله فعلى ما اعمى زوال ملك لا يلبث من تمناه ولقد بلغ امير المؤمنين ما لم يخطر على لسانى ولم يره وجهى ومن يسمع من أهل النميمة يوشك ان يسرع فى فساد النيات ويقطع ذوى الارحام وكتب فى آخره

ومن يتتبع جاهدا كل عثرة ... يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب

فكتب اليه الوليد فهمت كتابك وأنت الصادق فى المقال الكامل الفعال فما شئ أشبه بك من اعتذارك ولا ابعد منك من الشئ الذى قيل فيك والسلام وحكى ان شخصا بلغه عن شخص انه انتقصه وعابه فكتب اليه الحمد لعلام الغيوب المنزه عن النقائص والعيوب والصلاة على من يشفع فى فصل القضا

ويخالق الناس باخلاق الرضا سيد من اذا قوبلوا بالسيئة احسنوا
ومن شرعه ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وحق من اوتي الرسالة
لم يصدر عنه شئ مما كتبتم في هذه العجالة اذ ليس من الانسانية ولا
من المعقول أن يخطر ببال عاقل ما ذكرتم فضلا عن أن يقول
وليس من سجايا الاذكيا اعتقاد السوء بكلام الاشقيا وليس
من شأن الكرام المبالغة بالايذاء بمثل هذا الكلام ولكن التحمل
يورث التجمل كما قيل

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه وان كنت مظلوما فقل انا ظالم

والله مطلع على القلوب علام الشهادة والغيوب ولكن
صبر جميل وحسبنا الله ونعم الوكيل وفي معنى ذلك قال
امير المؤمنين القائم بامر الله شعر

جمعت لدي من الغرام عجائب خلفن قلبي في اسار موحش
غل يصد وعاذل متنصح ومعاند يؤذي ونمام يشي

وقال أيضا ابن عطيه

لا تسمعن من المحسود نميمة فكلامه ضرب من الهذيان
ان كان قد اوحى اليك تحرضا فالناس قد كذبوا على الرحمن
سل غيره عنه لتعلم افكه واسخط عليه فالمحال زماني
لا يثبت الحق المبين لحاكم في الشرع حتى ينطق الخصمان

ومن نكت صاحب الخريدة لطيفة لا بأس بذكرها وان كانت
خارجة عن المقصود وهي انه كان له أخ يدعى أحمد وكانا يتناوبان
القضا من جانب القاضي محمد بن النقيب فجاءت نوبة الشيخ عمر
واحمد مستتر فكتب الشيخ عمر للقاضي محمد بن النقيب حكمتني

حملتني واخي تبارح البلا وجعلتنا ضدين مختلفين
يا حي عالم عصره وزمانه فلك التصرف في دم الاخوين

فكتب اليه جوابا

أيا عمر استعد لغير هذا فاحمد بالولاية مطمئن
فان يك فيك معرفة وعدل فاحمد فيه معرفة ووزن

ثم ان الشيخ عمر الوردي رأى مناما أزعجه وهاله وعوتب فيه على ولاية القضا فلما اصبح جاء الى القاضي محمد بن النقيب وحلف ايمانا مغلظة ما بقي يلي القضاء مطلقا وأنشد يقول

خلعت ثوب القضا عمداً ولم اكن فيه بالظلوم
ان زال جاه القضا عني يكون لي الجاه بالعلوم

حدث عبد الصمد بن معقل قال قيل لوهب بن منبه يا ابا عبد الله كنت ترى الرؤيا تحدثنا بها فما تلبث أن نراها كما رأيت قال هيهات ذهب ذلك عني مذ وليت القضا وانه تولى القضاء في زمن عمر بن عبد العزيز وقال البهاء زهير شعر

حبيبي ما هذا الجفا الذي ارى واين التقاضي بيننا والتعاطف
لقد نقل الواشون عني باطلا وملت لما قالوا فزادوا واسرفوا
وقد كان قول الناس في الناس قبلها فكذبت يعقوب وسرق يوسف
بعيشك قل لي ما الذي صنعته فانك تدري ما اقول وتنصف
فان كان قولا صح اني قلته فللقول تأويل وللقول مصرف
وهب انه قول من الله منزل فقد بدل التوراة قوم وحرفوا
وها أنا والواشي وأنت جميعنا يكون لنا يوم عظيم وموقف

وأقام الوليد في الخلافة تسع سنين وثمانية اشهر وتوفي في نصف جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وسنة ثمان واربعون سنة ودفن بدمشق روى عن يزيد بن مهلب انه قال لما ولاني سليمان ابن عبد الملك العراق وخراسان وودعني عمر بن عبد العزيز وقال لي يا يزيد اتق الله فاني كنت وضعت الوليد في لحده فاذا هو يركض في اكفانه وفي رواية قال عمر بن عبد العزيز لما تناولناه من السرير ووقع على ايدينا اضطرب في اكفانه فقال ابنه أبي أبي قال قلت ويحك ان اباك ليس بحي ولكنكم تلقون اثرى وصلى عليه عمر بن عبد العزيز لما كان ابنه سليمان غائبا ببيت المقدس

خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان

بويع له يوم مات اخوه قيل دخل ابو حازم عليه بعدما استخلف وكان ابو حازم من أهل الزهد فقال يا أبا حازم مالنا نكره الموت قال لانكم عمرتم دنياكم وأخربتم أخراكم وتكرهون النقلة من العمران الى الخراب قال اخبرني كيف القدوم على الله فقال يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب أتى الى أهله فرحا مسرورا وأما المسيء فكعبد آبق اتى مولاه خائفا محزونا ان شاء رحمه وان شاء عذبه فبكى امير المومنين بكاء شديدا فقال رجل من جلسائه ثم أسأت الى أمير المؤمنين فقال له ابو حازم اسكت فان الله أخذ ميثاق العلماء ليبيننه للناس العلم ولا يكتمونه ثم خرج فلما وصل الى منزله بعث اليه مالا فرده وقال للرسول قل له والله يا امير المؤمنين ما أرضاه لك فكيف أرضاه لنفسي وانشد في المعنى شعر

منازل دنياك شيدتها ... وأخربت دارك في الآخره
فاصبحت ترغب في ذي الخراب ... وتفزع عن هذه العامره
فلو كنت شيدت دار البقا ... ولم ترض بالصفقة الخاسره
لسارعت سرعة من قد نجا ... وسرت الى العترة الطاهره

وذكر صاحب السكود ان انه في ايام سليمان بن عبد الملك ورد كتاب من ابن هبيرة ان بجارى وقت السحر سمع قعقعة عظيمة من السماء ودوي كالرعد القاصف أسقط منه الحوامل فنظروا فاذا قد انفرج من السماء فرجة عظيمة ونزلا شخاص رؤسهم في السماء وأرجلهم في الارض وقائل يقول يا اهل الارض اعتبروا با هل السماء هذا صفوائيل الملك عصى الله فعذب به فلما طلع النهار جاء الناس الى ذلك الموضع فوجدوا خسفا عظيما لا يدرك له قرار يصعد منه دخان أسود كل ذلك مثبوت على يد قاضي بخارى باربعين عدلا روى عن زكرياء التيمي انه قال بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام اذ اتى بحجر منقور فأتى بوهب ابن منبه فقرأه فاذا فيه ابن آدم لو أنك رأيت قرب ما بقي من اجلك لزهدت في طول أملك ولرغبت في الزيادة في عملك ولقصرت عن حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك لو زلت بك قدمك

وأسلمك أهلك وحشمك فبان عنك الولد ورفضك الوالد والنسيب فلا انت الى دنياك عائد ولا فى حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة وذكر ان سليمان بن عبد الملك كان شرهاً فى أكله فلما حج فى سنة سبع وتسعين توجه الى الطائف تطلبا للرطوبة فاتاه بعض العرب برمان من رمان الطائف فاكل منه مائة وسبعين رمانة ثم اتوه بزبيب فاكل منه سلتين ثم قال اطعمونا خرفان الطائف فاتوه باربعة وثمانين خاروفا مشوية فاكل من كل خاروف جماجمه وكليتيه حتى اتى على آخرها ثم قعد على السماط واكل مع الناس على عادته فاقام سنتين وثمانية اشهر وتوفى فى صفر سنة تسع وتسعين وسنه خمس وأربعون سنة

خلافة سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

هو الاشج الذى ورد فى حقه الحديث الشريف الناقص والاشج اعدلا بنى أمية وسبب شجه ان أتانا رفسته فصار ابوه يمسح له الدم ويقول ان كنت اشج بنى امية انك لسعيد فكان كذلك وكان اماما عادلا فقيها محدثا روى عن اجلة من العلماء وروى عنه أجلة بويع له يوم مات ابن عمه سليمان ومما يحكى ان المنصور قال لعمر بن عبيد عظنى قال بما رايت او بما سمعت قال بل عظنى بما رأيت قال مات عمر بن عبد العزيز فخلف أحد عشر ابنا وبلغت تركته سبعة عشر دينارا كفن منها بخمسة دنانير واشترى موضع لقبره بدينارين وأصاب كل واحد من اولاده ثمانية عشر قيراطا من دينار ومات هشام بن عبد الملك فخلف احد عشر ابنا واصاب كل واحد من اولاده الف الف دينار فرأيت رجلا من ولد عمر قد حمل فى يوم واحد على مائة فرس فى سبيل الله ورأيت رجلا من اولاد هشام يسأل التصدق

رأيت صلاح المرء يصلح أهله	ويعديهم داء الفساد اذا فسد
يعظم فى الدنيا لفضل صلاحه	ويحفظ بعد الموت فى المال والولد

وفي المعنى ايضا

لا شئ مما ترى تبقى بشاشته　　يبقى الاله ويفنى المال والولد
لم تغن عن هرمس يوما خزائنه　　والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ دان الشعوب له　　والانس والجن فى حاجاته ترد
اين الملوك التى كانت لعزتها　　من كل أوب اليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب　　لا بد من ورده يوما كما وردوا

وهذه الابيات من جملة أبيات لورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن مالك القرشى الاسدى

واول الابيات

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم　　أنا النذير فلا يغرركم أحد
لا تعبدون الها غير خالقكم　　فان دعيتم فقولوا بيننا جدد
سبحان ذى العرش سبحانا يعاد له　　رب البرية فرد واحد صمد
سبحانه ثم سبحانا يعاد له　　وقبل سبحه الجودى والجمد
مسخر كل من تحت السماء له　　لا ينبغى ان يساوى ملكه احد
لا شئ مما ترى تبقى بشاشته　　يبقى الاله ويفنى المال والولد

وروى ان ورقة قد كره عبادة الاوثان وطلب الدين فى الآفاق وقرا الكتب وكانت خديجة بنت خويلد تساله عن امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لها ما اراه الا نبى هذه الامة الذى بشر به موسى وعيسى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا ورقة فانى رأيته فى ثياب بيض وروى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ان خديجة بنت خويلد انطلقت بالنبى صلى الله عليه وسلم حتى اتت ورقة بن نوفل وهو عم خديجة أخو ابيها وكان امرأ تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرى فيكتب بالعربية من الانجيل ما شاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة اى عم اسمع من ابن اخيك قال ورقة يا ابن أخى ماذا ترى فاخبره صلى الله عليه وسلم خبر ما راى فقال ورقة هذا الناموس الذى انزل على موسى يا ليتنى فيها جذعا

اكون حيا حين يخرجك قومك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم
قال ورقة نعم لم يأت رجل قط بما جئت به الا عودي وان يدركني
يومك انصرك نصرا موزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفي وروى
عن هشام بن عروة عن أبيه ان خديجة بنت خويلد كانت تأتي ورقة
بما يخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يأتيه فيقول ورقة
لئن كان ما يقول حقا انه ليأتيه الناموس الاكبر ناموس عيسى الذي
يخبر به أهل الكتاب ولئن نطق وأنا حي لأبلين لله فيه بلاء حسنا
وروى ان زيد بن عمرو وورقة بن نوفل ذهبا الى الشأم يلتمسان
الدين فاتيا على راهب فسألاه فقال ان الذي تطلبان لم يجئ
بعد وهذا زمانه وانه نبي هذه الأمة الذي يخرج من قبل تيماء
فرجعا وروى عن جابر بن عبد الله انه قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم
عن ابي طالب هل تنفعه نبوتك قال نعم اخرجته من غمرة جهنم
الى ضحضاح فيها وسئل عن خديجة أنها ماتت قبل الفرائض واحكام
القرآن فقال ابصرتها في الجنة في بيت من قصب لا صخب فيه ولا
نصب وسئل عن ورقة بن نوفل فقال ابصرته بطنان في الجنة
عليه السندس وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال يبعث أمة
واحدة وقيل انه ارتفع غيم في ايام خلافة عمر بن عبد العزيز فوقع
مع المطر بردة عظيمة فانكسرت فخرج منها كاغد عليه مكتوب
هذه براءة من الله العزيز لعمر بن عبد العزيز من النار هنيئا له
وأقام سنتين وخمسة أشهر وتوفي في رجب سنة احدى ومائة
وسنه تسع وثلاثون سنة ودفن بدير سمعان بارض حمص وقبره
يزار

خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

بويع له يوم مات عمر بن عبد العزيز فاقام اربع سنين وشهرين
وتوفي بحران في شهر شعبان سنة خمس ومائة وسنه تسع وعشرون
سنة ودفن بدمشق وكان عادلا مشهورا آمرا بالمعروف ناهيا
عن المنكر ونقص الجيش من ارزاقهم فسمي الناقص وهو وعمر بن عبد

العزيز اعدلا بنى امية والله اعلم

خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان

بويع له يوم مات أخوه وسنه خمس وثلاثون سنة قيل بينما هو في صيده وقنصه اذ نظر الى ظبي تتبعه الكلاب وأرمته الى صبي اعرابي يرعى غنما فقال هشام يا صبي دونك هذا الظبي فأتني به فرفع رأسه اليه وقال له يا جاهلا بقدر الاخيار لقد نظرت الي باستصغار وكلمتني باحتقار فكلامك كلام جبار وفعلك فعل حمار فقال له هشام ويلك ما تعرفني فقال قد عرفني بك سوء أدبك اذ بدأتني بكلامك قبل سلامك فقال له ويلك انا هشام بن عبد الملك فقال الاعرابي لا قرب الله دارك ولا حيا مزارك ما اكثر كلامك وأقل اكرامك فما استتم كلامه حتى احدقت به الجند من كل جانب كل منهم يقول السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال هشام اقصروا عن هذا الكلام واحفظوا هذا الغلام فقبضوا عليه ورجع هشام الى قصره وجلس في مجلسه وقال علي بالغلام فاتي به فلما رأى الغلام كثرة الحجاب والوزراء وابناء الدولة فلم يكترث بهم ولم يسأل عنهم بل جعل ذقنه على صدره ينظر حيث تقع قدماه الى ان وصل الى هشام فوقف بين يديه ونكس رأسه الى الارض وسكت عن السلام وامتنع عن الكلام فقال له بعض الخدم يا كلب العرب ما منعك ان تسلم على امير المؤمنين فالتفت اليه مغضبا وقال يا برذعة الحمار منعني من ذلك طول الطريق ونهز الدرجة والتعويق فقال هشام وقد تزايد به الغضب يا صبي لقد حضرت في يوم حضر فيه أجلك وخاب فيه أملك وانصرم فيه عمرك فقال والله يا هشام لئن لم يكن في المدة تقصير وكان في الاجل تأخير لا ضرني من كلامك لا قليل ولا كثير فقال له الحاجب بلغ من محلك ان تخاطب امير المؤمنين كلمة بكلمة فقال مسرعا لاقيت الجدل ولأمك الويل والهبل أما سمعت ما قال

الله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها فعند ذلك قام هشام
واغتاظ غيظا شديدا وقال يا سياف على برأس هذا الغلام فقد
أكثر الكلام مما لا يخطر على الاوهام فأخذ الصبى وبركه فى نطع
الدم وسل سيف النقمة على رأسه وقال السياف يا أمير المؤمنين
عبدك المذل بنفسه المتقلب فى رمسه اضرب عنقه وانا برئ من
دمه قال نعم فاستأذن ثانيا فأذن له ثم استأذن ثالثا فهم هشام
أن يأذن فضحك الصبى حتى بدت نواجذه فازداد هشام تعجبا
وقال يا صبى اظنك معتوها ترى انك مفارق الدنيا وانت تضحك
هزؤا بنفسك فقال يا أمير المؤمنين لئن كان فى العمر تأخير لا يضرنى
من كلامك قليل ولا كثير ولكن ابيات حضرت الساعة فاسمعها
فان قتلى لا يفوت وان اكثرت الصموت فقال هشام هات واوجز
فقال

نبئت ان الباز علق مرة ... عصفور بر ساقه المقدور
فتكلم العصفور فى اظفاره ... والباز منهمك عليه يطير
ما فى ما يغنى لمثلك شبعة ... ولئن اكلت فاننى لحقير
فتبسم الباز المغر بنفسه ... عجبا وافلت ذلك العصفور

قال فتبسم هشام وقال وقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو تلفظ بهذا اللفظ فى اول وقت من اوقاته وطلب ما دون الخلافة
لاعطيته يا خادم احش فاه جوهرا واحسن جائزته ومضى الى
حال سبيله ومما يناسب ذلك ما وقع لخالد بن جبلويه فانه لما كان
على بن طاهر احد قواد المأمون عند محاصرته بغداد فاحتاج الى مال
يصرفه فكتب الى المأمون يطلب منه مالا يصرفه فكتب الى خالد
بان يعطيه ما يحتاج اليه فامتنع خالد من ذلك فلما اخذ على بن طاهر
بغداد احضر خالدا وقال له لا قتلنك اشنع قتلة فبذل له من
المال شيأ كثيرا فلم يقبله فقال خالد قد قيل شئ فاسمعه ثم شأنك
وما أردت فقال على بن طاهر هات فقال

نبئت ان الباز علق مرة ... عصفور بر ساقه المقدور

الى آخر الأبيات المتقدم ذكرها وكان على بن طاهر يعجبه الشعر
فقال أحسنت وعفا عنه ومما احسن ما قيل فى الاعتراف بالذنب
وطلب العفو قول ابن زيدون فى رسالته

ان لايكن ذنب فعفوك واسع ... او كان لى ذنب ففضلك اوسع

وقال أيضا

تلمست هل من شافع لى فلم اجد ... سوى رحمة اعطاكها الله تشفع
لئن جلت الاجرام منى وافظعت ... لعفوك من جرمى اجل واوسع

وقال

لاشئ اعظم من ذنبى سوى املى ... فى حسن صفحك عن جرمى وعن زللى
فان يكن ذا وذا فى القدر قد عظما ... فانت اعظم من ذنبى ومن املى

وأقام هشام فى الخلافة تسع عشرة سنة وتوفى بالرصافة سنة
خمس وعشرين ومائة وكان وكلاء الوليد قد ختموا اخزائن هشام
وبيوت أمواله فلم يوجد له كفن فكفنه خادم له وهكذا حال الدنيا

خلافة الوليد بن يزيد

بويع له بالخلافة يوم مات عمه هشام فى ربيع الآخر فى عشر ليال
خلون منه سنة خمس وعشرين ومائة وسنه اثنان واربعون
سنة بعهد من أبيه وكان متعديا للحدود مستخفا بالقرآن والحديث
ومما يحكى عنه ان له فى الخلافة عثرة والمجون وسخافة الدين ونظم
الشعر المتضمن لركيك ضلاله وكفره ما يطول ذكره من ذلك
ما ذكره المعافا بن زكرياء ان الوليد نظر الى جارية نصرانية يقال
لها سفرا فجن بها وجعل يراسلها وتأبى عليه حتى بلغها ان عيد
النصارى قد قرب وانها ستخرج فيه وكان فى موضع العيد بستان
حسن وكان النساء يدخلنه فصانع الوليد صاحب البستان ان
يدخله لينظر النصرانية فوافقه وحضر الوليد وغير حليته ودخلت
النصرانية البستان فجعلت تمشى حتى انتهت الى الوليد فقالت
لصاحب البستان من هذا فقال رجل مصاب فجعلت تمازحه وتضاحكه

حتى اشتفى من النظر اليها ومن حديثها فقال لها صاحب البستان
ويلك تدرين من ذلك الرجل فقالت لا فقال لها انه الوليد وانما
غيّر حليته حتى ينظر اليك وكانت بعد ذلك احرصت على الاجتماع به
وله معها مجالس مشهورة وأسمار مسطورة وله فيها من الاشعار
ما يجاوز حد العشق والغرام فمن ذلك قوله في ذلك

اضحى فؤادك يا وليد عميدا ... صبا قديما للحسان صيودا
من حب واضحة العوارض طفلة ... برزت لنا نحو الكنيس عيودا
ما زلت ارمقها بعيني وامق ... حتى بصرت بها تقبل عودا
عود الصليب فويح نفسي من رأى ... منكم صليبا مثله معبودا
فسألت ربي ان اكون مكانه ... واكون في لهب الجحيم وقودا

قال الراوي لذلك لم يدرك مدرك الشيبان في هذه الخلاعة اذ قال
في عمرو النصراني

يا ليتني كنت له صليبا ... فكنت منه ابدا قريبا
ابصر حسنا واشم طيبا ... لا واشيا اخشى ولا رقيبا

فلما ظهر امر الوليد وعلمه الناس قال

الا حبذا شعري وان قيل انني ... ولعت بنصرانية تشرب الخمرا
يهون علي ان تظل نهارها ... الى الليل لا اولى تصلي ولا عصرا

وروى عن زينب بنت ام سلمة قالت دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم
وعندنا غلام من آل المغيرة اسمه الوليد فقال من هذا يا ام سلمة
قالت هذا الوليد فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اتخذتم الوليد حنانا
غيّروا اسمه فانه سيكون في هذه الامة فرعون يقال له الوليد
وعن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال ولد لاخي ام سلمة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم غلام فسموه الوليد فقال النبي صلى
الله عليه وسلم سميتموه باسما فراعنتكم ليكونن في هذه الامة رجل
يقال له الوليد هو اشد لهذه الامة من فرعون موسى لقومه ولما
تعدى الوليد الحدود حوصر في قصره فاراد استعطاف خواطر الجند
المحاصرين له فلم يقبلوا اعتذاره فجلس واخذ مصحفا وقال يوم كيوم

عثمان ونشر المصحف يقرأ فنزلوا وقتلوه فى شهر جمادى الاولى سنة ست وعشرين ومائة وكانت مدة تصرفه سنة وشهرين وعشرين يوما

خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

بويع له يوم قتل ابن عمه الوليد فقام خمسة اشهر وتوفى فى سنة ست وعشرين ومائة وسنه اربعون سنة والله اعلم

خلافة ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك

بويع له يوم مات اخوه فى ذى الحجة فاقام سبعين يوما وخلع نفسه فى سنة سبع وعشرين ومائة ومات سنة اثنين وثلاثين ومائة

خلافة مروان المعروف بالحمار

وسمى بالحمار لان الذى يتولى بعد مضى قرن يقال له الحمار وقيل سمى هذا الاسم لصبره على الحرب وهو ابن مروان الاول بويع له يوم خلع ابراهيم فاقام ست سنين وشهرا الى ان قتل بناحية ابوصير من قرى مصر المحروسة فى ثالث شهر الحجة سنة اثنين وثلاثين ومائة وهو آخر خلفاء بنى أمية وبموته انقرضت دولة بنى امية كما انقرض من قبلها من الدول ولله العزة والبقاء

الباب الثالث فى الدولة العباسية

وكانوا بالعراق وعدتهم سبع وثلاثون خليفة ومدة تصرفهم فى العراق خمسمائة سنة ثم انتقلوا الى مصر وعدتهم سبعة عشر خليفة واستمرت الخلافة فيهم الى سنة خمس وتسعمائة وكنا نظن بقاءها فيهم الى ان يسلموها للمهدى آخر الزمان

أولهم أبو العباس السفاح

واسمه عبد الله بن محمد بن على بن ترجمان القرآن عبد الله بن عباس بن عم

النبي صلى الله عليه وسلم بويع له يا يع عشر ربيع الاول سنة اثنين وثلاثين ومائة فاقام اربع سنوات وثمانية اشهر وسنه اثنان وثمانون سنة وتوفي في المحرم سنة ست وثلاثين ومائة

خلافة ابي جعفر المنصور

بويع له يوم مات اخوه وسنه ثلاث وستون سنة وهو الذى بنا بغداد سنة اربعين ومائة وتزل بها في سنة ست واربعين وفي سنة تسع وأربعين تم بناءها وبغداد عبارة عن سبع محال لا تفتقر محلة منها الى غيرها على شاطئ دجلة فالاولى بالجانب الشرقي بالرصافة بناها المهدي بن المنصور حين ضاقت بالرعية والجند سنة احدى وخمسين والثانية مشهد ابي حنيفة والثالثة جامع السلطان والرابعة مدينة المنصور في الجانب الغربي وتسمى باب البصرة وكان بها ثلاثون الف مسجد وخمسة الآف حمام والخامسة مشهد موسى بن جعفر والسادسة الكرخ والسابعة دار القز يقال ان المنصور سال راهبا كان في صومعة عن مكان بغداد عندما اراد ان يختطها قال اريد ان ابني هنا مدينة فقال انما يبنيها ملك يقال له ابو الدوانيق فضحك وقال انا هو وكان المنصور على جلالته يحاسب على الدوانيق فسمي الدوانيقي وقد ورد ان ابا جعفر المنصور بنى اربع مدن على اربع طوالع لا يخربون ابدا الا بخراب الدنيا المدينة الاولى المنصورة وهي مدينة طولها ميل في ميل وبها خلق كثير وبحار وليس فيها الا النخل والقصب وهي مدينة حارة جدا والثانية المصيصة على بحر ... الثالثة بارض الهند ... والرابعة بغداد ذكر الشيخ عمر الوردي في خريدته ان بغداد في الجانب الغربي على الدجلة انفق عليها المنصور اموالا عظيمة ونقل ابواب واسط وركبها عليها وجعلها مدينة مدورة وجعل دورها اثني عشر الف قصبة وبنى بها قصرا عظيما بوسطها

وبنى المهدى قصرا مقابلها فى الجهة الاخرى وبينهما نهر الدجلة بجسر من السفن ويقال ان حماماتها حصرت فى وقت من الاوقات فكانت ستين الف حمام قال الطبرى فى تاريخه كان بها ستون الف حمام يحتاج على الاقل الى ست نفر ومثله ليلة العيد يحتاج كل نفر الى رطل صابون له ولاولاده وعياله فهذه ثلثمائة الف رطل صابون وعن المشايخ ان بغداد كانت مشحونة بالعلماء والفضلاء وارباب الصنائع الظريفة النفيسة والآن غالبها خراب وقد تغيرت اوضاعها وخلت من العلماء والافاضل بقاعها وقد اخبرنى من اثق به من افاضل الرجال انه توجه اليها ومكث بها مدة فلم يجد بها من يحرر المسائل الفقهية بل ولا غيرها من غالب العلوم والله يفعل ما يشاء وذكر انه لما نبت بغداد بالقاضى عبد الوهاب المالكى خرج منها طالبا مصر فشيعه من اكابرها وفضلائها جماعة موفورة فقال لهم لما ودعهم لو وجدت بين ظهرانيكم كل غداة وعشية رغيفين ما فارقت بغداد فلم يكن فيهم من يتكفل له بذلك ومن شعره

بغداد دار لاهل المال طيبة ... وللمفاليس دار الضنك والضيق

اقمت فيها مضاعا بين ساكنها ... كاننى مصحف فى بيت زنديق

شعر فى المعنى

يا واقفا بين الفرات ودجلة ... عطشان يطلب شربة من ماء

ان البلاد كثيرة انهارها ... وسحابها فغزيرة الانواء

ما ضاقت الدنيا ولا عدم الثرى ... فيها ولا ضاقت على العلماء

ارض بارض والذى خلق الورى ... قد قسم الارزاق فى الاحياء

وقال ايضا

مالى لا ارغب عن منزل ... يكثر فيه الدهر حسادى

ما الرزق فى الكرخ مقيم ولا ... طوق العلى فى جيد بغداد

ذكر القاضى البيضاوى فى تفسيره فى سورة الفرقان عند قوله تعالى يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا اى بان تركوه وصدوا عنه وعنه عليه الصلاة والسلام من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة معلقا به يقول يا رب هذا

اتخذنى مهجورا اقول ابن اهل بغداد وشحهم وجبنهم وقلة مروتهم من اهل مصر فانه ذكر ان القاضى عبد الوهاب لما قدم مصر تلقاه اكابرها وفضلاؤها بالبشر والكرامة والترحيب وانزلوه فى احسن البيوت واهدوا اليه الهدايا الوافرة والارزاق المتكاثرة وصار عندهم عزيزا فجزاهم الله تعالى خيرا عن مروآتهم وقد شاهدنا ذلك فى كثير ممن ورد عليهم من العلماء ومما يحكى ان خالدا ابا يحيى البرمكى كان يكثر التردد على المنصور وكان المنصور يجله ويدنى مجلسه ويصغى لمصاحبته فدخل فى بعض الايام وفى يده خاتم بفص من السموم القتالة واراد ان يجلس على عادته فزأر فيه زأرة عظيمة مزعجة ومنعه من الجلوس فقال ما السبب يا امير المؤمنين فقال له تدخل على بالسم القاتل فقال يا امير المؤمنين جال فى صدرى شئ كان سببا لحمل الفص القتال وهو انى خشيت من بعض الحسدة يدسون عليكم دسيسة من قبلى فربما يكون فيها الهلاك والتشنيع فاذا حصل ذلك والعياذ بالله تعالى العق الفص واستريح من التمثيل فاستحسن ذلك منه واجلسه على عادته فلما سكن روعه قال يا امير المؤمنين بالله عليك بماذا عرفت ان معى سما فقال له ان فى عضدى دملجا اذا دخل على احد بسم يتحرك الدملج فتعجب من كان حاضرا وهذا من العجائب روى ان رجلا من اهل الشام قال للمنصور يا امير المؤمنين من انتقم فقد شفى غيظه ومن عفى فقد تفضل ومن اخذ حقه لم يجب شكره ولم يذكر فضله وكظم الغيظ حلم والتشفى طرف من العجز وقال زياد تاخير جزاء المحسن لوم وتعجيل عقوبته دناءة والتثبت فى العقوبة ربما ادى الى سلامة منها وتاخير الاحسان ربما ادى الى ندم لم يمكن صاحبه ان يتلافاه ومما يحكى ان المنصور امر وزيره ان ياتيه برجل لا يسأله عن شئ الا ويحسن الجواب ولا يبتدىء بسؤال فاتاه برجل وقال يا امير المؤمنين هذا ما اردت فرفع منزلته وادناه وجعله نصب عينيه فمكث عنده مدة لا يسأله عن شئ الا ويحسن

الجواب ولا يبتدئ بسؤال قط فعظم عنده فامر يوما وزيره ان يدفع
اليه جائزة فماطله وحدث بعد ذلك سفر للمنصور فخرج الرجل يودعه
فلما اذن له بالرجوع راحة له قال يا امير المؤمنين هذه دار من واشار
الى جهة فاستدعى المنصور الوزير وقال ادفع اليه ما امرت له به من
الجائزة فقبضها ومضى فقال الوزير يا امير المؤمنين من اين علمت
انى لم ادفع اليه فقال اشار الى قول الشاعر

يا دار عاتكة التي اتغزل حذار العدا وبه الفؤاد موكل
واراك تفعل ما تقول وبعضهم ملق الحديث يقول ما لا يفعل

وحكى الربيع بن المفضل قال كنت عند المنصور وعنده جماعة من اعمامه
فقالوا له محمد بن مروان في سجنك فان اردت ان ترسل اليه وتسأله
عن كلام جرى بينه وبين ملك النوبة فبعث اليه وفض عنه الحديد
وقال حدثني بكلام جرى بينك وبين ملك النوبة فقال يا امير المؤمنين
كنا قوما ملوكا فلما انقضت بنا المدة امرت بالمتاع فصير في مركب
فاعتل بنا الموج شهرا ثم صرت الى جزيرة النوبة فامرت بالمضارب
فضربت فاقبل اهل النوبة ينظرون الى متاعنا ويتعجبون من حسنه
واقبل ملك النوبة فاذا هو رجل طويل اصلع حاف عليه كساء وهو متوشح
به ثم سلم وجلس على الارض ولم يجلس على بساطي فقلت له لم تركت
الجلوس على بساطي فقال لاني ملك وحق لمن رفعه الله ان يتواضع
ثم صار ينظر في وجهي وقال ما بالكم تطؤون الزرع بدوابكم وهو محرم
عليكم في كتابكم قلت عبيدنا فعلوا ذلك بالجهل قال فما بالكم
تشربون الخمر وهو محرم عليكم في دينكم قلت عبيدنا واتباعنا فعلوا ذلك
بالجهل منهم قال فما بالكم تلبسون الديباج وتتحلون بالذهب
والفضة وهو محرم عليكم على لسان نبيكم قلت انا كنا قوما ملوكا
فلما انقضت مدتنا استعنا باعاجم دخلوا في ديننا كرهنا الخلاف عليهم
قال فجعل ينظر في وجهي ويردد الكلام عبيدنا واتباعنا واعاجم
دخلوا في ديننا كرهنا الخلاف عليهم ليس هذا يا ابن مروان كما تقول
ولكنكم قوم ملكتم فظلمتم وتركتم ما امرتم به فاذاقكم الله وبال امركم

والله فيكم نقمة لم تبلغ واني لاخشى ان ينزل عليكم بلاء وانت ضنو فيصيبني معك فارحل عني فتزودت وارتحلت وأنشد يقول

اذا وليت فاعمر ما تليه بعدلك في الامارة بالعماره
وافضل مستشار كل وقت زمانك فاقتبس منه الاشاره

حدث يحيى بن معاذ أن أبا جعفر المنصور كان جالساً فالح على وجهه ذباب حتى اضجره فقال انظروا من بالباب فقالوا مقاتل بن سليمان فقال على به فلما دخل عليه قال له هل تعلم لماذا خلق الله الذباب قال نعم ليذل به الجبابرة فسكت المنصور وفي شفاء الصدور وتاريخ ابن النجار مسنداً ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يقع على جسده ذباب اصلا ذكر القطبي في اعلامه قال النجم عمر بن فهد وفي سنة ثمان وخمسين ومائة عزم على الحج ابو جعفر المنصور وكان يريد قتل سفيان الثوري رضي الله عنه فلما وصل الى بئر ميمونة بعث الى الخشابين وقال لهم ان رأيتم سفيان الثوري فاصلبوه فجاؤا ونصبوا الخشب وكان سفيان الثوري جالسا بفناء الكعبة ورأسه في حجر فضيل بن عياض ورجلاه في حجر سفيان بن عيينة فقيل له يا ابا عبد الله قم واختف ولا تشمت بنا الاعداء فتقدم الى استار الكعبة فأخذها وقال برئت من هذه البنية ان دخلها ابو جعفر سالما وعاد الى مكانه فركب المنصور من بئر ميمونة فلما كان بين الحجارين سقط عن فرسه فاندق عنقه فمات في سابع الحجة في وقت السحر فحفروا له مائة قبر ودفنوه في آخرها ليعموا قبره من الناس وبر الله قسم عبده سفيان فانظروا الى عباد الله المخلصين وادلالهم على جناب رب العالمين وكيف حال اهل الدنيا المغرورين وكيف تضمحل عظمتهم في سلطان السلاطين وما أحقر سلطنة المخلوقين من ماء مهين وما أسرع زوالهم وصيرورتهم عبرة للناظرين ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار قال البحتري ان المتوكل ولى سالم بن حامد دمشق وكان بها جماعة من العرب لهم قوة ومنعة فقتلوا سالم في يوم جمعة على باب دمشق فغضب المتوكل وقال من يكون في صولة كصولة الحجاج فقال افريدون التركي انا لها يا امير

للمؤمنين فأمره وجهزه اليها في سبعة آلاف فارس واطلق له النهب
والقتل ثلاثة ايام فجاء ونزل في بيت لها فلما اصبح قال يا دمشق اى
شئ يحل بك اليوم وقدم له بغلة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب
ضربته بالزوج في صدره فسقط ميتا وقبره معروف شهير بها وذلك
في حدود الاربعين وماثتين وقال ابن زيدون في رسالته وقد يكون
منية المتمنى في امنيته وروى الشيخ أمين الدين ابو البقاء مسلم
ابن محمود الشيرازى في كتابه القاصمه للفئة الغاشمه ان يحيى العابد
بمهروان قال كنت عند سفيان الثورى فالتفت الى شيخ فقال حدث القوم
بحديث الحية والعصا قال حدثنى عبد الجبار عن محمد بن حمير انه خرج الى
متصيده فتمثلت بين يديه حية فقالت أجرنى أجارك الله في ظله
يوم لا ظل الا ظله فقال ومن اجيرك فقالت من عدولى يريد ان
يقطعنى اربا اربا فقال ومن أين انت قالت من اهل لا اله الا الله قال
وفي اين اخبأوك قالت في جوفك ان كنت تريد المعروف قال ففتح فاه
وقال ها فدخلت جوفه واذا رجل معه صمصامة فقال يا ابن حمير اين
الحية قال ما أرى شيئا فذهب الرجل فاطلعت الحية رأسها فقالت
يا ابن حمير اتحس بالرجل فقال لا قد ذهب قالت فاختر اى الخصلتين
إمّا ان انكث قلبك نكثة اوافرى كبدك قال والله ما كافيتنى
قالت تصنع المعروف عند من لا يعرفه قال أمهلينى حتى آتى سفح هذا
الجبل فامهد لنفسى موضعا فبينما هو كذلك اذ هو بفتى حسن الوجه
طيب الرائحة حسن الثياب فقال يا شيخ مالى أراك مسترسلا للموت
آيسا من الحياة قال من عدو في جوفى يريد هلاكى فاستخرج شيئا
من كمه فدفعه الى وقال كله ففعلت فاصابنى مغص شديد ثم
ناولنى أخرى فاكلتها فرميت الحية من أسفل قطعا قطعا فقلت من
انت رحمك الله فقال له انا ملك يقال له المعروف ومستقرى
في السماء الرابعة ان اهل السماء لما راوا غدر الحية بك اضطربوا كل
يسأل ربه ان يغيثك فقال عز وجل يا معروف ادرك عبدى

وقال الشاعر

لا تصنع المعروف في ساقط فذاك صنع ساقط ضائع
فضعه في حر كريم يكن عرفك مسك عرفه ضائع

وقال أيضا

متى تسد معروفا الى غير أهله رزئت ولم تظفر بأجر ولا حمد

وقال الحجاج لشخص ما أضيع الاشياء قال مطر جود في أرض سبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها وسراج يوقد في الشمس وجارية حسناء تزف الى عنين أعمى وصنيعة تهدى الى من لا يشكرها وقال بعض الحكماء أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام وقالوا الاحسان الى اللئيم أضيع من الرسم على بساط الماء والخط على بساط الهواء قالوا تعريف اللئيم من اذا ارتفع انكر اباه وجفا اخاه واستخف بالاشراف ونقل عن شيخنا المرحوم الشيخ نور الدين الزيادي الشافعي في تعريف اللئيم فقال من ليس فعله يحمد ولا خصاله تشكر وقال الشاعر

ومن يصنع المعروف مع غير أهله يلاقي الذي لاقى مجير ام عامر
اعدلها لما استجارت ببيته احاليب البان اللقاح الدرائر
واسمنها حتى اذا ما تمكنت فرته بانياب لها واظافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من يجود بمعروف على غير شاكر
زرعنا جميلا مع اناس فانكروا جميلنا يوما وما حفظوا القوى
ومن يزرع المعروف في غير أهله كمن قلد الخنزير درا وجوهرا

وقال الشاعر

لعمرك ما المعروف في غير أهله وفي أهله الا كبعض الودائع
فمستودع ضاع الذي كان عنده ومستودع ما عنده غير ضائع
وما الناس في شكر الصنيعة عندهم وفي كفرها الا كبعض المزارع
فمزرعة طابت فاضعف نبتها ومزرعة اكدت على كل زارع

وقال آخر

لئن بسط الزمان يدي لئيم فصبر للذي فعل الزمان
فقد يعلو على الرأس الذباب كما يعلو على النار الدخان

رجعنا الى ما نحن بصدده واقام المنصور فى الخلافة اثنين وعشرين سنة
وتوفى سنة ثمان وخمسين ومائة والله أعلم

خلافة المهدى بن المنصور

بويع له يوم مات أبوه وسنه اثنان واربعون سنة فجمع الناس
فخطبهم ثم حمد الله واثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال ان امير المؤمنين عبد دعى فأجاب وامر فاطاع ثم ذرفت
عيناه وقال لقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرقة الاحباب
وقد فارقت عظيما وتقلدت جسيما فعند الله احتسب امير المومنين
وبه استعين على تقليد امور المسلمين ونزل فبايع الناس وقد جمع
ابو دلامة الشاعر بين تهنئة وتعزية فقال

عيناى واحدة ترى مسرورة … باميرها جذلى واخرى تذرف
تبكى وتضحك تارة ويسوؤها … ما انكرت ويسرها ما تعرف
فيسوؤها موت الخليفة مسرعا … ويسرها ان قام هذا يخلف
ما ان رايت كما رايت ولا ارى … شعرا اسرحه واخرا انتف
هذا حباه الله فضل خلافة … ولذاك جنات النعيم تزخرف

وكان المهدى يقول ادخلوا على العلماء والقضاة واحضروهم عندى
فلو لم يكن من حضورهم الارد المظالم حياء منهم لكان خيرا كثيرا ومكث
فى الخلافة عشرين سنة وتوفى فى المحرم سنة تسع وستين ومائة

خلافة موسى الهادى بن المهدى

بويع له يوم مات أبوه وكان سنه أربعة وعشرين بعهد من والده
واخذ له البيعة شقيقه هارون الرشيد ذكر صاحب السكردان
ان الهادى كان يوما فى بستان يتنزه على حمار ولا سلاح معه
وبحضرته جماعة من خواصه وأهل بيته فدخل عليه حاجبه وأخبره
أن بالباب بعض الخوارج له باس ومكائد وقد ظفر به بعض القواد
فأمر الهادى بادخاله فدخل عليه بين رجلين قد قبضا على يديه فلما
أبصر الخارجى الهادى جذب يديه من الرجلين واختطف سيف أحدهما

وقصد الهادى ففر كل من كان حوله وبقى وحده وهو ثابت على حماره حتى اذا دنا منه الخارجى وهمّ ان يعلوه بالسيف اوما الى وراء الخارجى وأوهمه ان غلاما وراءه وقال يا غلام اضرب عنقه فظن الخارجى ان غلاما وراءه فالتفت الخارجى فنزل الهادى مسرعا عن حماره فقبض على عنق الخارجى وذبحه بالسيف الذى كان معه ثم عاد الى ظهر حماره من فوره واتباع الهادى ينظرون اليه ويتسللون عليه وقد ملئوا منه حياء ورعبا فما عاتبهم ولا خاطبهم فى ذلك بكلمة ولم يفارق السلاح بعد ذلك اليوم ولم يركب الاجواد من الخيل فانظروا الى هذا المقدار فى ثبات جأش الملوك فانه قل من يفعل ذلك وهذه مرتبة لم يصل اليها أحد الا نادرا حكى عن عبد الحق انه قال مما ابتلى به الهادى من المحبة انه كان مغرما بجارية تسمى غادرا وكانت من احسن النسا وجها واطيبهم غناء اشتراها بعشرة الآف دينار فبينما هو يشرب مع ندمائه اذ فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب فقيل له ما بال امير المؤمنين قال وقع فى قلبى انى اموت وان اخى هارون يلى الخلافة ويتزوج غادرا فامضوا واتونى برأسه ثم رجع عن ذلك وأمر باحضاره وحكى له ما خطر بباله فجعل هارون يترفق به ذلك فقال لا ارضى حتى تحلف لى بكل ما أحلفك به اذا مت لا تتزوج بها فرضى بذلك وحلفا يمانا عظيمة ودخل الى الجارية وحلفها ايضا على مثل ذلك فلم يلبث بعد ذلك سوى شهر ومات وولى الخلافة هارون الرشيد فطلب الجارية فقالت يا أمير المؤمنين كيف تصنع فى الايمان فقال قد كفرت عنك وعنى ثم تزوج بها ووقعت فى قلبه موقعا عظيما وافتتن بها اعظم من أخيه الهادى حتى كانت تسكر وتنام فى حجره فلا يتحرك ولا ينقلب فبينما هى فى بعض الليالى وهى فى حجره نائمة فاذا بها انتبهت فزعة مرعوبة فقال لها ما بالك فديتك قالت رأيت اخاك الهادى الساعة فى النوم فانشدنى هذه الابيات

أخلفت عهدى بعدما   جاورت سكان المقابر

ونسيتني وحنثت في ايمانك الزور الفواجر
ونكحت غادرة اخي صدق الذي سماك غادر
لا يهنك الالف الجديد ولا تدر عنك الدوائر
ولحقتني قبل الصباح وصرت حيث غدوت صائر

قالت ثم ولى عني وكأن الابيات مكتوبة في قلبي ما نسيت منها كلمة فقال لها هذا احلام الشيطان فقالت كلا والله يا أمير المؤمنين ثم اضطربت بين يديه وماتت في تلك الساعة ولا تسأل عن هارون الرشيد وما لقي بعدها فكانت مدة الهادي سنة وشهراً ونصف وتوفي في ربيع الاول سنة سبعين ومائة

خلافة هارون الرشيد

بويع له يوم مات الهادي وسنه خمس واربعون سنة ومولده بالري لما كان أبوه المهدي اميراً عليها وكان فصيحا بليغا اديبا كثير العبادة وكان يحج عاما ويغزو عاما وقد يجمع بينهما وكان يصلي في خلافته في كل يوم مائة ركعة لا يتركها الا لعلة وكان يتصدق في كل يوم بالف درهم ويحب العلم واهله ويعظم حرمات الاسلام وبلغه عن بشر المريسي انه كان يقول بخلق القرآن فقال لئن ظفرت به لاضربن عنقه وكان يأتي بنفسه الى بيت الفضيل ابن عياض ويعظمه وكان قاضيه الامام ابو يوسف وكان يجله كثيرا ويمتثل أمره وكانت ايام الرشيد ايام خير وله اخبار في اللهو واللذات مشهورة فائدة ولد الامام ابو يوسف سنة خمس وتسعين وتوفي في سنة مائة واثنين وثمانين فجملة عمره سبع وثمانون سنة ومما يحكى عن هارون الرشيد انه قال يوما لجلسائه من أرغد الناس عيشا فقالوا امير المؤمنين فقال لهم كلا ان لاعواد المنبر طيبة وان لقعقعة لجام البريد لفزعه وان أهنأ الناس عيشا رجل له دار يسكنها وزوجة يأوي اليها في كفاف من العيش لا يعرفنا ولا نعرفه فان من عرفنا وعرفناه افسدنا عليه دينه ودنياه

وحكى المسعودى فى شرح المقامات قال اخبرنا الفقيه ابو العز احمد بن عبد الله السكبرى فى كتابه بسنده عن ايوب الوزان قال قال المفضل دخلت على الرشيد وعنده طبق ورد وعنده جارية مليحة أديبة شاعرة قد اهديت اليه فقال يا مفضل قل فى هذا الورد شيئا يشبهه فقلت

كأنه خد موموق يقبله ... فم الحبيب وقد أبدى به خجلا

فقالت الجارية

كأنه لون خدى حين يدفعنى ... كف الرشيد لامر يوجب الغسلا

فقال هارون الرشيد قم يا مفضل اخرج فان هذه الماجنة هيجتنا فقلت والله يا امير المؤمنين لا اقوم الا بجائزة فانى كنت سببا لقيام اثرك فضحك حتى استلقى على قفاه وأمر لى بجائزة فاخذتها وخرجت وأرخيت الستور دونى وحكى عن هارون الرشيد انه خرج هو وابو يعقوب النديم وجعفر البرمكى وابو نواس والاصمعى واذا بشيخ فى الصحراء متكئ على حمار له فقال هارون لجعفر سل هذا الشيخ هو من أين فقال له جعفر من اين جئت قال من البصرة قال وأين تريد قال بغداد قال وما تصنع فيها قال التمس دواء لعينى فقال له هارون مازحه فقال له جعفر اخاف ان اسمع منه ما اكره فقال بحقى عليك الا مازحته فقال جعفر للشيخ ان وصفت لك دواء ينفعك ما الذى تكافينى به فقال الله تعالى يكافيك بما هو خير من ذلك فقال اسمع هذا السر الذى لا أصفه لاحد غيرك خذ لك ثلاث أواق من شعاع الشمس وثلاثة أواق من زهرة القمر وثلاثة أواق من هبوب الريح وثلاثة أواق من نور السراج واجمع الجميع فى هاوون بلا قعر ودقهم ثلاثة اشهر فاذا دققتهم اجعلهم فى شقفة مشقوقة واجعلهم ثلاثة اشهر فى الريح ثم اجعلهم فى قصبة ساق جمل قد حفى واستعمل هذا الدواء فى كل يوم ثلثمائة مرة عند النوم ودم على ذلك ثلاثة اشهر فانك تعافى ان شاء الله تعالى فلما سمع الشيخ كلامه انبطح عن حماره وضرط فى وجهه ضرطة

منكرة وقال خذ هذه الضرطة مكافاة لك فاذا استعملت هذا الدوا
ووهبك الله العافية اخذت لك جارية تخدمك فحيا تك خدمة يقلع
الله بها عينيك فاذا مت وعجل الله بروحك الى النار سخمت وجهك
بخراك واخليها تلطم عليك وتقول لك يا صقيع الذقن يا رقيع لا اله الا
الله ما اصقع ذقنك قال فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه
ورسم له بثلاثة آلاف درهم وقد قيل ان هارون الرشيد حصل
له فى بعض الايام حال من الاحوال وضيق صدر فاخذ معه بعض
الخدام وخرج يتفرج على العادة وكان شخص يقال له ابو الحسن
ابن تاجر من التجار وكان والده صاحب اموال كثيرة واماكن وعقارات
واقطاع وضياع فتوفى والده وحاز جميع ما خلفه ثم انه كان
فى كل يوم يخرج الى الجسر فاول رجل يمر عليه يدعوه الى الضيافة
فمر عليه فى ذلك اليوم الرشيد فتعلق به وقال له يا سيدى هل لك
فى طعام وشراب فاجابه الرشيد وقال له امض بنا ولم يعلم ابو الحسن
من هو ضيفه وسارا الى ان وصلا منزل ابى الحسن فلما دخل الرشيد
وجد به قاعة ان نظرت الى حيطانها رأيت العجب وان نظرت الى مجاريها
رأيت شاذروانا مصفحا بالذهب فلما استقر به الجلوس استدعى
ابو الحسن بجارية كانها قضيب بان واخذت عودها وانشأت تقول

يا مقيما مدى الزمان بقلبى ... وبعيدا بشخصه عن عيانى
انت روحى اذ كنت لست اراها ... فهى ادنى الى من كل دانى

قال فلما سمع الرشيد من الجارية هذه الابيات قال لها احسنت
بارك الله فيك واعجبه منطقها وتعجب من ابى الحسن وعزومته
وقال له يا ابا الحسن هل من حاجة تروم قضاها او هل من شهوة
تشتهيها فقال ابو الحسن ان بجوارنا مسجدا وله امام واربع
مشايخ وبجوار المسجد صاحب ربع وهم كلما سمعوا نغمة او شيئا
من اللهو يغمزوا على الوالى ويغرمونى الغرائم ويكدروا عيشى
وانا معهم فى عذاب فلو تمكنت منهم كنت اضرب كل واحد منهم الف
سوط واصلب صاحب الربع واستريح من كثرة اذاهم فقال الرشيد

يبلغك الله مرادك ثم ان الرشيد غافله ووضع قرص بنج فى قدح وناوله له فلم يستقر فى جوفه حتى نام لوقته فقام الرشيد الى الباب فوجد غلمانه ينتظرونه فامر الرشيد بحمل ابى الحسن على بغلة وسار الى دار الخلافة وهو سكران لا يفيق ولا يشعر بنفسه فلما استقر بدار الخلافة استدعى بوزيره جعفر وعبد الله بن طاهر والى بغداد وبعض خدمته الخواص وقال لهم جميعا اذا كان غداة غد ونظرتموا هذا الغلام واشار الى ابى الحسن وهو جالس على سرير الملك اعطوه الطاعة وسلموا عليه بالخلافة وأى شىء امركم به فافعلوه ثم دخل بعد ذلك الى جواريه واوصاهن بخدمته وان يخاطبوه بامير المؤمنين فلما افاق ابو الحسن وجد نفسه جالسا على سرير الملك والوزير والوالى والخدم واقفون وهم يقبلون الارض بين يديه فاحتار ابو الحسن فى امره ووضع رأسه فى عبه وجعل يفتح عينيه قليلا قليلا وجعل يضحك ويقول ايش هذا الامر الذى انا فيه ثم انه رفع رأسه ونادى بعض الجوار فاجابته لبيك يا امير المؤمنين فقال لها ما اسمك قالت شجرة الدر فقال لها اتدرى فى اى مكان انا ومن هو انا فقالت انت امير المؤمنين جالس فى قصرك على سرير الخلافة فقال لها انى حائر فى امرى وقد خرج عقلى وما كانى الا نائم ولكن ايش اقول فى ضيفى البارحة وما اظنه الا شيطانا او ساحرا لعب بعقلى فبقى حائرا باهتا الى ان اصبح الصباح فاتاه الخادم وقال له اسعد الله صباح امير المؤمنين ثم ناوله تاسومة من ذهب مشبكة بالفصوص واليواقيت فاخذها وتاملها طويلا ثم وضعها فى كمه فقال له الخادم هذه مشاية تدخل بها بيت الخلا فقال له صدقت ما وضعتها فى كمى حتى لا تتوسخ ثم اخرجها من كمه ووضعها فى رجله فلما قضى حاجته وخرج قدموا اليه خلعة سنية ونظر الى نفسه وهو جالس على السرير وقال كل ما انا فيه خيال ومحال من الجان فبينما هو كذلك اذ دخل عليه بعض المماليك وقال له يا امير المؤمنين ان الحاجب بالباب يستأذنك فى الدخول فقال ابو الحسن يدخل فدخل وقبل الارض بين يديه وقال السلام عليك يا امير المؤمنين فقام ابو الحسن ونزل

عن السرير الى الارض فقال له الحاجب الله الله يا امير المؤمنين أما تعلم
ان الناس كلهم غلمانك وتحت نظرك وامير المؤمنين لا ينبغي له القيام
الى أحد ثم قيل له ان جعفر البرمكي وعبد الله بن طاهر واكابر المماليك
يستأذنون في الدخول فاذن لهم فدخلوا وقبلوا الارض بين يديه
وجعل كل منهم يخاطبه بامير المؤمنين ففرح بذلك وردّ عليهم
السلام ثم نادى الوالى فدنى منه وقال لبيك يا امير المؤمنين
فقال له اذهب في هذه الساعة الى الدرب الفلاني وامسك
صاحب الربع وامام المسجد والاربع مشايخ واضرب كل واحد منهم
ألف سوط فاذا فرغت من ذلك اكتب عليهم قسامة انهم لا يسكنون
في الدرب بعد تجريسهم والمناداة عليهم هذا جزاء من يؤذي جاره
ثم اصلب صاحب الربع واياك ان تتهاون فيما امرتك به ثم ان
ابا الحسن التفت الى الحاجب وبقية الخدم وقال لهم انصرفوا
ثم استدعى بخادم كان قريبا منه وقال له انى جيعان وقصدى
شئ آكله فقال سمعا وطاعة واخذ بيده الى ان ادخله مجلس
الطعام وقدموا بين يديه مائدة من الاطعمة الفاخرة وقام على
رأسه عشر جوار نهدا ابكار فالتفت اليه جارية منهن وقال
لها ما اسمك فقالت قضيب البان فقال لها يا قضيب البان من انا
قالت انت امير المؤمنين فقال تكذبين والله يا قحبة انتن تضحكن
على فقالت خف الله يا امير المؤمنين هذا قصرك والجوار جوارك
فقال في نفسه ما هو كثير على الله عز وجل ثم ان الجوار اخذن
بيده الى مجلس الشراب فرأى شيا يذهل العقل وبقى يقول في
نفسه لا شك ان هؤلاء من الجان ويكون هذا الذى اضافنى من
ملوك الجان وما رأى مكافاة ومجازاة ما فعلته معه من الجميل
الا انه امر اعوانه يقولون يا امير المؤمنين وهؤلاء كلهم من الجان
فالله يخلصني منهم على خير فبينما هو يحدث نفسه واذا بجارية
من تلك الجوارى ملات له كاسا من الخمر فتناوله منها وشربه
ثم ان الجوارى تكاثرن عليه بالشراب وطرحت له احداهن قرص

بنج فى القدح فلما استقر فى جوفه وقع وصار لا يعى ولا يفيق فعند
ذلك أمر الرشيد بحمله الى منزله فحملوه ووضعوه على فراشه وهو
لا يشعر بنفسه فلما افاق من سكرته آخر الليل نظر نفسه فى الظلام
فصاح يا قضيب البان يا شجرة الدر فلم يجبه احد فسمعته امه
وهو ينادى بهذه الاسماء فقامت واتت اليه وقالت له ايش
جرى عليك يا ولدى وما الذى اصابك انت مجنون فلما سمع كلام
امه قال لها من انت يا عجوز النحس حتى تقابلى امير المؤمنين بهذه
الألفاظ فقالت له انا امك يا ولدى فقال لها تكذبى انا امير
المؤمنين صاحب البلاد والعباد فقالت له اسكت والا تروح
روحك وجعلت ترقيه وتقرا عليه وتقول يا ولدى كأنك رأيت
هذا فى المنام وهذا كله من وساوس الشيطان ثم قالت له ابشرك
ببشارة تسر بها قال لها وما هي قالت ان الخليفة أمر بضرب الامام
والمشايخ وصلب صاحب الربع وكتب عليهم قسامة لا يكثرون
فضولهم على احد فلما سمع ابو الحسن من امه هذا الكلام زعق
زعقة كاد ان يفارق الدنيا وقال انا لله وانا اليه راجعون انا الذى
امرت بضرب المشايخ وصلب صاحب الربع ونفيهم وانا امير
المؤمنين ثم نزل الى الزقاق فى الليل ونادى باعلى صوته معاشر
الناس من كان له حكومة او ظلامة فعليه بهذه الدار نزيح
ظلامته وننظر فى حكومته قال فانتبه كل من فى الزقاق ومسكوه
الى ان طلع النهار وجروه وادخلوه البيمارستان وصار كل يوم
يعاقبوه ويسقوه الادوية الكريهة ويضربوه بالسياط وعملوه
مجنونا بالغصب مدة عشرة ايام فجاءت والدته تسلم عليه فشكى
اليها فقالت له يا ولدى خف الله فى نفسك لو كنت امير المؤمنين
كنت فى هذا الحال فلما سمع والدته قال لها والله صدقتى ما كانى الا
كنت نائما فرايت انهم عملونى خليفة وجعلوا لى خداما وجوارى
فقالت له يا ولدى ان الشيطان يفعل أكثر من هذا قال صدقتى وانا
استغفر الله مما جرى منى فاخرجوه من البيمارستان وادخلوه الحمام

فلما أصاب العافية عمل ماكولا ومشروبا وجعل ياكل فلم يطب له
وحده فقال يا اماه لم يطب لي عيش ولا اكل وحدي فقالت له ان
كنت تريد تفعل ما تشاء وتختار فرجوعك الى البيمارستان اقرب
فلم يلتفت اليها ومشى الى الجسر ينظر له نديما فبينما هو جالس اذا بالرشيد
قد جاء اليه في صفة تاجر وكان من حين فارقه وهو كل يوم ياتي الى
الجسر فلم يجده فلما رآه ابو الحسن قال له ابو الحسن اهلا وسهلا
ومرحبا يا ملك الجن فقال له الرشيد ايش عملت معك فقال له
ايش بقيت تفعل معي اكثر مما عملت يا اوسخ الجان اكلت الضرب
ودخلت البيمارستان وعملوني مجنون كل ذلك منك جئت بك
الى منزلي واطعمتك خيار ماكلي وبعد ذلك سلطت على شياطينك
واعوانك يلعبون بعقلي من المساء الى الصباح رح عني في حال
سبيلك فقال له الرشيد قد بلغتك مقصودك من الامام والمشايخ
وصاحب الربع قال نعم فقال له الرشيد لعله ياتيك ما يسر خاطرك
اكثر من هذا فقال له ابو الحسن ايش مقصودك مني قال مقصودي
اكون ضيفك في هذه الليلة فقال ابو الحسن على شرط ان تحلف لي
بالذي على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام ما تخلي عفاريتك يلعبون
بي فقال له الرشيد سمعا وطاعة فاخذه ابو الحسن الى منزله ثم ان
ابا الحسن قدم الطعام الى الرشيد واتباعه فاكلوا بحسب الكفاية
فلما فرغوا من الاكل قدموا الشراب والمفرحات الى حين راى الرشيد
فرصة فوضع قرص بنج في قدح فلما شربه صار لا يفيق فامر الرشيد
بحمل ابي الحسن الى دار الخلافة وامرهم ان يرفعوه على سريره فلما افاق
ابو الحسن آخر الليل جعل ينادي يا اماه فاجابوه الجواري لبيك
يا امير المؤمنين فلما سمع ذلك قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم ادركوني في هذه الليلة وهذه ليلة انحس من التي تقدمت
ثم انه جعل يطيل النظر في الذي حوله ويقول هؤلا كلهم من الجان
في صفة الادميين امري الى الله ثم التفت الى مملوك بجانبه وقال له
عضني في اذني يا هل ترى انا نائم ام يقظان فقال له المملوك كيف

اعضك فاذنك وانت أمير المؤمنين فقال له افعل ما امرتك به والا
ضربت عنقك فعضه فى اذنه التى الناب على الناب فزعق زعقة
عظيمة هذا والرشيد خلف الستارة من داخل مخدع فكل من كان
حاضرا معه انقلب من الضحك وهم يقولون للمملوك انت مجنون
تعض اذن الخليفة فقال لهم ابو الحسن ما كفى يا قحاب الجن ما جرى
على ما لكم ذنب الذنب لكبيركم الذى حلفته فخان اليمين واخرجكم
فى صنعة الآدميين وانا استعين عليكم فى هذه الليلة باية الكرسى
والاخلاص والمعوذتين ثم ان الرشيد كان من وراء الستارة وقال
اهلكتنا يا ابا الحسن فعند ذلك عرفه ابو الحسن فقبل الارض
بين يديه ودعا له بالعز والبقا ثم ان الرشيد البسه خلعة سنية
ودفع له الف دينار وجعله من اعز ندمائه وقيل دخل الاصمعى
على الرشيد يوما فقال يا امير المؤمنين كانت لى حاجة فى ضيعة
كذا فلقينى ما كاد يقتلنى قال وما هو قال بينما انا فى وسط البيدا
واذا بشئ قبض على خناقى ولم اره فقلت من انت يرحمك الله
قال انا من شعراء الجن فقلت له وما تطلب منى قال اريد منك ان
تصف لى فى هذا الوقت ما اخبث الارض وما اطيبها وما اضيقها وما
أوسعها فقلت له او احسن ذلك وانت قابض على خناقى فاطلقنى
واردت ان اعجزه فقلت له لا يحصل لى باعثة على النظم الا بالجائزة
العظيمة فقال انطلب كثيرا فقلت الف دينار فقال اثبت
مكانك فوقفت يسيرا واذا بصرة وقعت من الهواء فاخذتها
ووضعتها فى كمى وقلت

من لم يكن بين اقوام يسر بهم ... فكل اوقاته نقص وخسران
فاطيب الارض ما للنفس فيه هوى ... سم الخياط مع الاحباب ميدان
واخبث الارض ما للنفس فيه اذى ... خضر الجنان مع الاعداء نيران

فقال لى الاعتراف انصاف لقد اعجبنى حسن بديهتك ولكن صف
لى هذه الارض من اى الاراضى فقلت له ان لم تحرمنى الجائزة ولم
تقتلنى فهى اطيب الارض واوسعها وان قتلتنى واحرمتنى الجائزة

فهى

فهي اخبث الارض واضيقها فضحك كالرعد القاصف فارتعدت منه فقال لي مالك ارتعدت وقد انبسطت معك اليوم فقلت له اذا كان بسطك يروعني فكيف انقباضك فضحك اقوى من الاول وقال اذهب يا اصمعي يحق للملوك ان يدنوك من مجالسهم فقال الرشيد ارني الصرة فاظهرتها له فقال الرشيد هذه من خزائني وعليها ختمي هذا من سراق الجن سبحان من نجاك منه وحكى عن الاصمعي انه قال ضل لي بعير فخرجت في طلبه فدخلت حلة عرب وجماعة يصطلون نارا بقربهم شيخ ملتف بقطعة عباءة يرتعد ويقول

ايا رب ان اليوم اصبح كاشحا ... وانت بحالي عالم لا تعلم
فان كنت يوما مدخلي لجهنم ... ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم

فعجبت من نظامه فسلمت عليه وقلت لاي شيء يدخلك جهنم فقال لقلة صلاتي فقلت لم لا تصلي فانشد يقول

أيطمع ربي ان اذا اصلي عاريا ... ويكسو غيري حلة البرد والحر
فوالله لا صليت ما عشت عاريا ... عشاء ولا وقت المغيب ولا الوتر
ولا الصبح الا يوم شمس دفية ... وان غيمت فالويل للظهر والعصر
وان يكسني ربي قميصا وجبة ... اصلي له مهما أعيش من العمر

فعجبت من فصاحته واعطيته قميصا وجبة وقلت له قم صل فلبسهما واستدبر القبلة يصلي بلا وضوء قاعدا فقلت له ما تستحي ان تفعل هذا فقال

اليك اعتذاري من صلاتي قاعدا ... على غير طهر موميا نحو قبلتي
فما لي لبرد الماء يا رب طاقة ... ورجلاي لا تقوى على ثني ركبتي
ولكنني استغفر الله شاتيا ... واقضيكها يا رب في وسط صيفتي
فان انا لم افعل فذونك فاحتكم ... بما شئت من صفعي ومن نتف لحيتي

فتركته وانصرفت متعجبا وحكى عن ابي العتاهية انه قال بينما انا في حبس الرشيد اذ دخل علينا رجل ذو شهامة ووسامة فسلم وجلس ساعة لا ينطق فقلت اصلحك الله ان للمسجونين

استرواحا الى الاخبار وتطلعا الى الحديث وقد دخلت علينا فلم تخبرنا
بشئ من امرك فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للداخل
دهشة فابسطوه بالانس ولم تبتدئوني بالبسط والتأنيس
فقلت صدقت وقص كل واحد منا قصته ثم اخرجت سويقا كان
عندى فاسقيته فبينما هو يشرب اذ دخل عليه الاعوان فقالوا
له قم فقد امر بقتلك فارتعدنا وهو ساكن الجنان طيب النفس
حتى استتم السويق ثم قال انا حاضر موت يحيى بن عبد الله بن
الحسن الذى يقول

اذا انا لم اقبل من الدهر كلما	تكرهت منه طال عتبى على الدهر
الى الله اشكو الامر فى الخلق كلهم	وليس الى المخلوق شئ من الامر
فعودت نفسى الصبر حتى الفته	واسلمنى حسن العزاء الى الصبر
وصيرنى يأسى من الناس راجيا	لسرعة لطف الله من حيث لا ادرى
واوسع صدرى للاذى كره الاذى	وقد كنت احيانا يضيق به صدرى
وقد ييأس الانسان فى بعض حاله	ويأتيه لطف الله من حيث لا يدرى

ثم نهض غير مرعوب ولا مرهوب فلم يعرف له بعد ذلك خبر
ثم انى لقيته بعد سنين بالموقف فتعرفت اليه وقلت له ما شأنك
وخبرك بعدما فارقتنا فقال لما دخلت على الرشيد امر بمد النطع
وجرد السيف وعصب عيناى وامر بقتلى فرأى شفتى يتحركان
فقال لم تحرك شفتيك لا ام لك فقلت بدعاء علمنيه مولاى
فقال اخبرنى به فقلت اللهم يا من لا يرد قضاؤه عن كل سلطان
منيع ولا يدفع بلاؤه عن كل ذى مجد رفيع يا كاشف الهم عن
المأسور الضعيف عند معضل الخطب ودافع الغم عن المضطر
اللهيف عند منقطع الكرب اسئلك باجل الوسائل لديك
واقرب الوسايل اليك محمد خاتم النبيين وآل بيته اجمعين
اهل طه ويس صلى الله عليه وعليهم اجمعين ان تجعل لى من
امرى هذا فرجا ومن محنتى مخرجا انك سميع الدعاء جزيل العطاء
فعال لما تشاء قال فتغرغرت عينا الرشيد بالدموع ثم قال حلوا

وثاقه

وناقة وادفعوا اليه زادا وراحلة والحقوه باهله فرجعت من فوري ومما افاده الجلال السيوطي في كتابه الارج في الفرج ان امير المؤمنين هارون الرشيد لما اشتد غضبه على الامام الشافعي رحمه الله عليه نادى وزيره ليلا وقال اذهب بنفسك الى محمد القرشي فادخله على بغير اذن وائتني به على غير رضا قال فذهبت اليه وقد تحققت من امير المؤمنين هارون الرشيد قتله فدخلت عليه فقلت الرشيد يدعوك فقال في مثل هذا الوقت وبغير اذن قال بذلك امرت فقام معي الى ان قربت من الدخول فوجدته يحرك شفتيه لا ادري ما يقرأ فلما دخل على الرشيد هابه واجلسه واكرمه وصرفه آمنا فخرجت عقبه وقلت بالله عليك الا ما اخبرتني بما قلت عند دخولك فوالله ما جئتك الا وانا اعرف موضع السيف من قفاك فقال الامام رضي الله عنه حدثني فلان عن فلان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أهمه امر الاحزاب نزل جبريل فعلمه هذه الكلمات فكتبها الوزير وحفظها وحملها وكان يتعوذ بها وهي هذه اللهم انت غياثي فبك أغوث وأنت عياذي فبك اعوذ وانت ملاذي فبك الوذ يامن ذلت له رقاب الفراعنة وخضعت له مقاليد الجبابرة اجرني من خزيك وعقوبتك واحفظني في ليلي ونهاري ونومي وقراري لا اله الا انت تعظيما لوجهك وتكريما لسبحات عرشك اكفني شر عبادك واحفظني في سرادقات حفظك وعنايتك وعد علي بخير يا ارحم الراحمين وحكي عن أحمد بن الخطيب عن أبيه وكان من اجل الكتاب قال دخلت يوما على امي وكان يوم اضحى فرأيت عندها عجوزا في اطمار رثة ولها منظر وبيان فقالت لي امي سلم على خالتك فقلت ومن هذه قالت هذه عيانة ام جعفر بن يحيى فقلت لا اله الا الله اصاريك الدهر الى ما ارى فقالت يا بني انما كانت الدنيا عارية ارتجعها معيرها وحلة سلبها ملبسها فقلت ما اعجب ما لقيت قالت يا بني لقد مر على اضحى مثل هذا اليوم وعلى راسي اربعمائة وصيفة وقد ظننت مع ذلك ان ابني عاق ثم صرت لكم اليوم اطلب جلدي شاتين اجعل

أحدهما دنارا والآخر خمارا فقلت ما أصعب ما رأيت فانشأت تقول

كل المصايب قد تمر على الفتى ... فتهون غير شماتة الحساد
ان للمصايب تنقضي اسبابها ... وشماتة الاعداء بالمرصاد

قلت لها ثم ماذا قالت الموت ثم قلت اوذقت الموت فانشأت تقول

لا تحسبن الموت موت البلا ... لكنما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا ... اشد من ذاك لذل السؤال

ولبعضهم أيضا

لا تظهرن لعاذل أو عاذر ... حاليك في السراء والضراء
فلرحمة المتوجعين حرارة ... في القلب مثل شماتة الاعداء

ولبعضهم أيضا

أعياك اسعادي فصرت معنفي ... ليت الذي عرف الجميل تجملا
مالي شكوت اليك نار جوانحي ... لتكون مطفيها فكنت المشعلا

المصائب جمع مصيبة وهو ما يصيب الانسان من حوادث الدهر ونوازله والشماتة التشفي والبيت الاول من جملة أبيات قالها عبد الله بن محمد بن أبي عيينة يعاتب بها ذات اليمينين منها

من مبلغ عني الامير رسالة ... محصورة عندي من الانشاد
كل المصائب قد تمر على الفتى ... فتهون غير شماتة الحساد
واظن لي منها لديك خبيئة ... ستكون عند الزاد آخر زاد
مالي أرى امري لديك كانه ... من ثقله طود من الاطواد

قيل لايوب عليه السلام اي شئ كان في بلائك أشد عليك قال شماتة الاعداء وقال ابن اكثم لا يفرح بنكبة الانسان الا من لؤم أصله ومما يناسب ذلك ان علي بن عبد الجبار قال زوجت سيدة الغناء بنت طولون فانفقت في وليمتها مائة الف دينار فلم تلبث حتى رأيتها تتعرض للسؤال ببغداد فرآها بعض الاغنياء فعرفها فقال لها اين ما كنت فيه قالت خاننا الدنيا قال فما تشتهي الآن قالت ملأ بطني طعاما قال لها هذا وكلي خذي منه ما اردت وانصرفت الى منزله فاكلت شيئا فامرلها بعشرة الآف

درهم

الاف درهم فقالت عليك مالك كان عندنا اكثر منه فما بقى وولت قائلة

دع الدنيا لعاشقها ... سيصبح من ذبائحها
ارى الدنيا وان مدحت ... نقص على فضائحها
فلا يغررك رائحة ... تصيبك من روائحها

ومما يحكى ان جعفر لما صلب امرهارون الرشيد ان من لغاه او رثاه فعل به كما فعل به فكف الناس عن ذلك ثم ان اعرابيا كان ببادية بعيدة وفي كل سنة ياتى بقصيدة لجعفر المذكور فيعطيه الف دينار جائزة فياخذها وينصرف ويستمر ينفق منها على قيام اوده الى آخر العام فلما جاء الاعرابى بالقصيدة وجد جعفرا مصلوبا فجاء الى المحل الذى هو مصلوب فيه فاناخ راحلته وبكا بكاء شديدا وحزن حزنا عظيما وانشد القصيدة ثم اخذه النوم فنام فرأى جعفرا فقال له اتعبت نفسك وجئت فرأيتنا على ما رأيت لكن توجه الى البصرة واسأل عن رجل اسمه كذا من خواجات البصرة وقل له جعفر يقرئك السلام ويقول لك بامارة الفولة أعطنى الف دينار فتوجه الاعرابى الى البصرة فوجد الخواجا واجتمع به وبلغه ما قاله جعفر فبكى بكاء شديدا حتى كاد ان يفارق الدنيا ثم انه اكرم الاعرابى واجلسه عنده واحسن مثواه ومكث عنده ثلاثة أيام مكرما واعطاه الف وخمسمائة دينار وقال له الالف المامور لك باعطائها والخمسمائة دينار كرامة منى اليك ولك فى كل سنة الف دينار فلما أخذها الاعرابى واراد الانصراف قال للخواجا بالله عليك الا ما اخبرتنى عن اصل الفولة قال له كنت فى ابتداء امرى فقير الحال أطوف بالفول الحار أبيعه فى شوارع بغداد فخرجت فى يوم بارد ماطر وليس على بدنى ما يقى البرد وتارة اقع فى ماء المطر وانا فى حالة مكربة تقشعر منها الابدان وكان جعفر بمنزله فى مكان عال مشرف وعنده خواصه ومحاضيه فوقع نظره على فرق لحالى وارسل اخذنى عنده وقال لى بع ما معك من الفول على جماعتى فاخذت اكيل بمكيال

كان معي فكل من أخذ كيلة فول يملأها ذهبا ففرقت جميع ما كان معي ولم يبق معي شئ وجمع الذهب صبرة وأخذه ثم قال لي بقي معك شئ من الفول ثم اني فتشت الفقة فلم اجد فيها سوى فوله واحدة فاخذها جعفر ففلقها نصفين واخذ نصفها واعطى النصف الثاني لاحدى محاضيه وقال لها بكم تشتري نصف هذه الفولة فقالت بقدر هذه الصبرة قال جعفر وانا اشتري النصف الثاني بقدر الصبرة مرتين فبهت وبقيت متحيرا في امري وقلت هذا شئ محال فقال جعفر خذ ثمن فولك فتوقفت ثم امر احد غلمانه بجمع المال جميعا ووضعه في قفتي فاخذته وانصرفت ثم رحلت الى البصرة فاتجرت بما معي من المال فوسع الله علي دنياي ولله الحمد والمنة فاذا اعطيتك في كل سنة الف دينار فهي من بعض احسانه فانظر الى مكارم اخلاق جعفر والثناء عليه حيا وميتا رحمه الله تعالى

واقام هارون الرشيد في الخلافة ثلاثا وعشرين سنة وتسعة عشر يوما ولما جردت المنية موسى الحمام على رأس هارون وفرق ثياب رشد الرشيد ريب المنون وخلعت عنه الخلافة والسلطنة وغسلته سماء الدموع بماء الاجفان رأى مناما انه يموت بطوس فلما وصل الى طوس غلب عليه التوعك فتيقن بالموت وبكى واختار لنفسه مدفنا وقال احفروا لي قبرا في هذا المحل فحفروا له قبرا فقال قربوني الى شفيره فحملوه في قبة فسالت عبرته وزادت عبرته وقال يا ابن آدم الى هذا تصير ولابد من هذا المصير ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه فمات وصلى عليه ابنه صالح والحد في القبر المذكور لثلاث مضين من جمادى الاخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة

خلافة محمد الأمين بن هارون الرشيد

بويع له يوم مات والده وكان مليح الصورة ابيض اللون جميلا لكن كان سيئ التدبير ضعيف الراى لا يصغى الى قول مشير ولما ولى الخلافة اتخذ اللهو شعارا وشرب الخمر خمارا وخلع العذار

العذارى واشترى غريبة المغنية بمائة الف دينار واخذ جارية
عمه ابراهيم بن المهدى بعشرين الف دينار وعزل أخاه المؤتمن
وخلع أخاه المامون وكان والده هارون الرشيد عهد له ولاخويه
فجعل والده عبد الله المامون ولى عهد بعد الامين وولاه ممالك
خراسان باسرها وكتب بذلك صحيفة ووضعها بالكعبة المشرفة
وقد عمل بعض الشعراء فى ذلك جملة قصائد من جملتها

الله قلد هارونا خلافته ۞ دهرا فاظهر فينا العدل والسننا
وقلد الامر هارون لرأفته ۞ بنا أمينا ومامونا ومؤتمنا

ثم ان محمد الامين عزم على انتزاع العهد من أخيه عبد الله المامون
وكان اذ ذاك مقيما بخراسان فنصحه عن هذا الغدر حازم بن
خزيمة فقال يا امير المؤمنين الغدر مشوم والناكث مغلوب
منكوب وجرت العادة بنصر المظلوم فابى الامين وبذ كلامه
وعمل برأيه السقيم وصمم على ذلك اشد تصميم فكتب الى المامون
يستدعيه ويذكر له حاجة الى لقائه وأنه يفاوضه فى امر مهم
عظيم تضيق عنه الكتب واكد فى تعجيل القدوم عليه وكان
للمامون جواسيس ببغداد فكتبوا اليه ان أخاك يريد تحويل الخلافة
عنك الى ولده موسى فاطلع المامون خواصه على ذلك فاشاروا عليه
بالثبات وانتظار الفرج والاعتذار الى اخيه عن التخلف فكتب
اليه يعتذر بتشعب اهل خراسان وبمن يتطاول اليها من ملوك
الكفار فلم يقبل عذره وكتب اليه ثانيا يامره بالقدوم عليه
ويخوفه مضرة التهاون فشاور اصحابه فثبتوا على رأيهم وعن
مفارقة خراسان فكتب الى الامين عيونه بخراسان ان المامون
قد فطن لما يراد به وانه ممتنع حاذروا وان وزراءه قد اجمعوا على
نهيه عن مفارقة خراسان فيئس الامين عند ذلك وأمر بالقبض
على من فى بغداد من حشم المامون ووكلائه وأمواله وارسل اخذ
صحيفة البيعة من مكة المشرفة ومزقها ودعى الناس الى خلع
المامون من عهد الخلافة والبيعة لابنه موسى وكان اذ ذاك

طفلا فاجابه الناس الى ذلك وبايعوه وسمى موسى الناطق بالحق قالوا ولم يكن موسى يومئذ ينطق بالحق ولا بالباطل واستكفل له على بن عيسى بن هامان وكان هذا ولى خراسان قبل هذا فاصطنع فى اهلها جلائل الصنائع وقلد المنن فى اعناق الرجال وكان شانه بخراسان عظيما ثم استشاره الامين فى امر خراسان فضمن له ما يريده منها واخبره انه لو بلغ خراسان لم يتخلف عليه منها اثنان فجهزه اليها فاحسن جهازه وولاه كل بلد يقدم عليها واعطاه اموالا جزيلة وجهز معه جمهور جنوده واصحبه بالسلاح والكراع ما شاء وارسل معه جيشا عدته اربعون الفا فبلغ المأمون ذلك فاضطرب امره وعلم بعجزه عن مقاومة على بن عيسى فركب يوما الى متنزهه ليجتمع بخواصه ويشاورهم فى امره فعرض له شيخ مجوسى من الفرس فناداه مستغيثا به ممن ظلمه فلما نظر اليه المأمون والى كبر سنه رق له وامر بحمله على دابة الى الموضع الذى يقصده المأمون فلما استقر به الجلوس امر بادخال الشيخ عليه فلما دخل عليه امره بالجلوس فى ناحية المجلس ثم اقبل على خواصه وعرفهم بما وصل اليه وامرهم بادارة الرأى فاشار كل واحد منهم برأى فقال بعضهم نعتذر الى الامين وننقاد لما يريده وننظر نصر الله تعالى فيما بين ذلك وقال بعضهم نقصد بعض ممالك الكفار فنفتح تلك المملكة ونتحصن بها وقال بعضهم نستجير بملك الترك على هذا القادر القاطع وما زالت الملوك تفعل هكذا فركن المامون الى ذلك ثم فكر وقال كيف اجعل للترك على حرب المسلمين سبيلا ثم قال قوموا عنى فقاموا فدعى الشيخ الفارسى وقال له ما حاجتك فقال له بالعربية جئت لحاجة فعرض لى ما هو آكد منها فقال المأمون وما هى فقال انى دخلت على امير المؤمنين وانا غير متصف له بالمحبة ثم القيت له محبة فى قلبى وقد تظافرت على ايها الامير ثلاث قوى من الرق رق الحب ورق الاصطناع ورق الاتباع فان رأيت ان اقول ما عندى فذلك مفوض الى تعيينك فاطرق المامون فقال له الشيخ ايها الامير

لا يصدنك عن حقارة قدري فان برهمي من ولد البرهميين سيد ملوك الفرس والمتوسط بينها وبين اول الاوائل فائدة قال الجيلي في كتابه الانسان الكامل واما البراهمة فانهم يعبدون الله مطلقا لا من حيث نبي ولا من حيث رسول بل يقولون ما في الوجود شيء الا وهو مخلوق لله فهم مقرون بوحدانية الله تعالى في الوجود ولكنهم ينكرون الانبياء والرسل مطلقا فعبادتهم للحق من نوع عبادة الرسل قبل الانبياء وهم يزعمون انهم اولاد ابراهيم عليه السلام ويقولون ان عندهم كتابا كتبه ابراهيم عليه السلام من نفسه من غير ان يقولوا انه من عند ربه فيه ذكر الحقائق وهي خمسة اجزاء يبيحون قراءتها لكل احد الا الجزء الخامس لا يبيحونه الا للآحاد منهم وقد اشتهر بينهم ان من قرأ الجزء الخامس من كتابهم لا بد ان يؤول امره الى الاسلام فيدخل في دين محمد صلى الله عليه وسلم وهذه الطائفة اكثر ما يوجدون ببلاد الهند وثم ناس منهم يغرون بزيهم انهم براهمة وليسوا منهم وهم مقرون بعبادة الاوثان فمنهم من عبد الوثن ولا يعدون من هذه الطائفة عندهم فقال المأمون ايها الشيخ ان انتقلت من ملتك الى ملتنا الحقناك شعارا فقال الشيخ ان الباعث من نفسي الى ذلك شديد ولا افعله الآن ولعلي افعله فيما بعد فقال له المأمون قد سمعت كلام الوزراء فان كان عندك رأي فتكلم فقال كل منهم مجتهد في الاصابة ولست ارضى شيئا مما ذهبوا اليه واني اجد في الحكم التي اخذتها آبائي عن آبائهم انه ينبغي للعاقل اذا دهمه ما لا قبل له به ان يسلم نفسه بالتسليم لاحكام واهب العقل وقاسم الحظوظ ولا يضيع ذلك ذلك نصيبه من الدفاع بحسب طاقته فان لم يحصل على الظفر حصل على القدر فقال له المأمون انه كان يقال لا رأي لكذوب وقد سمحت انفسنا لك بالثقة والطمأنينة من غير امتحان وما ذاك الا لأننا نحتنا واصابتنا الحزم ولكننا احببنا ان نذيقك ثمرة حبنا بالمكاشفة الدالة على القبول وها نحن نخبرك ان هذا المتوجه الينا وهو علي بن

عيسى لا يمكننا مقاومته لانه أملك منا للبلاد والاموال والرجال
فقال الشيخ ينبغي ان تمحو هذا من نفسك بالكلية وان تصغي لما
انطق به فانه يقال ما كثر من كثرة البغي ولا قوي من قواه المظلم ولا
ملك من ملكه الغضب وها انا احدثك حديثا ان حذوت مثاله نلت
مناله فقال المأمون هات فقال ان الخنشوار ملك الهياطلة
لما أسر فيروز بن يزدجرد ملك الفرس واراد اطلاقه اخذ عليه عهدا
انه لا يغزوه ولا يقصده بمكروه ثم جعل في اقصى تخوم الهياطلة
صخرة وحلف فيروز أنه لا يجاوزها بجيش ولا بغيره كانه جعلها
حدا ثم اطلقه فرجع فيروز الى دار ملكه فلما استقر عزم على الغدر
وان يغزو الخنشوار واطلع وزراءه وخاصته على ذلك فحذروه الغدر
وخوفوه عاقبة البغي فما ردعه ذلك ولا زجره فذكروه ايمانه
وعهوده التي حلف بها للخنشوار وان لا يتعدى تلك الصخرة
فقال لهم انا عاهدته ان لا أتجاوزها وانا آمر بحملها على فيل بين
يدي الجيوش فلا يتجاوزها احد منهم فلما علموا ان الغدر والبغي
تمكنا منه امسكوا عنه واجمعوا ان لا يراجعوه في ذلك قال فجمع
فيروز مرازبته وهم أربعة تحت يد كل واحد منهم خمسون الف
مقاتلين وأمرهم بالتجهيز لحرب الهياطلة فساروا بين يدي فيروز
وهم في جنود لا يظن لها غالب وكان الخنشوار يضعف عن مقاومة
فيروز وعن مرزبان من مرازبته فلما توجه له حافظ دينهم قال له
لا تغفل ايها الملك فان رب العالمين يمهل الملوك على الجور ما لم
يأخذوا في هدم اركان الدين فلا تتعرض لهم بشيء فلم يلتفت فيروز
الى مقالته ثم قال الشيخ فسار فيروز بجنوده حتى انتهى الى تلك
الصخرة وحملها على فيل عظيم وسيرها بين يدي الجيوش فما بعد
يسيرا حتى اتاه الخبر ان بعض اساورته قتل رجلا ظلما وجاء اخو
المقتول مستغيثا من قاتل أخيه فامر له فيروز بمال عظيم ليصالح
عن القتيل فقال لا ارضى الا بقتل قاتل اخي فامر فيروز بطرده فطردوه
فجاء الى ذلك الاسوار فحمل عليه ليقتله فحرك الاسوار فرسه هاربا

وانتهى

وانتهى خبره الى فيروز فعجب كيف فر منه فجاءه افضل وزرائه ونزل عند دابته واخبره انه محتاج الى الخلوة فضربت له قبة فى ذلك المكان وخلا بوزيره فقال الوزير ايها الملك السعيد ملكت الاقاليم السبعة وعمرت عمر الملوك الماضية لقد ظهرت عناية الرب الاعلى لما ضرب لك من المثل فى امر هذا الاسوار العظيم الذى تحته الوف من الجند فى هربه من بين يدى هذا المسكين مع ضعفه وقلة ناصره وما ذاك الا لبغيه وتعديه فقال الملك انه لم يفر لعجزه عنه بل لخوفه منا وعقوبتنا فقال الوزير برهان قولى يظهر فى مبارزة الاسوار للمسكين فادع الى ذلك فدعا الاسوار وامر المسكين وقال له ارأيت لو امرتك بمبارزة الاسوار فقتلته اترضى به فى دم اخيك وان قتلك ذهب دمك هدرا قال نعم قال لهم ادعونى واياه فانه على فرس الغرور لابس درع السكر مقاتل بسيف البغى وانا على فرس البصيرة لابس درع الثقة مقاتل بسيف الحق فقال الوزير ان كلام هذا المسكين ابلغ فى الموعظة والظفر ثم تقدم كل منهما الى صاحبه وليس مع المسكين سوى خنجر فسبق سيف الاسوار الى المسكين فاثر فيه اثرا يسيرا وقبض على فرس الاسوار ثم جذبه اليه ورماه ومال عليه فذبحه بالخنجر فقال الوزير ايها الملك هذا مثل ضربه لك رب العالم فبات فيروز مكانه يدبر برايه فى رجوعه او ذهابه ثم انه انقاد لهواه وكان يقال الهوى كالنار اذا استحكم ايقادها عسر اخمادها فائدة تعريف الهوى هو ميل النفس الى الشهوة حلالا او حراما وقال بعض العلماء الهوى انواع وهو شئ يحدثه النظر او السمع فيخطر بالبال ثم ينمو فيقوى فيصير محبة قال الشيخ ولما بلغ الخنشوار قصد فيروز له ثبت فى امره ووكله الى الرب الاعلى ثم ان فيروز انتهك حرمة الخنشوار ووطئ بلاده واغار على ارضه وساء شره على رعيته ولما وصل الى مقعد الخنشوار نزل اليه واستعان عليه بالرب الاعلى فانكسر فيروز منهزما فاستولى الخنشوار على جميع امواله ورجاله فغنم الاموال وقتل الرجال وجد فى طلب

فيروز حتى ظفر بر وأسر اهل بيته وحماة مملكته فلما سمع المامون كلام الشيخ سر بذلك وقال ان كمل سروري بما دعوتك اليه من الايمان والتوحيد صادفت مقالتك قبولا فقال أما انا الآن فنعم اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فارسل المامون طاهر بن الحسين الى علي بن عيسى فحال خروجه اخذ في كمه دراهم يفرقها على الضعفاء فسهى وارسل كمه فتبددت الدراهم فتطير من ذلك فقام شاعره وقال

هذا تبدد شمله لا غيره وذهابه فيها ذهاب الهم
شئ يكون الهم نصف حروفه لا خير في امساكه في الكم

فتفاءل بذلك وخرج لقتال علي بن عيسى ومعه أربعة آلاف فقاتلوهم فانهزم علي بن عيسى وقتل وذبح وتشتت عساكره وجاء طاهر برأس علي بن عيسى الى المامون كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله فقوى قلب المامون وكثرت اتباعه وجمع الجموع وسار الى بغداد لقتال أخيه الامين ولا زال المامون يحسن تدبيره ويضعف امر الامين الى ان حوصر الامين في بغداد وتفرقت جنوده وهربوا الى المامون قال محمد بن راشد اخبرني ابراهيم بن المهدي انه كان مع الامين لما حوصر قال طلبني الامين في ليلة مقمرة فقال ما ترى في حسن هذه الليلة وضوء هذا القمر فاشرب معي نبيذا فقلت نعم ثم سقاني وطلب جارية تغنيه اسمها ضعف فتطير منها وتشاءم فغنت بشعر النابغة الجعدي

كليب لعمري كان اكثر ناصرا وايسر ذنبا منك ضرج بالدم

فتطير من ذلك وقال لها غني غير هذا البيت فغنت

ابكي فراقهم يوما فارقني ان التفرق للاحباب بكاء
مازال يعدو عليهم ريب دهرهم حتى تفانوا وريب الدهر عداء

فقال لها لعنك الله اما تعرفين غير هذا البيت فقالت

اما ورب السكون والحرك ان المنايا كثيرة الشرك
ما اختلف الليل والنهار ولا دارت نجوم السماء في الفلك
الا لنقل سلطان عن ملك قد زال سلطانه الى ملك

وسلطان ذى العرش دائما ابدا ليس بفان ولا بمشترك

فقال لها قومى لعنك الله فعثرت فى كاس بلور فكسرته فازداد تطيّره فقال يا ابراهيم ما اظن امرى الا وقد اقترب واذا بصوت سمعناه من الشارع يقول قضى الامر الذى فيه تستفتيان فقتل الامين وجزت رأسه وطيف بها فى بغداد ونودى عليها هذا رأس المخلوع الى ان سكنت الفتنة وتم على الامين ما تم وكان ذلك على امه زبيدة اشر مأتم وزبيدة بنت جعفر بن المنصور وكان جدها المنصور يرقصها وهى طفلة ويقول لها انت زبيدة فاشتهرت بها وكانت من الخيرات ولها ماثر الى الآن منها اجراء عين حنين الى مكة وهى واد قليل الامطار بين جبال سود عاليات خاليات من المياه والنبات فنقبت زبيدة الجبال الى ان سلك الماء من ارض الحل الى ارض الحرم وانفقت على عملها الف الف وسبعمائة الف مثقال من الذهب فلما تم عملها اجتمع المباشرون والعمال لديها واخرجوا دفاترهم لاخراج حساب ما صرفوه ليخرجوا من عهدة ما تسلموه وكانت فى قصر عال مشرف على الدجلة فأخذت الدفاتر منهم ورمتها فى الدجلة وقالت تركنا الحساب ليوم الحساب فمن فضل عنده شئ فهو له ومن بقى له شئ اعطيناه والبستهم الخلع رحمها الله تعالى واسكنها الفردوس فى اعلى عليين حديث عجيب قال الجوهرى وقولهم أشأم من طويس وهو مخنث بالمدينة يقول يا اهل المدينة توقعوا خروج الدجال ما دمت حيا بين ظهرانيكم فاذا مت فقد أمنتم لانى ولدت فى الليلة التى مات فيها النبى صلى الله عليه وسلم وفطمت فى اليوم الذى مات فيه ابو بكر رضى الله عنه وبلغت الحلم فى اليوم الذى قتل فيه عمر رضى الله عنه وتزوجت فى اليوم الذى قتل فيه عثمان وولد لى ولد فى اليوم الذى قتل فيه على رضى الله عنه وكان اسمه طاووسا فلما تخنث جعلوه طويسا وسمى بعبد النعيم وقال فى نفسه

انى عبد النعيم وانا طاووس الجحيم

وأنا أشأم من يمشي على ظهر الحطيم
انا خاء ثم لام ثم قاف حشو ميم

اى ثم حشو ميم وحشو الميم الياء فكانه قال أنا خلق وكان يقول انا أشأم الناس وحكى الامام مالك عن عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان يكن الخير في شئ ففى ثلاث المرأة والدار والفرس وفي سند ابى داود الطيالسي عن عائشة انه قيل لها ان ابا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشؤم في ثلاث المرأة والدار والفرس فقالت عائشة رضى الله عنها لم يحفظ ابو هريرة لانه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قاتل الله اليهود يقولون الشؤم في ثلاث الدار والمرأة والفرس فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله قال جماعة من العلماء شؤم الدار ضيقها وشؤم جيرانها واذاهم وشؤم المرأة عدم ولادتها وسلاطة لسانها وتعرضها للريب قال الامام على رضى الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الاخرة الحور العين وعذاب النار امرأة السوء وشؤم الفرس ان لا يغزو عليها وقيل حرانها وغلاء ثمنها وشؤم الخادم سوء خلقه وقلة تعهده لما فوض اليه وقيل المراد بالشؤم عدم الموافقة

فائدة الأيام النحسة في كل شهر سبعة أيام وهى اليوم الثالث من الشهر فيه قتل هابيل قابيل اليوم الخامس فيه اخرج الله آدم من الجنة وفيه ارسل الله العذاب على قوم يونس وفيه طرح يوسف في الجب اليوم الثالث عشر فيه سلب الله ملك ايوب وارسل الله عليه البلاء وفيه سلب ملك سليمان وفيه قتلت اليهود الانبياء اليوم السادس عشر فيه خسف الله بقوم لوط وفيه مسخ سبعمائة نصرانى وجعلوا خنازير ومسخت اليهود قردة وفيه شقت اليهود زكرياء بالمنشار اليوم الحادى والعشرون فيه ولد فرعون وفيه اغرق وفيه ارسل على قوم فرعون الآيات وهى الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم اليوم الرابع والعشرون فيه شق النمرود بطون سبعين امرأة وطرح الخليل عليه السلام في النار وفيه عقرت ناقة

صالح اليوم الخامس والعشرون فيه ارسلت الريح العقيم على قوم هود
ضابط للايام النحسية من كل شهر ما قاله الشاعر

محبك يرعى هواك فهل تعود لهال بضد الامل
فما كان نقطا بدا نحسه وما كان همـلا فسعد حصل

اقام الامين فى الخلافة اربع سنين وثمانية أشهر وكان قتله فى محرم
سنة ثمان وتسعين ومائة من الهجرة النبوية

خلافة عبد الله المأمون بن هارون الرشيد

أمه جارية سوداء اسمها مراجل من جوار المطبخ ماتت فى نفاسها
وحكايتها مشهورة مع زبيدة وكانت زبيدة قد استولت على
عقل الرشيد تتصرف فيه كيف ما تحب وتريد بويع له بالخلافة بعد
قتل اخيه وكان من رجال بنى العباس حزما وعلما وفراسة وفهما
سمع الحديث على جماعة وبرع فى فنون التاريخ والادب واعتنى بالعلوم
الفلسفية وعلوم الاوائل حكى انه افتتح مدينة من مدائن النصارى
فبلغه ان بكنيستها كتبا فطلبها من النصارى فتوقفوا فى اعطائها
وراجعوا رهبانهم وعلماء ملتهم فاشاروا عليهم بارسالها وقالوا لهم
ما دخلت كتب اليونان فى ملة الا وافسدتها فلما وصلت اليه عزبها
واشتغل بها فضل واضل ومحن الناس بالقول بخلق القرآن ولولا
ذلك لكان من اكمل الخلفاء وكان يضرب به المثل ذكر العلامة ابرهيم
الاندلسى ثم الدمشقى فى كتابه الكوكب الوهاج ان ابراهيم بن المهدى
وهو اخو هارون الرشيد لما آل الامر الى ابن اخيه المأمون لم يبايعه
وذهب الى الرى واقام وادعى الخلافة لنفسه واقام مالكها سنة
واحدة واحد عشر شهرا واثنى عشر يوما وابن اخيه المامون يتوقع
منه العود الى الطاعة والانتظام فى ملكه فلما آيس من عوده الى الطاعة
ركب بخيله ورجله ودخل الرى فى طلب عمه فما وسعه الا انه اختفى
خوفا على دمه فجعل المأمون لمن دل عليه مائة ألف دينار قال ابراهيم
فخفت على نفسي وتحيرت فى امرى فخرجت من دارى وقت الظهيرة وانا

لا ادري اين اتوجه فجئت الى بغداد فدخلت شارعا غير نافذ فرايت في
صدر الشارع عبدا اسود قائما على باب داره فتقدمت اليه وقلت له
هل عندك موضع اقيم فيه ساعة فقال نعم وفتح لي الباب فدخلت
الى بيت نظيف ثم انه بعد ان ادخلني اغلق الباب ومضى فتوهمت انه
سمع الجعالة في وانه خرج يدل علي فبقيت على مثل النار وانا متفكر
في امري فبينما انا كذلك اذ اقبل ومعه حمال عليه كلما يحتاج اليه ثم
التفت الي وقال جعلني الله فداك انا رجل حجام وانا اعلم انك متقرف
مني فشأنك بما لم تقع عليه يدي قال ابراهيم وكان لي حاجة الى الطعام
فطبخت لنفسي قدرا ما اذكر اني اكلت مثلها فلما قضيت امري من الطعام
قال لي ليس من قدري ان احادثك فان رأيت ان تشرف عبدك فلك
علو الراي قال ابراهيم فقلت وانا اظن انه لم يعرفني ومن اين لك اني
أحسن المسامرة فقال يا سبحان الله مولانا اشهر من ذلك انت
سيدي ابراهيم المهدي الذي جعل المامون لمن دل عليك مائة الف
دينار قال ابراهيم فلما قال لي ذلك عظم في عيني وثبتت مروءته
عندي فوافقته على بغيته مني ومر بخاطري فراق اهلي وولدي
فقلت

وعسى الذي اهدى ليوسف أهله ... وأعزه في السجن وهو اسير
ان يستجيب لنا فيجمع شملنا ... والله رب العالمين قدير

قال فلما سمع ذلك مني قال يا سيدي اتاذن لي ان اقول ما سنح بخاطري
فقلت له هات فقال

شكونا الى احبابنا طول ليلنا ... فقالوا لنا ما اقصر الليل عندنا
وذاك لان الليل يغشى عيونهم ... سريعا ولا يغشى لنا النوم اعينا
اذا ما دنا الليل المضر بذي الهوى ... جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا
فلو انهم كانوا يلاقون مثلما ... نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

قال ابراهيم فوالله لقد حسست بالبيت قد سار وذهب عني كلما
كان من الجزع ثم قال بعد ان سالته

تعيرنا انا قليل عدادنا ... فقلت لها ان الكرام قليل

وما ضرنا

وما ضرنا انا قليل وجارنا　　عزيز وجار الاكثرين ذليل
وانا اناس لا نرى الموت سبة　　اذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا　　وتكرهه آجالنا فتطول

قال ابراهيم ما معناه قد داخلني من الفكرة في نفاسة هذا الحجام وحسن أدبه وظرفه ثم اخرجت خريطة كانت صحبتي فيها دنانير لها قيمة فرميت بها اليه وقلت الله استودعك فاني ماض من عندك واسئلك أن تصرف ما في هذه الخريطة في بعض مهماتك ولك عندي المن المزيد ان امنت من خوفي قال ابراهيم فاعاد الخريطة علي وقال يا سيدي ان الصعاليك منا لا قدر لهم عندكم وآخذ على ما وهبنيه الزمان من قربك وحلولك عندي ثمنا والله لئن راجعتني في ذلك قتلت نفسي قال ابراهيم فاعدت الخريطة الى كمي وقد أثقلني حملها فلما انتهيت الى باب داره قال لي يا سيدي ان هذا المكان أخفى لك من غيره وليس في مؤنتك ثقل فاقم عندي الى ان يفرج الله عنك فرجعت وسالته ان ينفق من تلك الخريطة فلم يفعل فأقمت عنده أياما على تلك الحالة فتذممت من الاقامة وتزييت بزي النساء بالخف والنقاب فخرجت فلما صرت في الطريق داخلني من الخوف امر شديد وجئت لاعبر الجسر فاذا انا بموضع مرشوش بماء فبصر بي جندي ممن كان يخدمني وعرفني وقال هذه حاجة المأمون فتعلق بي فدفعته وفرسه فرميتهما في ذلك الزلق وصار عبرة وتبادرت اليه الناس فاجتهدت في المشي حتى قطعت الجسر فدخلت شارعا فوجدت باب دار وامرأة في دهليزه فقلت يا سيدة النساء احقني دمي فاني رجل خائف فقالت لا باس عليك واطلعتني الى غرفة وفرشت لي وقدمت لي طعاما وقالت ليهدأ روعك فبينما هي كذلك واذا بالباب قد دق دقا عنيفا فخرجت وفتحت الباب واذا ابصاحبي الذي دفعته على الجسر وهو مشدود الرأس ودمه يجري على ثيابه وليس معه فرس فقالت يا هذا ما دهاك فقال لظفرت بالغني وانفلت مني واخبرها بالحال فاخرجت خرقة وعصبت بها رأسه وفرشت له ونام عليلا وطلعت الي وقالت اظنك صاحب

القضية فقلت نعم فقالت لا بأس عليك ثم جددت لي الكرامة فاقمت
عندها ثلاثة ايام ثم قالت انى خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع
عليك فينم عليك فانج بنفسك فسألتها المهلة الى الليل ففعلت
فلما دخل الليل لبست زى النساء وخرجت من عندها فاتيت الى بيت مولاة
كانت لنا فلما رأتنى بكت وتوجعت وحمدت الله على سلامتى وخرجت
كانها تريد السوق للاهتمام بالضيافة فما شعرت الا بابراهيم الموصلى
فى خيله ورجله والمولاة معه حتى سلمتنى اليه وحملت بالزى الذى انا
فيه للمأمون فجلس مجلسا عاما وادخلنى عليه فلما دخلت عليه سلمت
عليه بالخلافة فقال لا سلمك الله ولا حياك فقلت على رسلك يا
امير المؤمنين ان ولى الثأر محكم فى القصاص والعفو اقرب للتقوى
وقد جعلك الله فوق كل ذى عفو كما جعل ذنبى فوق كل ذنب فان
تأخذ فبحقك وان تعف فبفضلك ثم قلت

ذنبى اليك عظيم وانت اعظم منه
فخذ بحقك أولى واصفح بحلمك عنه
ان لم اكن فى فعالى من الكرام فكنه

قال ابراهيم فرفع المأمون رأسه فبدرته وقلت

اتيت ذنبا عظيما وانت للعفو اهل
فان عفوت فمن وان جزيت فعدل

وفى المعنى أيضا قول الشريف على العقيلى شعر

يا طاعنى بعتاب كاد ينفذ فى لولم اكن لابسا درعا من الامل
اخلع علىّ جديدا من نداك فقد رقعت بالعذر ما خرقت بالزلل

وفى المعنى أيضا قال بعض المحدثين شعر

فان عاقبتنى فبسوء فعلى وما ظلمت عقوبة مستفيد
وان تغفر فاحسان جديد دعوت بر الى شكر جديد

قال فرق المأمون واستروحت رائحة الرحمة منه ثم اقبل على ابن عمه
واخيه ابى اسحاق وعلى جميع من حضر من خاصته وقال ما ترون
فى امره فكل اشار بقتلى الا انهم اختلفوا فى القتلة كيف هى فقال

المأمون

المأمون لاحمد بن خالد كما تقول يا أحمد فقال يا أمير المؤمنين ان قتلته وجدنا مثلك قتل مثله وان عفوت عنه فما وجدنا مثلك عفا عن مثله فنكس المأمون رأسه وأنشد متمثلا

قومي هموا قتلوا اميم أخي ... فاذا رميت يصيبني سهمي

شعر فى المعنى

ان الكريم اذا تمكن من اذى ... جاءته اخلاق الكرام فاقلعا
وترى اللئيم اذا تمكن من اذى ... يطغى فلا يبقى لصلح موضعا

قال ابراهيم فكشفت المقنعة عن راسي وكبرت تكبيرة عظيمة وقلت عفا والله أمير المؤمنين قال لا باس عليك يا عم فقلت ذنبي يا امير المؤمنين أعظم من ان اتفوه معه بعذر وعفوك اعظم من ان انطق معه بشكر ولكن اقول

ان الذى خلق المكارم حازها ... فى صلب آدم للامام السابع
ملئت قلوب الناس منك مهابة ... والكل تكلؤهم بقلب خاشع
ما ان عصيتك والغواة تمدنى ... اسبابها الا بنية طامع
وعفوت عمن لم يكن عن مثله ... عفو ولم يشفع اليك بشافع
ورحمت اطفالا كافراخ القطا ... وحنين والدة بقلب جازع

فقال المأمون لا تثريب عليك اليوم قد عفوت عنك ورددت عليك مالك وضياعك فقلت

رددت مالى ولم تبخل على به ... وقبل ردك مالى قد حقنت دمى
فلو بذلت دمى ابغى رضاك به ... والمال حتى اسل النعل من قدمى
ما كان ذاك سوى عارية رجعت ... اليك لولم تعرها كنت لم تلم
فان جحدتك ما اوليت من نعم ... انى الى اللؤم اولى منك بالكرم

فقال المأمون ان من الكلام دراً وهذا أحسنه وخلع عليه وقال يا عم ان ابا اسحاق والعباس قد اشارا بقتلك فقلت انهما نصحا لك يا امير المؤمنين ولكن أتيت بما انت أهله ودفعت ما خفت بما رجوت فقال المأمون حقدوا منه بحياة عذرك وقد عفوت عنك ولم أجرعك مرارة الشامتين ثم سجد المأمون طويلا ثم رفع رأسه وقال يا عم

اندري لماذا سجدت فقلت شكرا لله الذي ظفرك بعدو دولتك فقال
ما اردت ذلك ولكن شكرا لله الذي الهمني العفو عنك قال ابراهيم
فشرحت له صورة امري وما جرى لي مع الحجام والجندي والمرأة
والمولاة التي نمت علي فأمر المأمون باحضار المولاة وهي في دارها
تنتظر الجائزة فقال لها ما حملك على ما فعلت مع سيدك فقالت الرغبة
في المال فقال لها هل لك ولد او زوج فقالت لا فامر بضربها مائتي سوط
وخلد سجنها ثم قال احضروا الجندي وامرأته والحجام فاحضروا
فسأل الجندي عن السبب الذي حمله على ما فعل فقال الرغبة في المال
فقال المأمون يجب ان تكون حجاماً ووكل به من يلزمه الجلوس في دكان
حجام ليعلمه الحجامة واكرم زوجته وادخلها للقصر وقال هذه امرأة
عاقلة تصلح للمهمات ثم قال للحجام وقد ظهر من مروءتك ما يوجب
المبالغة في اكرامك وسلم اليه دار الجندي بما فيها وخلع عليه وامر
له برزق الجندي وزيادة الف دينار حدث محمد الرصافي قال كنت
احد من وقعت عليه التهمة ايام الواثق بمال بمصر فطلبني السلطان
طلبا شديدا حتى ضاقت علي الارض برحبها فخرجت من البلاد مرتادا
رجلا عزيزا يمنع الدار أعوذ به وانزل عليه حتى انتهيت الى بني شيبان
ابن ثعلبة فجئت الى بيت مشرف بظهر رابية والى جانبه فرس مربوط
ورمح مركوز يلمع سنانه فنزلت عن فرسي وتقدمت فسلمت على اهل الخباء
فرد علي نساء من وراء السجف يرمقنني من وراء الستور بعيون
كعيون اخشاف الظباء فقالت احداهن اطمئن يا حضري فقلت
كيف يطمئن المطلوب أو يأمن المرعوب وقلما ينجو من السلطان طالبه
والخوف غالبه دون ان يأوي الى جبل يعصمه أو معقل يمنعه فقالت
يا حضري لقد ترجم لسانك عن قلب صغير وذنب كبير قد نزلت
بفناء بيت لا يضام فيه أحد ولا يجوع فيه كبد ما دام لهذا الحي سيد
اولبد هذا بيت الاسود بن قنان أخو كليب واعمامه شيبان صعلوك
الحي في ماله وسيدهم في فعاله لا ينازع ولا يدافع له الجوار وموقد
النار وطلب الثار فقلت الآن ذهبت عني وحشتي وسكنت روعتي

فاكلمه

فانى لى به قالت يا جارية اخرجى فنادى مولاك فخرجت الجارية فما لبثت الا هنيهة حتى جاءت وهو معها فى جمع من بنى عمه فرايت فلاما حين اخضر شاربه واختط عارضه فقال اى المنعمين علينا فبدرت المراة فقالت يا ابا مرهف هذا رجل نبت به اوطانه وازعجه سلطانه واوحشه زمانه وقد احب جوارك ورغب فى ذمتك وقد ضمنا له ما يضمن لمثله مثلك فقال بلى الله فاك ثم اخذ بيدى وجلس وجلست ثم قال يا بنى ابى وذوى رحمى اشهدكم ان هذا الرجل فى ذمتى وجوارى فمن اراده فقد ارادنى ومن كاده فقد كادنى وما يلزمنى فى امره من الحال الا ويلزمكم مثله فسمع الرجل ما يسكن اليه قلبه وتطمئن اليه نفسه فما رأيت جوابا قط احسن من جوابهم اذ قالوا باجمعهم ما هى باول منة امننت بها علينا ولا يد بيضاء طوقتنا بها وما زال ابوك قبلك فى بنا الشرف لنا ودفع الذم عنا فهذه انفسنا واموالنا بين يديك ثم ضرب لى قبة الى جانب بيته فلم ازل عزيزا منيعا حتى منح لى من السلطان ما املت فانصرفت الى اهلى حكى عن المامون انه خرج يوما لمنتزهه فبينما هو يسير اذ رأى صبية على كتفها قربة وقد اثقلتها وهى تنادى يا ابت ادرك فاها فقد غلبنى فوها لا طاقة لى بفيها فتعجب المامون من فصاحتها على صغر سنها وقال لها هل تعرفين من العربية شيئا قالت اولست من العرب قال فمن ايها قالت من اليمن قال فمن ايها قالت من قضاعة قال فمن ايها قالت من كلب قال فانك من كلاب قالت لا ولكن قريبا يدعى كلبا قالت أما انا فقد سألتنى عن حسبى ونسبى فافصحت لك ولكن ممن تكون أنت قال ممن تبغضه اليمن كلها قالت فاذاً انت من مضر فمن أيها قال ممن تبغضه مضر كلها قالت فاذاً أنت من قريش فمن ايها قال ممن تبغضه قريش كلها قالت فاذاً انت من بنى هاشم فمن ايها قال ممن تحسده بنو هاشم كلها قالت فاذاً أنت المأمون ورب الكعبة وثبتت قائمة وانشدت تقول

مامون ياذا المنن الشريفه وصاحب المرتبة المنيفه

وقالت لذا العساكر الكثيفه | هل لك في ارجوزة لطيفه
اظرف من فقه ابي حنيفه | لا والذي انت له خليفه
ما ظلمت في حينا ضعيفه | عاملنا بمؤن خفيفه
اللص والتاجر في قطيفه | والذئب والنعجة في سقيفه

قال فتعجب المأمون من حسن بديهتها على صغر سنها فقال ايما احب اليك مائة الف مؤجلة ام عشرة الاف معجلة فقالت المائة الف المؤجلة لانك المليّ لها الوفي بها فاعطاها المائة الف فاخذتها وانصرفت ومما يحكى ان المأمون رأى رؤيا في منامه فنسيها فاصبح مستوحشا فاحضر الكرماني المعبر وقال رايت رؤيا فنسيتها فقال نعم يا امير المؤمنين رأيت كانك طلعت الى جبل عالي ونزلت الى صحراء واسعة وصرت الى بئر مالحة ثم صرت الى جبل فيه كهفان ثم صرت الى بئر عذبة ووقعت الى اجمة قصب فانتبهت وانت تقول لا اله الا الله قال له المأمون صدقت من اين عرفتها قال لما وقعت عيني عليك وضعت يدك على رأسك ثم امررتها على وجهك ولحيتك فقلت اشهد ان لا اله الا الله فقلت الرأس رأس جبل عالي والجبينين صحراء واسعة والعينين بئر مالحة والانف جبل بين كهفين والفم بئر عذبة واللحية اجمة قصب فانتبهت وانت تقول لا اله الا الله روى عن انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرؤيا لاول عابر وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقصها الا على حبيب او لبيب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فاذا حلم احدكم حلما يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها فانها لا تضره

وروى ان الرؤيا قد تمتد الى اثنين وعشرين سنة ويعضد ذلك ان سيدنا يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام راى الرؤيا وهو ابن سبعة عشر سنة واشتراه العزيز في تلك السنة ولبث في منزل العزيز ثلاث عشرة سنة ومكث في السجن سبع سنوات واجتمع بابيه وخالته بعد سنتين من تصرفه في خزاين مصر فتكون

الجملة اثنين وعشرين سنة ثلاثة عشر فى منزل العزيز وسبعة فى السجن
وسنتين الى ان اجتمع با بيه قال الله تعالى حكاية عن يوسف يا أبت
هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا ومما حكاه المقريزى فى
خططه قال قال ابو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس فى تاريخ مصر
ابن غلام ابى سعيد الخشاب أخبره انه رأى رؤيا فاعجبته فبينما هو جالس
فى حانوت أستاذه واذا بابن العسال المفسر ومعه رجل من اهل
الريف يطلب عامود خشب لطاحون فاشترى من ابن عقيل عمودا
بخمسة دنانير فجاء بجماعة من اهل السوق يقصون عليه مناماتهم
رأوها ففسرها لهم فذكرت له رؤيا رأيتها فقال لى فى اى
وقت رأيتها من الليل فقلت انتبهت بعد رؤياى وقت كذا فقال
هى هذه رؤيا لا افسرها الا بدنانير كثيرة فالححت عليه فقال
استاذى لابن العسال هذا غلام ضعيف فقير لا يملك شيأ فقال لى
لست آخذ الا عشرين دينارا فلم يزل حتى قال والله لا اخذ اقل من ثمن
العامود فقال ابن عقيل ان صحت الرؤيا دفعت اليك العامود *
فقال لى فى مثل هذا اليوم تأخذ الف دينار فقال ابن عقيل ان لم يصح
هذا قال يكون العامود عندك الى مثل هذا اليوم فقال ابن عقيل
قد انصفت فلما كان فى مثل ذلك اليوم فتحت دكان استاذى واستلقيت
على ظهرى افكر فيما قال ابن العسال ومن اين تصير الالف دينار *
فقلت لعل سقف الدكان ينفرج يسقط منه هذا المال وجعلت
اجول بفكرى الى الضحى اذ وقف على جماعة من اعوان الاستاذ ابى على
ابن زنبور وطلبونى الى ديوانه فقلت وما يصنع بى قالوا لى اذا جئته
سمعت كلامه وما يريد منك فقلت ما قدر ما اشى فقالوا اكترى
حمارا تركبه ولم يكن عندى ما اكترى به الحمار فنزعت دكة سراويلى
ودفعتها على درهمين لمن اكترى الى الحمار ومضيت معهم فجاؤا بى
الى ديوان ابى على بن ابى زنبور فلما دخلت قال انت ابن عقيل فقلت لا
ياسيدى انا غلام فى حانوته فقال اتحسن قيمة الخشب قلت بلى قال
فاذهب مع هؤلاء وقوم لنا الخشب بحيث لا يزيد ولا ينقص *

فمضيت معهم فجاؤا بى الى البحر الى خشب كثير من اثل وسنط جاف وغير ذلك مما يصلح للمراكب وقالوا لى انظر الى هذا الموضع فاذا هو اكثر من الاول فقومته بالفى دينار فاعجلونى ولم اضبط قيمة الخشب ثم ردونى الى ابى على فقال لى قومت الخشب كما امرتك فقلت نعم قال بكم قومته فقلت بالفى دينار فقال انظر لا تغلط فقلت هو قيمته فقال لى خذه بالفى دينار فقلت انا فقير لا املك دينارا فقال لى الست تحسن تدبيره فقلت بلى قال فخذه ونحن نصبر عليك الى ان تبيع شيأ فشيأ فكتبته علىّ ورجعت الى الخشب لا عرف عدته واوصى به الحراس فوافيت جماعة من اهل سوقنا وشيوخهم قد اتوا الى الخشب فقالوا قومت الخشب بالفى دينار وهو يساوى اضعاف ذلك فقالوا اسكت لا يسمعك احد فقال بعضهم لبعض اعطوا هذا ربحه وتسلموه انتم فقال قائل منهم اعطوا ربحه خمسمائة دينار فقلت لا والله ما آخذ اقل من الف دينار فاخذتها بنقد الصيرفى وميزانه وشددتها فى طرف ردآئى ومضيت معهم الى ديوان ابى على وحولت اسماءهم مكان اسمى ورجعت الى استاذى فقال قبضت الالف دينار فقلت نعم وتركت الدراهم بين يديه وقلت له خذ ثمن العامود فقال والله ما اخذ منك شيأ وجاء ابن المسال فاخذ العامود وانصرف * حكى شهريار بن رستم الديلمى قال كنت صديقا لابى شجاع بويه ابن الديلم وكان فقيرا وله ثلاثة اولاد وهم عماد الدولة ابو الحسن على وركن الدولة ابو على الحسن ومعز الدولة ابو الحسن احمد وكان بويه يصطاد السمك ويحتطب بنوه فماتت زوجته وخلفت اولاده الثلاثة الذين ذكرناهم فحزن عليها حزنا شديدا * فدخلت عليه يوما فعذلته على كثرة حزنه وقلت له انت رجل تحمل الحزن وهؤلآء المساكين اولادك يهلكهم الحزن وسليته جهدى واخذته هو واولاده الى منزلى ليأكلوا طعاما وشغلته عن حزنه فبينما نحن كذلك اذ اجتاز بنا رجل يزعم انه منجم ومعبر للمنامات فاحضره ابو شجاع وقال له رايت فى منامى كانى ابول فخرج من ذكرى نار اعظيمة

فاستطالت وعلت حتى كادت تبلغ السما ثم انفرجت تلك النار فصارت
شعبا وتولد من تلك الشعب عدة شعب فاضاءت الدنيا بتلك النيران
ورايت البلاد والعباد خاضعين لتلك النيران فقال المنجم هذا
منام عظيم لا افسره الا بخلعه وفرس فقال ابو شجاع والله ما املك
الا الثياب الذى على جسدى فان اخذتها بقيت عريانا فقال المنجم
فعشرة دنانير فقال والله ما املك دينارا واحدا فكيف عشرة *
فاعطاه ما تيسر فقال المنجم اعلم انه يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الارض
ويعلو ذكرهم كما علت تلك النار ثم يكون من سلالة كل واحد منهم
ملوك عدة بقدر ما رايت من ذلك الشعب فقال ابو شجاع للرجل
اما تستحيي تسخر بنا انا رجل فقير واولادى هؤلاء فقراء مساكين
يصيرون ملوكا فقال اخبرنى بوقت ميلادهم فجعل يحسب ثم
قبض على يد ابى الحسن فقبلها وقال هذا والله الذى يملك البلاد
وهذا من بعده وقبض على يد اخيه الحسن فاغتاظ منه ابو شجاع
وقال اصفعوا هذا فقد افرط فى السخرية بكم فقال اذكروا هذا اذا
قصدتكم وانتم ملوك فضحكا منه واعطاه ابو شجاع عشرة دراهم
وخرج وتركهم فخدموا عند ملك يقال له ماكان بن كان فى بلاد طبرستان
وما زالت الاحوال تنتقل بهم الى ان جعل لهم من الاموال شئ كثير الى
ان اشتهر امرهم وحسنت سيرتهم واجتمع عليهم من الجند خلق
كثير وقد آل بهم الحال حتى ملكوا غالب البلاد وتملكوا بغداد من الخلفاء
العباسية وانتشرت شهرتهم بدولة بنى بويه وصار المؤرخون
يكتبون ذلك فى تواريخ كما يذكرون دولة بلاد فارس من بعدهم من
أرباب الدول وهذا امر عجيب واتفاق غريب والله القادر على كل
شئ وذكر لى من اثق به انه سمع أن بعض ملوك الاسلام رآى فى
منامه ان احدى رجليه وصلت الى السماء فقص ذلك على معبر حاذق
فقال له تحت بطانة احدى خفى رجليك رقعة مرقوم فيها ابو بكر وعمر
ففتقه فوجد الرقعة فقبض على صانعه فاقر بالرفض ووجد كل خف
عمل على هذا النمط فقتل الرافضي أشر قتلة واحسن الى المعبر بحسنة

جزيلة وافرة ومما يحكى ان شخصا من بغداد كان صاحب نعمة وافرة
ومال كثير فنفد من يده وصار لا يملك شيئا ولا ينال قوته الا بجهد جهيد
فنام ذات ليلة وهو مغموم مقهور فرأى في منامه قائلا يقول له
رزقك بمصر فاتبعه وتوجه اليه فسار الى مصر فلما توجه لها ادركه
المسا فنام في مسجد وكان بجوار ذلك المسجد بيت فقدر الله تعالى
ان جماعة من اللصوص دخلوا ذلك المسجد وتوصلوا منه الى البيت
المذكور فقام أهله الصياح فاغاثهم الوالي باتباعه فهربت اللصوص
ودخل الوالي المسجد فوجد الرجل البغدادي فقبض عليه وضربه بالمقارع
ضربا مؤلما حتى اشرف على الهلاك وسجنه فمكث ثلاثة ايام في السجن
ثم احضره الوالي وقال له من اي البلاد انت قال من بغداد قال له
وما جاء بك الى مصر قال اني رأيت في منامي قائلا يقول لي ان رزقك
بمصر فتوجه اليه فلما جئت الى مصر وجدت الرزق تلك المقارع
التي نلتها فضحك الوالي حتى بدت نواجذه وقال له يا قليل العقل
ثلاث مرات رآيت يا تيني في منامي يقول لي بيت في بغداد بخط كذا
ووصفه كذا بحوشه تينة تحتها فسقية بها مال له جرم فتوجه
اليه فخذه فلم أتوجه وأنت من قلة عقلك تحضر من بلدة الى بلدة
برؤيا هي أضغاث أحلام واعطاه دراهم وقال له استعن بها على
عودك الى بلدك فاخذها وعاد الى بغداد مع ان البيت الذي وصفه
الوالي ببغداد هو بيت ذلك الرجل فلما وصل منزله حفر تحت الشجرة
فرأى مالا كثيرا فاخذه ووسع الله عليه رزقه وهذا اتفاق عجيب

(سئل بعض العلماء عن قوله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام
فقد رآني حقا وقال السائل هو في الليلة الواحدة بل في الساعة
الواحدة يراه جماعة في اماكن شتى من أطراف الارض فقال

هو كالشمس في كبد السماء وضوءها يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

وهو مأخوذ من قول ابن الرومي

كالشمس في كبد السماء محلها وشعاعها في سائر الآفاق

ومما من الله سبحانه وتعالى على مؤلف هذه العجالة انه رآى في منامه

النبي صلى الله عليه وسلم مرتين وسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام مرة واحدة وسأله الدعاء فدعى له بالاصلاح والتوفيق وسيدنا ابراهيم الخليل وولده سيدنا اسماعيل عليهما الصلاة والسلام وسيدنا يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام وسيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا على بن ابى طالب رضى الله عنهما ورأى حرم النبى صلى الله عليه وسلم وقبره الشريف وجبل عرفات ومحل الموقف ولما حججت في ثمانى عشرة والف فالذى رأيته مناما وهو الحرم والقبر الشريف وجبل عرفات ومحل الموقف رأيته يقظة ونسأل الله البر السلام الذى من علينا برؤية محمد صلى الله عليه وسلم فى المنام ان يمن علينا برؤيته فى اليقظة فانه قال عليه الصلاة والسلام من رانى فى المنام فسيرانى فى اليقظة فان الشيطان لا يتمثل بى لطيفة حكى ان رجلا رأى فى منامه انه كان مارا فى بعض الازقة فرأى حفرة فنزل بها فرأى فيها كنزا فنزع قميصه وملأه ذهبا فاراد حمله فما ثقله فاحدث فانتبه من نومه ظانا أن المال بين يديه ووجد ثيابه وفرشه متضمخين بالنجاسة من بول وغائط وقيل من نكد الوجود ان الانسان يرى فى منامه انه وجد مالا او اصاب جوهرا او ظفر بخير فاذا انتبه لم ير من ذلك شيأ وربما احدث فاذا انتبه وجد الحدث يقينا قال الشاعر

أرى فى منامى كل شئ يسرنى ورؤياى بعد النوم اوهى واقبح
فان كان خيرا كان اضغاث حالم وان كان شرا جاء من قبل اصبح

وقال ابو العلا المعرى

الى الله اشكو اننى كل ليلة اذا نمت لم اعدم خواطر اوهامى
فان كان شرا كان لا بد واقعا وان كان خيرا كان اضغاث احلام

وقال الاحنف العكبرى

وأحلم فى المنام بكل خير فاصبح لا اراه ولا يرانى
وان ابصرت شرا فى منامى رايت الشر من قبل الاذان

رجعنا الى ما نحن بصدده من اخبار المامون حكى انه كان كثير الخير

الخير والجهاد وقيل انه ختم في شهر رمضان ثلاثا وثلاثين ختمة وكان العلماء في ايامه يمتحنون بجبرهم على القول بخلق القرآن فدعوا عليه فاهلكه الله وقيل ان سبب موته انه اشتهى اكل سمكة يقال لها الرعادة اذ المسها احد اخذته النفاضة فاكلها فمات لوقته ومكث في الخلافة عشرين سنة وخمسة اشهر وكانت وفاته لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثماني عشرة ومائتين ودفن بطوس وكان سنه ثماني واربعين سنة

خلافة ابي اسحاق المعتصم

ابن هارون الرشيد وهو يدعى بالمثمن ولد سنة ثمانين وثمانين في ثامن شهر منها الثامن عشرة ليلة خلت من رمضان وهو ثامن اولاد الرشيد وثامن الخلفاء من بني العباس وفتح ثمان فتوحات ووقف ببابه ثمان ملوك وقتل ثمانية اعداء وكان عمره ثمانا واربعين سنة وخلافته ثمان سنين وثمانية اشهر وخلف ثمانية بنين وثماني بنات وثمانية آلاف دينار وثمانين الف فرس وثمانين الف خيمة وثمانية الاف عبد وثمانية آلاف جارية وبنى ثماني قصور ونقش على خاتمه الحمد لله ثمانية احرف وكان غلمانه الاتراك ثمانية عشر الفا ومما اتفق له انه كان قاعدا في مجلس انسه والكاس بيده فبلغه ان امرأة شريفة في الاسر عند علج من علوج الروم في عمورية وانه لطمها يوما على وجهها فصاحت وامعتصماه فقال لها العلج ما يجئ اليك الا على ابلق فختم الكاس وناوله لساقيه وقال والله لا شربته الا بعد فك الشريفة من الاسر وقتل العلج فلما اصبح الصباح نادى بالرحيل الى غزوة عمورية وامر لعسكره ان لا يخرج احد منهم الا على ابلق فخرج في سبعين الف فرس ابلق فلما فتح عمورية دخلها وهو يقول للشريفة لبيك لبيك وطلب العلج صاحب الاسيرة الشريفة وضرب عنقه وفك قيدها وقال للساقي ائتني بالكاس فاتاه به ففك ختمه وشربه ذكر الراغب في تذكرته في باب المكتسبين بالضراط ان رجلا جاء الى باب المعتصم وقال قولوا على

الباب بضراط فقيل له اذهب فعند نا حاتم الدبس وهو احذق الضراطين فقال عند نا مما ليس عنده فاستأذن له فلما دخل قال له المعتصم ما عندك فقال اضرط ضرطة تفتق السراويل فقال ان فعلت فلك مائة دينار وان عجزت فمائة سوط ففعل واخذ الدنانير روى عن رجل انه كان يصفق الباب بضرطته وكان سعيد بن حميد يضرط على ايقاع العيد ومما يحكى عن شخص من الموالى انه حضر في مجلس وكان به عواد فقام دخل بوسط المجلس ووضع يديه على الارض ورفع رجليه في الهواء فصار منكساً رأسه الى الارض ورجلاه الى فوق وصار يحرك رجليه على ايقاع العود وكلما حرك رجليه ضرط ضرطة واستمر على ذلك الى ان فرغ العواد وفى المثل اشهر من ضرطة وهب وما احسن قول ابن الرومى يعتذر له

قد اكثر الناس فى وهب وضرطه حتى لقد ملها قالوا وقد بردا
لا تقل ضرطة هاجيه كضرطته فى الذاكرين ولا يحسد كما حسدا
يا وهب لا تكترث للعايبين لها فانما انت غيث ربما رعدا

وقيل ان بعضهم وقعت فى رجله شوكة فارادت زوجته قلعها فلما حركتها بالابرة ضرط فقال لها ارأيتها قالت لا ولكن سمعت صوتها وحكى ان جحا تغطت امه ليلة بكساء ثم ضرطت ثم ارادت تختبره هل سمع حسها او لا فقالت له ما ثمن هذا الكساء قال مائة وما دام ضراطك فيه لا تساوى درهما وروى ان البديع الهمدانى دخل على الصاحب ابن عباد فتزحزح له واجلسه على السرير معه فجق البديع جبقة واراد ان ينفى عن نفسه التهمة فقال يا مولاى ان هذا صرير التخت فخرج من عنده خجلا وانقطع عنه فكتب اليه الصاحب

قل للبديعى لا يذهب على خجل من ضرطة اشبهت نايا على عود
فانها الريح لا تستطيع تحبسها اذ لست انت سليمان بن داود

وفى الالغاز فى الضرطة

ومولودة لم تعرف الطمث امها وليس لها روح ولا تتحرك
يتهقهر منها القوم من غير رؤية وصاحبها من عارها ليس يضحك

وقال الآخر

انفلتت منه ضرطة سمعت   فكاد منها يحيينى العرق
فالتزقت فى دون فاعلها   وما ظننت الضراط يلتزق

قيل وقف بين يدى الحجاج رجل من البادية فلما اخذ فى الكلام ضرط فضرب بيده على استه وقال اما تتكلمى فاسكت واما ان تسكتى فاكلم الامير بما اشتهى حدث واصل ابو بكر عن مجاهد قال وجد النبى صلى الله عليه وسلم ريحا قال ليقم صاحب الريح فليتوضأ فاستحى الرجل ان يقوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقم صاحب هذه الريح فليتوضأ ان الله لا يستحيى من الحق فقال العباس يارسول الله افلا نقوم كلنا قال قوموا كلكم فتوضئوا وقيل لبعض الاعراب وقد اسن كيف انت اليوم قال ذهب الاطيبان الناب والنصاب وبقى الارطبان السعال والضراط قيل ان بعض الفقراء اصابه قولنج شديد فى بعض المساجد ليلا فجعل يتأوه ويتقلقل ويقول يا الله ضرطة ورفع صوته بحضرة رفقائه فلما اصبح وقد اشرف على الهلاك وعاين الموت فقال اللهم انى اسئلك الجنة فقال له بعض رفقائه ما رأيت احمق منك انت من الغروب الى الآن تسأل الله فى ضرطة فما فرحت بها فتسأله الجنة التى عرضها السموات والارض رجعنا الى ما نحن بصدده قال نفطويه كان المعتصم من اشد الناس قوة وبطشا كان يجعل زند الرجل بين اصبعيه فيكسره ذكر ذلك الحافظ السيوطى وتلك قوة عظيمة ما وصل اليها أحد ومما اتفق ان ملك الروم وهو اذ ذاك من اكبر ملوك النصارى ارسل كتابا الى المعتصم يهدده فاستشاط غيظا وأمر بجوابه فكتب له الجواب فلم يرضه شئ مما كتب ومزق الكتاب الذى ورد اليه من ملك الروم وامران يكتب فى قطعة منه بسم الله الرحمن الرحيم الجواب ما تراه لا ما تقرأه وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار وتجهز من ساعته فنعه المنجمون وقالوا له ان الطالع نحس فقال هو نحس عليهم لا علينا وسافر من يومه وتلاحقت به العسكر ووقع حرب عظيم قتل من النصارى ستون الفا وقتل بعد ذلك ملك النصارى وكان ذلك فتحا عظيما من اعظم فتوحات الاسلام وقد مدحه الشعراء بقصائد

طنانة واحسن ما قيل قصيدة ابى التى اولها

السيف اصدق ابناء من الكتب | فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف | متونهن جلاء الشك والريب
والعلم فى شهب الارماح لامعة | بين الخميسين لا فى السبعة الشهب
اين الدراية بل اين النجوم وما | صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
ولو تبين امر قبل موقعه | لم يخف ما حل بالاوثان والصلب
فتح تفتح ابواب السماء له | واهتزت الارض فى اثوابها القشب
ومنها تدبير معتصم بالله منتقم | فى الله مرتغب بالله مرتقب
ومنها لم يرم قوما ولم ينهض الى بلد | الا تقدمه جيش من الرعب

ومنها

حتى تركت عمود الشرك منعفرا | ولم تعرج على الاوتاد والطنب
ان الاسود اسود الغاب همتها | يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب
خليفة الله جازى الله سعيك عن | جرثومة الدين والاسلام والحسب

ومنها

وبين ايامك اللاتى نصرت بها | وبين ايام بدر اقرب النسب

ومما يناسب ذلك ان بعض الملوك عزم على السفر لغزو عدو له فمنعه المنجمون وقالوا ان القمر فى العقرب والحركة مذمومة فدخل على الملك وهو جالس مع ندمائه بعض المماليك الحسان الوجوه وهو متوشح بقوس فوقف بين يدى الملك فنظر اليه بعض الندما وقال للملك يا مولانا القمر حل فى القوس حقيقة فتبسم الملك لوقته فلم ير احسن من تلك السفرة وظفره الله بعدوه وعاد وهو محظوظ

* (ومما يناسب ذلك ايضا ان سلطانا كان له عدو وبلغه عنه امور تقتضى محاربته فهيأ نفسه وجمع عساكره باسلحتهم وراياتهم وزينتهم فى داره وخرجوا قاصدين القتال وكان بدهليز دار السلطان ثريا معلقة فاصابها راية من الرايات فانكسرت فتطير السلطان من ذلك وقصد ابطال السفر فقال له شخص من اخصاء دولته يا مولانا راياتكم بلغت الثريا فاستحسن ذلك واندفع عنه الوهم وسافر

وظفره الله بعدوه وعاد فرحا مسرورا * رجعنا الى ما نحن بصدده وكان المعتصم من اعظم الخلفاء الذين الزموا الناس بالقول بخلق القرآن وهذه من اعظم خلاله الردية مع انه كان عاميا لاحظ له من الكمالات العلمية بل حمله على ذلك مجرد الجهل ولما احتضر قال اللهم انك تعلم انى اخافك من قبلى وارجوك من قبلك لا من قبلى فيا من لا يزول ملكه ارحم ملكا قد زال ملكه * وانشا يقول

تمتع من الدنيا فانك لا تبقى ... وخذ صفوها لما صفت ودع الرنقا

ولا تامنن الدهر انى امنته ... فلم يبق لى حالا ولم يرع لى حقا

فتكت صناديد الرجال ولم ادع ... عدوا ولم امهل على جسد حنقا

واخليت دار الملك عن كل نازل ... وفرقتهم غربا ومزقتهم شرقا

فلما بلغت النجم عزا ورفعة ... ودانت رقاب الخلق اجمع لى رقا

رمانى الردى سهما فاخمد جمرتى ... فها انا ذا فى حفرتى عاجلا ملقا

وافسدت دنيايا ودينى سفاهة ... فمن ذى الذى منى بمصرعه اشقا

فياليت شعرى بعد موتى ما ارى ... الى رحمة الرحمن او ناره ألقى

* وتوفى ليلة الخميس لاحد عشرة ليلة بقين من ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومايتين

خلافة ابى جعفر هارون

الواثق ابن المعتصم بويع له بالخلافة يوم مات والده وسنة ست وثلاثون سنة وكان عالما شاعرا حاذقا من شعره فى واقعة حال

حياك بالنرجس والورد ... معتدل القامة والقد

فالهبت عيناى نار الجوى ... وزاد فى اللوعة والوجد

امكنت بالوصال ملكا له ... فصار ملكى سبب البعد

مولى تشكى الظلم من عبده ... فانصفوا المولى من العبد

فاقام خليفة خمس سنين وتسعة اشهر ومات يوم الاربعا لست بقين من ذى الحجة سنة اثنين وثلاثين ومايتين ولما مات نزل وحل

واشتغل

واشتغل الناس بالبيعة للمتوكل فجاء جرزون فاستل عينيه فاكلها فسبحان العزيز المتعال الذى لايزول ملكه ولايعتريه زواله

خلافة جعفر المتوكل بن الواثق

بويع له يوم مات والده وسنة واحد واربعون سنة وكان كريما سُنيا سَنيا اظهر السنة واكرم علماء الحديث وامات البدع ومنع القول بخلق القرآن وشنع على المعتزلة والهن وامر نائبه بمصر ان يحلق لحية قاضى مصر محمد بن ابى الليث ويطوف به الاسواق لانه كان معتزليا يقول بالجهة وبخلق القرآن ففعل به ذلك وكتب الى سائر الافاق برفع المحنة واظهار السنة ولم يزل الواعى للمعتزلة فى قوة وغاالى ايام المتوكل فخمدوا ذكر البيضاوى فى تفسيره فى سورة الانعام فى قوله تعالى ان الذين فرقوا دينهم بددوه فامنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا فيه قال عليه الصلاة والسلام افترقت اليهود على احد وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وستفترق امتى على ثلاث وسبعين كلها فى الهاوية الا واحدة والمعتزلة جنس يطلق على فرق منهم الواصلية والهذلية والنظامية والبشرية والعمرية والمردادية والثمامية والهشامية والجاحظية والجبائية ومن مشاهيرهم الاعيان الجاحظ وابو الهذيل العلاف وابراهيم النظام وواصل بن عطا وكان يلثغ بحرف الراء فالتزم باسقاط حرف الراء من كلامه حتى ضرب به المثل فقال بعض الشعراء

اجعلت وصلى الراء لم تنطق به ... وقطعتنى حتى كانك واصل
لا تجعلنى منك همزة واصل ... بل خفنى حذف وما انا واصل

وقال ايضا

كانى فى الزمان اسم صحيح ... جرى فتحركت فيه العوامل
مزيد فى بنيه كواو عمرو ... وملحق الخط فيه كراء واصل

فقيل ان بعضهم كتب رقعة وقع فيها امر امير المؤمنين ان تحفر بئر

في الطريق يشرب منها الشارد والوارد دود فعها الواصل وهو بحضرة
أمير المؤمنين ليعجزه عند قراءتها فلما فتحها ورأى ما فيها أجاب
فورا وقال حكم خليفة الله أن ينبش قليب في الفلاة يستقي منه الغا
والبادي ولم يتلعثم وواصل بن عطا هذا توفي سنة احدى وعشرين
ومائتين وانشد بعض الشعراء يقول في الثلج

يبدو لي الرأي حين ينطق نحسنا ... فتسمى لون الشقائق احمر
قلت له يوما فصدق وزرني ... كي نرى الراح في زي مصبغ
قال تشغب من الغمام ورغبتي ... مسكغ غائق بحيق مكمع
يا له واغطا رقيق الحواشي ... وعظ الصب في الكياسة ابلغ

ومن مشاهير المعتزلة ايضا احمد بن حائط وبشر بن المعتمر ومعمر
ابن عباد السلمي وابو موسى بن عيسى المرداد المعروف براهب المعتزلة
وثمامة بن الاشرس وهشام بن عمر القرطي وابو الحسن بن عمرو
الخياط وابو علي الجبائي هؤلاء رؤس مذهب الاعتزال وهم اساطين
هذه البدع واليهم تنسب هذه الفرق ومن فضلاء المعتزلة
ابو الحسن البصري والعكبي والقاضي عبد الجبار الرماني النحوي
وابو علي الفارسي واقضى القضاة الماوردي وهذا غريب
فائدة لا بأس بذكرها الماوردي هو ابو الحسن وقيل ابو القاسم
علي بن محمد بن حبيب الماوردي مات ببغداد يوم الثلاثاء سلخ ربيع
الاول سنة خمسين واربعمائة ودفن في يوم الثلاثاء وهو ابن ست
وثمانين سنة قال بعضهم لما الف كتبه لم يظهرها في حياته فلما مرض
مرض موته قال لبعض اصحابه ان تالبني في ركن البيت
يعني بيته واخاف انها لم تقبل مني ولكنني اذا كنت في النزع فاجعل
يدك في يدي فان بسطت فعلا منه القبول وان قبضت فعلا منه
عدمه فاحرقها فلما كان في النزع قال فعلت فبسطت يده فعلم بذلك
قبوله فنشرها في الناس قاله ابن خلكان الدمشقي اقول والظاهر ان
المتفوه عليه بذلك اما بغضا او حسدا والله اعلم بحقيقة الحال
ومن المعتزلة الصاحب بن عباد والزمخشري صاحب الكشاف وذكر

ابن خلكان

ابن خلكان عن بعض الفضلاء ان الزمخشري اوصى ان يكتب على قبره
هذه الابيات

يامن يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى مناط عروقها من لحمها والمخ في تلك العظام النحل
امنن على بتوبة تمحو بها ما كان مني في الزمان الاول

وتوفي الزمخشري ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة والهيراني
من فضلاء المعتزلة وفي ايام المتوكل ماجت النجوم في السماء وجعلت
تتطاير شرقا وغربا كالجراد المنتشر من غروب الشمس الى طلوع الفجر
ولم يقع مثل ذلك الا في ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم وللمتوكل محاسن
منها انه وضع على قبر الامام احمد بن حنبل رخامة بيضا كاللوح
ونقش عليها هذا قبر شيخ اهل السنة وزين هذه الامة العالى
الهمة الذى لا تاخذه في الله لومة لائم ابى عبد الله احمد بن محمد
الشيباني قيل للامام احمد بن حنبل ما تتمنى قال سندا عاليا
وبيتا خاليا وقيل لبعض الكتبة ما تتمنى قال قلما مشاقا وحبرا
براقا وجلودا رقاقا وقيل لبعض الصوفية ما تتمنى قال ذقنا ودلقا
ولا اريد رزقا فائدة نقل القرطبي عن الامام ابي بكر الطوسي
رحمهما الله انه سئل عن قوم يجتمعون في مكان يقرؤن شيئا من
القرآن ثم ينشد لهم منشد شيئا من الشعر فيرقصون ويطربون
ويضربون بالدفوف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم لا فقال
مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب
الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واما الرقص والتواجد فاول
من احدثه اصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار فقاموا
يرقصون حوله ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل وانما
كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس مع اصحابه كانما على رؤسهم الطير
مع الوقار فينبغي للسلطان ونوابه ان يمنعوهم من الحضور في المساجد
وغيرها ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يحضر معهم ولا
يعينهم على ما طلبهم هذا مذهب مالك والشافعي وابي حنيفة وغيرهم

من أئمة المسلمين . ذكر الصلاح الصفدى فى كتابه تمام المتون لشرح رسالة
ابن زيدون انه اتفق ان نعم بن جهور على ابن زيدون فحبسه فاستعطفه
برسالة من جملتها قوله هب انى عكفت على العجل يشير بذلك الى قوله تعالى
واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا
يكلمهم ولا يهديهم سبيلا لما وعد الله تعالى موسى عليه السلام ليقا
وهو اربعون يوما كان قوم موسى امنوا ودخلوا مصر ولهم كتاب ولا
شريعة فوعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه انى
ذاهب الى ربى آتيكم بكتاب فيه بيان ما تاتون وما تذرون ووعدهم
اربعين ليلة ثلاثين من ذى القعدة وعشرا من الحجة واستخلف عليهم
اخاه هارون فلما جاء الوعد أتى جبريل على فرس يقال له فرس الحياة
لا تمر على شئ الا حيى فلما رآه السامرى وكان من بنى اسرائيل من قبيلة
يقال لها سامرة فراى موضع الفرس وكان منافقا من قوم يعبدون
البقر فقال ان لهذا شأنا فاخذ قبضة من تربة حافر فرس جبريل والقى
فى روع السامرى انه اذا القى فى شئ غيره وكان بنو اسرائيل قد
استعاروا حليا كثيرا من قوم فرعون فى عرس لهم ولما اهلك الله فرعون
وقومه بقيت تلك الحلى فى ايديهم قال السامرى لبنى اسرائيل ان الحلى
التى استعرتموها لا تحل لكم فاحفروا حفرة وادفنوها فيها حتى يرجع
موسى من ميقات ربه فيرى رأيه فلما اجتمعت الحلى صاغها السامرى
عجلا فى ثلاثة أيام ثم القى القبضة التى أخذها من اثر حافر فرس
جبريل فخرج عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر من احسن ما يكون
وخار خورة وكان يمشى ويخور فقال السامرى هذا الهكم واله موسى
الذى نسيه ها هنا وكان بنو اسرائيل قد اخلفوا الموعد وعدوها
باليوم مع الليلة حتى مضت عشرون يوما فلم يرجع موسى فوقعوا
فى الفتنة فعكفوا على عبادة العجل وكان الذى عكف منهم على العجل
ثمانية آلاف يعبدونه الا هارون مع اثنى عشر الف رجل فاوحى الله الى
موسى انا قد فتنا قومك فرجع اليهم غضبان أسفا فقال يا قوم انكم
ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم

خير

خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم ومن مناقب
الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه انه بلغه ان رجلا من وراء النهر عنده
أحاديث ثلاثة فرحل الامام أحمد اليه فوجده شيخا يطعم كلبا فسلم
عليه فرد عليه السلام ثم اشتغل باطعام الكلب فوجد الامام أحمد
في نفسه شيئا اذ اقبل الشيخ على الكلب ولم يقبل عليه فلما فرغ الشيخ
من طعمة الكلب التفت الى الامام وقال كانك وجدت في نفسك اذ
أقبلت على الكلب ولم اقبل عليك قال نعم قال حدثني ابو الزناد عن الاعرج
عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قطع رجاء من ارتجاه
قطع الله منه رجاه يوم القيامة فلم يلج الجنة ثم قال الشيخ أرضنا
هذه ليست بارض كلاب وقد قصدني هذا الكلب فخفت ان اقطع رجاه
فقال الامام أحمد هذا الحديث يكفيني ثم رجع ومن محاسن المتوكل
أنه ارسل الى عامله بمصر الامير يزيد بن عبد الله انه يبطل ما كان بمصر
من المقاييس المتقدمة ويبني مقياسا لزيادة النيل فبناه في أول
سنة سبع واربعين ومائتين برأس جزيرة الفسطاط وسماه المقياس
الجديد وهو الموجود الآن وكان بمصر مقاييس منها ما بني في
ايام سليمان بن عبد الملك الاموي وبنى الامير احمد بن طولون مقياسا
بجزيرة الفسطاط وبنى عمر بن عبد العزيز مقياسا بحلوان صغير الذرا
وبنى المامون مقياسا بسروان فهذه المقاييس التي بنيت في
صدر الاسلام واما المقاييس التي وضعت قبل الاسلام وهو
ما وضعه يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام فوضع مقياسا
بمنف وهو اول من اتخذ مقياسا للنيل بالاذرع واستمر مدة ثم
ان دلوكة العجوز وضعت مقياسا بانصنا ووضعت مقياسا باخميم
وان القبط وضعوا مقياسا بقصر الشمع عند دير البنات واثاره باقية
هناك الى ان بنى الامير يزيد المقياس المذكور فبطلت حكمة تلك
المقاييس التي كانت قبل وان الامير يزيد لما بنى المقياس الجديد المذكور
كسر فيه نحو من الفي مركب حتى ثبت اساسه في البحر ويشتمل هذا
المقياس على فسقية مربعة يدخل منها الماء من سارب وفي وسطها عمود

من رخام أبيض وفوقه جائزة من خشب ووضعوا في العمود خطوطا أصابع وهي عبارة عن قراريط مقسمة على أذرع يعلم منها ما يزيده النيل في كل يوم من اوان الزيادة وجعل مساحة الذراع الى ان يبلغ اثنى عشرة ذراعا فيكون الذراع ثمانية وعشرين اصبعا ومن اثنى عشرة ذراعا الى فوق يصير الذراع اربعة وعشرين أصبعا وكانت أرض مصر كلها تروى الري الكامل من ستة عشرة ذراعا الى سبعة عشرة ذراعا وما زاد على ذلك يحصل به الضرر قال بعض الحكماء لولا جعل الله في نيل مصر حكمة الزيادة في زمن الصيف على التدريج حتى يتكامل ري البلاد وهبوط الماء عند بدو الزراعة لفسد اقليم مصر وتعذر سكناه لانه ليس فيه امطار كافية ولا عيون جارية ولله در القائل

وافا لهذا النيل اى عجيبة	بكر بمثل حديثها لا يسمع
يلقى الثرى في العام وهو مقبل	حتى اذا ما قل عاد مودع
مستقبل مثل الهلال فدهره	ابدا يزيد كما يزيد و يرجع

وقال آخر في المعنى

كان النيل ذو عقل ولب	لما يبدو لعين الناس منه
فيأتي حين حاجتهم اليه	ويمضي حين يستغنون عنه

وروى ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما انه قال نيل مصر سيد الانهار سخر الله له كل بحر في المشرق والمغرب فاذا اراد الله تعالى ان يجري نيل مصر امر كل نهر ان يمده فتمده الانهار بمائها وتجري له الانهار والارض عيونا فاذا انتهت جريته الى ما اراد الله تعالى اوحى كل ماء ان يرجع الى عنصره وعن يزيد بن حبيب ان معاوية بن أبي سفيان سال كعب الاحبار هل تجد لهذا النيل في كتاب الله عز وجل خبرا قال اى والذي فلق الحب وفلق لموسى البحر لاجد في كتاب الله عز وجل ان الله تعالى يوحي اليه في كل عام مرتين يوحي اليه عند جريته ان الله تعالى يأمرك ان تجري فيجري ما كتب الله له ثم يوحي اليه بعد ذلك عد يا نيل حميدا قال ابن عبد الحكم كان في زمن الاقباط يتولى قياس النيل

جماعة من النصارى فلما بنى الامير يزيد هذا المقياس عزل النصارى
من قياس النيل واستمر لشخص من المسلمين يقال له عبد الله بن عبد
السلام ابن ابى الردادى وكان اصله من البصرة وكان يقيم بالجامع
العمرى فاختاره الامير يزيد على قياس النيل الى ان توفى فى سنة ست
وستين ومائتين وكان دينا خيرا من اهل الصلاح والدين وله حال
مع الله تعالى واستمر القياس لاولاده الى يومنا هذا اقول
وفى زماننا هذا على الارض واهمل امرها من عدم جرف الترع والمساقى
واصلاح الجسور فصارت الاراضى لا يحصل لها الرى الكامل الا
فيما زاد على عشرين ذراعا ومن لطائف المتوكل انه كان فى زمن الورد
لا يلبس الا الثياب الموردة وكان فى زمنه لا يرى الورد الا فى مجلسه
وكان يقول انا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين وكلانا
اولى بصاحبه وكان يقول مخاطبا للورد

عار عليك بان يشمك ساقط او ان تراك نواظر البخلاء

وبالجملة فمحاسن الورد كثيرة وانواره مستنيرة وقد ورد انهم
لما ألقوا سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فى النار لم
تاكل النار سوى وثاقه ولما استقر فيها اخذت الملائكة باصبعيه
وأجلسوه على الارض واذا هو بعين ماء عذب وروضة تهتز بورد
أحمر ونرجس فائدة فى اشارة الورد وهو منزع صوفى
الورد يقول انا الضيف الوارد بين الشتاء والصيف واللطيف
الذى يزور كما يزور الطيف فاغتنموا وقتى فان الوقت ضيف
اعطيت نفس العاشق وكسيت لون المعشوق فاروح الناشق
واهيج المعشوق فانا الزائر وانا المزور فمن طمع فى بقائى فان
ذلك زور ثم من علامات الدهر المكدور وناء عيشى المرور انى
حيث ما نبت رأيت الاشواك تزاحمنى وتجاورنى فانا بين الادغال
مطروح وبنبال شوكى مجروح وهذا دمى يخبر عن رويا عدمى
فهذا حالى وانا الطف الاوراد فمن صبر على نكد الدنيا نال المراد فبينما
انا ارفل فى ظل النضاره فاستلبتنى من بين الازاهير اذ قطعتنى

ايدى النظاره فاستلبتنى من بين الازاهير الى ضيق القوارير فيذاب جسدى ويحترق زبدى ويمزق جلدى ويقطر دمعى فجسدى فى حرق ودمعى فى غرق وقد جعلت مارشح من عرق تعاهدا بما لاقيت من قلق فينادبنى بهذا الاحتراق اهل الاحتراق ويتروح بنفسى ذو الاشواق اهل المعرفة يتوقعون لقائى واهل المحبة يتمنون بقائى شعر

فان غبت عنكم كنت بالروح حاضرا فسيان قربى ان تاملت والبعد
فلله من اضحى من الناس قائلا فانك ماء الورد اذ ذهب الورد

حكى القاضى شهاب الدين بن فضل الله عن على بن محمد الانصارى انه رآى فى نهاوند وردا اصغر فى الوردة الف ورقة فعدها فاذا هى كذلك وذكر القاضى شهاب الدين ايضا انه رآى وردة نصفها احمر قانى الحمرة ونصفها ابيض ناصع البياض والورقة كانها مقسومة بقلم وكان ابراهيم الخواص رحمه الله يعتكف للعبادة فى ايام الورد ويقول فى زمن الورد يغلب على ظنى كثرة من يعصى الله تعالى فانا استغفر الله لهم واسأله المسامحة وقيل ان اعطر الزهور ورد جور وبنفسج الكوفة ونرجس جرجان ومنثور بغداد قال الصولى كان فى قصر المتوكل اربعة آلاف سرية مائتين روميات ومولدات وحبش قال الجاحظ اهدى عبد الله بن طاهر الى المتوكل اربعمائة جارية ما بين بيض وحبش وكان من جملة ذلك جارية من مولدات البصرة يقال لها محبوبة وكانت فائقة فى الحسن والجمال وكانت تضرب بالعود وتحسن الغنا وتنظم الشعر وتكتب خطا جيدا فافتتن بها المتوكل وكان لا يصبر عنها ساعة واحدة فلما رأت ميله اليها شمرت عليه وابطرتها النعمة فغضب عليها وهجرها ومنع اهل القصر من كلامها فمكثت على ذلك اياما وكان للمتوكل لها ميل فاصبح ذات يوم وقال لجلسائه قد رأيت هذه الليلة فى منامى كأن صالحت محبوبة فقالوا نرجو من الله ان يكون ذلك يقظة فبينما هو فى الحديث واذا بخادم قد اقبلت واسرت الى المتوكل حديثا فقام من

المجلس ودخل دار الحريم وكان الذى اسرته اليه بان قالت سمعنا من
حجرة محبوبة غنا وهى تضرب بالعود وما ندرى ما سبب ذلك
فسمعها تغنى على العود هذه الابيات

ادور فى القصر لا ارى أحدا ... اشكو اليه ولا يكلمنى
حتى كأنى ركبت معصية ... ليس لها توبة تخلصنى
فهل لنا شافع الى ملك ... قد زارنى فى الكرى وصالحنى
حتى اذا ما الصباح لاح لنا ... عاد الى هجره وقاطعنى

فلما سمع المتوكل هذه الابيات تعجب من هذا الاتفاق الغريب
حيث رأت محبوبة مناما كما رآى فلما دخل الى حجرتها واحست به بادرت
بالقيام اليه واكبت على اقدامه تقبلها وقالت يا سيدى لقد رأيت
هذه الواقعة البارحة فى المنام فلما انتبهت من النوم نظمت هذه
الابيات فقال لها المتوكل والله رأيت مثل ذلك مناما فعند ذلك
اصطلحا واقام عندها سبعة ايام بلياليها وكتبت محبوبة على خدها
بالمسك اسم المتوكل وهو جعفر فلما رآها المتوكل انشا يقول

وكاتبة بالمسك فى الخد جعفرا ... لنفسى خط المسك من حيث اثرا
لئن كتبت فى الخد سطرا بكفها ... لقد اودعت قلبى من الخط اسطرا
فيا من هواها فى البرية جعفر ... سقى الله من سقيا ثناياك جعفرا

ولما مات المتوكل سلاه جميع من كان له من الجوارى الا محبوبة فانها
لم تزل حزينة عليه حتى ماتت ودفنت الى جانب قبره قال بعض
الحكماء يجب ان يكون فى المراة اربعة سود شعر الراس والحاجبين
واشفار العينين والحدقة واربعة بيض اللون وبياض العين
والاسنان والساق واربعة حمر اللسان والشفتان والوجنتان
واللثة واربعة مدورة الرأس والعنق والساعد والعرقوب
واربعة طوال الظهر والاصابع والذراعان والساقان واربعة
واسعة الجبهة والعينين والصدر والوركان واربعة دقيقة
الحاجب والانف والشفتان والاصابع واربعة غليظة العجز
والفخذان والعضلتان والركبتان واربعة صغيرة الاذنان

والثديان واليدان والرجلان واربعة طيبة الريح والفم والانف والفرج واربعة عفيفة الطرف والبطن واليد واللسان فائدة اذا كانت المرأة حاملا واردت ان تعلم هل معها غلام ام جارية فتاخذ قملة من رأسها وتضعها فى كفها وتحلب عليها من ثديها فان اسرعت الخروج من تحت اللبن فهى جارية وان ابطأت فهى حامل بغلام فائدة اذا اردت تعلم المرأة عاقرا أم الرجل عقيما تمسك بول الرجل وبول المرأة كل واحد على حدته ثم تعمد الى اصلين من اصول الخس وهما فى المبقلة فصب كل واحد على أصل خس وتعلم الذى صب عليه بول الرجل والذى صب عليه بول المرأة ويكون ذلك عند غروب الشمس فاذا كان من الغد انظر الى الاصلين فايهما وجد أخذ فى الفساد دل على ان الذى صب تحته الماء عاقر فائدة مجربة من أخذ من ذنب الحمار ثلاث شعرات حين ينزو على الاتانة ويشد هن الرجل على ساقه ينتشر ذكره ويستوى على سوقه فائدة للحبل يسحق ورق الغبيرا ويعجن منه قدر درهم بعسل ويحمل صوفة وتحمل بها المرأة عقب الطهر ويجامعها الرجل تحبل باذن الله تعالى

فائدة اخرى اذا تبخرت المرأة بحافر الحمار اسرع خروج ولدها حيا سالما بسهولة وكذلك اذا كان ميتا حدث البحترى الشاعر قال كنت عند المتوكل مع الندماء فذكروا السيوف فقال بعض من حضر يا امير المؤمنين وقع عند رجل من البصرة سيف من الهند ليس له نظير فامر المتوكل بالكتابة الى عامل البصرة يشترى له السيف الموصوف فاشتراه بعشرة آلاف درهم فسر المتوكل بوجوده وقال لوزيره الفتح ابن خاقان اطلب لى غلاما تثق بنجدته وشجاعته وادفع هذا السيف اليه ليكون واقفا على رأسى كل يوم مادمت جالسا فلم يستتم كلام المتوكل حتى دخل باغر التركى فدفع اليه المتوكل السيف قال البحترى فوالله ما أخرج السيف المذكور من غمده الا لقتل المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان والى هذا المعنى أشار ابن زيدون فى رسالته بقوله وتكون منية المتمنى فى امنيته ومن شعر الحافظ ابو بكر احمد خطيب بغداد

لا تغبطن أخا الدنيا بزخرفها ولا للذة وقت عجلت فرحا

فالدهر

فالدهر أسرع شيء في تقلبه وفعله بين للخلق قد وضحا
كم شارب عسلا فيه منيته وكم تقلد سيفا من به ذبحا

وكان السبب في قتل المتوكل انه عهد الى ولده المنتصر محمد بالخلافة اولا ثم وقع بينه وبين ابنه شيء فرجع عن عهده له وبدا له ان يعهد الى اخيه الصغير محمد المعتز وكان يميل الى ابنه الصغير اكثر من ابنه الكبير فلما بلغ الجند ذلك تغيرت خواطرهم عليه قاطبة ثم ان جماعة من الجند اتفقوا مع المنتصر على قتل ابيه فلما وثقوا منه بذلك ندبوا الى قتله باغر المذكور وكان موصوفا بالشجاعة فلما جاء نصف الليل هجم عليه عشرة من الاتراك ومعهم باغر فوجدوه قد سكر ونام وعنده الوزير الفتح بن خاقان فتقدم اليه باغر وضربه بالسيف على عاتقه فمات من وقته فصاح عليهم الفتح بن خاقان ويحكم يا كلاب كيف تقتلون خليفة الله فقتلوا الفتح بن خاقان أيضا ثم لفوهما في بساط ودفنوهما في الليل ولم يشعر بهما أحد قال عمرو بن شيبان رأيت في الليلة التي قتل فيها المتوكل قائلا يقول هذه الابيات

يا نائم العين في اقطار جثمان افضي دموعك يا عمرو بن شيبان
اما ترى الفتية الارجاس ما فعلوا بالهاشمي وبالفتح بن خاقان
فابكوا على جعفر وارثوا خليفتكم فقد بكاه جميع الانس والجان

وقال يزيد

كانت منيته والعين هاجعة هلا أتته المنايا والقنا قصد
خليفة لم ينل ما ناله أحد ولم يضع مثله روح ولا جسد

وكان البحتري كثيرا ما يذكر المتوكل والفتح بن خاقان في شعره ويرتاح لذكرهما أبدا وقال من قصيدة

تداركني الاحسان منك ونالني على فاقة ذاك الندى والتطول
ودافعت عني حين لا فتح يرتجى لدفع الاذى عني ولا المتوكل

وكان المتوكل اول خليفة قتل بيد الاتراك فظهر بذلك الصدق في الحديث النبوي رواه ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم اتركوا الترك ما تركوكم فانه اول ما يسلب ملككم وما وسع الله بنو قنطورا واقام المتوكل في الخلافة اربعة عشر سنة وتسعة اشهر الى ان قتله باغر باشارة ولده محمد المنتصر في نصف شوال سنة سبع واربعين ومائتين ولا عجب في ذلك فان الولد قد يكون ضررا على ابيه كما قيل

اري ولد الفتى ضررا عليه　لقد سعد الذي اضحى عقيما
فاما ان يربيه عدوا　واما ان يخلفه يتيما
واما ان يوافيه حمام　فيبقى حزنه ابدا مقيما

شعر في المعنى

لي ولد قد انتشا　وحبه ملأ الحشا
كنا نظن رشده　فما نشا كما نشا

وانشد في المعنى

اضرب وليدك تاديبا على رشد　ولا تقل هو طفل غير محتلم
فرب شق براس جر منفعة　وقس على شق راس السهم والقلم

وفي المعنى ايضا

كان ابو يا بريد في　عدل او قاضي البلد
ما يكون الاما يريد　يعتبر من له ولد

من الفردوس عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان لان يربي احدكم جرو كلب او خنزير خير له ان يربي ولدا من صلبه ومن الفردوس ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان تشاركهم الشياطين في اولادهم قيل كائن ذلك يا رسول الله قال نعم قالوا كيف نعرف اولادنا من اولادهم قال بقلة الحياء وبقلة الترحم وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم اذا اتى اهله وقال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فرزقا ولدا لم يضره الشيطان وعن الحسن قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب لا تجامع أهلك في النصف الثاني من الشهر فانه يحضر الشياطين ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أربعة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة عاق ومنان ومدمن خمر ومكذب بالقدر وقال صلى الله عليه وسلم كل شئ بينه وبين الله حجاب الا شهادة ان لا اله الا الله ودعوة الوالدين وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده وقال صلى الله عليه وسلم ما اكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له عند كبر سنه من يكرمه

وقال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا ويفيض الدلاء فيضا ويغيض الكرام غيضا ويجترئ الصغير على الكبير واللئيم على الكريم وقيل لبعض الحكماء لاى شئ نحب اولادنا وهم لا يحبونا فقال لانهم منا ولسنا منهم قال الشاعر

من كان يعلم ان ما لك ماله   من بعد عينك لا يحب بقاكا

ذكر البيضاوي في تفسيره عند قوله تعالى كما ربياني صغيرا روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر ان الي منهما ما ولي مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما يفعلان ذلك وهما يحبان بقاك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ابي أخذ مالي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب فأتني بابيك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك اذا جاءك الشيخ فاسأله عن شئ قاله في نفسه ما سمعته اذناه فلما جاء الشيخ قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما بال ابنك يشكوك اتريد ان تأخذ ماله فقال له سله يا رسول الله هل انفقه الا على احدى عماته او

خلافة أو على نفسي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم دعنا من هذا أخبرني عن شئ قلته في نفسك ما سمعته أذناك فقال الشيخ والله يا رسول الله ما يزال الله يزيدنا بك يقينا لقد قلت في نفسي شيئا ما سمعته أذناي فقال قل فأنا اسمع فقال

غذوتك مولودا وعلتك يافعا ... تعل بما احنو عليك وتنهل
اذا ليلة ضاقت بك السقم لم أبت ... لسقمك الا ساهرا اتململ
كأني انا المطروق دونك بالذي ... طرقت به دوني فعيناي تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وانني ... لاعلم ان الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التي ... اليها مدى ما كنت فيه أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة ... كأنك انت المنعم المتفضل
فليتك اذ لم ترع حق أبوتي ... فعلت كما الجار المجاور يفعل

قال فحينئذ اخذ النبي صلى الله عليه وسلم بتلابيب ابنه وقال أنت ومالك لابيك فنسأل الله الممات بفضله ان يرزقنا ذرية صالحة موفقة بمنه فائدة لا باس بذكرها في هذا المحل وايرادها في هذا المعنى قول الشيخ المذكور في قصيدته وعلتك يافعا قال الدماميني رحمه الله في وصف الانسان ناظما بشعر

أصح صفات الآدمي وضبطها ... لتلفظ درا تقتنيه بديعا
جنين اذا ما كان في بطن امه ... ومن بعد يدعى بالصبي رضيعا
فان فطموه فالغلام لسبعة ... كذا يافعا للعشر قله مطيعا
الى خمس عشر فالحزور تسمه ... لتحسن فيما تجتنيه صنيعا
كذا الى خمس وعشرين حجة ... دعاه الفاضلون مطيعا
جميل لحد الاربعين وبعده ... بكهل الى الخمسين فادع سميعا
وشيخا الى حد الثمانين فادعه ... بها ثم هما للممات وجميعا

خلافة محمد المنتصر بن المتوكل

بويع له يوم قتل أبيه على كره وسنه اربع وعشرون سنة ولم يتهن بالخلافة لاستيلاء المماليك الاتراك على المملكة وكان على

حذر

حذر منهم ويقول هؤلاء قتلة الخلفاء وكانوا أيضا منه على حذر واردوا قتله فما امكنهم الاقدام عليه لشدة محاذرته منهم ذكر أن المنتصر جلس يوما للهو وامر بفرش بساط من ذخائر الخزينة تداولته الملوك فرأى فيه صورة راس عليها تاج وعليها كتابة بالفارسية فطلب من يستخرج تلك الكتابة فاحضر له رجل من الفرس فقرأها وعبس عند قراءتها فسأله المنتصر عنها فقال معنى هذه الكتابة انا الملك سيرويه بن ابرويز بن هرمز قد قتلت ابي في طلب الملك فلم امكث بعده الاستة أشهر فاصفر وجه المنتصر وتطير من ذلك وتذكر ما صنع بابيه وحم جسمه فطلب ابن طيفور المزين ليفصده فلما أحس بذلك طائفة الاتراك دفعوا الى ابن طيفور الف دينار وقالوا له اذا طلبك المنتصر لمداواته فافصده بمبضع مسموم وان المنتصر لما بات في توعكه انتبه فزعا مرعوبا وهو يبكي فسألته أمه ما يبكيك قال افسدت ديني ودنياي رأيت ابي الساعة وهو يقول قتلتني يا محمد لاجل الخلافة والله لا تتمتع بها الا اياما قلائل ثم مصيرك الى النار فلما اصبح طلب ابن طيفور ففصده بالمبضع المسموم فمات قال عمرو بن عثمان رأيت المتوكل بعد قتله بستة أشهر في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لي بتعصبي للسنة بان القرآن غير مخلوق فقلت وما تصنع ها هنا قال جئت انتظر ابني محمدا حتى أخاصمه بين يدي الله تعالى فلما اصبح اشيع بين الناس موت المنتصر واقام المنتصر في الخلافة ستة أشهر وتوفي في ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين حكى ان طيفور المذكور لما فصد المنتصر بالمبضع المسموم مكث قليلا بعد موت المنتصر ومرض فقال لتلميذه افصدني فلا يأتي له الا بالمبضع المسموم ففصده فمات لوقته فكان كما يقال

أفعاله ردت عليه بما جنى ... فالدهر قد جازاه من جنس العمل

خلافة ابي العباس أحمد المستعين بالله بن المعتصم

عم المنتصر اخو المتوكل بويع له يوم مات المنتصر وسنه احدى وثلاثون سنة قدمته الترك واختاروه وعدلوا عن اولاد المتوكل لانهم كانوا قتلوه فخافوا ان يلي الخلافة احد اولاده فياخذ بثار ابيه فاختاروا من اولاد المعتصم المستعين بالله وما كان له من الخلافة الا الا سم وكانت المماليك الاتراك مستولين على الملك وكان الامر جميعه لوصيف وباغر حتى قيل

خليفة فى قفص بين وصيف وبغا يقول ما قالا له كما تقول الببغا

وهى الدرة ومما افاده الدماميني فى كتاب عين الحياة ان الشيخ كمال الدين الادفوى ذكر فى ترجمة محمد بن محمد النصيبى القوصى الفاضل المحدث الاديب اخبر انه حضر مرة عند تقى الدين البقراوى الحاجب بقوص وكان له مجلس يجتمع فيه الرؤساء والفضلاء والادباء فحضر الشيخ على الحريرى وحكى انه راى درة تقرأ سورة يس فقال النصيبى وكان غراب يقرأ سورة السجدة فاذا جاء الى محل السجود سجد ويقول سجد لك سوادى واطمأن بك فؤادى وسمعت من شخص من كتبة بيت المال المعمور بمصر ان امرأة من اولاد امراء الدولة العثمانية توفت وليس لها وارث الا بيت المال فضبطت تركتها فكان من جملة مخلفاتها درة ذكروا انها تقرأ القرآن من اوله الى آخره فاتصل خبرها بمحمد باشا الوزير حال تصرفه بمصر فطلبها من وكيل بيت المال فاعطاها له فامتحنت فى القراءة فقرأ شخص بحضورها سورة من القرآن فانتقل من اية الى آية مغلطة لها فردته فتعجب من كان حاضرا وهذا من العجب وكان المستعين فاضلا متطلعا على التواريخ متجملا فى ملبسه وهو اول من اتخذ الاكمام العراض فجعل الكم ثلاثة اشبار ولما ابى المستعين الانقياد الى الاتراك خرج من بيت الخلافة وهو مختف وتوجه الى مدينة واسط فاقام بها وكاتبه الامراء والجند بان يرجع الى بغداد فامتنع من ذلك فارسلوا له من قبض عليه بواسط وسجنه ثم ان الجند احضروا المعتز

وبايعوه بالخلافة وصار العسكر فرقتين فرقة مع المستعين وفرقة مع المعتز فقويت شوكة المعتز وتم أمره في الخلافة فارسل سعد بن صالح الى واسط فقتل المستعين بعد ان أقام في السجن سبعة أشهر وكان قتله في ثالث شوال سنة احدى وخمسين ومائتين فكانت خلافته ثلاثة سنين وتسعة اشهر والله تعالى اعلم

خلافة المعتز محمد ابي عبد الله

بويع له يوم خلع أحمد المستعين وسنه ثلاث وعشرون سنة وكان بديع الحسن حسن الصورة وكان متضعفا وكان صالح ابن وصيف مستوليا على المعتز وهو خائف منه فاجتمع الجند على المعتز وطلبوا منه ارزاقهم ووعدوه انه اذا انفق عليهم ركبوا معه على صالح بن وصيف وقتلوه ويصفوله الملك فلم يكن في خزائنه ما يصرفه عليهم وطلب من امه شيئا من المال وكانت تركية واسمها قبيحة لفرط جمالها بين النساء فأبت وشحت بالمال على ولدها وهو خليفة فاتفق الاتراك على خلعه وركب عليه صالح بن وصيف ومحمد بن بغا واتباعهما واتوا الى دار الخلافة وهجموا على المعتز وجروه برجله واوقفوه في الشمس وعذبوه حتى خلع نفسه ومنعوه من شرب الماء الى ان مات عطشا وكانت مدة تصرفه ثلاث سنين وسبعة اشهر وان صالح بن وصيف صادر قبيحة المذكورة وعذبها حتى أخذ منها ألفي ألف دينار ونصف أردب لؤلؤ ومثله زمرد وسدس أردب ياقوت أحمر ثم اخرجت الى مكة واقامت بها الى ان ماتت واقل الناس لا ترحم عليها حين ظهر عندها هذا المال وشحت على ولدها والله أعلم

خلافة محمد عبد الله بن المهتدي

بويع له يوم خلع المعتز وسنه تسع وثلاثون سنة وكان كثير العبادة

ليس له من الامر شيء وقد كان أبطل الملاهي ومنع الظلمة من الظلم والمكوس قيل دخل عليه رجل وقال له لك عندي نصيحة يا أمير المؤمنين فقال له لمن هي ألنا أم لعامة المسلمين أم لنفسك قال لك يا أمير المؤمنين قال ليس الساعي باعظم عورة ولا اقبح حالا من قائد سياسة ولا تخلو من ان تكون حاسد نعمة فلا نشفي غيظك أولك عدو فلا نعاقب لك عدوك ثم اقبل على الناس فقال لا ينصح لنا ناصح الا بما فيه رضاء الله تعالى وللمسلمين فيه صلاح فان مالنا الا الابدان ولهم القلوب ومن استتر لم نكشفه ومن نادانا طلبنا توبته ومن أخطأ أقلنا عثرته اني أرى النصح ابلغ من العقوبة والسلامة مع العفو أسلم منها الى العاجلة والقلوب لا تبقى لوال لا يتعطف اذا استعطف ولا يعفو اذا قدر ولا يغفر اذا ظلم ولا يرحم اذا استرحم ولا يخفى ان حظوظ النفوس تنشأ في الغالب من الحسد وهو تمني زوال النعمة عن المحسود وهو من الكبائر كما قال في الروضة وهو داء لا دواء له وعداوة لا يرجى زوالها كما أشار اليه امامنا الشافعي رضي الله عنه في قوله من أبيات منها

كل العداوة قد ترجى ازالتها الا عداوة من عاداك من حسد

وحكي عن ابي العباس احمد القادر بالله بينما هو ذات ليلة في اسواق بغداد اذ سمع شخصاً يقول لآخر قد طالت علينا دولة هذا الميشوم وليس لاحد عنده رزق فامر خادماً معه ان يتوكل عليه ويحضره بين يديه فلما احضر بين يديه سأله عن صنعته فقال اني كنت من السعاة الذين يستعين بهم ارباب هذا الامر على معرفة أحوال الناس قد ولي امير المؤمنين اقصانا واظهر الاستغناء عنا فتعطلت معيشتنا وانكسر جاهنا عند الناس فقال أتعرف من في بغداد من السعاة قال نعم واحضر كاتباً فكتب اسماءهم وامر باحضارهم ثم أجرى لكل واحد منهم معلوماً ونفاهم الى الثغور القاصية ورتبهم هناك عيوناً على الأعداء الذين

ثم التفت لمن حوله وقال اعلموا ان هؤلاء ركب الله فيهم شرا وملأ صدورهم حقدا على العالم ولا بد لهم من افراغ ذلك الشر فالاولى ان يكون ذلك في اعداء الدين ولا ينغص بهم على المسلمين شعر في المعنى

قوم هموا اكدار الحياة وسقمها	عرض البلاء بهم على وطالا
يتاكلون ضغينة وخيانة	ويرون لحم الغافلين حلالا
وهموا فراش الشر يوم ملمة	يتهافتون تهافتا وخبالا
وهموا غرابيل الحديث اذا وعوا	شرا تقطر منهم اوسالا

ومما يحكى ان السلطان محمد بن قلاوون رحمه الله اخبره وزيره الامير علاء الدين مغلطاي ان تاج الدين كاتب الفتاح ذكر عنده اناس بكل قبيح والتزم فيهم جملة من الذهب انى اصودروا واخرجت وظايفهم فقال السلطان للوزير احضر تاج الدين المذكور فلما حضر بين يديه وسمع كلامه قال هل لك علم باحد في القاهرة يعرف شيئا من هذه الاحوال قال نعم جماعة وعدهم فقال للوزير خذ هذا واحتفظ به واحسن اليه واذا احضر لك هؤلاء الذين ذكرهم عرفني بهم فخرجا من عنده وذكر له جماعة وهو يحضرهم الى ان لم يبق منهم احد ودخل الى السلطان وعرفه بهم فقال اخرج الآن في هذه الساعة وجهز الجميع الى قبرس ولا تدع احدا منهم في القاهرة فان هؤلاء مناجيس يرافعون الناس فنفاهم اجمعين شعر في المعنى

اقول وطرف النرجس الغض شاخص	الينا وللنمام حولي المسام
ايا رب حتى في الحدائق اعين	علينا وحتى في الرياحين نمام

وكتب بعض شهود الاهواز الى الوزير ابي الفرج محمود بن فسانجس قدمات فلان وخلف خمسين الف دينارا عينا ولم يخلف غير طفلة فان رأيت استقراض المال الى ان تبلغ الطفلة فتفي عقارها واملاكها كفاية فوقع على ظهر كتابه الطفلة جبرها الله والمال ثمره الله والساعي لعنه الله لا حاجة للسلطان بالمال

وعن أبي بُردة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج افواههم نارا قيل من هم يارسول الله قال الم تر ان الله يقول ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وحكى انه لما ولى عبد العزيز بن عبد الملك دمشق ولم يكن فى بنى امية الب منه فى حداثة سنه قال اهل دمشق هذا غلام شاب ولا علم له بالامور وسيستمع فقام اليه رجل فقال أصلح الله الامير عندى نصيحة فقال له ليت شعرى ما هذه النصيحة التى ابتدأتنى بها من غير يد سبقت منى اليك قال جار لى عاص فقال له ما اتقيت الله ولا اكرمت أميرك ولا حفظت جارك ان شئت نظرنا فيما تقول فان كنت صادقا لم ينفعك ذلك عندنا وان كنت كاذبا عاقبناك قال أقلنى قال اذهب حيث جئت لا صحبك الله بخير انى اراك شر رجل وروى ان معاوية رضى الله عنه قال يوما للاحنف بن قيس فى امر بلغه عنه فانكر الاحنف فقال معاوية الثقة بلغنى فقال الثقة لا يبلغ وقد جاء فى السنة النبوية احاديث كثيرة فى ذم النميمة منها ما رواه حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وقد جاء عنه افص افضل الصلاة والسلام انه قال لعن الله المثلث قيل له وما المثلث يارسول الله قال الذى يسعى بصاحبه الى سلطانه فيهلك نفسه وصاحبه وسلطانه وعن الفضيل بن عياض رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اظهر لاخيه الود والصفا واضمر له الحقد والبغض اصمه الله واعمى بصر قلبه وقال صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بخياركم قالوا بلى قال الذين اذا ذكروا ذكر الله الا أنبئكم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة البا العيب وقال شر الناس عند الله منزلة من تركه الناس اتقاء فحشه وقال ان من شر الناس عند الله منزلة ذا الوجهين الذى يأتى لذا بوجه والى هذا بوجه

وقال

وقال ان من شر الناس منزلة عند الله عبدا اذهب آخرته بدنيا غيره
وروى عمار بن ياسر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من
نار رواه ابو داود وصححه ابن حبان واخرج الطبراني من حديث
انس بلفظ من كان ذا لسانين جعل الله له يوم القيامة لسانين
من نار وقال ابن زيدون في رسالته الهمازون المشاؤون بنميم
يعني ان هؤلاء ذكرهم الله في القرآن العظيم في قوله تعالى هماز
مشاء بنميم الهماز المغتاب الذي يأكل لحم الناس بالطعن والغيبة
وقال الحسن هو الذي يلوى شدقه في اقفية الناس والنم والنميمة
واحد وهو نقل الكلام السيء والمعنى انه فتان يسعى بين الناس
بالنميمة ليفسد فيما بينهم قال صلى الله عليه وسلم لا تغتابوا
المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم اوصت اعرابية ابنها وقد
اراد السفر فقالت اى بنى اياك والنميمة فانها تزرع الضغينة
وتفرق بين الاحبة واياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضا
وفي المثل النميمة ارثة العداوة وما احسن قول الشيخ شهاب
الدين محمود

يا ملزمي بذنوب ما أحطت بها علما ولا خطرت يوما على فكري
صدقت في اباطيل الذنوب وكم كذبت فيك بيقين السمع والبصر

وقال ابن الرعاد

انهاك ان الحادثين تحدثوا فينا بشر حديثهم لا خيره
فاحذر فديتك ان تكون جليسهم حتى يخوضوا في حديث غيره

ومن امثال العرب واياك وكل مستحدث فانه يأكل مع كل من اكل
ويجرى مع كل ريح وقال وهب بن الورد خالطت الناس
منذ خمسين سنة فما وجدت رجلا غفر لي زلة ولا اقال لي عثرة
ولا ستر لي عورة ولا أمنته اذا غضب ومن كلام النوبا بغضه
الناس اجناس واكثرهم انجاس رجعنا الى ما نحن بصدده
من امر عبد الله المهدي فاتفق الاتراك على خلعه وركبوا عليه

فخرج عليهم وقاتلهم بنفسه الى ان امسكوه باليد وعصروا على بطنه
الى ان مات وكانت خلافته سنة الا خمسة عشر يوما والله اعلم

خلافة المعتمد على الله احمد بن المتوكل

بويع له يوم مات ابن عمته المهدى فى شهر رجب سنة خمس وخمسين
ومائتين وكان له انهماك على اللهو واللذات فقدم أخاه طلحة
ولقبه الموفق بالله وجعله ولى عهده وولاه المشرق والحجاز
واليمن وفارس وطبرستان وسجستان والسند وكان للمعتمد
ولد صغير اسمه جعفر لقبه المفوض الى الله وولاه المغرب
والشام والجزيرة وعقد له لوائين ابيض واسود وعقد لهما
البيعة وشرط على اخيه الموفق اذا حدث به ريب المنون وولده
صغير كان الموفق ولى عهده وان كان حينئذ ولده كبيرا كان
ولده ولى عهده وكتب بذلك معاقدة كتب كل منهما خطه عليها
وكان الموفق عاقلا مدبرا مشتغلا بامور المملكة وكان اخوه
المعتمد مكبا على لهوه ولذاته مهملا لاحوال الرعية فكرهه
الناس وأحبوا أخاه طلحة وظهرت له نجابة كبيرة وكان
ظهر فى ايام المعتمد طائفة من الزنج وتغلبت على المسلمين وكان
لهم رأس اسمه مهبول يدعى علم المغيبات وفتك فى المسلمين
ذكر الصولى انه قتل الف الف وخمسمائة الف وكان يأسر النساء
ويبيعهن وكان ذلك من اعظم المصيبات فى الاسلام وتملك
هذا الكافر مدائن اخذها من المسلمين واستأصل أهلها وجعل
دار مملكته واسط فانتدب لقتاله الموفق بالله وجمع الجموع
وركض بخيله ورجله وجنوده الى ان التقت الفئتان فجعلت السود
من نعمان السيوف وانهزموا ما بين مقتول ومأسور الى ان قتل
كبيرهم مهبول ووجوه عساكره واستردت المدن التى أخذها
كواسط وغيرها واطمأنت المسلمون وكافة العباد ولقبوه
الناصر لدين الله وصار له حينئذ لقبان ودخل بغداد فى عظم

وطو

وعلو شان وراس مهول الكافر على راس رمح ورؤس كبار عسكره على رماح ودعا له المسلمون واستمر اخوه المعتمد على حاله منهمكا على لهوه ولذاته وله اسم الخلافة وجميع الامور يتلقاها الموفق بصدره وكان له ولد نجيب يدعى احمد ابا العباس جعله الموفق ولى عهده واستعان به فى حروبه واحواله وظهرت نجابته وتوثبه فخشى الموفق منه على نفسه وعلى ولد أخيه فحبسه ووكل من يثق به فى امره واستمر محبوسا الى ان وقعت الوحشة بين المعتمد والموفق وتباغضت قلوبهما وتشاحنت صدورهما فان الرياسة لا تقبل الاشتراك والغيرة على الملك اسرع شئ ثم ان الموفق مرض واشتد عليه الحال وتحقق غلمانه مآله فبادروا الى الحبس فكسروه واخرجوا منه ولده وآووه وجاءوا به الى والده فلما رآه ايقن بالموت وتحقق وقال له ياولدى لهذا اليوم خباتك واوصاه وفوض اليه واوصاه بعمه المعتمد وكان ذلك قبل موته بثلاثة ايام وكانت وفاته فى سنة ثمان وسبعين ومائتين وشمت فيه اخوه المعتمد وظن انه استراح من الموفق وما علم انه عما قليل به يلحق فكانت خلافة المعتمد ثلاثا وعشرين سنة وتوفى سنة تسع وسبعين ومائتين والله سبحانه وتعالى اعلم

خلافة احمد المعتضد بن طلحة الموفق

بويع له يوم مات عمه وسنه ست واربعون سنة وكان ملكا مهابا ظاهر الجبروت وافر العقل شجاعا يقدم على الاسد وحده وكان أسقط المكوس فى ايامه ورفع الظلم عن الرعية وجدد ملك بنى العباس بعدما وهى ووهن وكان يسمى السفاح الثانى وفيه يقول ابن الرومى

هنيئا بنى العباس ان امامكم	امام الهدى والجود والناس احمد
كما بابى العباس انشأ ملككم	كذا بابى العباس ايضا يجدد
امام يظل الآس يشكو فراقه	تاسف ملهوف ويشتاق غد

وفيه ايضا يقول عبد الله بن المعتز

اما ترى ملك بنى هاشم عاد عزيزا بعد ما ذللا
يا طالب الملك فكن مثله تستوجب الملك والافلا

وكان مع سطوته يراعى جانب الحق وقد نقل الحافظ السيوطى عن عبد الله بن حمدون قال خرج المعتضد يوما وانا معه فمر بمقات فعاث بعض جنوده فيها فصاح صاحبها واستغاث بالمعتضد فاحضره وسأله عن سبب صياحه فقال له ثلاثة من غلمانك نزلوا المقات واخربوها فامر عبيده باحضارهم فحضروا وضرب اعناقهم ومضى وهو يحادثني فقال اصدقني يا عبد الله ما الذى ينكره الناس من احوالى فقلت له تسفك الدماء كثيرا فقال ما سفكت دما حراما قط فقلت له باى ذنب قتلت أحمد بن ابى الطيب قال انه دعانى الى الالحاد وظهر لى الحاده فقلت والثلاثة الذين نزلوا المقتاة الآن بماذا استحللت دماءهم ولاى شئ قتلتهم فقال والله ما قتلتهم وانما احضرت ثلاثة من قطاع الطريق واوهمت الناس انهم الذين نزلوا المقتاة فاحضرهم بانفسهم وشاهدتهم ومما يناسب ذلك ما حكاه ابن ابى حجلة فى سكردان ان سواديا اتى الى السلطان ملك شاه وهو يبكى فسأله عن سبب بكائه فقال اشتريت بطيخا بدرهم لا املك غيرهما فلقينى ثلاثة من الاتراك فاخذوه منى ومالى حيلة سواهما وكان ذلك فى اول قدوم البطيخ فقال له امسك فاستدعى فراشا وقال له قد اشتاقت نفسى الى البطيخ فطف فى العسكر وانظر من عنده شئ فاحضره فعاد الفراش ومعه بطيخ فقال له عند من لقيته قال عند الامير فلان فاحضره وقال له من اين هذا البطيخ فقال جاء به الغلمان فقال اريدهم الساعة وقد عرف نية السلطان فعاد اليه وقال لم أجدهم فالتفت السلطان الى صاحب البطيخ وقال له هذا مملوكى وقد وهبته لك حيث لم يحضر الغلمان الذين أخذوا متاعك والله لئن خليته لاضربن عنقك فاخذه بيده وخرج من

بين يدى السلطان واشترى الامير نفسه بثلثمائة درهم وعاد
صاحب المطبخ الى السلطان وقال يا سيدى قد بعت المملوك بثلثمائة
درهم قال او قد رضيت قال نعم قال فامض مع السلامة فكانت
مدة خلافة المعتضد تسع سنين وتسعة اشهر ونصفا وتوفى فى
يوم الاثنين لثمان بقين من ربيع الآخرة سنة تسع وثمانين ومائتين
وخلف من الذكور اربعا واحد عشر بنتا والله تعالى أعلم

خلافة على المكتفى بالله بن المعتضد احمد بن طلحة

بويع له يوم مات ابوه وسنه احدى وثلاثون سنة وأخذ له
البيعة الوزير ابو الحسن عبد الله فان والده عهد له قبل موته
بثلاثة أيام وكان المكتفى بالرقة فلما وصل اليه كتاب الوزير بادر
وحضر من الرقة الى بغداد فى سابع جمادى الاولى وكان يوم وصوله
مشهودا ونزل دار الخلافة وخلع على الوزير المذكور سبع خلع
وكان المكتفى حسن الصورة يضرب بحسنه المثل ولهذا قال
عبد الله بن المعتز يخاطب الدنيا

ميزت بين جمالها وفعالها ... فاذا الملاحة بالقباحة لا تفى
والله لا اختارها ولو انها ... كالبدر او كالشمس او كالمكتفى

فقرنه بالبدر والشمس فى الجمال وقد أشار ابن سنا الملك الى هذا
فى قوله

ومليحة بالحسن يسخر وجهها ... بالبدر يهزأ ريقها بالقرقف
لا ارتضى بالشمس تشبيها لها ... والبدر بل لا اكتفى بالمكتفى

وقال ايضا فى موضع آخر

بابى وامى من يكون المكتفى ... بجماله وجماله كالمقتدى

قال الصولى سمعت المكتفى يقول فى علته والله ما اسفى على شئ
الا على سبعمائة ألف دينار صرفتها من مال المسلمين فى أبنية ما احتجت
اليها وكنت مستغنيا عنها وكانت مدة تصرفه ستة اعوام ونصفا
وانتقل الى دار الخير والبقا فى ليلة الاحد لثنتى عشرة ليلة خلت من

ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين والله تعالى أعلم

خلافة جعفر المقتدر بن المعتضد

بويع له بالخلافة يوم موت أخيه وعمره ثلاث عشرة سنة ولم يلى الخلافة قبله اصغر منه وولى الخلافة ثلاث مرات هذه الاولى ولم يتم له فيها أمر لصغره فغلب عليه الجند واتفقوا على عزله وخلعه فخلعوه والله تعالى أعلم

خلافة عبد الله بن المعتز بن المتوكل

بويع له يوم خلع المقتدر ولقبوه الغالب بالله وبايعوه لعشر بقين من ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين وهو أشعر بنى العباس بل أشعر بنى هاشم على الاطلاق وأكثرهم فضلا وادبا ودخولا بعلم الموسيقا وأشعر الشعراء فى التشبيهات المتكونة الغريبة المبتدعة قال المعافا بن زكرياء لما بويع لابن المعتز دخلت على شيخنا محمد بن جرير الطبرى العالم الكبير المفسر فقال ما الخبر فقلت بويع بالخلافة لعبد الله بن المعتز قال فمن ترشح لوزارته قلت محمد بن داوود قال فمن قاضيه قلت أبو المثنى فاطرق قليلا ثم قال هذا امر لا يتم قلت ولم لا يتم قال كل واحد ممن ذكرت ذو شان عظيم متقدم فى علمه وفضله وان الدنيا مولية وان الزمان مدبر ولا مناسبة لاحد ممن ذكرت برياسة فى مثل هذا الزمان ولا ارى هذا الا الى الاختلال والاضمحلال فلا والله انهم خلعوه فى ذلك اليوم ولا شئ امره فان عبد الله بن المعتز لما قعدت له الخلافة ارسل الى المقتدر يامره باخلاء دار الخلافة فلما جاء الرسول الى المقتدر وبلغه الرسالة قال ليس له عندى جواب الا السيف ولبس السلاح وركب معه جماعة قليلة من خدمه وهم مستسلمون للقتل فى غاية الخوف وهجموا على عبد الله بن المعتز فهاله ذلك وألقى الله فى قلبه الرعب فانهزم هو ووزيره وقاضيه وكل من

فى دبوانه وقبض المقتدر على عبد الله بن المعتز وعلى الامراء والفقهاء وقتل منهم من اراد وحبس عبد الله بن المعتز الى ان خرج من الحبس ميتا الى رحمة الله تعالى فكانت خلافته ساعة من نهار وحيث بحر الكلام فلا باس بان نورد شيئ من أشعاره المستظرفة منها هذا الموشح الذى يصلح وشاحا لكوكب الجوزاء واكليلا للثريا سارت به الركبان وتناقلته الرواة بالسنة الزمان وهو هذا

أيتها الساقى اليك المشتكى   قد دعوناك وان لم تسمع

ونديم همت فى غرته
ولشرب الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته

جذب الزق اليه واتكى   وسقانى أربعا فى أربع

ما لعينى غشيت بالنظر
انكرت بعدك ضوء القمر
واذا ما شئت فاسمع خبر

غشيت عيناى من كثر البكا   وبكى بعضى على بعضى معى

غصن بان مال من حيث التوى
مات من يهواه من فرط الجوى
خفق الاحشا موهون القوى

كلما فكر فى البين بكى   ويحه يبكى لما لم يقع

ليس لى صبر ولا لى جلد
يا لقومى اعقلوا واجتهدوا
انكروا شكواى مما أجد

مثل حالى حقها ان تشتكى   كمد الياس وذل الطمع

كبدى حرا ودمعى يكف
يذرف الدمع ولا يعترف
ايها المعرض عما اصف

قد نما حبى بقلبى وزكا   لا تقل فى الحب انى مدعى

ومن تشبيهاته ايضا

ومقرطق يسعى الى الندماء … بعقيقة فى درة بيضاء
والشمس مالت للغروب كأنها … دينار يلعب فى قرار الماء
والبدر فى افق السماء كدرهم … ملقى على ديباجة زرقاء
ومهفهف عقد الشراب لسانه … وكلامه بالرمز والايماء
كلمته سحرا وقلت له انتبه … يا فرحة الجلساء والندماء
فأجابنى والخمر يخفض صوته … بتلجلج كتلجلج الفأفاء
انى لافهم ما تقول وانما … غلبت على سلافة الصهباء
دعنى أفيق من الخمور الى غد … واحكم بما تختار يا مولاء

وله فى المثلث

خليلى طاب الراح من بعد طبخها … وقد عدت بعد السكر والعود أحمد
فهاتا عقارا فى قميص زجاجة … كياقوتة فى درة تتوقد
يصوغ عليها الماء شباك فضة … لها حلق بيض تحل وتعقد
وقتنى من نار الجحيم بنفسها … وذلك من احسانها ليس يجحد

وله فى التصانيف كتاب الزهر والرياض وكتاب مفاكهة الاخوان وكتاب الصيد والجوارح وكتاب اشعار الملوك وكتاب طبقات الشعراء وديوان جيد فى الشعر ومن كلامه البلاغة البلوغ الى المعنى ولم يطل سفر الكلام ومن كلامه العلماء غرباء لكثرة الجهال النصيح بين الملا تقريع ملاحة الكذب جرءة اليمين وأشعاره البليغة وتشبيهاته الغريبة كثيرة شهيرة

ثم عاد المقتدر ثانيا

واستقام له الحال فسار احسن سيرة واستقر فى الخلافة الى سنة اثنى عشر وثلثمائة ذكر الحافظ السيوطى فى تاريخ الخلفاء فى خلافة المقتدر سنة ثلثمائة ان بغلة ولدت فلوا وبعد تمام هذا التاريخ المبارك الميمون اتصل بعلم مؤلفه عفا الله

عنه

عنه من الثقاة ان جماعة من الفرارجية من اهل منف عندهم بغلة
ذرقا ولدت مهرا فى اواسط سنة احدى واربعين والف فسبحان
القادر على كل شئ

خلافة ابى المنصور محمد القاهر

ابن المعتضد بايعه يونس والامراء ولقبوه بالقاهر وفوضت الوزارة
الى على بن مقلة الكاتب فجاء العسكر يطلبون منه انعام الجلوس
فارتفعت الاصوات فمنعهم الحاجب من الدخول على الخليفة فمالوا
الى دار يونس واخرجوا المقتدر من الحبس وحملوه على اعناقهم
الى دار الخلافة فجلس على السرير واتوا باخيه محمد القاهر وهو
يبكى ويقول الله الله يا اخى فى روحى فاستدناه المقتدر وقبله بين
عينيه وقال له يا اخى لا ذنب لك وانت مغلوب على امرك والله لا
ينالك منى ما تكره فطب نفسا وقر عينا ولما زال روعه آوى اليه
اخاه وقال انى انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون وبذل
المقتدر الاموال للجند وارضاهم من عنده

ثم عاد المقتدر ثالثا والثالثة ثابتة

فمن محاسن المقتدر انه ابطل من دواوينه استخدام اهل الذمة
من اليهود والنصارى وابطل تصرفاتهم فى الاموال وكان
يفرق فى يوم عرفة كل عام من الابل والبقر اربعين الف رأس
ومن الغنم خمسين الفا وكان يصرف فى كل سنة فى طريق مكة
ولاهل الحرمين الشريفين ثلثمائة الف دينار وخمسة عشر الفا
وانه ختن خمسة من اولاده فصرف فى ختانهم الف دينار
وكان فى داره احد عشر الف غلام خصى غير الصقالبة والروم
والسود وقدمت عليه رسل الروم فجعل موكبا لارهاب العدو
واقام مائة وستين الف مقاتل بالسلاح واقام بعدهم الخدم
وهم سبعمائة الف خادم ثم الحجاب وهم سبعمائة حاجب

وكانت الستور التي نصبت على الحيطان بدار الخلافة ثمانين الف ستر من الديباج وكانت البسط الفاخرة التي فرشت اثنين وعشرين ألف بساط وكان من جملة ذلك مائة سبع في سلاسل الذهب والفضة وهذا كله مع وهن الدولة العباسية وضعفها فكيف زينتها في ايام قوتها فسبحان من لا يزول ولا يزال ولا يفنى ملكه ولا يعتريه زوال وفي أيامه ظهرت الطائفة الملحدة التي تسمى القرامطة لهم اعتقاد فاسد يؤدي الى الكفر اول من ظهر منهم ابو طاهر القرمطي وبنى دارا في هجر واراد نقل الحج اليها لعنة الله عليه وأخزاه فكثر فتكه في المسلمين وسفك الدماء وكثرت طائفته واشتدت شوكته وجاء ابو طاهر القرمطي بعسكر جرار بالات السلاح الى المسجد الحرام يوم التروية ووضعوا السيف في الطائفين والمصلين وفي مكة وشعابها وقتلوا ما يزيد على ثمانين الف انسان وركض ابو طاهر بسيفه مشهورا في يده وهو سكران راكب فرسه ودخل الى المطاف الشريف فبالت فرسه وراثت وطلع الى باب الكعبة وهو يقول انا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وافنيهم انا وأقام بمكة أحد عشر يوما وقيل ستة أيام وقلع الحجر الاسود وحمله معه يريد ان يحول الناس الى مسجد ضرار واستمر الحجر الاسود عند القرامطة اثنين وعشرين سنة الا اربعة ايام وهذه مصيبة من اعظم مصائب الاسلام وابتلى ابو طاهر الخبيث بالاكلة فصار يتناثر لحمه بالدود ومات اشقى ميتة بعد ان عذبه الله بانواع البلاء ولعذاب الاخرة اشد وابقى ولولا خوف الاطالة لذكرنا نبذة من احوال القرامطة المناحيس فان وقايعهم مشهورة ولاجل ذلك اقتصرنا على ما ذكر فكانت مدة خلافة المقتدر أولا وثانيا وثالثا خمسا وعشرين سنة وقتل لثمان بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة والله سبحانه وتعالى اعلم

خلافة القاهر بامر الله محمد بن المعتضد

بويع له يوم قتل اخيه وسنه اثنان وخمسون سنة فاقام سنة وستة أشهر ثم خلع واكحل في جمادى الأولى سنة اثنين وعشرين و[illegible]ائة وتوفي سنة تسع وثلاثين وثلثمائة

خلافة محمد الراضي بن المقتدر

بويع له يوم خلع عمه محمد القاهر وسنه اثنان وثلاثون سنة فاقام ست سنين وعشرة ايام وتوفي في ربيع الاولى سنة تسع وعشرين وثلثمائة

خلافة المكتفي ابرهيم بن المقتدر

بويع له يوم مات الراضي وسنه ستون سنة فاقام سنتين واحد عشر شهرا واكحل في صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة

خلافة المستكفي عبد الله بن المكتفي

بويع له يوم خلع المكتفي وسنه ست واربعون سنة فاقام سنة واحدة واربعة اشهر وخلع في جمادى الاخرة سنة اربع وثلاثين وثلثمائة وتوفي سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة

خلافة الفضل المطيع لله بن المقتدر

بويع له يوم خلع المكتفي وسنه ثلاث وسبعون سنة وفي ايامه ردّ الحجر الاسود من هجر الى مكانه من البيت الشريف فكانت خلافته تسعا وعشرين سنة واربعة اشهر وخلع نفسه في ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة

خلافة عبد الكريم الطائع لله بن المطيع لله

بويع له يوم خلع أبيه وكان مغلوبا عليه من قبل أمرائه وما كان له الا العظمة قال الشريف الرضي يخاطب الطائع

مهلا امير المؤمنين فاننا ... فى دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت ... ابدا كلانا فى السيادة معرق
الا الخلافة ميزتك فاننى ... انا عاطل منها وانت مطوق

قيل ان الطائع لما بلغه ذلك قال على رغم أنف الراضى وقيل ان الراضى كان يوما عند الطائع وهو يعبث بلحيته ويرفعها الى أنفه فقال له الطائع أظنك تشم منها رائحة الخلافة فقال بل رائحة النبوة وكان الطائع كبير الانف فقال الشاعر

خليفة فى وجهه روشن ... خرشفه قد ظلل العسكرا
عهدى به يمشى على رجله ... وأنفه قد صعد المنبرا

فاقام الطائع سبعة عشر سنة وتسعة اشهر وخلع نفسه سنة احدى وثمانين وثلثمائة

خلافة ابى العباس احمد القادر بالله بن المقتدر

بويع له بالخلافة فى عاشر رمضان سنة احدى وثمانين وثلثمائة وكان فى غاية العبادة والفضل وصنف كتابا فى الرد على القائلين بخلق القرآن وعده ابن الصلاح من علماء الشافعية وذكره فى طبقاته وطالت مدته حتى بلغت احدى واربعين سنة واربعة اشهر وتوفى فى ذى الحجة سنة اثنين وعشرين واربعمائة

خلافة القائم بامر الله عبد الله بن أحمد القادر

بويع له يوم مات أبوه فاقام اربعا وأربعين سنة وثمانى شهور وتوفى فى شهر شعبان سنة سبع وستين واربعمائة

خلافة المقتدى بامر الله بن القائم بامر الله

بويع له يوم مات جده وسنه سبع وستون سنة وكانت المبايعة بحضرة الامام الكبير ابى اسحاق الشيرازى احد اكابر أئمة الشافعية رضى الله عنه وكان خيرا دينا من نجباء خلفاء

بني العباس ومن جملة صلاحه ان السلطان ملك شاه قصد ان
يتحكم عليه فارسل اليه يقول له لا بد ان تترك بغداد وتذهب الى
اى بلد شئت فارسل الخليفة له يتلطف فى ذلك فابى الا الشدة وغلظة
فقال لرسوله اساله المهلة لى ولو شهراً فابى وقال ولا ساعة فارسل
فارسل الى وزيره فاستمهله عشرة ايام فصار الخليفة يصوم النهار
ويقوم الليل ويتضرع الى الله ويضع خده على التراب ويناجى رب
الارباب فنفذ دعاؤه فى ملك شاه نفوذ السهم المسموم فى كبد
الظالم من المظلوم فهلك ملك شاه قبل مضى عشرة ايام وعدت
هذه كرامة للخليفة المقتدى ورحم الله من قال

وكم لله من لطف خفى ... يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم يسر اتى من بعد عسر ... وفرج كربة القلب الشجى
وكم هم تساء به صباحا ... وتأتيك المسرة بالعشى
اذا ضاقت بك الاحوال يوما ... فثق بالواحد الاحد العلى
تمسك بالنبى فكل هم ... يزول اذا تمسك بالنبى

فاقام فى الخلافة تسعة عشر سنة وخمسة اشهر وتوفى ثامن
محرم سنة تسع وثمانين واربعمائة

خلافة المستظهر بالله هو ابو العباس احمد

بويع له بالخلافة يوم موت أبيه وسنه اربع واربعون سنة
وكان كريم الاخلاق حسن الخط لا يقاومه أحد فى الكتابة
حافظا للقرآن عالما فاضلا وكان مدة خلافته اربعا وعشرين
سنة وثلاثة أشهر وتوفى لست بقين من ربيع الآخرة سنة
اثنى عشر وخمسمائة والله اعلم

خلافة ابى الفضل منصور المسترشد

بويع له بالخلافة يوم مات ابوه وسنه ثلاث وأربعون سنة
وكان شجاعا ديناً مشغولا بالعبادة وحفظ القرآن والحديث

وخرج الى قتال مسعود ابن ملك شاه السلجوقى فلم يقاتل معه أحد وقاتل وحده الى أن قتل وكانت خلافته تسع عشرة سنة وقتل فى ذى الحجة سنة تسع وعشرين وخمسمائة

خلافة ابى جعفر منصور الراشد بالله

بويع له بالخلافة يوم قتل أبيه فاقام سنة واحدة وقبض عليه السلطان مسعود السلجوقى وخلعه من الخلافة يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة بقين من ذى الحجة سنة ثلاثين وخمسمائة

خلافة المقتفى لامر الله هو محمد بن المستظهر

بويع له بالخلافة يوم خلع عمه وكان عالما شجاعا قال فى الاكتفا قال ابن الجوزى قرأت بخط الشيخ ابى الفرج بن الحسين الحداد قال حدثنى من أثق به ان المقتفى رآى فى منامه قبل ان يستخلف بستة أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول له سيصل اليك هذا الامر فاقتف بى فلقب المقتفى لامر الله فاقام خمسا وعشرين سنة وتوفى يوم الاحد لليلتين خلتا من ربيع الاول سنة خمس وخمسين وخمسمائة

خلافة المستنجد بالله يوسف بن المقتفى

بويع له يوم مات أبوه وسنه ثمانون سنة يحكى انه قبل ان يصير خليفة رآى ملكا نزل من السماء فكتب فى كفه ثلاث خاآت فلما اصبح سال المعبرين عن منامه فقالوا له انك تلى الخلافة سنة خمس وخمسين وخمسمائة وكان كذلك فاقام أحد عشر سنة وتوفى تاسع ربيع الاول سنة ست وستين وخمسمائة ومن شعره فى بخيل

وباخل أشعل فى بيته ... تكرمة لنا شمعه
فما جرت من عينها دمعة ... حتى جرى من عينه دمعه

خلافة المستضيء بنور الله هو محمد بن الحسن

ابن المستنجد بالله بويع له يوم وفاة والده وكان حسن السيرة كريم النفس أسقط المكوس في ممالكه وكثر ثناء الخلق عليه وكان سنه اثنين وأربعين سنة وهو الذي خطب له صلاح الدين يوسف بن أيوب بمصر فاقام تسع سنين واشهرا وتوفي سنة خمس وسبعين وخمسمائة والله تعالى أعلم

خلافة الناصر أحمد بن المستضيء بنور الله

بويع له يوم مات أبوه وسنه تسع وستون سنة فاقام سبعا واربعين سنة وتوفي سنة اثنين وعشرين وستمائة وخطب له حتى بالصين والاندلس

خلافة محمد الظاهر بن الناصر أحمد

بويع له يوم مات أبوه بعهد منه فاظهر العدل والاحسان وابطل المكوس حكى عنه انه فرق في ليلة النحر على الفقهاء مائة الف دينار فلامه الوزير على ذلك فقال دعني افعل الخير فاني لا ادري كم أعيش فلم يلبث ان وافاه الله بالكيل الاوفى فعاش حميدا ومات سعيدا فكانت خلافته تسعة اشهر وتوفي في سنة ثلاث وعشرين وستمائة الى رحمة الله تعالى

خلافة أبي جعفر المستنصر بالله

بويع له يوم مات والده فنشر العدل وبذل الانصاف وقرب اهل العلم والدين وبنى المساجد والربط وكانت خلافته سبع عشرة سنة وتوفي سنة تسع وثلاثين وستمائة

خلافة المستعصم بالله بن المستنصر

بويع له يوم مات ابوه وهو آخر خلفاء بني العباس وبزواله زالت دولة بني العباس كما جرت عادة الله بانقراض الدول ولله البقاء عز وجل وكان سبب زوالها استيلاء مماليكهم وامرائهم عليهم وتفويض امور المملكة اليهم وامتهانهم غاية الامتهان الى ان صاروا اسماء بلا مسميات وصورا هيولا يتصرف فيها بالمحو والاثبات ومن اعظم اسباب زوالها ان مؤيد الدين العلقمي كان وزير المستعصم وكان رافضيا مستوليا على المستعصم عدوا له ولاهل السنة يداريهم في الظاهر ويبا فقهم في الباطن وكان يريد ازالة الخلافة من بني العباس واعادتها الى العلويين وطمس اهل السنة واطفاء نورهم وتقوية اهل البدع فصار يكاتب هولاكو ويطمعه في ملك بغداد ويطالعه باخبارها ويخبره عن صورة أخذها وضعف الخليفة واختلال العسكر عنه وصار الوزير يحسن للمستعصم توفير الخزينة وعدم الصرف على العسكر فقطع ارزاقهم وشتت شملهم بحيث انه اذن مرة لعشرين ألف مقاتل أن يذهبوا الى اين ارادوا ووفر علوفاتهم في الخزينة واظهر للمستعصم انه وفر من علوفات العسكر أموالا عظيمة في بيت المال فاعجب المستعصم رأيه وكان يحب المال ويجمعه وما يعلم انه يجمعه لعدوه مفرد

يخبركم انه ناصح وفي نصحه ذنب العقرب

قال صلى الله عليه وسلم ثلاثة من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ومما يحكى ان اعرابيا قال اللهم اني اعوذ بك ممن لا يلتمس خالص مودتي الا بالتتابع لمواقع شهوتي وقيل لفيلسوف ما الصديق فقال اسم على غير معنى حيوان غير موجود مفرد

لسانك لي حلو وقلبك علقم وشرك مبسوط وخيرك ملتوي

مفرد

اذا أنت فتشت القلوب وجدتها قلوب اعاد فى جسوم اصادق
ولبعضهم

لى صديق لديه ود ونصح غيران الدماغ فيه مذمه
فاذا ما سعى ليدفع عنى فى الملمات صار عون خلمه
ليته كف خيره واذاه ورعى لى بذاك حقا وحرمه

وقال الطغرائى رحمه الله من قصيدة

وبنوا الزمان وان صفوا لك ظاهرا يوما فحوّالك باطنهم دوا

وقال ايضا من قصيدة له

ومن يك اصله ماء وطينا بعيد عن جبلته الصفاء

وقال الجنيد دخلت على السرى فقلت له أوصنى قال لا تكن مصاحب الاشرار ولا تشتغل عن الله بمصاحبة الاخيار وكان بعض الاعراب يقول فى دعائه اللهم انى اعوذ بك من الصاحب الردى

شعر

قل للذى لست ادرى من تلونه اناصح ام على غش يداجينى
تغتابنى عند اقوام وتمدحنى فى آخرين وكل منك يأتينى

فى المعنى

واخوان وثقت بهم فاضحى اذاهم يعترينى كل حين
ولما ان اسأت الظن كفوا فواعجباه من ظن يقين

مفرد

دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة بل فى الشدائد تعرف الاخوان

وقيل فى المعنى

وزهدنى فى الناس معرفتى بهم وطول اختبارى صاحبا بعد صاحب
فلم ترنى الايام خلا تسرنى مباديه الا ساءنى فى العواقب
ولا قلت ارجوه لدفع ملمة من الدهر الا كان احدى النوائب

وما احسن قول ابى دلف

هل رأينا او سمعنا من نهى رجلا عن سوء فعل فانتهى
بل اذا عوتب فى سيئة لم يدعها وتعاطى اختها

قال الكندى الاخوان على ثلاث طبقات طبقة كالغذا لا يستغنى
عنها ابدا وطبقة كالدواء يحتاج اليها حينا دون حين وطبقة
كالداء لا يحتاج اليه ابدا وقالوا الاصدقاء على ثلاثة مراتب
العليا وهو الصديق الكريم ذو المروءة والمرتبة الوسطى
وهو الصديق الحكيم ذو التجارب والمرتبة السفلى وهو الصديق
العاجز وهو ان يتوجع لشكواك فان خلا الصديق من احدى
هذه المراتب كان وجوده وعدمه سواء بل عدمه خير من وجوده
قال الشاعر

اذا كنت لا علم لديك تفيدنا ولا انت ذودين فنرجوك للدين
ولا انت ممن يرتجى لكريهة عملنا مثالا مثل شخصك من طين

وقال الصفدى

اذا كنت لا علم لديك تفيدنا ولا انت ذو جود فنرجوك للقرى
ولا انت ممن يرتجى لكريهة عملنا مثالا مثل شخصك من خرا

قال بعض الحكماء يجب على الملك ان لا يخلو من خمس معاقل
يتحصن بها اولها وزير صالح يتحصن برأيه فى الشدة والرخاء وثانيها
سيف قاطع يتحصن بحده وثالثها فرس سابق يتحصن بظهره
اذا لم تمكنه الثبات ورابعها قلعة منيعة يتحصن بها اذا احيط
به وخامسها امرأة حسناء يتحصن بها بصره وكان يقال
عدوك ضدك وحكم الضدين التنافر والتدابر والتنائى والتباين
قال صلى الله عليه وسلم الحراثة صلاح البيوت والاماء هلاكها
ومن كلام الحكمة كن على حذر من الكريم اذا اهنته ومن
اللئيم اذا اكرمته ومن العاقل اذا احرجته ومن الاحمق اذا
مازحته ومن الفاجر اذا عاشرته وكان يقال اذا لم تجد من الخدم
الا من ساءاديه فاخدم نفسك ولا تستخدمه لانه يحمل على قلبك
من الاذى اضعاف ما يحمل عن بدنك بخدمته من العنا وكان
يقال الفضل من ذم امر يجد راحة اذا اشاورك فى سر غيره لغير ضرورة
لان مشقة الاستبداد بالسر وترك المشاورة فيه اقل من مشقة

الحسد فى انتشاره بسبب المشاركة ضعف مشقة الحذر قال الطغرائى فى لاميته

ويا خبيرا على الاسرار مطلعا　اصمت ففى الصمت منجاة من الزلل

قال سيدنا عمرو بن العاص ما استودعت رجلا سرا علمته أنى لست أضيق صدرا منه حيث استودعته اياه شعر فى المعنى

اذا ما ضاق صدرى من حديثى　فافشته الرجال فمن الوم

وقد نقل عن بنى أمية بعد ذهاب ملكهم من ذا الذى كان سببا فى ازالة الملك فقالوا لو اقواها انا اعتمدنا على المال واستهونا بالرجال فاخذ العدو مالنا وتقوى به علينا وابعدنا الصديق وقربنا العدو فصار الصديق عدوا بالابعاد والمستعصم ومن معه فى غفلته لاخفاء ابن العلقمى سائر الاخبار الى ان وصل هولاكو الى بلاد العراق واستأصل من بها وتوجه الى بغداد فاستيقظ الخليفة من نوم الغرور وندم على فعلته حيث لا ينفعه الندم وجمع من قدر عليه وبرز الى قتال هولاكو فوقع المصاف والتحم القتال ووقع الطراد والنزال واستمر من اقبال الفجر الى ادبار النهار فعجزوا عن الاصطبار وانكسروا أشد الانكسار وولوا الادبار وما أغنى عنهم الفرار وغرق كثير منهم فى الدجلة وقتل اكثرهم اشر قتلة وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الخزائن والاموال واسر المستعصم هو واولاده وجماعته واتوا بهم الى هولاكو اسرى اذلا فسبحان المعز المذل واستبقى هولاكو الخليفة الى ان استصفى امواله وخزائنه ودفائنه ثم رمى رقاب أولاده وذريته واتباعه ومتعلقيه وامران يوضع الخليفة فى غرارة ويرفس بالارجل الى ان يموت وكان مدة خلافة المستعصم سبع عشرة سنة وستمائة وانما ازال الله ملكه واهلكه حيث اتخذ بطانة سوء ومعلوم ان الله اذا اراد بملك سوءا قيض له قرناء السوء ولله در القائل

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه　فكل قرين بالمقارن يقتدى

اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى

ولم ينل ابن العلقمي ما اراده من نقل الخلافة لمن اراده وذاق من
الشنار الذل والهوان وكان حسن لهم ان يقيموا خليفة علويا
ولم يتوا فبقوه وصار معهم في صورة بعض الغلمان ومات كمدا
لا رحمه الله وعملت الشعراء قصائد في بغداد قال بعضهم

بادت واهلوها معا فبيوتهم ببقاء مولانا الامير خراب

وقال بعضهم

يا عصبة الاسلام نوحي واندبي حزنا على ما تم للمستعصم
دست الوزارة كان قبل زمانه لابن العزاة فصار لابن العلقمي

ثم انتقلت الخلافة الى الديار المصرية فكان اول خليفة

بمصر المستنصر ووصل الى مصر في سنة خمس وخمسين وستمائة
واجتمع بالملك الظاهر بيبرس واثبت نسبه من قضاة الشرع
وبايعه بالخلافة واجرى له نفقة وليس له من الامر الا اسم
الخليفة واولاده من بعده على هذا المنوال ويأتون الى السلطان
الذى يريدون توليته ويقولون له ولّيناك السلطنة
هكذا كانوا بالقاب الخلفاء واحدا بعد واحد وكانت سلاطين
الاقاليم تتبرك بهم ويرسلون لهم احيانا يطلبون السلطنة
باللسان فيكتبون لهم تقليدا وكان آخر الخلفاء بمصر ابو
عبد الله محمد بن يعقوب ولقبه المتوكل ولما دخلت الدولة
العثمانية وافتتحت مصر وزالت دولة الجراكسة وعاد
مقر الدولة الشريفة القسطنطينية العظمى اخذ المرحوم
السلطان سليم فاتح مصر الخليفة المذكور وجعله مركبا
فلما توفي السلطان سليم الى رحمة الله تعالى عاد الخليفة
المذكور الى مصر واستمر بها الى ان توفي في ثامن عشر شعبان
سنة خمسين وتسعمائة زمن المرحوم داود باشا وبموته
انقطعت الخلافة العباسية وكان المتوكل هذا فاضلا اديبا

له شعر جيد منه قوله

لم يبق من محسن يرجى ولا حسن ولا كريم اليه مشتكى حزن
وانما ساد قوم غير ذى حسب ما كنت او ثران يمد بي زمن

رحم الله تلك الارواح الطاهرة ومتعها بالنظر الى وجهه الكريم فى الآخرة فلقد زالوا وما زالت اخبارهم تروى واحاديثهم الحسنة على السنة الرواة لا تطوى شعر فى المعنى

كانوا ملوك الارض فى ايامهم كبراء اهل مدينة ومكان
فتمزقوا وتفرقوا فهنا لهم تحت الثرى يبلون فى الاكفان
والله وارث كل حى بعدهم وله البقاء وكل شئ فان

الباب الرابع

فيمن ولى مصر من نواب الخلفاء الراشدين وبنى امية والدولة العباسية وما داخلها من بنى طولون والاخشيدية اول من تقرر فى مصر واليا بعد فتحها عمرو بن العاص واليا رضى الله عنه ذكر المقريزى فى خططه ان عمرو بن العاص فتح مصر يوم الجمعة سنة عشرين من الهجرة فاختط الفسطاط بنيانا وتولى نيابة مصر واقليمها وهى طولا من العريش الى اسوان وعرضا من ايلة الى برقة ذكر فى فتوح مصر ان عمرو ابن العاص ارسل الى سيدنا عمر بن الخطاب كتابا يذكر فيه ان الفلاحين يقف عليهم جملة مال فارسل سيدنا عمر بن الخطاب جوابا يعرفه فيه اما بعد انى اعلمك ايها الامير اذا كان زمن التحضير وكتب عليهم سجلات بتقرير فلا تغير ما كتب عليهم والحذر من ايصال المضرة اليهم فنحن القادرون عليهم فى الدنيا وهم خصماؤنا فى الآخرة وكل راع مسؤل عن رعيته واعلم ان الظلم باب لعن الله الداخل فيه والعدل شئ نعتمد ونمضيه فاقصد امرنا ولا تخالف حكمنا وانا منك بعيد والله مطلع عليك وشهيد وقد اتصل بنا كتابك وانت تذكر فيه ان الزارعين يقف عليهم

جملة كثيرة من المال فلا تبع من موجودهم شيئا فترديهم الى العدم
وتحل بهم النقم وحط على ذراعتهم كل ثقة وأمين واذا علمت
انها محفوظة مصونة فواسيهم بشئ من المؤنة وجوز الايام
تجوز وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون وصرف
عمرو بن العاص عن ولايته فى خلافة سيدنا عثمان بن عفان
رضى الله عنه ثم تولى عبد الله بن ابى سرح من قبل سيدنا عثمان
ابن عفان وفى ولايته فتحت الاسكندرية عنوة الفتح الثانى
ومكث أميرا على مصر المحروسة ولاية سيدنا عثمان بن عفان وكان
محمودا فى ولايته وغزا ثلاث غزوات كلها لها شان وغزا
افريقية وقتل ملكها جرجير وغزا غزوة الاساورة حتى بلغ
دنقلة وغزوة الصوارى ولما جبى اليه خراج مصر بلغ اربعة
عشر الف الف دينارا فنظر سيدنا عثمان بن عفان الى عمرو
ابن العاص وقال له قد علمت ان النصيحة درت بعدك قال نعم ولكن
أجاعت اولادها والذى جباه عبد الله بن ابى سرح انما هو على
الجماجم خارجا عن الخراج وغيره من الاموال الديوانية ومات
عبد الله بن ابى سرح بعسقلان فى رجب سنة خمس وثلاثين
بعدما استخلف عقبة بن ابى عامر الجهنى فكانت ولايته احدى
عشرة سنة ونصف سنة تقريبا والله أعلم ثم تولى قيس
ابن سعد بن عبادة الانصارى من قبل سيدنا على بن ابى طالب
رضى الله عنه فاقام يسيرا ومات ثم تولى محمد بن ابى بكر
الصديق رضى الله عنه من قبل الامام على بن ابى طالب رضى الله
عنه فوصل الى مصر فى نصف رمضان سنة سبع وثلاثين
فهدم دور شيعة عثمان ونهب أموالهم وسجن ذراريهم فبلغ
ذلك معاوية فبعث عمرو بن العاص فى جيوش اهل الشام الى
مصر فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزم أهل مصر فدخل عمرو بن العاص
الى مصر ونغيت محمد بن ابى بكر فظفر به معاوية بن جديج فقتله
ثم جعله فى جيفة حمار واحرق بالنار لاربع خلون من صفر سنة

ثمانية وثلاثين فكانت ولايته خمس شهور ثم عاد عمرو بن العاص
من قبل معاوية بن ابى سفيان ثانيا وجعل له مصر مطعمة ذكر
المقريزى فى خططه ان عمرو بن العاص قال لقبط مصر من كتم كنزا
عنده فقدرت عليه الا قتلته وان قبطيا من اهل الصعيد يقال له
بطرس ذكر لعمرو ان عنده كنزا فارسل اليه فسأله عنه فانكر وجحد
فحبسه وصار يسأل عنه هل يسأل عن أحد فقالوا له لا ولكن سمعنا
يسأل عن راهب فى الطور فارسل عمرو الى بطرس فنزع خاتمه ثم كتب
الى ذلك الراهب ان ابعث لى بما عندك وختم الكتاب بختم بطرس
فجاء المرسل بالكتاب بقلة شامية مختومة بالرصاص ففتحها عمرو
فوجد فيها مكتوبا مالكم تحت الفسقية الكبيرة فارسل عمرو الى
الفسقية فحبس الماء عنها فوجد فيها اثنين وخمسين اردب ذهب
مضروبة فضرب عمرو رأس بطرس واخذ المال جميعا فعند ذلك
أخرجت القبط كنوزهم شفقة على أنفسهم وتوفى عمرو بن العاص
ليلة عيد الفطر سنة اثنين وأربعين وغسله عبد الله بن عمرو
واخرجه الى المصلى فلم يبق احد شهد العيد الا صلى عليه فكانت
ولايته منذ افتتحها الى ان صرف منها اربع سنين وشهر ثم تولى
عقبة بن ابى سفيان من قبل أخيه معاوية فى ذى القعدة سنة
ثلاث وأربعين فاقام ستة أشهر ثم تولى عامر بن عقبة الجهنى
من قبل معاوية وتوفى فى ولايته سنة اثنين وستين بعد وفاة
معاوية بسنتين فكانت ولايته خمس عشرة سنة واربعة
أشهر ثم تولى سعيد بن يزيد بن علقمة الاسدى من أهل
فلسطين من قبل يزيد بن معاوية فقدم مستهل رمضان سنة
اثنين وستين الى ان عزل فى رجب سنة أربع وستين فكانت
ولايته سنة واحدة وأحد عشر شهرا ثم تولى عبد الرحمن
ابن عقبة بن جحدم من قبل سيدنا عبد الله بن الزبير فوصل فى شعبان
فاقام تسعة أشهر ثم تولى عبد العزيز بن مروان من قبل ابيه
فى رجب سنة خمس وستين فكانت ولايته عشرين سنة

وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوما ثم تولى عبد الله بن عبد الملك بن مروان من قبل أبيه عبد الملك فى جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وهو ابن سبع وعشرين سنة وكانت ولايته ثلاث سنين وعشرة أيام ثم تولى قرة بن شريك العبسى من قبل الوليد ابن عبد الملك فى ربيع الاول سنة ست وتسعين واستخلف على الجند عبد الملك بن رفاعة فكانت ولايته ست سنين الا اياما ثم تولى عبد الملك بن رفاعة من قبل سليمان بن عبد الملك سنة ست وتسعين الى غاية صفر سنة تسع وتسعين فكانت ولايته ثلاث سنين ثم تولى ايوب بن سرجيل بن الصباح من قبل عمر بن عبد العزيز فى ربيع الاول سنة تسع وتسعين ومات لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة احدى ومائة فكانت ولايته سنتين ونصفا ثم تولى بشر بن صفوان الكلبى من قبل يزيد بن عبد الملك فى رمضان سنة احدى ومائة وفى ولايته استولت الروم على تنيس فى شوال سنة اثنتين ومائة ثم تولى حنظلة بن صفوان وهو اخو شريك المذكور باستخلاف من أخيه فاقره يزيد بن عبد الملك ولما بويع هشام ابن عبد الملك صرف حنظلة المذكور فى شوال سنة خمس ومائة فكانت ولايته ثلاث سنين ثم تولى محمد بن عبد الملك بن مروان من قبل اخيه هشام فى شوال سنة خمس ومائة فوقع الوبا بمصر فخرج منها ولم يلها الا نحوا من شهر ثم تولى الحر بن يوسف ابن يحيى بن الحكم من قبل عبد الملك فى ذى الحجة وفى ولايته رابط بدمياط ثلاثة أشهر وصرف عن ولايته فى ذى الحجة سنة ثمان ومائة باستعفائه لمفاوضة بينه وبين عبد الله بن الحبحاب فكانت ولايته ثلاث سنين ثم تولى الحفص بن الوليد الحضرمى من قبل هشام بن عبد الملك ثم صرف بعد جمعتين يوم الاضحى بشكوى ابن الحبحاب ثم تولى عبد الملك بن رفاعة ثانيا فقدم فى المحرم سنة تسع ومائة ومات فى نصف المحرم

فكانت

فكانت ولايته خمس عشرة ليلة ثم تولى الوليد بن رفاعة باستخلاف
من أخيه فاقره هشام بن عبد الملك فتوفى وهو وال فى جمادى الاخرة
سنة سبع عشرة ومائة فكانت ولايته تسع سنين وخمسة اشهر
ثم تولى عبد الرحمن بن خالد باستخلاف من الوليد فاقام
سبعة أشهر ثم تولى حنظلة بن صفوان ثانيا من قبل هشام
ابن عبد الملك فى المحرم سنة تسع عشرة ومائة فحصل بينا وبين
القبط مجاورة فبلغ ذلك هشام فصرفه عنها وولاه افريقية وخرج
فى ربيع الاخرة سنة اربع وعشرين ومائة فكانت جملة ولايته
خمس سنين وشهرين ثم تولى حفص بن الوليد الحضرمى
ثانيا من قبل هشام فى شهر شعبان سنة اربع وعشرين ومائة
ولما مات هشام استخلف من بعده ولد أخيه الوليد بن يزيد
فاقام حفصا ثم صرف عنها فى شوال سنة خمس وعشرين ومائة
فكانت جملة نصرفه سنة واحدة وشهرين ثم تولى عيسى بن
عطاء من قبل الوليد بن يزيد الى ان عزله مروان الاخير ابن مروان
الاول سنة ست وعشرين ومائة فكان جملة ولايته خمسة أشهر
ثم تولى حسان بن عتاهية من قبل مروان المذكور فى محرم
وعزله فى سنته ثم تولى حفص بن الوليد ثالثا على كره فاقام رجب
وشعبان ثم عزل فى محرم سنة ثمان وعشرين ومائة ثم تولى
حوثرة بن سهل بن عجلان الباهلى من قبل مروان المذكور فى محرم
سنة ثمان وعشرين ومائة فاجتمع الجند على منعه فابى عليهم
حفص فخافوا حوثرة وسألوه الامان فامنهم ونزل ظاهر
الفسطاط وقد اطمأنوا اليه فاخذ فى طلب من كان سببا للفتنة
فجمعوا له فضرب اعناقهم ثم صرف من ولايته فى جمادى
الأولى سنة احدى وثلاثين ومائة وبعثه مروان الى العراق
فقتل فكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر ثم تولى
المغيرة بن عبد الله بن المغيرة من قبل مروان فى شهر رجب سنة
احدى وثلاثين ومائة وتوفى فى جمادى الاولى سنة اثنين وثلاثين

ومائة فكانت جملة ولايته عشرة أشهر ثم تولى عبد الملك بن مروان من قبل مروان فكان آخر نواب دولة بنى أمية وهى سنة احدى وثلاثين ومائة ولله البقاء

ثم جاءت دولة العباسية سنة اثنين وثلاثين ومائة

فكان أول نوابها بمصر صالح بن على بن عبد الله بن عباس من قبل أمير المؤمنين أبى العباس السفاح وقدم فى المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة فقتل كثيرا من شيعة بنى أمية وجهز طايفة منهم الى العراق فقتلوا ثم ورد كتاب من السفاح الى صالح المذكور بلحاق فلسطين والاستخلاف على مصر من يشاء ثم تولى أبو عون بن عبد الملك الجرجانى فى مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائة فوقع وباء بمصر فهرب أبو عون من مصر واستخلف عكرمة بن عمرو وخرج الى دمياط سنة خمس وثلاثين ومائة ثم ورد كتاب من السفاح بولاية صالح بن على ثانيا على مصر فى ربيع الاول سنة ست وثلاثين ومائة ومات السفاح فى ذى الحجة واستخلف امير المؤمنين عبد الله المنصور فاقر صالحا على ولايته ثم صرف عنها فكانت جملة ولايته خمس سنوات ثم تولى ابو عون ثانيا من قبل المنصور فى ربيع الاولى سنة احدى واربعين ومائة ثم صرف عنها فكانت ولايته هذه ثلاث سنين وستة اشهر ثم تولى موسى بن كعب بن عيينة من قبل المنصور فى ربيع الآخرة سنة احدى واربعين ومائة فكانت ولايته ستة اشهر ثم تولى محمد بن الاشعث الخزاعى من قبل المنصور فى ذى الحجة سنة احدى واربعين ومائة ثم صرف عنها فكانت ولايته ستة أشهر ثم تولى حميد بن قحطبة من قبل المنصور فدخل فى عشرين ألف من الجند فى شهر رمضان سنة ثلاث واربعين ومائة ثم صرف فى ذى القعدة سنة ست وأربعين ومائة فكانت ولايته ثلاث سنوات وسبع شهور ثم تولى يزيد بن حاتم

المهلب من قبل المنصور في نصف القعدة سنة ست واربعين ومائة
وصرف عنها في ربيع الآخرة سنة اثنين وخمسين ومائة فكانت
ولايته سبع سنين واربعة اشهر ثم تولى عبد الله بن عبد الرحمن
من قبل المنصور في ربيع الآخرة وهو اول من خطب بالسواد
وصرف عنها في رمضان سنة اربع وخمسين ومائة فكانت
ولايته سنتين وشهرين . ثم تولى محمد بن عبد الرحمن بن معاوية
باستخلاف من اخيه عبد الله فاقره المنصور ومات في نصف
شوال وكانت ولايته ثمانية اشهر ونصفا ثم تولى موسى بن
على بن رباح باستخلاف من محمد بن عبد الرحمن ولما مات المنصور
وبويع لولده محمد المهدى اقر موسى المذكور الى ذى الحجة سنة
احدى وستين ومائة فكانت ولايته ست سنين وشهرين
ثم تولى عيسى بن لقمان بن محمد الجمحى من قبل المهدى
فى ذى الحجة سنة احدى وستين ومائة وصرف عنها فى جمادى
الاول سنة اثنين وستين ومائة فكانت ولايته اربع شهور
ثم تولى واضح مولى جعفر من قبل المهدى فى جمادى الاولى
سنة اثنين وستين ومائة وصرف فى رمضان من السنة المذكورة
فكانت ولايته اربع شهور ثم تولى منصور بن زيد الرعينى
وهو خال المهدى من قبل المهدى فى رمضان سنة اثنين
وستين ومائة وصرف فى نصف القعدة فكان مقامه شهرين
وثلاثة ايام ثم تولى يحيى ابو داود من خراسان من قبل
المهدى فى ذى الحجة سنة اثنين وستين ومائة وكان ابوه
تركيا من اشد الناس واعظمهم هيبة واقدمهم على دم فمنع
غلق الدروب بالليل ومن غلق الحوانيت ومنع حراس الحمام
أن يجلسوا فيه وقال من ضاع له شئ فعلى اداؤه فكان الرجل
يضع ثيابه فى الحمام ويقول يا ابا داود احرسها فكانت الامور
على هذا المنوال واستمر الى محرم سنة اربع وستين ومائة
فكانت ولايته قريبا من سنتين ثم تولى ابراهيم بن صالح

ابن علي بن عبد الله بن عباس من قبل المهدي في محرم سنة خمس وستين
ومائة وفي ولايته خرج دحية بن مصعب بن مروان بالصعيد
ودعى لنفسه بالخلافة فتراخى ابراهيم ولم يحفل بامره حتى ملك
عامة الصعيد فسخط عليه المهدي وعزله عزلا قبيحا في ذي
الحجة سنة سبع وستين ومائة فكانت ولايته ثلاث سنين
ثم تولى موسى بن مصعب من قبل المهدي في ذي الحجة سنة
سبع وستين ومائة فتوجه بعسكره الى بلاد الحوف لقتالهم
فلما التقوا انهزم اهل مصر باجمعهم وقتلوه من غير ان يتكلم
وكان قتله في شهر شوال سنة ثمان وستين ومائة فكانت ولايته
عشرة أشهر وكان ظالما غاشما سمعه الليث يقرأ في خطبته انا
أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها فقال الليث اللهم
لا تمقتنا ثم تولى عصامة بن عمرو باستخلاف موسى بن
مصعب وبعث الى دحية جيشا مع اخيه بكار فحارب يوسف
ابن نصر وهو على جيش دحية فتطاعنا فوضع يوسف الرمح
في خاصرة بكار ووضع بكار الرمح في خاصرة يوسف فقتلا
معا ورجع الجيشان منهزمين واستمر الى سلخ محرم سنة
تسع وستين ومائة ثم تولى علي بن سنان بن علي من قبل
الهادي سنة تسع وستين ومائة ولما مات الهادي
واستخلف هارون الرشيد اقر علي بن يوسف المذكور فاظهر الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر ومنع الملاهي والخمور والكنايس
المحدثة بمصر وبذلت النصارى في عدم هدمها ما يزيد على خمسين
الف دينار فلم يقبل وكان كثير الصدقات فاثنت الناس عليه خيرا
بل أشاعوا انه يصلح للخلافة فسخط عليه هارون وعزله في ربيع
الاول سنة احدى وسبعين ومائة ثم تولى عيسى بن موسى
العباسي من قبل الرشيد فاذن للنصارى في بناء الكنايس التي هدمها
علي بن سنان فبنيت بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن ابي
لهيعة ثم صرف عن مصر سنة اثنين وسبعين ومائة فكانت

ولايته

ولايته سنة واحدة وخمسة اشهر ونصف ثم تولى سلمة بن يحيى البجلي من خراسان من قبل الرشيد ثم صرف عنها في شعبان سنة ثلاث وسبعين ومائة فكانت ولايته احد عشر شهرا

ثم تولى محمد بن زهير الازدي من قبل الرشيد في شعبان المذكور فثار عليه الجند ولم يستقم حاله فصرف عنها في غاية الحجة سنة ثلاث وسبعين ومائة فكانت ولايته خمسة أشهر

ثم تولى داود بن يزيد بن حاتم المهلبي وقدم هو وابرهيم لاخراج الجند الذين قاموا على محمد الازدي فدخلا مصر في محرم سنة اربع وسبعين ومائة فاخرجا العسكر القديم الى الغرب واستقام الحال وسكنت الفتنة ثم صرف داود المذكور عن ولايته في محرم سنة خمس وسبعين ومائة فكانت ولايته سنة ونصف ثم تولى موسى بن عيسى العباسي من قبل الرشيد في شهر صفر سنة خمس وسبعين ومائة وصرف في شهر صفر سنة خمس وسبعين ومائة فكانت ولايته سنة واحدة ثم تولى ابراهيم بن صالح ثانيا من قبل الرشيد في غرة ربيع الاول سنة ست وسبعين ومائة وتوفي في ولايته فكان مقامه بمصر شهرين وثمانية عشر يوما وقام بعده بالامر ابنه صالح مع صاحب شرطته خالد بن يزيد ثم تولى عبد الله بن المسيب من قبل الرشيد سنة ست وسبعين فكشف امر الخراج وزاد على المزارعين زيادة اجحفت بهم فخرج عليه اهل الحوف فقاتلهم فقتل كثير من اصحابه فكتب الى الرشيد بذلك فجهز اليه جيشا عظيما وبعثه الى الحوف فتلقوه بالطاعة واذعنوا وقاموا بالخراج كله ثم صرف عبد الله المذكور في رجب سنة ثمان وسبعين ومائة فكانت ولايته سنتين وسبعة اشهر ثم تولى هرثمة بن اعين من قبل الرشيد في شهر رمضان سنة ثمان وسبعين ومائة فاشار عليه الرشيد بالمسير الى افريقية فكان مقامه شهرين ونصف ثم تولى

عبد الله بن صالح العباسي من قبل الرشيد فلم يدخل مصر واستخلف
عبد الله بن المسيب وصرف في سلخ سنة ثمان وسبعين ومائة
فكانت مدته شهرا واحدا ونصفا ثم تولى عبد الله بن المهدي
من قبل أخيه الرشيد في محرم سنة تسع وسبعين ومائة واستخلف
ابن المسيب وصرف في رمضان فكانت ولايته تسعة أشهر
ثم تولى عيسى بن موسى ثالث مرة من قبل الرشيد فارسل ابنه
يحيى خليفة عنه في رمضان سنة تسع وسبعين ومائة وصرف
في جمادى الاخرة سنة ثمانين ومائة فكانت ولايته تسع شهور
ثم تولى عبد الله بن المهدي ثانيا من قبل اخيه الرشيد فقدم
داود بن جباسة خليفة عنه في جمادى الآخرة سنة ثمانين ومائة
وصرف في رمضان سنة احدى وثمانين ومائة فكانت ولايته
سنة واحدة وثلاثة اشهر ثم تولى اسماعيل بن صالح العباسي
من قبل الرشيد في سابع رمضان المذكور فاستخلف عون بن وهب
الخزاعي في جمادى الآخرة سنة اثنين وثمانين ومائة فكانت
ولايته تسع شهور ثم تولى اسمعيل بن عيسى العباسي سنة
اثنين وثمانين ومائة وصرف في رمضان من السنة المذكورة فكانت
مدته ثلاثة شهور ثم تولى الليث بن فضل من اهل بيرود
من قبل الرشيد في سابع رمضان من السنة المذكورة وقدم مصر
في شوال فجباه المال والهدايا والتحف واستخلف اخاه الفضل وتوجه
بالمال والهدايا الى الرشيد ثم عاد وتوجه ثانيا بالمال واستخلف
هاشم بن عبد الله وكلما غلق سنة وخرج من حسابها توجه بالمال
الى الرشيد ومعه الحساب ثم صرف عن مصر في جمادى الآخرة
سنة سبع وثمانين ومائة فكانت ولايته اربع سنين وسبعة
اشهر ثم تولى احمد بن اسماعيل العباسي من قبل الرشيد
في جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين ومائة ثم صرف في رمضان
سنة تسع وثمانين ومائة فكانت ولايته سنتين وشهرا ونصفا
ثم تولى عبد الله بن محمد بن ابراهيم العباسي من قبل الرشيد في

شوال سنة تسع وصرف فى شعبان سنة تسعين ومائة فكانت
ولايته عشرة أشهر ثم تولى الحسين بن جميل من قبل الرشيد فى
رمضان سنة تسعين ومائة فكانت ولايته سبعة اشهر ثم
تولى الحسن البحتاح من قبل الرشيد فى ربيع الاول سنة ثلاث
وتسعين ومائة فمات الرشيد واستخلف ابنه محمد الامين فثار
الجند ووقعت فتنة عظيمة فجهز الحسن مال مصر فوثب اهل الحوف
لاخذه فبلغ الحسن فسار من طريق الحجاز لفساد طريق الشام
وكان سيره فى ربيع الاول سنة اربع وتسعين ومائة وصرف فى جمادى
الآخرة سنة خمس وتسعين ومائة فكانت ولايته سنة واحدة
وخمسة أشهر ثم تولى حاتم بن الاشعث الطائى من قبل الامين
وكان لينا فلما حدثت فتنة الامين والمامون قام السرى
ابن الحكم عصبيا للمامون ودعى الناس الى خلع الامين وأجابوه
وبايعوا المامون لثمان بقين من جمادى الاولى سنة ست وتسعين
ومائة وأخرجوا حاتم الاشعث فكانت ولايته سنة واحدة
ثم تولى عبادة بن محمد بن حسان بن أبى نصر من قبل المامون
فى رجب سنة ست وتسعين ومائة فبلغ الامين ما كان بمصر
فكتب الى ربيعة بن قيس رئيس الحوف بولاية مصر وكتب الى
جماعة تعاونه بجيعة الامين وخلع المأمون ولما قتل الامين
صرف عبادة فى شهر صفر سنة ثمان وتسعين ومائة فكانت ولايته
سنة وسبعة أشهر ثم تولى المطلب بن عبد الله الخزاعى من
قبل المأمون فى ربيع الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائة ثم
صرف فى شوال فكانت ولايته تسعة أشهر ثم تولى العباس بن
موسى العباسى من قبل المأمون فى القعدة سنة ثمان وتسعين
ومائة وعزل سنة تسع وتسعين ومائة ثم تولى المطلب
ثانيا من قبل المأمون فى محرم سنة مائتين وعزل فى شعبان
من السنة المذكورة ثم تولى السرى بن الحكم من اهل بلخ من قبل
المأمون فى مستهل رمضان سنة مائتين وتوفى السرى المذكور

سنة أربع ومائتين وهي السنة التي مات بها الشافعي رضي الله عنه
ثم تولى محمد بن السري المذكور من قبل المامون وتوفي في شعبان
سنة ست ومائتين فكانت ولايته اربعة عشر شهرا ثم تولى
عبيد الله ابن السري باجماع من الجند وعزله عبد الله بن طاهر سنة
احدى عشرة ومائتين ثم تولى عبيد الله بن طاهر من قبل المامون
في ربيع الآخرة سنة احدى عشرة ومائتين ثم تولى عيسى بن
يزيد الجلودي باستخلاف عبد الله بن طاهر الى سابع عشر القعدة
سنة ثلاث عشرة ومائتين ثم تولى الامير ابو اسحاق بن
هارون الرشيد وهو المعتصم فاقر موسى على الصلاة فقط وجعل
صالح بن شيراز على الخراج فظلم الناس فحاربوه وقتلوا اصحابه في
صفر سنة اربع عشرة ومائتين ثم تولى عمير بن الوليد التميمي
باستخلاف ابي اسحاق بن هارون الرشيد فخرج لقتال الحوف
في ربيع الاخرة سنة اربع عشرة ومائتين فكانت ولايته شهرين
ثم تولى عيسى الجلودي ثانيا باستخلاف ابي اسحاق بن
هارون الرشيد فحارب اهل الحوف بالمطرية ثم انهزم فاقبل
ابو اسحاق في اربعة آلاف من اتراكه فقاتل اهل الحوف وقتل اكابرهم
وخرج الى الشام غرة محرم سنة خمس عشرة ومائتين في تراكه
ومعه الاسارى ثم تولى عبدوية بن جبلة من قبل ابي اسحاق
فاستمر الى غاية سنة خمس عشرة ومائتين وتوجه الى برقه ثم
تولى عيسى بن منصور الرافعي من قبل ابي اسحاق المذكور في اول سنة
ست عشرة ومائتين فاختلف عليه عرب مصر وقبطها في جمادى
الاول من السنة المذكورة وخلعوا الطاعة فقاتلهم وقتل منهم
فكانت حروبا عظيمة الى ان قدم عبد الله المامون الى المصر سنة سبع
عشرة ومائتين فسخط على عيسى وحل لواه ونسب هذه الفتنة
اليه ثم ان المامون جهز الجيوش لاهل الفساد وسبى منهم من
سبى وقتل منهم من قتل ثم ان المامون اراد الوقوف على الاهرام
ففتح ثلمة من الهرم الكبير الى ان انتهى الى عشرين ذراعا فوجد

بطمرة فيها ذهب مضروب وزن كل دينار أوقيتان من أوا قها وكانت
ألف دينار فتعجب المامون من جودة ذلك الذهب وحمرته وقال
ارفعوا حساب ما انفقتموه على هذه الثلمة فرفعوه فوجدوه
بازاء ذلك المال لا يزيد ولا ينقص فتعجب من ذلك غاية العجب
وقال كان هؤلاء القوم بمنزلة لا ندركها نحن ولا أمثالنا ثم رحل
المامون لثمان عشرة ليلة من صفر سنة سبع عشرة ومائتين
قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف في اخبار مصر وعجائبها
أن سوريد أحد ملوك مصر قبل الطوفان هو الذي بنى الهرمين
الكبيرين العظيمين المنسوبين الى شداد بن عاد وسبب بنائهما
انه قبل الطوفان بثلاثمائة قد راى سوريد في منامه كأن
الارض انقلبت باهلها وكأن الناس قد هربوا على وجوههم وكان
الكواكب تتساقط ويصدم بعضها بعضا باصوات هائلة
فاهمه ذلك ولم يذكره لاحد وعلم انه سيحدث أمر عظيم ثم رآى
بعد ذلك بايام بان الكواكب الثابتة نزلت الى الارض في صورة
طيور بيض وكأنها تخطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين
وكان الكواكب المنيرة مظلمة مكسوفة فانتبه فزعا مرعوبا
فامر عند ذلك بعمل الاهرام ولما شرع في بنائها امر بقطع
الاسطوانات العظام واستخراج الرصاص من ارض المغرب
واحضار الصخور من ناحية اسوان فبنى بها اساس الاهرام
الثلاثة الشرقي والغربي والملون وكانوا يمدون البلاطة ويثقبو
ويجعلون بوسطها قضيبا من حديد قائما ويركبون عليها
بلاطة اخرى منقوبة ويدخلون القضيب فيها ثم يذاب الرصا
ويصب في القضيب حول البلاطة الى ان كملت وجعل ارتفاع
كل واحد من الاهرام مائة ذراع بالذراع الملكي والذراع الملكي
خمسة اذرع بذراعنا الآن وجعل طول كل واحد من جميع جهاته
مائة ذراع بذراع العمل فلما فرغت كساها ديباجا ملونا من
أسفلها الى أعلاها وأنشد بعضهم ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

بعينك هل ابصرت اعجب منظر　على طول ما ابصرت من هرمى مصر
أنافا باكناف السماء وأشرفا　على الجو اشراف السماك على النسر

وقال بعضهم

خليلى ما تحت السماء ببنية　تماثل فى اتقانها هرمى مصر
بناء يخاف الدهر منه وكلما　على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر

وذكر القبط فى كتبهم ان عليهما كتابة منقوشة تفسيرها بالعربية انا سوريد الملك بنيت هذه الاهرام فى وقت كذا وكذا واتممت بناها فى ست سنين فمن اتى بعدى وزعم انه ملك مثلى فليهدمها فى ستمائة سنة وقد علم ان الهدم اهون من البنا وانى كسوتها عند فراغها بالديباج فليكسها بالحصر رجعنا الى ما نحن بصدده ثم ان المأمون ولى مصر بن عبد الله الصفدى المدعو كيدر ومات المأمون سنة ثمان وعشرين ومائتين واستخلف المعتصم فاقر كيدر المذكور ثم مات كيدر المذكور فى ربيع الآخرة سنة تسع عشرة ومائتين بعد أن استخلف ابنه المظفر ثم تولى ابن ابى العباس من قبل المعتصم فى مستهل رمضان سنة تسع عشرة ومائتين فكانت ولايته سنتين واربعة أشهر ثم تولى كيدر بن عبد الله الصفدى من قبل المعتصم ولما مات المعتصم وبويع الواثق اقره الى شهر الحجة سنة ثمان وعشرين ومائتين ثم تولى عيسى بن منصور ثانيا من قبل الواثق سنة تسع وعشرين ومائتين ولما بويع المتوكل صرف عيسى المذكور فى شهر ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ثم تولى منصور بن المتوكل من قبل ابيه المتوكل وضم اليه المشرق والمغرب واستمر الى سنة احدى واربعين ومائتين فكانت مدته سبع سنوات ثم تولى يزيد بن عبد الله من قبل المتوكل فدخل مصر سنة اثنين واربعين ومائتين وهو الذى بنى المقياس الموجود الآن ولما مات المتوكل وبويع المنتصر اقر يزيد المذكور ولما مات المنتصر وبويع المعتز اقر يزيد المذكور وصرف

عنها

عنها سنة اثنين وخمسين ومائتين فكانت ولايته عشر سنوات
ثم تولى أحمد بن مزاحم من قبل المعتز واستمر الى سنة اربع
وخمسين ومائتين

دولة الطولونية

اولهم احمد بن طولون تولى من قبل المعتز فى شهر رمضان
سنة اربع وخمسين ومائتين ولما تسلم مصر وكان على خراجها
أحمد بن المبرد وهو من دهاة الناس وشياطين الكتاب
اهدى الى أحمد بن طولون هدايا قيمتها عشرة آلاف دينار وكان
ابن طولون قد رأى عند احمد بن المبرد مائة غلام قد انتخبهم
وصيرهم عدة له وكان لهم حسن خلق وباس شديد وعليهم
أقبية ومناطق ثقال عراض وبايديهم مقارع غلاظ على طرف
كل مقرعة مقمعة من فضة وكانوا يقفون بين يديه فى حافتى
مجلسه فاذا ركب ركبوا فى صدور الناس بين يديه فيصير له
هيبة عظيمة فتفطن ابن المبرد لاوضاع ابن طولون وقال
من كانت هذه همته لا يومن على طرف من الاطراف فخافه وكره
المقام معه بمصر واتفق مع سفيان الخادم صاحب أحمد المبرد
على مكاتبة الخليفة بازالة أحمد بن طولون فلم تكن غير أيام
حتى بعث أحمد بن طولون الى أحمد المبرد يقول له قد كنت أعزك
الله أهديت لنا هدية وقع الاستغناء عنها فرددناها عليك
توفيراً ونحب أن نجعل العوض عنها الغلمان الذين رأيتهم بين
يديك فانا اليهم احوج منك فقال ابن المبرد لما بلغته الرسالة
هذه أخرى اعظم مما تقدم ولم يجد له بداً من بعثهم اليه
فتحولت هيبة احمد بن المبرد الى احمد بن طولون ونقصت
هيبة ابن المبرد بمفارقة الغلمان فكتب ابن المبرد الى الخليفة
يحرضه على عزل ابن طولون فبلغه ذلك فكتم ذلك فى نفسه ولم
يبده واتفق موت المعتز فى رجب سنة خمس وخمسين ومائتين
وأقام المهدى بالله بن الواثق فاقر احمد بن طولون وزاده اعمالا

على مصر من جملتها اسكندرية وتوجه ابن طولون الى الاسكندرية
وتسلمها ولم يزل يستاصل الامور شيئا فشيئا الى ان قويت شوكته
ونمت عساكره وتغلب وصار سلطانا بمصر وتحول من دار النيابة
بقصر الشمع وبنا بناء بين مصر وجامعه وسماه القطائع وهو
اول من تسلطن بمصر وكان حكمه بمصر والشام والفرات والثغور
وكان يشتغل بالعلم والحديث وصرف على الجامع المعروف
به الآن مائة ألف وعشرين الف دينار وكان له للنفقة برسم الصدقة
كل يوم الف دينار ورتب للعلماء وأرباب البيوت كل شهر عشرة آلاف
دينار ومما يحكى عنه انه تساقطت النجوم في ايامه فراعه
ذلك فاحضر من عنده من المنجمين والعلماء وسألهم فما أجابوا بشئ
فدخل الجمل المصرى الشاعر وهم في الحديث فأنشد

قالوا تساقطت النجوم لحادث فيه عسير
فاجبت عند مقالهم بجواب محتنك خبير
هذى النجوم الساقطات رجوم أعداء الامير

فتفاءل ابن طولون واستبشر وأمر له بخلعة سنية وصلة
وقال للجماعة اف لكم اما كان فيكم من يحسن ان يقول مثل هذا
وتوفى احمد بن طولون ليلة الاحد لعشرين خلون
من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين ودفن خارج باب
القرافة وكانت مدة سلطنته عشرين سنة وشهرين
وخلف ثلاثة وثلاثين ولدا منهم سبعة ذكور وخلف
من الذهب عشرة آلاف ألف دينار ومن المماليك عشرة آلاف
ومن الغلمان اربعة وعشرين الفا ومن الخيل عشرة آلاف ومن
البغال والحمير ستة الاف ومن الجمال عشرة الاف ومن
المراكب الحربية مائة مركب قيل انه روى في المنام فقيل له
ما فعل الله بك فقال انما البلاء على من ظلم من لا ناصر له الا الله
وما على رؤساء الدنيا اشد من الحجاب لطالب الانصاف وقال
بعضهم كنت ارى شيخا يقرا على قبره ثم تركه فسئل عن ذلك فقال

كان له علينا بعض احسان فاحببت أن أصله بالقرآن فقال لا تقرأ على شيئا فانه لا تمر آية الا قيل لى أما سمعت هذه والله تعالى أعلم

ثم تولى بعده ولده خمارويه وبايعه الجند

يوم الاحد لعشرين خلون من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين فتعقب ما كان يفعله والده من الخيرات والصدقات والماكولات والرفاهية والهيبة وزاد على ذلك وأخذ الميدان وجعله كله بستانا وزرع فيه انواع الرياحين واصناف الشجر يحكى عن خمارويه انه شكى الى طبيبه كثرة السهر فاشار عليه بالتغميم فانف وقال لا اقدر على وضع يد احد على بدنى فقال له تعمل لك بركة خمسين ذراعا طولا وخمسين ذراعا عرضا وتملاها من الزيبق فانفق فى ذلك اموالا عظيمة وجعل فى اركان البركة سككا من فضة وجعل فى السكك زنانير من حرير محكمة الصنعة وجعل فراشا من ادم يحشى بالريح حتى ينتفخ وينام على الفرش فصار يرتج ويتحرك بحركة الزيبق مادام عليه فكانت هذه البركة من اعظم ما سمع بها من همم الملوك وكان يرى لها فى الليالى المقمرة منظر عجيب اذا تألق القمر بنور الزيبق ولقد اقام الناس بعد خراب البركة مدة يحفرون لاجل اخذ الزيبق من شقوق البركة وبنى ايضا فى داره دارا للسباع فى كل بيت سبع ولبوة وعلى تلك البيوت ابواب تفتح من اعلاها وكل بيت مفروش بالرمل وفى جانب كل بيت حوض من رخام يصب فيه الماء وكان من جملة هذه السباع سبع ازرق العينين يقال له زريق وقد انس بخمارويه وصار مطلقا بالدار لا يؤذى احدا فاذا انتصب خمارويه مائدته اقبل زريق معها ووقف على يديه فيرمى اليه بدجاجة أو لحم أو غير ذلك مما على المائدة فيبتلعه وكان له لبوة لم تأنس كما انس فكانت فى مقصورة ولها وقت معلوم يجتمع معها فاذا انام خمارويه

سماه زريق يحرسه فاذا نام على السرير براعيه زريق ما دام نائماً وان كان على الارض اقعى قريباً منه وينظر لمن يدخل او يقصد خمارويه ولا يغفل عن ذلك لحظة واحدة وكان قد ألف ذلك وكان فى عنق زريق طوق من ذهب وكان لا يقدر أحد يدنو من خمارويه ما دام نائماً لمراعاة زريق له وحراسته حتى اذا اراد الله انفاذ قضائه وقدره فى خمارويه لما كان بدمشق وزريق بمصر قتل اذ لا يغنى حذر من قدر ومما افاده الكمال الدميرى فى حياة الحيوان ان للسبع أسماء كثيرة وكنى والمتكلمون على طبائع الحيوان يقولون ان الانثى لا تضع الا جرواً واحداً فتضعه لحمة لا حس فيه ولا حركة فتحرسه ثلاثة أيام ثم يأتى ابوه بعد ذلك فينفخ فيه فيتنفس ويتشكل ثم تأتى أمه فترضعه ولا يفتح عينيه الا بعد سبعة ايام من تشكله فاذا مضت عليه ستة أشهر اكتسب التعليم وله صبر على الجوع وقلة الحاجة الى الماء ما ليس لغيره من الحيوان ولا ياكل من فريسة غيره واذا شبع من فريسته تركها ولم يعد اليها ولم يشرب من ماء ولغ فيه الكلب ومع افراط شجاعته يفر من صوت الديك ونقر الطشت ومن السنور ويتحير عند رؤية النار ومتى وضع جلده على شئ من جلود السباع تساقط شعرها ومن علق عليه قطعة من جلده بشعرها امن من الصرع قبل البلوغ فاذا اصابه الصرع بعده لم ينفعه ومن لطخ بشحمه جميع بدنه هربت منه السباع ولم ينله مكروه واذا احرق شعره فى موضع هربت منه سائر السباع ولحمه ينفع الفالج واذا وضعت قطعة من جلده فى صندوق مع ثياب لم يصبها سوس ولا أرضة ومما يناسب ما تقدم من حراسة السبع ان شخصاً مغربياً أخبرنى شفاهاً فى سنة ثلاثين والف ان شخصاً من قرية من قرى جزائر الغرب يقول له ان شخصاً من قريته اجتاز ببعض الاودية فرأى جرو سبع مزرور العينين قد رالقط فالتقطه وجاء به الى منزله وكانت زوجته

مرضعة ومعها ولد فالقمت الجرو ثديها فرضعه واستأنس بها
فصار الولد والجرو كالتوءمين ولما كبر الولد وانتشى وبقى له حركة
فى المشى والدخول والخروج فكان الجرو يتبع الولد اينما سار واينما
نام ينام بازائه واذا اسرح بغنمه يتبعه ويراعيه اذا نام الى ان
صار الولد رجلا والجرو سبعا فقدر الله ان الولد عشق بنتا من بنات
قرية قريبة لقريته فكان يتوجه لها ليلا وهو راكب السبع واذا قرب
من القرية التى فيها البنت يقول للسبع اجلس هاهنا حتى اقضى
مرادى واعود لك فيجلس السبع خارج القرية الى ان يعود له الولد
فاتفق ان أهل البيت فطنوا بالولد المذكور فقبضوا عليه وقتلوه
فاقام السبع ينتظره الى أن طلعت الشمس فلم يحضر فظن السبع ان
الولد توجه الى أمه فكر راجعا الى منزل الولد فلم يجده فقالت ام
الولد للسبع يا ميشوم اين صاحبك فذرفت عيناه بالدموع
وكر راجعا على اثره للقرية التى كان بها الولد فقتل من اهلها فى
ساعة واحدة ما يزيد على عشرين نفرا وكلما دخل السبع منزل
الولد يجد أمه تبكى يعود الى القرية ويقتل من اهلها من يظفر به
الى ان قتل جملة من اهلها ثم ان الذى بقى من القرية شكوا امرهم
لحاكم الولاية فاستشار الناس فى قتله فاشاروا عليه بانه لا يمكن
قتله الا ان تحضر ام الولد ويستانس بها فاذا استانس بها
يضرب ببندقة فيقتل ففعل بذلك وقتل السبع بهذه الحيلة
رجعنا الى ما نحن بصدده من خمارويه فانه لما تكامل عزه
وانتهى امره توجه الى دمشق فقتل بها على فراشه مذبوحا ذبحه بعض
جواريه فى ذى القعدة سنة اثنين وثمانين ومائتين وحمل فى
صندوق الى مصر وكان له يوم عظيم ومن كلام الحكماء ان بطانة
الرجل واهله اذا خانوه فسد حاله فكانت ولايته اثنى عشرة
سنة وثمانية عشر يوما والله سبحانه اعلم

ثم تولى ابو العساكر بن خمارويه فى عاشر القعدة سنة اثنين

وثمانين ومائتين بدمشق فصار الى مصر واشتمل على امور منكرة وقتل فى جمادى الاول سنة ثلاث وثمانين ومائتين فكانت ولايته ثمانية أشهر واثنى عشر يوما

ثم تولى أبو موسى هارون بن خمارويه

فابتدأ بتشاغله باللهو واللذات فاجتمع عماه شيبان وعدى ابناء أحمد بن طولون على قتله فدخلا عليه ليلة الاحد عاشر صفر سنة احدى وتسعين ومائتين فقتلاه وكان سنه اثنين وعشرين سنة وولايته ثمانية سنين وثمانية أشهر

ثم تولى ابو المغازى شيبان بن احمد

ابن طولون فى عاشر صفر سنة اثنين وتسعين ومائتين فانكر عليه قواد هارون بن خمارويه وحالفوا شيبان وبعثوا الى محمد بن سليمان كاتب لؤلؤ غلام أحمد بن طولون فجاء الى مصر فى عسكر جرار فخاف شيبان وطلب الامان فامنه محمد ابن سليمان وقبض عليه فى ثامن ربيع الاول سنة اثنين وتسعين ومائتين فكانت ولايته اثنى عشر يوما ودخل محمد بن سليمان فى اوائل ربيع الاول المذكور فالقى النار فى القطائع ونهب اصحاب الفسطاط وكسر السجن واخرج من فيه واستباح الحريم وافتض الابكار وساق النساء وفعل كل قبيح واخرج اولاد احمد بن طولون وقوادهم فى اهانة وذلة ولم يبق منهم أحد وخلت منهم الديار وآلوا الى البوار فكانت جملة الدولة الطولونية سبعة وثلاثين سنة وسبعة اشهر وعشرين يوما فسبحان المعز المذل ولما خربت القطائع انشد ابن هاشم يقول

يا منزلا لبنى طولون قد دثرا سقاك صوب الغوادى القطر والمطرا
بالله عندك علم من أحبتنا ام هل سمعت لهم من بعدنا خبرا

ثم عادت الدولة العباسية بمصر فى خلافة المكتفى وفى ذلك

بقول احمد بن محمد

الحمد لله اقرارا بما وهبا ... قد كان بالامس شعب الحق فانشعبا

الله أصدق هذا الفتح لا كذب ... فسوء عاقبة حقا لمن كذبا

فتح به فتح الدنيا محمدها ... وفرج الظلم والاظلام والكربا

لما اطال بنوا طولون خطبهم ... بين الخطوب وعاف منهم الخطبا

هاروت بهاروت من ذاكراك بقعتر ... وشتت الشمل شيبان وما رعبا

فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم ... كانها من زمان غابر ذهبا

ثم تولى عيسى النوشرى من قبل المكتفى وقدم الى مصر في سابع جمادى الآخرة سنة اثنين وتسعين ومائتين فتصرف خمس سنوات وشهرين ونصفا الى ان توفى بمصر وحمل الى بيت المقدس ودفن فى شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين ثم تولى تكين الخزرى من قبل المقتدر فى حادى عشر شوال سنة سبع وتسعين ومائتين وفى ولايته جاء حباسة بن يوسف من قبل عبد الله الفا صاحب افريقية واستولى على برقة ثم سار الى الاسكندرية فى زيادة من مائة الف وذلك فى محرم سنة اثنين وثلثمائة فقدمت العساكر من العراق مددا لتكين وبرزت العساكر فكانت واقعة حباسة مشهورة قتل فيها الاف من الناس ورد حباسة ولم يظفر بمراده فكانت مدة تصرف تكين خمس سنين وشهرين وعزل آخر سنة اثنين وثلثمائة ثم تولى ابو الحسن ذكى الاعور الرومى من قبل المقتدر فى ثانى عشر صفر سنة ثلاث وثلثمائة ثم ان المهدى صاحب افريقية سير عسكرا صحبة ابى القاسم فدخل الاسكندرية فى ثامن صفر سنة سبع وثلثمائة وفر الناس الى مصر برا وبحرا وخرج ذكى الاعور والجند الى الجيزة وحفروا خندقا على العسكر فمرض ذكى ومات فكان مدة تصرفه اربع سنين وشهرا ودفن فى تاسع ربيع الاول سنة سبع وثلثمائة ثم تولى تكين ثانيا فنزل الجيزة وحفر خندقا ثانيا واقبلت مراكب الغرب فظفر بها وقدم مونس الخادم من بغداد فى نحو ثلثمائة الف فكانت

حروب مع اصحاب المهدي بالفيوم واسكندرية ورجع ابو القاسم
تابع المهدى الى برقة واقام تكين سنة واحدة وشهرا ثم تولى
هلال بن بدر من قبل المقتدى فبعث الجند على هلال وكثر النهب
والقتل والفسا بمصر فصرف عنها فى ربيع الآخرة سنة احدى عشرة
وثلثمائة ثم تولى احمد بن كيغلغ من قبل المقتدى فى رجب
سنة احدى عشرة وثلثمائة وعزل فى القعدة ثم تولى تكين
ثالثا من قبل المقتدر فى محرم سنة اثنى عشرة وثلثمائة فقتل
المقتدر فى شوال سنة عشرين وثلثمائة وبويع لابى المنصور
القاهر فاقر تكين الى ان توفى سنة احدى وعشرين وثلثمائة
وحمل الى بيت المقدس ودفن فكانت ولايته تسع سنين وشهرا
ثم تولى الاخشيد واسمه محمد بن طغج الفرغانى المدعو ابا
بكر من قبل القاهر فى شوال سنة احدى وعشرين وثلثمائة
فاقام سنة واحدة وبويع للراضى بالله والله تعالى اعلم

ذكر دولة الاخشيدية

ثم ان الاخشيد تغلب واخذها قهرا عن الراضى فى سنة اربع
وعشرين وثلثمائة وقدم ابو الفتح بن جعفر بالخلع للاخشيد
ووقع حروب انهزم بها اتباع ابى الفتح الى برقة وساروا الى القائم
بامر الله محمد بن المهدى بالمغرب وحرضوه على اخذ مصر ثم
ورد كتاب من بغداد الى الاخشيد بالزيادة فى اسمه ودعى له
بذلك على المنبر فى رمضان سنة سبع وعشرين وثلثمائة ولما
بويع المتقى وبويع للمستكفى فاقر اخشيد ولما خلع المستكفى
ودعى للطائع فاقر الاخشيد وتوفى الاخشيد فى ثالث عشر الحجة
سنة اربع وثلاثين وثلثمائة فمدته احدى عشر سنة وثلاثة
اشهر والله اعلم

ثم تولى ابو القاسم ولد الاخشيد
من قبل المطيع والكلام لكافور الاخشيدى وفى سنة ثلاث واربعين

وثلثماية وقع حريق بمصر فى سوق البزازين وقيسارية العسل ودخل الليل والنار على حالها لم تتغير وبات الناس على خطر عظيم فركب كافور وأمر بالندا من جا بقربة اوكوز فله درهم فكان مبلغ ما صرف عشرة الاف درهم وكان من جملة ما احترق غير البضائع والاقمشة الف وسبعماية دار فاقام ابو القاسم أربع عشر سنه وعشرة اشهر وتوفى فى ذى القعدة سنة تسع واربعين وثلثماية

* ثم تولى ابو الحسن على ولد الاخشيد

فاقام خمس سنين وشهرين والكلام لكافور الاخشيدى

ثم تولى كافور المكنى بابى المسك

الاخشيدى كان خصيا اسود بيع بثمانية عشر دينار وقد سبقت له من الله السعادة كما قيل فى المعنى شعر

واذا السعادة صادفت عبد الشرا نفذ على سادانه أحكامه

تولى فى صفر الخير سنة خمس وخمسين وثلثماية وكان يعطى العطى الجزيل اتفق انه وقع فى ايامه زلزلة فدخل محمد بن عاصم الشاعر فانشد قصيدته التى منها

ما ذلزلت مصر من خوف يراد بها لكنها رقصت من عدله فرحا

فاجازه الف دينار ومما اتفق ايضا ان رجلا دخل على كافور ودعى له فقال فى دعائه ادام الله ايام مولانا وكسر الميم فى ايام فتحدث جماعة من الحاضرين فى ذلك فعابوه فقام رجل من وسط الناس وانشد مرتجلا

لا غرو ان لحن الداعى لسيدنا او غص من دهش بالريق أو بهر
فتلك هيبة جلت جلالتها بين الاديب وبين الفتح بالحصر
وان يكن خفض الايام من غلط فى موضع النصب لا عن قلة النظر

فقد تفاءلت من هذا السيد نا | والفال نؤثره عن سيد البشر
بان ايامه خفض بلا نصب | وان اوقاته صفو بلا كدر

فاجازه كافور بجائزة عظيمة وهذه الجوائز التي حشت احمد بن الحسين المتنبي الى المجي الى كافور وقد مدحه ابو الطيب فقال

واخلاق كافور اذا ما شيت مدحه | وان لم تشأ تملي على فاكتب

ذكر صاحب القاموس ان المتنبي خرج الى بني كلب وادعى انه حسيني ثم ادعى النبوة فشهد عليه بالشام وحبس دهرا ثم استتيب واطلق وكان المتنبي مع كثرة ماله واخذه الجوائز العظيمة على جانب عظيم من البخل وكان يقف بين يدي كافور بخفين ومنطقة ويحضر سماطه ويجيء صحبته غلام اسود ومعه قدور خزف يأخذ فيها فضلات الطعام حكي عليه انه طلب نداقا ليعمل له جبايا فاقام عنده سبعة ايام فاعطاه سبعة قراريط من دينار فصعب عليه ذلك فقال له كم ظننت اني اعطيك فقال سبعة دنانير فقال المتنبي والله لو وضعت رجلا على طور زينا ورجلا على طور سينا وتناولت قوس قزح وقابه العرش وندفت قطن الغمام على جباب الملائكة ما اعطيتك دينارا فضلا ان اعطيك سبعة دنانير وان المتنبي طالما امتدح كافور بقصائد طنانة فمن غرر قصائده

فجاءت بنا انسان عين زمانه | وخلت بياضا خلفها وماقيا
قواصد كافور تدارك غيره | ومن ورد البحر استقل السواقيا

فاجازه كافور بجوائز عظيمة فاتفق ان المتنبي دخل على كافور في وقت من الاوقات وطلب منه شيأ وكان الوقت غير لائق للطلب فحصل من كافور تراخي وتغافل فخرج من عنده مغضبا وهجاه فقال

من علم الاسود المخصي مكرمة | اقومه البيض ام اجداده الصيد
وذاك ان الفحول البيض عاجزة | عن الجميل فكيف الخصية السود
العبد ليس لحر صالح واخ | لو انه في ثياب الحر مولود

لا تشترى العبد الا والعصى معه ان العبيد منا حيس مناكيد
روى عن وهب بن منبه انه قال اذا سمعت الرجل يمدحك بما ليس فيك فلا تأمنه ان يذمك بما ليس فيك ومن عجيب ما اتفق للمتنبى مع عبد اسود لسعيد بن مهنا وهو ان العبد جاء الى عطار يطلب منه شيأ من البضائع وكان المتنبى جالسا بحانوت العطار المذكور فقال العبد هات بذى البيضة فلفل وبذى البيضة حنا فقال له المتنبى عبد من انت فقال انى عبد سعيد وسعيد بن مهنا ثم ان العبد سال من العطار عن المتكلم فقال له هذا المتنبى فتقرب منه وقال

يا نسمة الصك هبى ... على قفا المتنبى
ويا قفاه تسدانى ... حتى يصير بقربى
ويا يداه اصفعاه ... طرطق وطرطق طبى
ان كنت انت نبى ... فالقرد لاشك ربى

فلم يجب المتنبى وقال للعطار هذا العبد يموت بعد ثلاثة ايام لشدة حذقه وكان الامر كذلك رجعنا الى ما نحن بصدده من اخبار كافور حكى عنه انه كان جالسا فى بعض الايام على تخت ملكه وارباب دولته وخدمه واقفون بين يديه فسمع سماعا بالات مطربة وايقاع منسجم فحرك كتفه على ايقاع السماع ففطن به ارباب دولته فخشى من انتقادهم عليه فاتخذها عادة الى ان مات ولا عجب فى ذلك فقد قيل لو نزل زنجى من السماء لنزل على الايقاع وقيل اكلت السودان لحوم القردة فاورثتهم الرقص والغالب على السودان من رجال ونساء التخلع والتطبع فى حركاتهم وجمعياتهم وعلى الخصوص اجتماعهم فى الافراح والزفاف ورقصهم على طبلهم وطنبورهم وذلك مستمر الى الآن بمصر من الجامع الصغير قال صلى الله عليه وسلم اشتروا الرقيق وشاركوهم فى ارزاقهم واياك والزنج فانهم قصيرة اعمارهم قليلة ارزاقهم قال الشارح

الاسود انما هو لبطنه ان جاع سرق وان شبع فسق وقال جالينوس اختصت السود بعشر خصال تفلفل الشعر وخفة اللحا وفتح المنخرين وغلظ الشفتين وحدة الاسنان ونتن الجلد وسواد اللون وتشقق الكعاب وطول الذكر وكثرة الطرب فمدة تصرف كافور سنتان واربع شهور وتوفي في عشرى جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثلثماية ودفن بالقرافه وله قبر مشهور والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

ثم تولى ابو الفوارس احمد بن على

الاخشيد وعمره اثنا عشر سنة فاقام سنة واحدة وزالت دولة الاخشيدية وكان مدة تصرفهم اربعا وثلاثين سنة وعشرة اشهر واربعا وعشرين يوما

(* الباب الخامس *)

في دولة الفواطم ويقال لهم العبيديون واختلف المورخون في نسبهم وهم ينتسبون الى فاطمة الزهرا رضى الله عنها وطعنوا فيهم بانهم من اولاد الحسين بن محمد بن احمد القداح وكان القداح مجوسيا وكان ابتداء ظهورهم عبيد الله بن المهدى وثانيهم المنصور وثالثهم المعز لدين الله وهو الذى انتقل من بلاد الغرب الى مصر وملكها من الاخشيديين وكان السبب في ملكها انه لما مات الاخشيدى جهز جوهر القائد بعسكر عظيم ومعه الف حمل من السلاح ومن الخيل ما لا يوصف فملك مصر ذكر المقريزى في خططه ان مصر قبل ان ينقل كرسي الامارة منها كان بها من المساجد ستة وثلاثين الف مسجد وثمانية الاف شارع مسلوك والف ومائة وسبعون حماما وان حمادة جنادة بالقرافة ما كان يتوصل اليها الا بعد عناء من الزحام وان قبالتها في كل يوم خمسمائة درهم وكان

بها من الجهة الشرقية حمام من بناء الروم فدخله شخص وطلب
صانعا يخدمه فلم يجد صانعا متفرغا وان مع كل صانع اثنين او
ثلاثة فسال كم فيها من صانع فاخبران بها سبعين صانعا اقل
من معه دون ثلاثة سوى من قضى حاجته وخرج ثم طاف
غيرها فلم يجد من يخدمه الا بعد اربع حمامات وقيل ان
الاسطلات التى كانت بالطاقات المطلة على النيل كان عدتها
ستة عشر الف سطل ترخى وتملا ولا يخفى ما مصر عليه الآن
من الخراب ودثور الاماكن وان ماء النيل لا يوصل الى الاماكن
المطلة على النيل الا أوان الزيادة فسبحان المحيى المميت لا اله الا هو
وان جوهر القايد لما انتظم حاله ضاقت مصر بالجند والرعية
فاختط سور القاهرة وبنى بها القصور وسماها المنصورية
فلما قدم المعز الى مصر من القيروان غير اسمها وسماها القاهرة
والسبب فى ذلك ان جوهر القايد لما قصد اقامة السور جمع
المنجمين وامرهم أن يختاروا طالعا لحفر الاساس وطالعا لرمى
الحجارة فجعلوا قوائم من خشب بين القائمة والقائمة حبل فيه
أجراس وافهم البنايين ان ساعة تحريك الاجراس يرمون ما
بايديهم من الطين والحجارة فوقف المنجمون لتحرير هذه الساعة
واخذ الطالع فاتفق وقوع غراب على خشبة من ذلك الخشب
فظن الموكلون بالاجراس ان المنجمين حركوها فالقوا ما بايديهم
من الحجارة والطين فى الاساس فصاح المنجمون لا لا القاهر
فى الطالع فمضى ذلك وخابهم ما طلبوه وكان الغرض ان يختاروا
طالعا لا تخرج البلد عن نسلهم فوقع ان المريخ كان فى الطالع
وهو يسمى عند المنجمين القاهر فعلم ان الاتراك لا بدان يملكوا
هذا البلد واقليمها وسماها القاهرة وغير اسمها الاول ويابى
الله الا ما أراد وان جوهر القائد دبر ارض مصر اربع سنين
وبنى الجامع الازهر وكان نهاية بنائه فى سابع رمضان سنة
احدى وستين وثلثمائة وتوفى المعز سابع ربيع الآخرة سنة

خمس وستين وثلثمائة ودفن بقصره بالقاهرة وكان أحضر صحبته توابيت آبائه واجداده ودفنهم في قصره فمدة تصرفه في القاهرة ثلاث سنوات والله سبحانه وتعالى اعلم

ثم تولى العزيز ابو النصر نزار بن المعز

فأقام احدى وعشرين سنة ونصفا وتوفي في حمام بلبيس سنة ست وثمانين وثلثمائة والله أعلم

ثم تولى الحاكم بامر الله ابو على المنصور

وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا وكان يروم ان يدعى الالهية كما ادعاها فرعون قال الشيخ عماد الدين بن كثير في تاريخه كان الحاكم أمر الرعية اذا ذكر الخطيب اسمه على المنبر ان تقوم الناس على أقدامهم صفوفا اعظاما لذكره وكان يفعل ذلك في سائر الممالك حتى في الحرمين الشريفين وكانت اموره متضادة لانه كان عنده شجاعة واقدام وجبن واحجام ومحبة للعلماء وانتقام من العلماء وميل الى الصلاح وقتل الصلاح وكان عنده سخا وبخل بالقليل وقتل من العلماء ما لا يحصى وأمر بسب الصحابة ومنع صلاة التراويح مدة ثم اباحها وكان يعمل الحسبة بنفسه فيدور في الاسواق على حماره فمن وجده غش في أمره امر عبدا أسود معه يقال له مسعود أن يفعل به الفاحشة العظمى وامر أن يعلق في اعناق النصارى الصلبان وان يكون طول الصليب ذراعا وزنته خمسة أرطال وأمر ان يجعل في اعناق اليهود قرامي الخشب وان يلبسوا العمائم السود وصنف له بعض الباطنية كتابا وكتب فيه ان روح آدم انتقلت الى على وان روح على انتقلت الى الحاكم وقرا هذا الكتاب بجامع القاهرة فقصد الناس قتل مؤلفه فصيره الحاكم الى جبال الشام واستمال الناس عليه وأعطاهم المال واباح لهم الخمور والزنا حتى ان جماعة يعتقد

رجوع الحاكم ولا بد ان يعود و يمهد الارض وتلك خيالات كاذبة وظنون فاسدة والكتاب بجبال الدروز الى الآن ذكر الامام الحافظ شمس الدين الذهبي في تاريخه ان الحاكم لما زاد ظلمه عن له ان يدعي الربوبية فادعى علم المغيبات وكان يقول فلان فعل في بيته كذا وكذا واكل كذا وكذا وكان ذلك باتفاق اعتمده مع العجائز اللواتي يدخلن بيوت الامراء وغيرهم فرفعت اليه في اثناء ذلك رقعة مكتوب فيها

بالجور والظلم قد رضينا	وليس بالكفر والحماقه
ان كنت أوتيت علم غيب	بين لنا صاحب البطاقه

فحين رآها سكت عن الكلام في المغيبات وكان هو واسلافه بمصر يدعون الشرف يريدون الافتخار على بني العباس خلفاء بغداد فيقولون ابونا علي وامنا فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم وكان الحاكم يقول ذلك على المنبر وكانت الرقاع ترفع اليه وهو على المنبر فرفعت اليه رقعة فيها مكتوب

انا سمعنا نسبا منكرا	يتلى على السامع في الجامع
ان كنت فيما قلته صادقا	فصف لنا نفسك كالصانع
اوكان حقا كل ما تدعي	فاعدد لنا بعد الاب السابع
اودع الانساب مستورة	وادخل بنا في النسب الواسع

فرماها من يده ولم ينتسب فيما بعد اقول وما عليه بعض الناس الآن وقبل الآن من الدخول في الانساب الشريفة والانتفاء من الانساب الخبيثة هذا مالا يحتاج في دعواه الى بينة وقد شاهدنا كثيرا من الناس ممن هو ليس بشريف ولا أخذ الشرف لا عن أبيه ولا عن جده قد ادعوا الشرف وعلقوا على رؤسهم العصائب الخضر حول العمائم للخضر فقويت شوكتهم وزادت شراتهم وصار كل منهم يقول انا من ابناء الرسول يقصدون بذلك الرفعة وهم في الحقيقة موضوعون انا لله وانا اليه راجعون شعر في المعنى

فتى لما رأى الانساب فخرا	تناول غير نسبة والديه

ويرضى ان يقال له شريف ومن يرضى اذا كذبوا عليه

روى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر بالله من تبرأ من نسب وان دق وادعى نسبا لا يعرف رواه احمد والطبرانى فى الصغير وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادعى الى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادعى الى غير أبيه او تولى غير مواليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين رواه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وعن انس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ادعى الى غير أبيه او انتمى الى غير مواليه فعليه لعنة الله المتتابعة الى يوم القيامة وعن ابى بكر الصديق رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادعى نسبا لا يعرف كفر بالله او انتفى من نسب وان دق كفر بالله رواه الطبرانى فى الاوسط ولولا خوف الاطالة فى هذه العجالة لبسطت القول الى الغاية وفيما اوردنا كفاية والله أعلم وفى سنة ثمان واربعمائة ظهرت سمكة بدمياط طولها مائتان وستون ذراعا وعرضها مائة ذراع وكانت حمير الملح تدخل فى جوفها موسوقة فتفرغ وتخرج ووقف خمسة رجال ومعهم المجاريف يجرفون الشحم من جوفها ويناولونه للناس واقام اهل تلك النواحى مدة يأكلون من لحمها ذكر ذلك المقريزى فى خططه عند ذكر دمياط اقول اذا ضربت عرض هذه السمكة فى طولها بطريق المساحة فبلغ ما قدره ستة وعشرون الف ذراع فيكون ذلك ستة أميال ونصف فان الثلاثة أميال فرسخ والميل الف ذراع والبريد اربعة فراسخ فيكون طولها ثلاثة ارباع بريد فسبحان الخالق المصور لا اله الا هو قيل كان فى زمن الحاكم رجل بمصر يسمى وردان وكان جزارا متعيشا فى اللحم

الضمان وكان كل يوم تأتيه امرأة بدينار مصرى يقارب زنته دينار ونصف وتقول له اعطنى خروفا وتحضر معها حمالا وتأخذه وتروح الى ثانى يوم وقت الضحى فكان يكسب عليها كل يوم دينارا فاقامت مدة طويلة فتفكر وردان ذات يوم فى امرها وقال هذه المرأة كل يوم تشترى منى بدينار ما غلطت يوما بدراهم هذا امر عجيب فسأل وردان الحمال فى غيبة المرأة فقال له انت كل يوم تروح مع هذه المرأة الى اين فقال له أنا فى غاية العجب منها كل يوم تحملنى الخروف من عندك وتشترى الحوايج والفاكهة والنقل والشمع بدينار بدينار آخر وتأخذ من شخص نصرانى مروقتين نبيذ وتعطيه دينارا وتحملنى الجميع الى بساتين الوزير ثم تعصب عينى بحيث انى لا انظر موضع قدمى وتأخذ بيدى فما اعرف اين تذهب ثم تقول لى حط هنا وعند قفص آخر فتعطينى الفارغ وتعود تمسك يدى الى موضع شدت عيناى بالعصابة فيه فتحلها وتعطينى عشرة دراهم فقلت له الله يكون فى عونها وقد تزايد عندى الفكرة والوسواس وبت فى قلق عظيم فلما أصبحت اتتنى على العادة وأعطتنى الدينار وأخذت الخاروف وحملته للحمال وراحت فاوصيت صبيى على أنه كان وتبعتها بحيث لا ترانى وأنا أعاينها الى ان خرجت من مصر وانا اتوارى خلفها الى ان وصلت الى بساتين الوزير فاختفيت حتى شدت عينى الحمال وتبعتها من مكان الى مكان الى ان وصلت الجبل فوصلت الى مكان فيه حجر كبير وحطت عن الحمال وصبرت الى ان عادت بالحمال ورجعت فنزعت جميع ما كان بالقفص وغابت ساعة فاتيت ذلك الحجر فأجده يحاذى لطابق نحاس مفتوح ودرج نازلة فنزلت الى ذلك الدرج قليلا قليلا فوصلت الى دهليز طويل فمشيت فيه وهو كثير النور حتى رأيت صفة باب قاعة فارتكنت فى زوايا الباب فوجدت صفة بها سلالم خارج باب القاعة فتعلقت فيهم اجد صفة صغيرة بها طاقات تشرف على

القاعة فنسلت على القاعة أجد المرأة قد اخذت الخروف وقطعت منه أطايبه وعملته فى قدر وارمت الباقى الى دب كبير عظيم الخلقة فاكله عن آخره وهى تطبخ فلما فرغت اكلت كفايتها ومدت الفاكهة والنقل ومدت النبيذ وصارت تشرب بقدح بلور وتسقى الدب بطاسة من ذهب حتى انتشا فنزعت لباسها ونامت فقام لها الدب فواقعها وهى تعاطيه من احسن ما يكون لبنى آدم حتى فرغ وجلس ثم وثب اليها حتى فعل ذلك عشر مرات ووقع ووقعت وهما مغشيان عليهما لا يتحركان فقلت هذا وقتى ايش انتظر فنزلت ومعى سكين تبرى العظم فاجدهما لا يضربان بعرق لما قد نالهما من الشدة فلم افتردون ان جعلت السكين فى نحر الدب واتكيت عليه خلصت رأسه عن بدنه فبقى له شخير قلب المكان فانتبهت المرأة مرعوبة لما رأت الدب مذبوحا وانا واقف والسكين بيدى فزعقت زعقة ظننت ان روحها قد خرجت وقالت يا وردان هذا جزاء الاحسان فقلت لها يا عدوة نفسها أعدمت الرجال حتى تفعلى هذا الفعل الذميم فاطرقت الى الارض لا ترد جوابا وتاملت الدب وقد نزع رأسه فقالت يا وردان ايما خير لك ان تسمع الذى اقول لك ويكون سبب سلامتك وغناك الى آخر الدهر او اهلاكك فقلت قولى قالت تذبحنى كما ذبحت هذا الدب وخذ من هذا الكنز حاجتك وروح فقلت لها انا خير من هذا الدب فارجعى الى الله وتوبى واتزوج بك ونعيش باقى عمرنا بهذا الكنز قالت يا وردان ان هذا بعيد بقيت اعيش بعده والله متى لم تذبحنى لأتلفن روحك فلا تراجعنى تتلف والسلام فقلت الى خلف سقر وجذبتها بشعرها فذبحتها ووجدت من الذهب والفصوص واللؤلؤ ما لا يقدر عليه أحد فاخذت قفص الحمال وملات من هذا الذهب ما اطيق حمله وسترته بقماشى الذى كان على وطلعت ولم ازل سائرا الى باب مصر واذا بعشرة من وال الحاكم والحاكم معهم فقال يا وردان قلت لبيك قال قتلت الدب

والمرأة قلت نعم قال حط عن رأسك وطيب قلبك فلك هذا
لا ينازعك فيه أحد فحطيت القفص بين يديه فكشفه ورآ
وقال حدثني فانى حاضر فحدثته بجميع ما جرى وهو يقول
صدقت فقال يا وردان قم سلم الى الكنز فاتيت به اليه فوجدت
الطابق مغلقا فقال الحاكم شله يا وردان هذا الكنز لا يقدر
يفتحه أحد غيرك فهو باسمك يفتح فقلت والله لا أطيقه
قال فتقدمت اليه وسميت الله تعالى ومددت يدى الى الطابق
فاشتال أخف ما يكون فقال الحاكم انزل واطلع ما فيه فانه
لا ينزله الا من هو باسمه وهذا على اسمك من حين وضع وقتل
هؤلاء على يديك وهو مؤرخ عندى وكنت انتظره حتى وقع
قال وردان فنزلت فنقلت له جميع ما فى الكنز ودعى بالدواب
وحمله وأعطانى قفصى بما فيه فأخذته وعمرت به السوق المعروف
المعروف بسوق وردان وعاش وردان فى ارغد عيش وهذا اتفاق
عجيب روى عن محمد بن يوسف بن يعقوب الكندى ان أبا
عبيدة وردان مولى عمرو بن العاص كان روميا يقال انه من سبى
أصبهان ويقال انه من روم ارمينية ويقال من روم الشام
ويقال من روم ترابلس الغرب حضر فتح مصر واختط دار عمر
ابن مروان واختط له دارا فى الفضاء وعمر بجانبها سوقا
وعرف به فصار السوق يعرف بسوق وردان ويحكى عن الاصمعى
قال كان عمرو بن العاص ذات يوم عند معاوية ومعه
وردان مولاه فقال معاوية لعمرو ما بقى من لذتك يا ابا عبد الله
قال محادثة أخ صدق مأمون على الاسرار فاقبل على وردان فقال
وأنت يا أبا عثمان ما بقى من لذتك قال النظر فى وجه كريم امتحنته
نكبة فاصطنعت اليه فيها يدا حسنة فقال معاوية أنا أولى
منك بذلك وقتل وردان بالبرلس سنة ثلاث وخمسين قتلته
الروم فى خلافة معاوية بن ابى سفيان وعقبه بمصر ولعل وردان
الجزار صاحب الكنز المتقدم ذكره من عقب وردان مولى عمرو بن

العاص والله أعلم ذكر في حياة الحيوان ان الدب يحب العزلة اذا
جاء الشتاء ولا يخرج حتى يطيب الهواء واذا جاع مص يديه
ورجليه فيندفع عنه الجوع ويخرج في الربيع اسمن مما كان وفي
طبعه فطنة عجيبة لقبول التأديب لكنه لا يطيع معلمه الا
بعنف وضرب شديد ومن خواصه اذا القي نابه في لبن المرأة
المرضع وسقي للصبي نبتت اسنانه بسهولة وشحمه يزيل البرص
طلاء واذا اكتحل بمرارته مع ماء الرازيانج وهو الشمار اذهب ظلمة
البصر واذا احتشى بشحمه الباسور نفعه قيل كان لبعض السلاطين
ابنة احبت عبدا اسود فافتض بكارتها وولعت بالنكاح فكانت
لا تصبر عنه ساعة واحدة فشكت امرها لبعض القهرمانات
فاخبرتها بان لا شيء ينكح اكثر من القرد فاتفق ان جاء قراد تحت
طاقتها بقرد كبير فاسفرت عن وجهها ونظرت الى القرد وغمزته
بعينيها فقطع القرد وثاقه وطلع لها فاخبأته في مكان عندها
وصار معها ليلا ونهارا على اكل وشرب ونكاح ففطن ابوها
بذلك واراد قتلها فتزيت بزي المماليك وركبت فرسا واخذت لها
بغلا وحملته من الذهب والمعادن ما لا يوصف وحملت القرد
معها الى ان وصلت الى مصر فنزلت في بعض بيوت بالصحرا وصارت
كل يوم تشتري من شاب جزار لحما لكن لا تأتيه الا بعد الظهر
وهي مصفرة الوجه فقال الجزار لا بد لهذا الشاب من امر فتبعه
من حيث لا يراه وهو يتوارى من محل الى محل الى ان وصل الى المكان
الذي بالصحرا فتسلق عليه من بعض جهاته فلما استقر الشاب
بمكانه اوقد النار وطبخ اللحم واكل منه كفايته وقدم الباقي
لقرد كان معه فاكل القرد كفايته ثم ان الشاب نزع ثيابه ولبس
ثيابا افخر ما يكون من ملابس النساء قال الجزار فعلمت انها انثى
ثم انها احضرت خمرا وشربت منه وسقت القرد الى ان انتشا
وبعد ذلك انضجعت للقرد فتناولها نحو عشر مرات حتى غشي
عليها ثم ان القرد اسبل عليها ملاية حرير وراح الى محله ثم ان

الجزار نزل الى وسط المكان فلما احس به القرد اراد افتراسه فبادره
بسكين كانت معه فقد كرشه فانتبهت الصبية فزعة مرعوبة
فرأت القرد على هذه الحالة فصرخت صرخة كادت ان تزهق روحها
ثم افاقت وقالت للجزار ما حملك على ذلك لكن بالله عليك الا ما الحقتني
به فقال الجزار فلا زلت الاطفها واضمن لها ان اقوم بما قام به
القرد من كثرة النكاح الى ان سكن روعها وتزوجت بها ولقيت
منها شدة فما صبرت على ذلك فشكوت امري لبعض العجائز وذكرت
لها ما كان من امرها فالتزمت لي بتدبير هذا الامر وقالت لي ائتني
بقدر وعلاه من الخل البكر واحضر قدر رطل من عود القرح
فاحضرت لها ما طلبته ثم علقت القدر على النار والقت العود
القرح على الخل الذي بالقدر وغلت تلك القدر غليانا قويا ثم
امرتني بنكاح الصبية فنكحتها الى ان غشي عليها فحملتها العجوز
وهي لا تشعر والقت فرجها على فم القدر فصعد دخانها الى داخل
فرجها فنزل من فرجها شيء في القدر وطق طقة مسموعة ثم
بعد ذلك نزل شيء آخر من فرجها فاذا هما دودتان احداهما
سوداء والاخرى صفراء فقالت العجوز الدودة الاولى تربية
القرد والاخرى من العبد فلما افاقت من غشوتها مكثت مدة
لم تطلب النكاح فاعلمتها بالقضية وصرف الله عنها تلك الحالة
ومكث الجزار معها في ارغد عيش واحسن معيشة واتخذت الصبية
العجوز مقام والدتها ذكر في عين الحياة ان القرد حيوان
ذكي سريع الفهم وان ملك النوبة اهدى الى المتوكل قردا خياطا
وآخر صائغا وهذا الحيوان شبيه بالانسان في غالب حالاته
فانه يضحك ويطرب ويتناول الشيء بيده ويقبل التلقين والتعليم
ويألف الناس وله غيرة على الاناث وفي عجائب المخلوقات من تصبح
بقرد عشرة اياما تأتيه السرور ولا يكاد يحزن واتسع رزقه
واحبه الناس حبا شديدا ذكر القاضي ناصر الدين البيضاوي
في تفسيره في قوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا

قردة خاسئين روى ان الناهين لما ايسوا من اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم لشانا قد خلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسابهم لكن القردة تعرفهم فجعلت تأتي انسابهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث يحكى ان بعض الناس دخل على شخص ولى الوزارة فاظهر سرورا مفرطا حتى رقص وصفق بيديه ايهاما لغلبة الفرح اليه فامر ذلك الوزير باخراجه واهانته وقال لجلسائه انما اراد قولهم وارقص للقرد في دولته قال بعضهم

واسجد لقرد السوء في زمانه وداره ما دمت في مكانه

ذكر في كتاب رجوع الشيخ الى صباه اذا كان القمر في الميزان يؤخذ فص كارو زنه تسعة عشر شعيرة وينقش عليه صفة قرد جالس على قرافيصه ماسك احليله بيده الشمال وينقش حوله هذه الاحرف وهي ا ه ط م ر ف ش ذ ثم يجعل الفص تحت لسانه عند الجماع فانه يرى عجبا من قوة الجماع وحكى فيه من بعض الملوك انه كان عنده ثلثمائة وستون جارية وكانت لكل واحدة منهن يوما في السنة قال فحضرن عنده ذات يوم باجمعهن وكان يوم عيد فصف الجميع بين يديه واستدعى بالشراب فشرب وسكر فغنى من جواريه من غنى ورقص من رقص وطاب المجلس فقال الملك لجواريه ويحكن تمنين على منكن كل واحدة ما في نفسها ما خلا واحدة منهن فانها قالت ايها الملك تمنيت عليك ان اشبع نكاحا قال فغضب الملك غضبا شديدا وامر كل من في القصر من الغلمان والمماليك ان يجامعوها فكان عدة من جامعها الف رجل ولم تشبع ثم ان الملك استدعى بعض الحكما وقص عليه قصة الجارية فقال ايها الملك اقتل هذه الجارية والا افسدت اهل بيتك فان هذه قد انعكست احشاؤها فلو نكحت مدة حياتها ما شبعت ولا رويت واكثر ما يعرض

ذلك الجوار الروميات والنساء التي اعينهن زرق فانهن يحببن
النكاح ذكر البيضاوي في تفسيره في سورة طه عند قوله
تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا اي زرق العيون وصفوا بذلك
لان الزرقة اسوء الوان العين وابغضها الى العرب لان الروم كانوا
اعداءهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في العدو اسود الكبد
ازرق العين قيل للمعافاة الاعرابية كم تعشقين فقالت
ثلاثون الفا كل يوم راجيهم وما في فؤادي منهم احد يبقى *
قيل ان سقراط خرج مسافرا فراى امراة قد اخرجت معه
فقال اما انا فقد عرفت العرين فما بال هذه قالوا زنت وهي
غير محصنة قال الان قد حجرتم في القضية قالوا وكيف ذلك
قال ليس العجب للمراة كيف تزني وانما العجب ان تعف لانها
مخلوقة بطباع الشهوة قال بعض الحكما ان الرجل كلما طعن
في السن ضعفت حركته وبطلت شهوته وعز نكاحه وقال جالينوس
المراة مخلوقة بخلاف طبع الرجل وقال غيره المراة كلما طعنت
في السن تزايدت شهوتها وطلبت النكاح للذتها وقيل ان جماعة
من اللصوص دخلوا الى بيت يعتقدون ان فيه كنسا فلما دخلوا
لم يجدوا شيا سوى شيخ وعجوز وشاة مربوطة بالدار فقعدوا
على عشو رهم وقعد وايتشاورون فيما يفعلون وقد خاب
املهم فقال بعضهم لبعض نروح لغير هذا المكان فكيف يكون
العمل قال بعضهم نذبح هذا الشيخ والشاة ونشوي لحمها
وناكل وننكح هذه العجوز باجمعنا الى وقت السحر وهذا الشيخ
والعجوز يسمعون كلامهم فقال الشيخ للعجوز سمعت ما قالوا
قالت نعم قال وكيف يكون العمل قالت نصبر يا رجل لقضاء
الله تعالى قال اما انت تصبرين لمصلحتك وانا والشاة يا عجوز
النحس ما نصبر قال فضحك اللصوص وخرجوا وتركوهم فانظر
الى هذه العجوز من شدة شهوتها النكاح لم تكترث بذبح
زوجها ولا اشغلها ذلك عن بلوغ وطرها قيل تفاخرت

قينة وعشقها فقالت القينة جرى انعم من كني واصبر من خنى
ابيض نقي شفاف عريض السواعد والاكتاف افطس املس حامي
نامي اصلع افرع مولد من جنسين قد ركبين بعض الايرانعم من لفه
حرير كانورى ضرار داني عصار اكبر من عمامة قاضي قد
ملأ ما بيننا فما دعى من عظمة فج سيقاني ومن قوة حركته يحك
باطلق من الغاني معقب بين غليظ الكافات فدجمع صفات
السبع كافات يمص مص الكاس احر واحمى من كانون الحرائر
او في من كساف زمن الشتا فقال العشيق قد كشفت عن مكنون
سرك واحسنت لكن حسبت اشيا وغابت عنك اشيا ما تعلمين
ان لي ايرا ما يقبله حلق الزبر اقوى من زنار واطول من اشطار
واعظم من فيشله خيار مجرد الراس يسد الانفاس كانه مراس
موعا العروق مسدد الخروق كان بجراه بوق يسع عشرين
فوله مثلوله اذا قام وصل السحاب وخرق الثياب ومرق من
الباب كانه الاسد الوثاب ان حمل هد وان دخل سد يخرج كما
عبر ولا عند انتزاعه ينكسر يقوم من غمزه اطول من كتاب
ينقض شهوته مثل الشباب سالم من جميع العلل والافات قد
جمع العشر كافات (وفي المعنى مواليا) ايش قلت
في كس انعم من فرو السمور احمر موريعا كالخمر من البلور
ضيق وعنده حراره تشبه التنور سالم من الشعر والرعود
والزنبور الجواب ايش قلت في زب سميته عويد النور
يصلح لهذا الذي انعم من السمور ان قلت جاروق كانت
جاروقه التنور واذا كان رصاع كان رصاعه الزنبور
ومن ايسر ما يدل على غفلة الجارية ان ابويها ابرلها صغيرة
ويعمونها كبيرة ولا تراعي هذه الحقوق مع وجود عقلها بكل
انها قعادلمن تريد لشهوتها وتصطفيه للذتها على ابويها
وهي تعلم فرض حقوق الوالدين وكثير ممن تربت في النعم
الجليلة والامور الحسنة تركت ذلك ونسيت الاوطان

وتنافرت

وسافرت البلدان ونكست العمايم وتجسرت على العظايم والقت نفسها القتل كل ذلك متابعة لشهوتها وانها تحمل من الاسباب والحلل والطيب فتضمخ نفسها بالمستق الوضيح الزفر العفد د فترمى نفسها عليه وهذا مشاهد فى زماننا هذا فنسال الله العزيز الغفار الحليم الستار ان يسترنا فى ذريتنا انه على ما يشا قدير ولقد انصف من قال

احب بنيتى واود جهدى	تكون بنيتى فى قعر لحد
وما بى بغضة فيها ولكن	مخافة ان تقاسى الذل بعدى
اذا عاشت وفاز بها لئيم	فيلعن والدى ويسب جدى
وان يظفر بها رجل غنى	يرانى عنده فى زى عبد
وان يك زوجها رجلا فقيرا	فيدفعها ويبقى الهم عندى
وان وافاه فى الاجال قصر	تجئ بعسكر من غير جند
سالت الله ياخذها قريبا	وان كانت اعز الناس عندى

عدنا الى ما نحن بصدده من امر الحاكم فلما اراد الله سبحانه وتعالى بهلاك الحاكم وكان السبب فى ذلك انه اراد قتل اخته سيدة الملوك وهم ان يرسل اليها القوابل فانه بلغه انها بكارة وقال لبعض قهرماناتها سمعت انكن تجمعن الجموع ويدخل اليكن الرجال ولابد من قتلكن جميعا وتكرر هذا القول فعلمت اخته انه يقتلها لا محالة فاخذت فى تدبير الحيلة والعمد فى قتل اخيها الحاكم وخرجت ليلا واتت الى دار الامير يوسف سيف الدولة ابن دواس وكان الحاكم قد نوى على قتله فدخلت عليه خفية واختلت به فعظمها واكرمها فقالت له انت تعلم ما جرى من اخى فى سفك الدما وقتل وجوه الدولة وقد صمم على قتلى وقتلك فقال لها كيف الحيلة فى قتله فقالت الراى عندى ان تجهز له رجالا يقتلونه عند خروجه الى حلوان فانه ينفرد بنفسه وانت تكون المدبر لدولة ولده فاتفقا على ذلك ومضت الى قصرها فلما كان صبيحة النهار وخرج الحاكم على عادته

وانفرد بنفسه فى المقطم وكان سيف الدولة قد احضر له عشرة
عبيد واعطا كل واحد منهم خمسمائة دينار وعرفهم كيف يقتلونه
فسبقوا الى الجبل وخرجوا عليه وقتلوه فالمغرب من حلوان فخرج
الناس على عادتهم يلتمسون رجوعه ومعهم دواب الموكب ففعلوا
ذلك سبعة ايام ثم خرجوا فى طلبه فبينما هم كذلك اذ ابصروا
حماره الاشهب المدعو بالقمر قد قطعت يداه وعليه سرجه
ولجامه فتتبعوا اثره الى ان انتهى الى المقصبة التى شرقى حلوان
فنزل رجل فوجد ثيابه وهى مزرورة وفيها اثار السكاكين
وكان ذلك فى سابع شوال سنة احدى عشرة واربعمائة
وتصرف خمسا وعشرين سنة وشهرا وبنى فى مصر الجامع
المعروف به الكائن بالقاهرة فيما بين بابى النصر والفتوح وهو
الموجود الآن ولما بناه قصد قطع الخطبة من الجامع الازهر
فقدر الله انه ما خطب فيه الا ولده وانشد بعض الادباء موالبا
فى الجامع المذكور فقال

بجامع الحاكم اسمع قال يا سامع انا الذى قد ظهر نورى مضى لامع
للموالى كرانى للعدا قامع والنصر والفتح عمرى بينهم جامع

ثم تولى الظاهر ابو الحسن على بن الحاكم *

فاقام خمسة عشرة سنة وثمان شهور وتوفى بالقنطرة بمكة
المقس سنة سبع وعشرين واربعمائه

ثم تولى المستنصر بالله ابو تميم بن الظاهر

فاقام ستين سنة واربع شهور وفى زمنه فى سنة سبع
وخمسين واربعمائة حصل بمصر غلا شديد وعم مع الغلاء
وباء شديد فاقام سبع سنين والنيل يمتد وينزل فلم يجد
من يزرع وانقطعت الطرقات برا وبحرا وصار الحال الى ان
ابيع الرغيف من الخبز الذى وزنه رطل باربعة عشرة درهما

وبيع الاردب القمح بثمانين دينارا واكلت الناس الكلاب والقطاط ثم تزايد الحال الى ان اكلت الناس بعضهم بعضا ذكر ذلك المقريزي في خططه ثم توفي المستنصر في شهر ذي الحجة سنة سبع وثمانين واربعماية وفي ايامه في سنة خمس وثمانين واربعماية بنا امير الجيوش بدر الجمالي الارمني باب زويله الموجود الآن

ثم تولى المستعلي بالله ابو القاسم احمد *

ابن المستنصر وكان الكلام في مملكته للافضل امير الجيوش بن البدر الجمالي المذكور وهو الذي بنا الجيوشي بسفح المقطم وبني جامع الجيزة وكان المستعلي سنيا وفي ايامه اخذت الفرنج بيت المقدس في ضحوة يوم الجمعه سنة اثنين وتسعين واربعماية وكانت مدة المستعلي سبع سنين وتوفي سنة خمس وتسعين واربع ماية

ثم تولى الامر باحكام الله ابو علي المنصور

ابن المستعلي وفي ايامه بنا الجامع الاقمر فكانت مدة الامر تسع وعشرين سنة وثمانية اشهر الى ان قتل بالجيزة سنة اربع وعشرين وخمسماية

ثم تولى الحافظ لدين الله عبد المجيد

فاقام تسعة عشرة سنة وسبع شهور وتوفي سنة اربع واربعين وخمسماية والله سبحانه وتعالى اعلم

ثم تولى الظافر باعداء الله اسماعيل

ابن الحافظ وفي ايامه عمر الجامع المعروف بالفاكهاني داخل باب زويلة الموجود الآن وهو عامر مقام الشعائر الاسلامية قيل ان السبب في عمارته ان محله كان مجزره يذبح فيها الاغنام * وبوسط المجزره حفرة يجتمع فيها ما من غسالة الذبايح وكان لامير من امرا الظافر بيت تجاه المجزرة المذكورة وبه محل

مشرف على الجزرة فجاء جزار بخروفين فذبح الاول وشرع يذبح الثانى فطرق طارق باب الجزرة فوضع الجزار سكينه عند الخروف الذى لم يذبح وتوجه الى الباب ينظر طارقه فاخذ الخروف السكين بفمه والقاها فى بركة الماء فاتفق ان الامير رضا بالبيت المذكور كان جالسا بالمكان المشرف على الجزره وهو ينظر اخذ الخروف السكين والقاها فى الماء فلما جاء الجزار فلم يجد سكينه فاراد أن يذبح الخروف بسكين كانت معه فقال له الامير امسك يدك ولا تذبح الخروف فتوجه الامير الى الظافر واخبره بذلك فتعجب ثم استأذنه فى عمارة الجزرة جامعا فاذن له فعمره فكانت مدة تصرف الظافر اربع سنين وسبعة اشهر الى ان قتل بدار الوزارة المعروفة بالسيوفية الموجودة الآن بباب الزهومة سنة تسع واربعين وخمسماية والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

ثم تولى الفائز عيسى بن الظافر باعداء الله

وعمره خمس سنوات وفى ايامه تولى الوزارة الملك الصالح طلايع ابن ازبك الذى بنى الجامع خارج باب زويله فاقام الفائز ست سنوات ونصف ومات سابع رجب سنة خمس وخمسين وخمسماية والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب •

ثم تولى العاضد عبد الله بن يوسف الحافظ

فاقام احد عشر سنة وستة اشهر وخلع ومات فى حادى عشر محرم سنة سبع وستين وخمسماية وبموته انقطعت دولة الفاطميين كما انقطعت دولة من قبلهم ومدة تصرفهم بمصر مليا سنه وثمانين وخمسة اشهر ولله در القائل

وبادروا جميعا فلا مخبر ... وماتوا جميعا وصح الخبر
فمن كان ذا عبرة فليكن ... فطينا فى من مضى معتبر

الباب السادس

في الدولة الايوبية السنية اصحاب الفتوحات اولهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب وكان سلطانا مهابا من الله عليه بالفتوحات ومكنه من الكفار الفجار من اعظم ما افتتحه بيت المقدس يوم الجمعة ثالث عشر رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسماية بعد ان استولت الافرنج عليه احدى وتسعين سنة ومنها فتح الشام كلها وانه استفادها من ايدي الافرنج ذكر صاحب الانس الجليل ان السلطان صلاح الدين لما فتح حلب مدحه محي الدين زكريا قاضي دمشق بقصيدة منها

* وفتحكم حلبا بالسيف في صفر * مبشر بفتوح القدس في رجب *

وكان كما قيل وهذا اتفاق عجيب وان السلطان صلاح الدين بنى خانقاه سعيد السعدا وقلعة الجبل وبير الحلزون وسور باب الوزير والمدرسة التي بجوار تربة الامام الشافعي وسور باب البحر وسوا في القلعة وله الخيرات الكثيرة الى يومنا هذا وفي ايامه ظهر باليمن خارجي استولى على بلاد اليمن وكان يدعي مذهب القرامطة وينتمي الى صاحب مصر الفاطمي ويتستر بالاسلام فقتل خلقا كثيرا وشق بطون الحوامل وذبح الاطفال فمات وملك ولده بعده ففعل اشد ما فعل ابوه وبنى على قبر ابيه قبة عظيمة صفح حيطانها بالذهب والجوهر وعلق بها قناديل الذهب والستور الحرير التي لم يعمل في الدنيا مثلها ومنع اهل اليمن من الحج الى الكعبة وامرهم بالحج الى القبة وكانوا يحملون اليها من الاموال في كل سنة ما لا يحصى * ويطوفون بها ومن لا يحمل شيا قتله واقام على الفسق والفجور وذبح الاطفال وسبي النسا وسفك الدما فكاتب اهل اليمن السلطان صلاح الدين يوسف فسير اليه اخاه شمس الدولة ففتح اليمن وقتل الخارجي وكان اسمه عبد الله ابن المهدي وهدم القبة واخذ ما فيها من الاموال والجواهر فكان جملة ما اخذه ستماية حمل ونبش القبر واخرج عظام الخارجي واحرقها حكى الشيخ عماد الدين في تاريخه البداية والنهاية ان السلطان صلاح الدين بن

ايوب لما استعرض حواصل القصرين بعد وفاة العاضد وانقراض دولة الفواطم وجد بالحواصل امتعة وآلات وملابس وثيابا فاخرة وشيأ باهرا وامرا هايلا من جملة ذلك طبل اذا ضرب عليه احد ممن حصل له ريح في جوفه يخرج ريح من دبره ويتصرف ما يجده من القولنج فاتفق ان بعض الاكراد اخذ في يده ولم يدر ما شانه فلما ضرب عليه حبق فالقاه من يده فانكسر وبطل امره وتوفي السلطان صلاح الدين في سابع صفر سنة تسع وثمانين وخمسماية فكانت مدة تصرفه اثنين وعشرين سنه وشهرين

ثم تولى الملك العزيز عماد الدين

ابو الفتح عثمان فتصرف في الملك خمس سنين وعشرة ايام وتوفي في المحرم سنة خمس وتسعين وخمسماية ودفن بداره بالقاهرة ثم نقل الى تربة الامام الشافعي قبل بنا القبة ومما يحكى ان الملك العزيز كان يميل الى القاضي الفاضل في حياة ابيه فاتفق ان العزيز هوى قينة شغلته عن مصالحه فبلغ ذلك والده فامره بتركها ومنعها منه فشق ذلك عليه فلما طال ذلك بينهما ارسلت له مع بعض الخدام قطعة عنبر مرمومه فكسرها فوجد فيها زرا من ذهب فلم يفهم المقصود فاطلع القاضي الفاضل على ذلك فانشد يقول

اهدت لك العنبر في ضمنه ... زر من التبر رقيق الختام
فالزر والعنبر تفسيره ... زر هكذا مختفيا في الظلام

وفي زمن العزيز قدم ابن عنين الشاعر من عند الملك العزيز سيف الدين بن شاذي ملك اليمن وقد اجزل صلته عندما وفد عليه فلما قدم الى مصر بما قدم من المتجر طالبوه بالزكاة فقال

ما كل من يتسمى بالعزيز لها ... اهلا ولا كل برق سحبه غدقه
بين العزيزين فرق في فعالهما ... هذاك يعطي وهذا ياخذ الصدقه

(ثم تولى الملك الافضل)

نور الدين علي بن السلطان صلاح الدين يوسف وكان مناحبا حسن الصورة قيل ان عاقب علي ذنب يكتب الخط الحسن وله المناقب الجميلة وهو اكبر اخوته ما صفا له الدهر ولا هناه بالملك ثم تعصب عليه عمه العادل ابو بكر واخوه عثمان فاخرجاه من دمشق وفي ذلك كتب الى الناصر ببغداده

مولاي ان ابا بكر وصاحبه عثمان قد غصبا بالسيف حق علي
وهو الذي كان قد ولاه والده عليهما واستقام الامر حين ولي
فخالفاه وخلا عقد بيعته والامر بينهما في النقص حين جلي
فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقي من الاواخر ما لاقا من الاول

فكتب اليه الناصر الجواب يقول فيه

وافي كتابك يا ابن يوسف معلنا بالصدق يخبر ان اصلك طاهر
غصبوا عليا حقه اذ لم يكن بعد النبي له بيثرب ناصر
فاصبر فان غدا على جزاؤهم وابشر فناصرك الامام الناصر

ولم ينصره بل توفي الافضل فجاة رحمه الله تعالى وانه اقام سنة ست وتسعين وخمسماية ومن كلام الملك الافضل علي شعر في المعنى

اما آن للسعد الذي انا طالب لادراكه يوما يرى وهو طالبي
الاهل يرى الدهر ايدي شيمتي تمكن يوما من نواصي النواصب

شعر في المعنى

اقول لدهر قد توالت صروفه اليس لهذا يا زمان زوال
فقال اصطبر كم دولة قد تغيرت لكل زمان دولة ورجال

ومن كلام القاضي الفاضل

وانا علي دفع الايام وهي تدافعني ولسان الليالي وهي تخالفني

شعر مفرد بعده

قالوا انزلت فقلت الدهر اقسم بي لا وجه للرفع في المجرور بالقسم

ثم تولى الملك العادل سيف الدين

ابو بكر بن ايوب ودعا له ولولده الكامل في الخطبة وفي ايامه

انتقلت السلطنة من دار الوزارة بالدرب الاصفر الى قلعة الجبل
في سنة اربع وستماية واول من سكنها الكامل نائبا عن ابيه احدى
عشرة سنة ثم توفي العادل في جمادى الاخرة سنة خمس عشرة
وستماية فكانت مدته تسع عشرة سنة واربعين يوما والله اعلم

ثم تولى الملك الكامل ابو الفتح

ناصر الدين محمد فعمر قبة الشافعي والمدرسة التي بين القصرين المعروفة بالكاملية قال نور الدين بن المشرف ان صاحب حصن حيفا لما جاء الشتاء ببروده وهجم عليه بخيله وجنوده وقوس الشتاء يرشق بسهام القطر من جودها والريح يزمر كلما دقت طبول الرعد من جوها والثلج قد نتف رياشه وجعل الارض فراشه والجليد قد اذاب الاجسام وما ذاب وكلما مالت الشمس توارت بالحجاب وبيته فارغ من المشارب والماكل وقال يشكو حاله للملك الكامل شعر

أحن الى الارز المفلفل بالتبل ... ويشتاق قلبي للبسايس بالعسل
وارتاح ان هبت رياح شرايح ... وان حضر اللحم السمين فلا تسل
وان قدموا نحوي خروفا مشوي ... تري وقعتي فيه ولا وقعة الجمل
اشمر عن كف بخمس صوابع ... وابعثه فيه الى اين ما وصل
أميل على الاطراف ميلة هاشم ... وانزل في الاضلاع مع كل من نزل
واعمل في الكشكا اذا زاد دهنها ... ويا فوز من حيا على خيرة العمل
واي فتى يشري الدجاج ازوره ... هو المشتري لكن بصاد فرزحل
ورقاصة في الصحن تطربني اذا ... تجلت لنا من غارق السمن والعسل
ولوزنيج مثل البروق قروصه ... وكم من هلال في المشبك يا امل
وان بخبيص الريح جزتم فبلغوا ... تحية صب في هواه فذا نصطلي
فلو شوشت عقلي مشوشة الشتا ... اما طعام الكشك مالي به قبل
سكنت بظل الكهف والبرد حاير ... فيا ليت شمس الافق عادت الى الحمل
وكم رمت قطرة منها فيقول لن ... تراني لهذا الفضل وانظر الى الجبل
ومالي سوى ملك يسابق فعله ... مقالي وما من قال شيا كمن فعل

فاجازه

فاجازه وقد جهزله جمع ما طلب اتاك الذى ترجوو قصدك قد حصل
واما ارتداد الشمس لست بيوشع تردّ اليه الشمس يوما كما فعل
وفى زمنه فى شهر شوال سنة اربع وعشرين وستمائة احضرت
من الاسكندرية امرأة خلقت من غير يدين وفى موضع ثدييها مثل
الحلمتين فجيء بها بين يدى الوزير رضوان فعرفته انها تعمل برجليها
ما تعمله النساء بيديها من خط ورقم وغير ذلك فاحضر لها دواة
فتناولت برجلها اليسرى قلما فلم ترض شيأ من الاقلام المبرية
التى احضروها فاخذت السكين وبرت لنفسها قلما وشقته
وقطته واخذت ورقة فامسكتها برجلها اليسرى وكتبت باليمنى
احسن ما تكتبه النساء بايديهن وناولت الرقعة للوزير فاذا فيها
السؤال بالزيادة فى راتبها فزادها واعادها الى بلدها وقد اخبرنى
شخص ان لها قبرا مشهورا باسكندرية يزار ومقام عظيم وهو
موجود الآن بباب رشيد على يمنة الداخل ويعرف بمقام
بنت خداوردى ولها اوقاف واطيان ويصرف لها من ديوان
الاسكندرية فى كل سنة ثلاثة آلاف نصف ذكر ابن كثير وغيره
انه كان بطرابلس بنت تسمى نفيسة زوجت بثلاثة ازواج وهم
لا يقدرون عليها يظنون ان بها رتقا فلما بلغت خمس عشرة سنة
غار ثدياها ثم جعل يخرج من محل الفرج شئ قليلا قليلا الى
ان برز منه ذكر قدر الاصبع وانثيان وكتب بذلك محضر وقد
ذكر الشيخ محمد الدماميني فى كتابه عين الحياة قال كان لنا جار
له بنت اسمها صفية بلغت من العمر خمس عشرة سنة ثم طلع لها
ذكر ونبتت لها لحية فكان لها فرج ذكر وفرج امرأة ومما
شاهدناه ان بمنف شخصا يدعى الشيخ عمر المعروف بابى يديه
يقرأ القرآن ويحفظه حفظا جيدا ويؤدب الاطفال وله يدان
طول كل يد شبر ونهاية ما يبلغ بهما من جسده وجهه وصدره
واما استنجاؤه فباحدى رجليه ورزقه الله ولدين احدهما بيدين
مثل يدى ابيه والثانى بلا يدين وهم موجودون الى الآن وكل من

شاهدهم يحنن عليهم بالصدقات ويتعجب من صنع الله تعالى
فاقام الكامل عشرين سنة وشهرين وتوفى فى رجب سنة خمس
وثلاثين وستمائة ودفن بدمشق

ثم تولى الملك العادل أبو بكر ولد الكامل

قيل ان عبد الله بن ظاهر كان هو وبعض الزهاد بايوان العادل
فقال عبد الله للزاهد كم تبقى هذه الدولة فينا وتدوم بيننا فقال
مادام بساط العدل فى هذا الايوان ثم تولى قوله تعالى ان الله لا
يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ذكر الشيخ احمد بن عبد
السلام المنوفى فى كتابه النصيحة بما ابدته القريحة قال رأيت فى
كتاب ادب القضا لابن ابى الدم ما اتفق لقاضى القضاة شرف
الدين محمد بن عين الدولة لما تولى القضا بالديار المصرية فيما حكاه
السبكى فى طبقاته ان الملك العادل شهد عنده وهو فى دست ملكه
فى واقعة مرارا والقاضى يسوف فى قبولها فتفطن العادل لها
فقال له تقبلنى ام لا فقال ما اقبلك وكيف اقبلك وفلانة تطلع
اليك بجنكها كل ليلة وتنزل ثانى يوم سكرى على ايدى الجوار وتنز
فلانة من عندك اتحس مما نزلت فتناوله الملك العادل بكلمة شتم
فردها عليه فى وجهه ثم عزله ونزل الى بيته معزولا فخشى العادل
من ردشها دته بسبب فسقه فيمتهن بسبب ذلك عند غيره من الملوك
ووجوه الناس فنزل بنفسه الى القاضى وترضاه واعاده الى القضا
وذكر ايضا فى كتاب النصيحة المذكور ان عبد الصمد الدمشقى
ناب فى القضا عن ابن عصرون بدمشق ثم تولى قضاء دمشق
استقلالا وانه تداعى لديه خصمان وجاء أحدهما بكتاب العادل
يوصيه عليه فلم يفتحه وظهر الحق لخصم حامل الكتاب فقضى
عليه ثم فتح الكتاب وقراه ورمى به الى حامله وقال كتاب الله قد
حكم على حامل الكتاب فبلغ العادل ذلك فقال صدق كتاب الله
أولى من كتابى وذكر القطبى فى اعلامه ان الامام العالم ابو شامة

بالخاء المعجمة والراء وهو من اكابر العلماء اهل الدين والتقوى كان قاضيا ومن بعض تصلباته في الدين ان شخصا انكسر عليه مال كثير وثبت ذلك عند القاضي المذكور فامر بتوزيع ماله على غرمائه بالمحاصة وكان قد انكسر على المديون مال للخليفة المعتضد فارسل المعتضد الى القاضي المذكور يقول له تشركني مع غرماء هذا المديون بالمحاصة فان لي ايضا مالا بذمته فاجعلني كاحد غرمائه فقال ابو خازم لا احكم لمدع بدون بينة عادلة فارسل وكيلا وبينة ارضاها لتكون باسوة غرماء هذا المديون فاحكم لك بعد سماع الدعوى والبينة سرا وجهرا فاقام المعتضد شهوده ليشهدوا عند القاضي وكانوا من اكابر امرائه فما حضر احد منهم خوفا من رد شهادتهم فاعجب المعتضد ديانة القاضي المذكور وثباته على الحق وتصميمه على ذلك وقد روي ان قوما قدموا خصما لهم الى الحاكم فقالوا لنا عليه مال فقال صدقوا ايها القاضي سلهم المهلة الى ان ابيع ما كان لي من عقار ورقيق وابل وشياه فقالوا كذب اعزك الله ليس له شئ وانما يداهننا بذلك فقال ايها الحاكم قد شهدوا بالاعسار فخلي سبيله اقول وفي زماننا هذا اذا كان شخص عليه ديون ثابتة لاناس وله موجود وعليه شئ من المال الميري يقدم المال الميري بالوفاء ولا يشترط ثبوته عند قاضي بل يكفي قول كتبة الديوان فالحكم لله العلي الكبير حكى صاحب النكت اللطيفة ان العباس بن المعلى الكاتب كتب الى القاضي محمد بن عبد الرحمن البغدادي المعروف بابن قريعة ووفاته سنة سبع وستين وثلثمائة ما يقول القاضي في يهودي زنا بنصرانية فولدت ولدا جسمه للبشر ووجهه للبقر وقد قبض عليهما فماذا يقول القاضي فيهما فكتب له الجواب هذا من اكبر الشهود على الملاعين اليهود فانهم اشربوا العجل في صدورهم حتى خرج من ايورهم وارى ان يناط هذا اليهودي براس العجل ويصلب على عنق النصرانية الساق مع الرجل

ويسحبان على الارض وينادى عليهما ظلمات بعضها فوق بعض
قيل ان امرأة شكت زوجها الى القاضى من كثرة النكاح
فسأله عن ذلك فقال تكف ضرسها واكف ايرى اترانى اعلف و لا
أركب وحكى ان رجلا شكى امرأته الى القاضى من كثرة شعرها وطول
عانتها فنتفتها وكتبت اليه تقول

فديتك سهلت السبيل الذى اشتكى جوادك فيه للحفا وخشونته
فان كنت تهوى ان تزور رجابنا فلا تبطعنا فالهلال ابن ليلته

وحيث انجر الكلام فى ذكر من ولى القضا لم يخش فى الله لومة
لائم وبالحق قضا فلا باس با ترّاد نبذة مفيدة فربما يتعظ بها
من على هذه الوظيفه لعل ان يسلك اعدل المسالك مراقبا
لقوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون
أقول وبالله التوفيق من ولى القضا القى نفسه فى بحر عميق
وصار فيه كالغريق شعر

ترجوا النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجرى على اليبس

قال صلى الله عليه وسلم لا قدست أمة لا يقضى فيها بالحق
وقال صلى الله عليه وسلم من ولى القضا فقد ذبح بغير سكين
قال العلامة ابن الرفعة كناية عن شدة الالم فان الذبح بالسكين
فيه سرعة وبغيرها تعذيب روى الامام الحافظ من حديث عمر
بن الخطاب رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يؤتى
بالقاضى يوم القيامة فيلقى من الهول قبل الحساب ما يود انه لم يقض
بين اثنين فى تمرة ذكر الكمال الدميرى فى حياة الحيوان عند ذكر
البقرة كانت القضاة فى بنى اسرائيل ثلاثة فمات احدهم فولوا غيره
مكانه فبعث الله ملكا يمتحنه فوجد رجلا يسقى بقرة على ماء
وخلفها عجلة فدعاها الملك وهو راكب فرسا فتبعتها العجلة فتخاصما
فقال بيننا القاضى الاول فجاء الى القاضى الاول فدفع الملك
اليه درة كانت معه وقال احكم لى بان العجلة لى قال ارسل الفرس
والبقرة والعجلة فان تبعت الفرس فهى لى فتبعتها الحكم له بها

واتيا القاضي الثاني فحكم له كذلك واخذ الدرة واتيا القاضي الثالث فدفع اليه الدرة فقال احكم بيننا فقال انى حائض فقال الملك سبحان الله ايحيض الذكر فقال القاضي سبحان الله اتلد الفرس بقرة وحكم بها لصاحبها وهؤلاء كما قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قاضيان فى النار وقاض فى الجنة قال الشاعر

فطني بهدم الكنيس قاض وقد قضى بالعمار ثانى
وفى رواة الحديث لولا فى الحشر قاض وقاضيان

ولبعضهم فى المعنى

ولما ان وليت وصرت قاض وقاض الظلم من كفيك فيضا
ذبحت بغير سكين وانا لنرجوا الذبح بالسكين ايضا

ولبعضهم

قضاة الدهر قد ضلوا فقد بانت خسارتهم
فباعوا الدين بالدنيا فما ربحت تجارتهم

ولبعضهم

قضاة زماننا صاروا لصوصا عموما فى القضا بلا خصوصا
يرون الغنم اموال اليتامى كأنهم تلوا فيها نصوصا
فنخشى منهم اذ صافحونا يسلوا من انا ملنا الفصوصا

ولبعضهم يهجو قاض جاهلا متكبرا

الا قل لمن قد طيشته رياسة رويدا ومهلا فيك قد غلط الدهر
ركبت بلا اصل ولا طيب عنصر حكمت بلا علم فهذا هو الكفر
تأنى يراجع دهرنا فيك ما مضى فاسدت الا والزمان به سكر

كتب بعض الافاضل الى بعض القضاة قد فشت المعاصى ووصل الاذى للدانى والقاصى وتعاظم الباطل واصبح وجه الحق عاطل واكلت الرشوات وحكم بالشهوات وعرى الاكثر من لباس تقواه وباع دينه بدنياه عندى حديث ظريف لمن به يتغنى فى قاضيين يعزى هذا وهذا يهنى وذا يقول غصبنا وذا يقول استرحنا ويكذبان جميعا ومن يصدق منا

ولبعضهم فى قاض خان فى ولايته فعزلوه

عزلوه لما خانهم فغدا كئيبا مدنفا
ويقول لم أحزن لذاك ولم أكن متأسفا
قالوا كذبت لقد حزنت وقد حزنت مصحفا

فينبغى لمن ابتلى بالقضاء والحكم بين العباد ان يكون عاقلا عفيفا مرضيا يغلب خيره على شره فان الحكم مبنى على ميزان الاعتدال فمتى رجح اومال تلفت به نفس ومال وان القاضى اذا كان امره نافذا للاحكام الشرعية بين الرعية تصير احواله مستقيمة واذا كان امره غير نافذ فى رعيته وهن امره وتلاشى حكمه ومنشأ هذا انطواؤه على الطمع وقد كان السلف الصالح يمتنعون من الدخول فى القضاء مع تأهلهم وورعهم ومراقبتهم للّه خوفا مما عساه ان يحصل من هفوة ونحوها

قضاة زماننا احتجوا بعلم وما لهم على ذاك اجتماع
واضحى العلم منفردا ينادى أضاعونى واى فتى اضاعوا

ومن المصائب العجيبة استنابة الجهلة بالاوياف فى القضا فيقضون بين الناس بما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ومع ذلك ياخذون الرشوة جهرا من غير نكير ولا يكتفون منها باليسير ثم يقدمون على ابطال الحقوق البينة ولا يلتفتون للذى معه الحق وان تمسك بقيام البينة واعلم ان اثم ما يفعلونه يكتب فى صحائف من يفوض اليهم وان كثيرا من ارباب الدنيا الذين يسعون للناس فى الولايات لاغراض دنيوية يكتب فى صحائفهم كل السيئات التى يفعلها من يسعون له وما يترتب عليه الى يوم القيامة وقد كتب الشيخ ولى الدين العراقى فى وصية الى نوابه كتب فيها اعلموا معاشر النواب ان من ولى أمرا فعليه بالتقوى فى السر والنجوى وليحضر منكم قرب أجله ووقوفه بين يدى الله عز وجل مسؤلا عن عمله فيا خجلة المقصر ولو غفر له ويا ندامته اذا وجد اعماله محصاة محصلة واجتنبوا أخذ المال

من غير حلها وما تساوى لذة الانتفاع وغضب الله من أجلها فقد بلغنا ان الدانق وهو سدس الدرهم اذا أخذ من غير وجه أخذت فيه يوم القيامة سبعمائة صلاة مقبولة واحذروا ظلم اليتيم واسلكوا الطريق المستقيم فقد قمت بما وجب من النصيحة فستذكرون ما اقول لكم وأفوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد وقد حصل الاكتفا بما ذكرنا • وفقنا الله لجميع الطاعات ووقانا جميع الافات بمنه وكرمه انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير رجعنا الى ما نحن بصدده من امر العادل فانه تصرف سنتين وثلاثة اشهر وخلع فى القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم تولى الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل

وفى ولايته ارسل له براش الذى يقال له ريدافرنس كتابا يذكر فيه اما بعد فانه لا يخفى عليك ان عندنا خزائن الاندلس وما يحملون الينا من الاموال والهدايا ونحن نسوقهم سوق البقر ونقتل منهم الرجال ونرمل النساء ونستأثر بالبنات والصبيان ونخلى منهم الديار وانا قد ابديت لك الكفايه وبذلت النصيحة الى الغاية والنهايه فلو حلفت لى بكل الايمان ودخلت على بالاقساء والرهبان وحملت الشمع قدامى طاعة للصلبان لكنت واصلا اليك وقاتلك فى اعز البقاع عليك فاما ان تكون البلاد لى فيا هدية حصلت لى يدى واما ان تكون البلاد لك والغلبة على ويدك اليمنى ممتدة الى وقد عرفتك وعرفت ما قلته لك وحذرتك من عساكر حضرت فى طاعتى تملأ السهل والجبل وعددهم كعدد الحصى وهم مرسلون اليك باسياف القضا فلما قرا السلطان الصالح كتاب افرنس بكى واسترجع وامر القاضى شهاب الدين محمد بن زهير ان يكتب الجواب فكتب بسم الله الرحمن الرحيم وصلاة وسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه اما بعد فقد ورد كتابك وانت تهدد

فيه بكثرة جيوشك وعدد ابطالك ونحن ارباب السيوف وما قتل منا قرن الاجددناه ولابغى علينا باغ الادمرناه فلورأت عينك ايها المغرور حد سيوفنا وعظم حروبنا وفتحنا منكم الحصون والسواحل وتخريبنا منكم الاواخر والاوائل لكان لك ان تعض على انامك بالندم ولابد ان يزل بك القدم من يوم اوله لنا وآخره عليك فهنالك تسيء الظنون وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون فاذا قرأت كتابى هذا فتكون منه على اول سورة النحل أتى امر الله فلا تستعجلوه وتكون ايضا على آخر سورة ص ولتعلمن نبأه بعد حين وتعود الى قوله تعالى وهو اصدق القائلين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقول الحكماء الباغى له مصرع وبغيك يصرعك والى البلا يقلبك وكان الامر كذلك فلما وصل الكتاب الى زيدافرنس بادر فورا بالحضور الى دمياط بعساكره وضربوا خيامهم فاستقبلهم المسلمون وتعاركوا معهم فاستشهد يومئذ الامير نجم الدين والامير حسام الدين ازبك فلما امسى الليل رحل الامير فخر الدين بعساكر الاسلام الى جهة طناح فخاف من كان فى دمياط وخرجوا منها على وجوههم وتركوا المدينة خالية من الناس ولحقوا بالعساكر وهم حفاة حيارى بمن معهم من النساء والاولاد فشنعوا على الامير فخر الدين وعدوا جميع ما نزل بالمسلمين من البلا بسبب هزيمتهم فان دمياط كانت مشحونة بالمقاتلة والازواد والاسلحة وغيرها ولما اصبح الصباح قصد الافرنج دمياط فاذا ابواب المدينة مفتحة ولا احد بها يدفع فظنوا ان ذلك مكيدة فلما تحققوا خلوها وان خلوها من غير مانع استولوا على ما بها من الاسلحة والاقوات فانزعج الناس فى مصر انزعاجا عظيما وكل ذلك مع شدة مرض السلطان الملك الصالح نجم الدين وعدم حركته وقد اشتد حنقه على الامير فخر الدين فامر بشنق من كان فى دمياط من الامراء والمقاتلين فشنق

منهم فى ساعة واحدة ما يزيد على خمسين اميراً ويقال ان شنقهم كان
بفتوى من العلماء فانتقل الملك الصالح الى المنصورة بعدان سوّرها
وشرع العسكر فى تجديد الابنية هناك وقدمت المراكب تجاه المنصورة
وفيها الاسلحة والعدد فلما كانت ليلة الاحد لاربع عشر ليلة مضت
من شعبان سنة سبع واربعين وستمائة مات الملك الصالح بالمنصورة
فلم يظهر موته وحمل فى تابوت الى القلعة فان شجرة الدر زوجة الملك
الصالح لما مات احضرت الامير فخر الدين والطواشى جمال الدين
محسن فاعلمتهما بموته فكتما ذلك خوفا من الافرنج فارسل الامير
فخر الدين الى الملك المعظم توران شاه وهو بحصن كيفا لاحضاره
وكانت العلامات تخرج من الدهاليز السلطانية بالمنصورة الى
سائر الممالك الاسلامية المصرية فلما علم الافرنج بموت الملك
الصالح خرجوا من دمياط بفارسهم وراجلهم ومراكبهم تجاههم
فى البحر حتى نزلوا فارسكور فارسل المسلمون كتابا الى القاهرة فقرئ
على منبر الجامع الازهر يوم الجمعة انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا
باموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وفيه
مواعظ وحث على الجهاد فارتجت مصر والقاهرة وظواهرهما
بالبكاء والعويل وايقن الناس باستيلاء الفرنج على البلاد لخلو
الوقت من ملك يقوم بالامر فخرج الناس من مصر والقاهرة
وسائر الاعمال فاجتمع عالم عظيم سار هشاح والبرمون ووصلوا
تجاه المنصورة ونصبوا المجانيق على المسلمين وصارت مراكبهم
بازائهم فى البحر والتحم القتال وكان فى البحر بعض مخايض فدل من
لادين له الفرنج عليها فركبوا سحرا فلم يشعر المسلمون الا وقد هجم
عليهم الفرنج وكان الامير فخر الدين قد عبر الحمام فاتاه الصياح
ان الفرنج قد هجموا على المسلمين فركب دهشا فاخذ يحرض المسلمين
على القتال فاستشهد الامير فخر الدين ووصل ريدافرنس الى باب
القصر السلطانى ولم يبق الا ان يملكه فاذن الله تعالى ان طائفة
من المماليك البحرية الذى استخدمهم الملك الصالح ومن جملتهم

الملك الظاهر بيبرس البندقدارى حملوا على الفرنج حملة صدقوا بها اللقا حتى ازاحوهم عن مواقفهم فانهزموا وبلغت عدة من قتل من الفرنج الخيالة فى هذه النوبة الف وخمسمائة فارس وهذه الواقعة كانت بين الازقة والدروب ولولا ضيق المجال لما انفلت من الفرنج أحد وفى اثناء هذه المدة حضر السلطان المعظم توران واستقر بقصر المنصورة فأحاط بالفرنج وظفر منهم باثنين وخمسين مركبا وقتل واسر ألف رجل وانقطعت الميرة عن الفرنج وقد احاط المسلمون بالفرنج وقتلوا واسروا منهم كثيرا والذى نجوا من القتل تركوا خيامهم واموالهم وقصدوا دمياط هاربين وما زال السيف يعمل فى ادبارهم وقد حل بهم الخزى والويل حتى قتل منهم ما ينوف على ثلاثين الفا غير الذى القى نفسه فى البحر وأما الاسارى فحدث عن البحر ولا حرج ونهب المسلمون من اموالهم ودوابهم وذخائر ملا يحصى والتجا الفرنسيس الى المنية المجاورة لدمياط بمن بقى معه واستسلموا للقتل وسالوا فى الامان فامنهم السلطان المعظم ونزلوا مشاة حفاة وسيقوا الى المنصورة وقيد ريدا فرنس واعتقل بالدار التى كان بها القاضى فخر الدين بن لقمان كاتب الانشا ووكل به الطواشى صبيح واعتقل معه اخوه وزوجته ومن بقى معه من أصحابه ولما انهزم الفرنسيس سقطت قلنسوته من رأسه وهم يسمونها غفارة وكانت من قطيفة بفرو سنجاب فاخذها الامير جمال الدين بن يغمور فلبسها فقال الشيخ نجم الدين بن اسرائيل

ان غفارة الفرنسيس لما قد اتتنا لسيد الامراء
كبياض القرطاس لونا ولكن صبغتها سيوفنا بالدماء

وتسلم المسلمون دمياط ورفع العلم السلطانى على سورها واعلن فيها كلمة التوحيد والاسلام وشهادة الحق بعد ان اقامت فى يد الفرنج أحد عشر شهرا وسبعة ايام وافرج عن الفرنسيس واخيه وزوجته ومن بقى معهم وتوجهوا الى بلادهم وفى ذلك يقول جمال الدين ابن مطروح شعر

قل للفرنسيس اذا جئته — مقال صدق من وزير نصيح
اتيت مصرا تبتغي ملكها — تحسب ان الزمر با طل وريح
فساقك الدهر الى ادهم — ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل اصحابك اودعتهم — بسوء تدبيرك بطن الضريح
خمسون الفا لا يرى منهم — الا قتيل او اسيرا وجريح
وفقك الله لامثالها — لعل عيسى منكم يستريح
ان كان باباكم بذا راضيا — فرب غش قد اتى من نصيح
قل لهم ان اضمروا عودة — لاخذ ثار او لعقد صحيح
دار ابن لقمان على عهدها — والقيد باقى والطواشى صبيح

فقدر الله تعالى ان الفرنسيس بعد خلاصه من هذه الواقعة جمع عدة جموع وقصد تونس واخذ يحاصرها فقال له شاب من اهل تونس يقال له احمد بن اسماعيل الزيات شعر

يا فرنسيس هذه اخت مصر — فتأهب لما اليه تصير
لك فيها دار ابن لقمان قبر — وطواشيك منكر ونكير

وكان هذا فالا حسنا فهلك الفرنسيس على محاصرة تونس وكفى الله المؤمنين القتال فكانت مدة الصالح بمصر عشرين سنة وعشرة اشهر وتوفي بالمنصورة وحمل الى القاهرة كما تقدم ودفن بقبة بنيت له بجوار المدرستين وان الملك الصالح هو الذي بنى قلعة الروضة واقام بها جندا وسماهم المماليك البحرية ومقدمهم الفارس اقطاي وبنى قنطرة بالسد والمدرسة التي بين القصرين التي هي محكمة الآن والله سبحانه وتعالى اعلم

ثم تولى الملك المعظم توران شاه بن الملك الصالح

ووصل الى المنصورة في سابع عشر القعدة سنة سبع واربعين وستمائة وقتل بعد شهرين في محرم سنة ثمان واربعين وستمائة والسبب في قتله انه اخذ يهدد زوجة ابيه شجرة الدر ويطالبها بمال ابيه فخافت وكاتبت مماليك الملك الصالح

وأخذت تعرضهم عليه وكان الملك المعظم فيه هوج وخفة وميل
على العكوف بملاذه فنفرت منه النفوس وأخذ في ابعاد مماليك
أبيه وكان اذا سكر أوقد الشموع وضرب رؤسها بالسيف وقال
هكذا افعل بالمماليك البحرية فاتفقوا على قتله فدخلوا عليه وفي
أيديهم السيوف مجردة فهرب الى برج خشب كان في خيمته التي نصبها
على شاطئ بحر النيل فادركوه وضربوه بالسيوف فدخل البرج
واغلق بابه فاطلقوا النار في البرج وهو يقول ما أريد ملككم دعوني
ارجع الى الحصن يا مسلمين فلم يجبه أحد وقطعوه بالسيوف فمات
غريقا حريقا وترك على ساحل البحر ثلاثة أيام ثم دفن بعد ذلك
والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم تولت شجرة الدر سرية الملك الصالح باتفاق من الامراء وحلفوا
لها واستحلفوا جميع العساكر المصرية والشامية ورتبوا الامير عز الدين
ايبك التركماني على العساكر فاقامت ثلاثة شهور الى ان خلعت
في ربيع الاول سنة ثمان واربعين وستمائة وكانت آخر الدولة الايوبية
وجملة ولايتهم اثنان وثمانون سنة واربعة أشهر خارجا عما
تخلل في المدة وهو سنة وثمان شهور ولله در القائل

كانوا ليوثا لا يرام حماهم ... في كل ملحمة وكل هياج
فانظر الى آثارهم تلقى لهم ... علما بكل ثنية وفجاج
وعليهم ما عشت لا ادع البكا ... مع كل ذي نظر وطرف ساج

وما أظرف قول القاضي الفاضل في ذكر الدولة الايوبية وانشد
يا بني أيوب لو ملكتم الدهر لاعطيتم لياليه اداهم وقلدتم ايامه
صوارم واقنيتم شموسه واقماره في الهبات دنانير ودراهم
وايامكم اعراس وما تم فيها على الاموال ماتم والجود في ايديكم
خواتم ونفس حاتم تحت نقش ذلك الخاتم رحمة الله تعالى عليهم
اجمعين

الباب السابع

فى الدولة التركية المعروفين بالمماليك البحرية كان ابتداؤها فى ربيع الاول سنة ثمان واربعين وستمائة

أولهم الملك المعز ايبك التركمانى الصالحى

اقام ست سنين واحد عشر شهرا الى ان قتل فى ربيع الاول سنة خمس وخمسين وستمائة وكان السبب فى قتله انه لما تزوج بشجرة الدر وكان مملوك زوجها الملك الصالح وخلعت نفسها من المملكة وسلمتها اليه خطب عليها بنت بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فبلغ شجرة الدر ذلك فاخذها ما يأخذ النساء من الغيرة فتغيرت عليه وتغير عليها وكرهها لانها كانت تمن عليه بانها ملكته مصر وسلمت اليه الخزائن والاموال وكانت تتصرف فى مملكته وتامر وتنهى ومنعته من الاجتماع بزوجته التى هى ام ولده نور الدين حتى الزمته بطلاقها ولما تمكن الغيظ منه نزل الى قناطر اللوق واقام بها اياما فبعثت اليه من حلف عليه وتلطف به وسكن غيظه فطلع الى القلعة وكانت قد اعدت له من يقتله اذا صعد اليها ولما صعد اليها ودخل الحمام ليلا فدخلت عليه ومعها خمس خدام فاخذ بعضهم بانثييه وبعضهم بخناقه واستغاث بشجرة الدر فقالت لهم اتركوه فاغلظوا فى القول وقالوا متى تركناه لا يبقى علينا ولا عليك ثم قتلوه فتملك بعده ولده نور الدين المنصور فقبض على شجرة الدر ودخل بها على امه فقتلتها الجوارى بالقباقيب وارموها فى الخندق وهى عريانة على باب القلعة وبعد ايام دفنت فى التربة التى كانت قد اعدتها لنفسها فالدهر قد جازاها من جنس العمل لانها سعت فى قتل الملك المعظم فقتل غريقا حريقا كما تقدم وترك ثلاثة ايام على شاطئ البحر فكذلك قتلت ورميت فى الخندق وهى عريانة قال الله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال الشاعر

من يحتفر حفرة يوما بصاحبها ... فان حفرت فوسع حين تحتفر

والله تعالى أعلم

ثم تولى الملك المنصور نور الدين

علي بن الملك المعز فاقام سنة واحدة وثمان شهور الى ان مسك وقتل بعين جالوت في رابع عشر القعدة سنة خمس وخمسين وستمائة والله أعلم

ثم تولى الملك المظفر قطز المعزي

وفي أيامه قطعت التتار الفراة ووصلوا الى حلب وبذلوا السيف فيها ثم وصلوا الى دمشق قال سبط ابن الجوزي اول ظهور التتار سنة خمس وعشرين وستمائة فاخذوا بخارى وسمرقند وقتلوا أهلها وحاصروا خوارزم شاه ثم بعد ذلك عبروا النهر فلم يجدوا أحدا في وجوههم فابادوا البلاد قتلا وسبيا وساقوا الى ان وصلوا الى همدان وقزوين في هذه السنة وقد ملكوا الكثير المعمور من الارض وأحسنه واعزه في سنة ولم يبق احد في البلاد التي لم يطؤها الا وهو خائف يترقب وصولهم ثم انهم لم يحتاجوا الى ميرة فانهم معهم الاغنام والبقر والخيل ويأكلون لحومها لا غير وأما خيلهم فانها تحفر الارض بحوافرها وتأكل عروق النبات ولا تعرف الشعير واما ديانتهم فانهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرمون شيئا ويأكلون جميع الدواب وبني آدم ولا يعرفون نكاحا بل المراة يأتيها غير واحد ولما دخلت سنة ست وخمسين وستمائة وصل التتار الى بغداد في مائتي ألف ومقدمهم هولاكو فدخلوا بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم كما ذكرنا ذلك سابقا في محله ولما فرغ هولاكو من قتل الخليفة واهل بغداد ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وستمائة والوقت بلا خليفة وقطعوا الفراة ووصلوا الى دمشق كما تقدم ارسل هولاكو كتابا الى الملك المظفر يذكر فيه نحن جنود الله ننتقم ممن عصى وتجبر وطغى وتكبر وبامر الله ما ائتمر

ونحن قد اهلكنا البلاد وآذينا العباد وقتلنا النسوان والاولاد فيا ايها الباقون انتم بمن مضى لاحقون ويا ايها الغافلون انتم اليهم تساقون ونحن جيوش الهلكة لا جيوش المملكه مقصودنا الانتقام وملكنا لا يرام ونزيلنا لا يضام وعدلنا فى ملكنا قد اشتهر ومن سيوفنا اين المفر ولا مفر لهارب ولنا البسيطا الثرى والماء ذلت لهيبتنا الاسود واصبحت فى قبضتنا الامراء والخلفاء ولما وصل الكتاب الى دمشق اقبل المظفر بالجيوش وساليسه بيد بيبرس البندقدارى فالتقوا هم والتتار عند عين جالوت ووقع المصاف فهزم التتار اشر هزيمة وانتصر المسلمون ولله الحمد والمنة وقتل من التتار مقتلة عظيمة وولوا الادبار وطمع الناس فيهم يتخطفوهم وساق بيبرس وراء التتار الى بلاد حلب وطردهم من البلاد ثم ان الملك المظفر وعد بيبرس بحلب ثم رجع عن ذلك فتاثر بيبرس من ذلك وكان ذلك سببا للوحشه بينه وبين المظفر فاتفق بيبرس وجماعة من الامراء على قتل المظفر فقتلوه فى الطريق فى سادس عشر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة ودفن بالقصر بارض الشام فكانت مدته احدى عشر شهرا وسبعة عشر يوما والله سبحانه وتعالى اعلم

ثم تولى الملك الظاهر بيبرس العلائى

البندقدارى الصالحى صاحب الفتوحات والهمم العلية والشيم الزكية والاخلاق المرضية ومن أثر خيراته انه انشأ المدرسة التى بين القصرين تجاه البيمارستان والجامع الذى بالحسينية وقناطر المنجا بالغرب من قليوب وغير ذلك ومما يحكى عنه انه بلغه ان الشريف محمد بن نمى بن سعيد حاكم مكة والمدينة المنورة حصل منه اجحاف بالتجار والحجاج والمجاورين والواردين الى الحرمين الشريفين وتجاوز الامور وخرج عن الحد فكتب له

أما بعد فان الحسنة فى نفسها حسنة وهى من بيت النبوة احسن والسيئة فى نفسها سيئة وهى من بيت النبوة اسوأ وقد بلغنا عنك ايها السيد انك بدلت حرم الله بعد الامن بالخيفة وفعلت ما يحمر الوجه ويسود الصحيفه فكيف تفعلون القبيح وجدكم الحسن وتقا تلون حيث لا تكون فتنة وتقا يلون حيث تكون الفتن هذا وانت من اهل الكرم وساكن الحرم فكيف آويت المجرم واستحللت دم المحرم ومن يهن الله فما له من مكرم فان لم تقف عند حدك والا اغمدنا فيك سيف جدك فكتب له الجواب

المملوك معترف بذنبه تائب الى ربه فان أخذت فانت الاقوى وان تعفوا اقرب للتقوى حكى ان الملك الظاهر بيبرس لما عرض عليه الامير بدر الدين بيلبك الخازندار ليشتريه قال التاجر يا خوند هو يكتب ويقرا فاحضر له دواة وقلما وورقة بان يكتب شيئا يراه فكتب

لولا الضرورات ما فارقتكم ابدا ولا انتقلت من ناس الى ناس

فاعجبه الاستشهاد بهذا البيت ورغب فى شراءه وحكى ان انسانا دفع قصة الى الصاحب كمال الدين بن العديم فاعجبه خطها فامسكها وقال لرافعها هذا خطك قال لا ولكن حضرت الى باب مولانا فوجدت بعض مماليكه فكتبها لى فقال على به فلما حضر وجده مملوكه الذى كان يحمل مداسه وكان عنده فى حالة غير مرضية فقال له هذا خطك قال نعم قال هذه طريقتى فمن ذا الذى اوقفك عليها قال يا مولانا كنت اذا اوقعت لاحد قصة اخذتها منه وسألته المهلة على حتى اكتب عليها سطرين او ثلاثة فامره ان يكتب بين يديه ليراه فكتب يقول

وما تنفع الآداب والعلم والحجى وصاحبها عند الكمال يموت

فكان اعجاب الصاحب بالاستشهاد اكثر من الخط ورفع منزلته تنبيه لا يخفى ما فى هذا البيت الذى تمثل به المملوك من التورية التى من انواع البديع والتمثيل ايضا لما فيه من المعنى ومطابقة

اللفظ كانه يقول ان الله منّ على بحسن الخط بان نضاهيت سيدى في
كتابته التى صار بها مرتبسًا فى زمانه وانا عنده غير محظوظ كانى
ميت عند الكمال ويقال الناس في فنهم على ثلاثة اقسام
قسم اعطى حظا لاخطا وقسم اعطى خطا لاحظا وقسم اعطى
خطا وحظا شعر

لا تحسبن بان الخط يسعدنى ولا فصاحة شعر الحاتم الطائى
بل انما انا محتاج لواحدة لنقل نقطة حرف الخاء للطاء

فائدة قال الفخر الرازى حد البلاغة بلوغ الرجل بعبارته
كانه ما يقول فى قلبه مع الاحتراز عن الايجاز المخل والتطويل
الممل وقيل البليغ من يجول الكلام على حسب الامانى ويخفظ
الالفاظ على تردد المعانى ويقال الكتابة صناعة شريفة تجلس
الحقير بمجالس الملوك وهى آلة قانونية تحملها آلة جسمانية و
تضعف بالترك وتقوى بالادمان قال على كرم الله وجهه
عليكم بحسن الخط فانه من مفاتيح الرزق وقيل ما احسن خط
انسان الا وطلب الرياسة وما حسن صوت انسان الا وطلب
السماذة فائدة لا باس بذكرها عند الاحتياج اليها وهى
قال المنصورى فى اعتبار علامات المماليك والجوار عند المشترى
تدل على سقام ظاهرة وباطنة وعلى احوال فى الجماع من النساء
وهو نوع تام من انواع الفراسة محتاج اليه جدا احذر
اللون الاصفر فانه يدل على علة فى الكبد والطحال والمعدة
او يكون له بواسير تنزف الدم احذر الكوز الرقيق البياض
او الرقيق السواد والمخالف للون البدن كله فانه قد يكون بوادى
بهق او برص لم يستحكم احذر الخشونة الخفيفة التى تراها فى
فى موضع من البدن فانه ربما يكون بوادى قوبا ولم تستحكم
احذر ايضا الشامة وشبهها او ما تراه فى البدن كالكى او
الوسم فانه ربما يكون على موضع برص واذا اشكل عليك شئ منه
فادخل بالمملوك الحمام واداك ذلك الوسم او الشامة بالاشنان

والبورق والحك فانه يتبين لك أمره احذر كدرة بياض العين وظلمتها فانهما ينذران بالجذام احذر الصفرة في العين فانها دالة على رداءة الكبد وان كان في العين عروق ظاهرة دلت على السبل احذر غلظ الاجفان وبطء حركتها فانه ربما كان بوادي جرب فيها احذر عظم الانف واعوجاجه فانه ربما دل على نواسير في داخله فانظر فيها في الشمس وربما سال منها رطوبة عند الغمز له تدل على نواسير احذر قلة اشفار العيون وقلة شعر الحاجبين فانه دال على الجذام واعتبر حال الانف والنكهة من الفم والانف فانه ربما دل على البخر واعتبر حال الاسنان فان القوي منها طويل البقاء دال على العمر وعلى صحة البدن وقوة الدماغ وبالعكس واعتبر وضعها في مغارسها فان كانت تدمى او فيها خلل في اصطفافها وكذلك رائحة النكهة فاحذره واحذر ما يركب بعضها من القلح كاللون الاخضر والاصفر والاسود وتشبيه المحرق بالنار فانه يدل على فساد المعدة والنكهة احذر ايضا من قلة صبغ الشفتين او بياض لون اللسان وغلظه او تغير لون عقبه او خضرة او سواد يسير فانه منذر بمرض قريب او الكبد ضعيف والطحال معتل احذر النتو في البطن والمكان الموجع منه والمؤلم عند الغمز له فانه يدل على مرض في المعدة او فيها احذر النتو في العنق وان كان صغيرا او اثر قرحة فيه فانه يدل على ان يكون هناك خنازير وغدد او نتو يتولد منه بسرعة ولا بأس ان تأمر المملوك ليجري شوطا ثم تتفقد المشي منه هل فيه ربو او سعال ثم تتفقد حال مفاصله في سلامتها الحركات وتتفقد الساق منه هل فيه عروق ثخان كبار واسعة فانه ربما يدل على داء الفيل أو عرق النسا واعتبر ضعف العصب وقلة الجلد والرعشة عند الاعمال القوية والضعف عند الجماع والاسترخاء بعد شرب الماء البارد واعتبر لطافة المفاصل ورقة الاوتار ورقة

الجلد والبشرة فانك تنتفع بهذه العلامات في اقتناء المماليك
نفعا جيدا **القول** في اعتبار احوال الجولو بعلامات
تدل على أحوال مستورة (منها) اذا كان فم المرأة واسعا كان
فرجها واسعا واذا كان ضيقا كان مثله واذا كان مدورا كان
كذلك واذا كانت كبيرة الارنبة من الانف غليظة الشفتين
كانت غليظة حافتي الفرج واذا كان لسانها حديد الحمرة كان
فرجها شديد الرطوبة واذا كانت حدباء الانف فهي قليلة
الرغبة في النكاح واذا كانت طويلة العنق فهي رابية الفرج
قليلة نبات الشعر واذا كانت كبيرة الوجه غليظة العنق
دل ذلك على صغر العجز وصغر الفرج وضيقه وان كانت
صغيرة الحنك كانت غليظة الفرج واذا كان لحم ظاهر قدميها
صلبا كانت عظيمة الفرج وان كانت نحيلة مكتنزة اللحم
اليدين والقدمين فتكون كثيرة الشبق لاصبر لها على النكاح
وان كانت حارة المجس في كل وقت حمراء الشفتين واللثة
صلبة العجز فتكون شديدة الطلب للنكاح وان كانت حمراء
اللون زرقاء العينين فتكون شديدة الشهوة وان كانت كثيرة
الضحك خفيفة الروح سريعة الحركة فتكون قوية الشهوة
للنكاح وان كانت كحلاء العينين مع كبرهما فتكون شديدة الغلمة
ضيقة الفرج وان كانت كبيرة الاذنين صغيرة العجز
فتكون عظيمة الفم وان كانت ناتئة العقبين الى ناحية
الظهر يدل على سعة الفرج واذا كان لحم المرأة عبلا مترهلا
ولونها ابيض بصفرة يسيرة والعين منها كالجامدة ليس عليها
سرور ظاهر دل على رطوبة الفرج وبرودته اعلم ان النساء
على ضروب ورتب سبعة ولكل ضرب ورتبة منزلة في الشهوة
ولا يحصل لها كمال اللذة الا بها ولا تنقاد للرجل بالطاعة والمحبة
وحفظه في الغيبة الا بها فمنهن شهمة وزلقة
وجوفا وقعرا وبلبا وفهوا وسكبا فاما الشهما فالعبلة

الفرج مع صلابته وامتلاء شحمها وهذه لا يكمل لها لذة الجماع الا بالذكر الطويل الذى يصل الى باب الرحم ومحل الولد باعلى الفرج سئل عمر بن عثمان القاضى عن جارية اشتراها فقيل له كيف وجدتها فقال فيها خصلتان من الجنة البرد والسعة وذكر الهندى ان مقدار الذكر الطويل اثنى عشر اصبعا فما فوقها والوسط تسع اصابع فما فوقها والصغير ستة اصابع فما فوقها واما الزلقة فهى مضمومة الفرج الى ما حوت جوانبه وهزل بعد سمنه ولا يحصل لها كمال اللذة الا بالذكر القصير الغليظ جدا واما الجوفا فهى منضمة اول عنق الفرج ومجوفة الداخل منه وهذه لا يكون لها لذة الجماع الا بالذكر الوسط الرأس بجوانب الفرج واما القعراء فهى طويلة عنق الفرج بعيدة باب الرحم وهذه لا يروا فيها الا الذكر الطويل المفرد دون غيره واما البلجا فهى التى فرجها معتدل يروا فيها كل ما ذكرنا واما الفهوا فهى واسعة الفرج يروا فيها الذكر الطويل الغليظ والوسط كذلك واما السكفا فهى الناتئ فى فرجها عظمان يكادا يلتقيان فى عنقه ويمنعان من الايلاج وهذه لا يروا فيها الا الذكر الطويل الرقيق وقل ان تحمل الا وتموت عند الولادة قبل خروج الولد لضيق الفرج ومن اراد الاستلذاذ بالجماع فعليه بالقصيرة من النساء ورجعنا الى ما نحن بصدده من امر السلطان بيبرس فانه اقام فى السلطنة سبع عشرة سنة وشهرين ونصفا ومات بالقصر بدمشق فى سابع عشرى محرم سنة ستة وستين وستمائة

ثم تولى الملك العادل شلامش بن الملك الظاهر بيبرس

فتصرف سنتين وثلاث شهور وكان الافرم نائبه فى الامور ثم خلع وتوجه الى الكرك فى سابع عشر ربيع الاخرة سنة ثمان وستين وستمائة

ثم تولى الملك المنصور قلاوون الصالحى الالفى

وهو الذى بنى البيمارستان بين القصرين بمصر والقبة التى دفن بها وله الفتوحات بساحل البحر الرومى منها طرابلس وبيروت وصيدا وغير ذلك ومما اتفق له انه بعث سيف الدين عبد الله وكان من خيار جنده وعقلائهم وافاضلهم بتقدمة وهدية الى الى ملك الغرب فلما رجع من عند ملك الغرب اخبر الملك المنصور قلاوون انه لما كان مقيما عند سلطان الغرب فجاءت رسالة من بعض ملوك الافرنج الكبار المعادين للمسلمين ان يشفع له فى تزويج بعض ملوك الفرنج لولده وكان والدها مهادنا لملك الغرب ومدعيا صحبته وكان الملك المستشفع به قبل ذلك معاديا للمسلمين ومؤذيا لهم ولكن حمله هوى ابنه على ان يبعث الى ملك الغرب فى ذلك فاحتاج الى ارسال رسول الى ملك الفرنج بسبب ذلك فقال لى تذهب فى هذه القضية فتمنعت فقال لى هذه مصلحة فيها للمسلمين راحة وارى انك تذهب فيها فلم يزل يلح على حتى ذهبت فاديت الرسالة الى ملك الفرنج وقضيت اربه واقمت عند ملك الفرنج مدة فاعجبه حالى واحبنى حبا شديدا وعرض على المقام عنده مبقى على دينى دين الاسلام فقلت لا سبيل الى ذلك فاجازنى واكرمنى فلما اردت الانصراف من عنده قال أريد ان اتحفك بأمر عظيم لا يحصل لاحد من المسلمين مثله فتعجبت من ذلك وقلت من اين ذلك فاخرج لى صندوقا مصفحا بالذهب واخرج منه مقلمة من ذهب فاخرج منها كتابا قد زال اكثر حروفه وقد الصق عليه خرقة حرير وقال اتدرى ما هذا قلت لا قال هذا كتاب نبيكم الى جدى قيصر وما زلنا نتوارثه ملكا بعد ملك وكل ملك كان عنده حفظ وقد اوصانا اجدادنا انه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا وهذه الوصية متلقاة عن جدنا قيصر فنحن نحفظ هذا الكتاب غاية الحفظ ونعظمه غاية التعظيم ونتبارك به ولا يعرف به احد من النصارى الا نحن ولولا عزتك وكرامتك ونقتى بعقلك ما اطلعتك عليه فاخذته وعظمته وتبركت به

ولم اقدر على قراءته لتقطع اجزاء جروف من طول الزمان وبسبب هذه الرسالة كف الله شر هذا الملك المعادى للمسلمين فكانت مدة ولاية الملك المنصور قلاوون احدى عشرة سنة وشهرين ونصفا وتوفى بمنزله مسجد التبن بالقرب من المطرية عند خروجه على نية الجهاد فى سادس شهر القعدة الحرام سنة سبع وثمانين وستمائة

❁ ثم تولى الاشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور قلاوون

قال محمد بن غانم فى الملك الاشرف خليل وفى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب شعر

مليكان قد لقبا بالصلاح   فهذا خليل وذا يوسف
فيوسف لاشك فى فضله   ولكن خليل هو الاشرف

ومما يحكى عن الملك الاشرف خليل انه كان جالسا فى بعض الايام والقراء يقرؤن القرآن وكان والده المنصور قلاوون محاصر الطرابلس فقال نصره الله فى هذه الساعة اخذت طرابلس فشاع هذا الخبر وذاع وملأ الافواه والاسماع ولم يمض الا مسافة الطريق ووردت الاخبار بفتح طرابلس فى الساعة المذكورة وذلك لامر كشفه الله عن ذهنه وحكى القاضى محب الدين ابن عبد الظاهر ان الشيخ شرف الدين البوصيرى رأى فى منامه قبل مسير الاشرف خليل الى حصار عكا قائلا يقول قد اخذ المسلمون عكا واشبع الكافر من صكا وساق سلطاننا عليهم خيلا تدك الجبال دكا واقسم الترك منذ سارت لا يتركوا للفرنج ملكا فاخبر بذلك جماعة شهدوا بصحة ذلك فسافر الاشرف فى أثناء ذلك ففتحها وفيه يقول القاضى محب الدين المذكور اعلاه

يا بنى الاصفر قد حل بكم   نقمة الله التى لا تنفصل
نزل الاشرف فى ساحتكم   فابشروا منه بصفع متصل

فاقام الاشرف خليل ثلاث سنين وشهرين وقتله مملوكه الامير

سيف الدين بنذادر بتروجة بالبحيرا فى ثالث عشر محرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة ونقل الى تربته التى انشأها بجوار المشهد النفيسى

ثم تولى الملك الناصر محمد بن قلاوون

وعمره تسع سنين وخلع فى المحرم سنة اربع وتسعين وستمائة

ثم تولى الملك العادل كتبغا المنصورى

واستقر لاجين نائبا فاقام سنتين وهرب الى الشام فى محرم سنة ست وتسعين وستمائة والله تعالى اعلم

ثم تولى الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى

الذى كان نائبا فاقام سنتين وسبعة واربعين يوما وقتل فى القلعة حادى عشر ربيع الاخرة سنة ثمان وتسعين وستمائة ودفن بالقرافة

ثم عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون ثانيا

بعد ان تعطلت السلطنة أحدا واربعين يوما الى ان حضر الى القلعة فى سادس جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وستمائة فاقام عشرين سنة ثم عزم على الحج فى شهر رمضان سنة ثمان وسبعمائة وعرج على الكرك وأرسل يخبر الامراء انه اقام بها ورجع عن السلطنة لما قصرت يده فى مملكته بوجود سلار وبيبرس وكان ذلك تدبيرا منه وذلك فى شوال سنة ثمان وسبعمائة والله تعالى اعلم

ثم تولى المظفر بيبرس جاشنكيرا المنصورى

استادار الناصر محمد بن قلاوون ويعرف بالعثمانى فاقام أحد عشر

شهرا وخلع نفسه وهرب الى الصعيد وهو الذى بنى البيبرسيه بالدرب
الاصفر ودفن بها ووجد دجامع الحاكم بعد الزلزلة ومات فى سادس
رمضان سنة ست عشرة وسبعماية ووجد بعد موته ختمة شريفة
مكتوبة بالذهب فى سبعماية اجزا فى قطع البغدادى كتبها له شرف
الدين بن الوحيد بقلم الشعر واخذ لها ليقة بالف وسبعماية دينار
وانفق عليها جملة اموال والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

ثم عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون

ثالثا وجاء من الكرك قال الشاعر

الملك الناصر قد اقبلت   دولته مشرقة بالشمس
قد عاد الى كرسيه مثلما   عاد سليمان الى الكرسى

وان الملك الناصر عمر فى زمنه الجامع المعروف بالجديد بمصر
القديمة بجوار الجراه وعمر جامعا بالقلعه وعمر المدرسة
التى بين القصرين وسافر بالحج سنة تسع عشرة وسبعماية
وسافر ايضا بالحج سنة اثنين وثلاثين وسبعماية وحفر الخليج
الناصرى المتوصل الى سرياقوس وعمر عليه القناطر وعمر
قناطر الجيزة وله عمارات كثيرة من ميادين وقصور وغير
ذلك (قيل) انه رأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم فأمره
ببناء خانقاه تجاه سرياقوس وقال له هناك علامة بالرمل
تهتدى بها فبادر فورا الى المحل المذكور فوجد العلامة فبنى
هناك خانقاه وجعل محلات للمتزوجين ومحلات للعزاب
وحماميں وبينهما بيمارستان ومدرسه عظيمه ووضع بها
اربعة عشر ربعة ومن جملتها ربعة مكتوبة بالذهب المموه
كتابة بالقلم المحقق بالتحرير والاتقان وكل حرف مشعر بالسواد
الرفيع الذى لا قطع به ولا وصل وفاتحة كل سورة من ليقة
وبآخر كل جزء كتبه وجدوله وذهبه وجلده محمد بن محمد الهمذانى
وهى من مفردات الدهر واجزائها ثلاثون جزأ ذكر ان مصر

كل جزء ما يتى دينار والناس يا تون من الا قطار ويتفرجون عليها وقد شاهدتها مرارا وان الناس عمروا بجوار الخانقاة المذكورة جوامع ومساجد واسواقا وبيوتا وغير ذلك حتى صارت مدينة من مدائن مصر المشهورة وهى عامرة الى الآن ومما اتفق فى ايام الملك الناصر المشار اليه ان مغربيا كان بالشابباب القلعة عند سلار فحضر بعض كتاب النصارى بعمامة بيضا فقام له المغربى وتوهم انه مسلم ثم ظهر انه نصرانى فدخل على الملك الناصر وفاوضه فى تغيير زى اهل الذمه ليمتاز المسلمون منهم فامر أن تلبس النصارى الازرق واليهود الاصفر والسمرة الاحمر ليقل اذاهم ويعرف المجرمون بسيماهم ه ومات الملك الناصر يوم الاربعا سابع عشر الحجة سنة احدى واربعين وسبعماية ودفن مع والده با لقبة المنصورية فكانت جملة ولايته فى الثلاث مرات اربعة واربعين سنة وخمسة عشر يوما خارجا عن ما بين ذلك والله سبحانه وتعالى اعلم

ثم تولى الملك المنصور أبو بكر

وهو اول اولاد الناصر محمد بن قلاوون فاقام شهرين واياما وخلع سنة اثنين واربعين وسبعماية وقتل بقوص والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

ثم تولى الاشرف على جوكوك ابن

الناصر محمد وعمره ست سنوات فاقام ثلاثة شهور والأمر فى دولته ودولة اخيه لقوصون ويشبك والله اعلم

ثم تولى الملك الناصر أحمد بن الناصر

محمد وكان مقيما بالكرك فحضر الى مصر فى عاشر شوال سنة اثنين واربعين وسبعماية فاقام ثلاثة شهور وخلع فى تاسع عشر محرم

سنة ثلاث واربعين وسبعماية والله اعلم

ثم تولى الملك الصالح اسماعيل بن الناصر

محمد فاقام ثلاث سنين وشهرين وخمسة عشر يوما الى ان توفى في رابع ربيع الاخرة سنة ست واربعين وسبعماية والله أعلم

ثم تولى الملك الناصر شعبان بن الناصر محمد

في ربيع الاخرة سنة ست واربعين وسبعماية وفيه يقول جمال الدين بن نباته

طلعة سلطاننا تبدت بطالع السعد في طلوع
فاعجب لها كيف ابدت هلال شعبان في ربيع

فاتفق انه كان للسلطان شعبان اخ يدعى امير حاج وهو محبوس فعمل لاخيه طعاما ياكله في الحبس وعمل للسلطان طعاما ياكله على تخت الملك فقدر الله سبحانه ان انخلع السلطان شعبان وجلس مكان اخيه امير حاج وجلس امير الحاج على تخت الملك فالمتولى اكل الطعام المعزول والمعزول اكل طعام المتولى فمدة تصرف السلطان شعبان سنة وسبعة عشر يوما والله سبحانه وتعالى اعلم

ثم تولى السلطان امير حاج

ولقب بالملك المظفر فاقام سنة واحدة وثلاثة شهور وعشرة ايام ومسك ومات في ثاني عشر رمضان سنة ثمان واربعين وسبعماية والله سبحانه اعلم

ثم تولى الملك الناصر اخو امير حاج

فاقام ثلاث سنين وتسع شهور وعشرة ايام وخلع في ثالث عشرى جمادى الاولى سنة اثنين وخمسين وسبعماية والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم

ثم تولى الملك الصالح صلاح الدين

اخو الناصر حسن فاقام ثلاث سنين وثلاثة اشهر ومسك في شوال سنة خمس وخمسين وسبعماية والله اعلم

ثم عاد السلطان حسن ثانيا وجلس

على تخت السلطنة الشريفة وتمكن وتصرف وبنى مدرسته التي بالرميلة بمصر وهي من احسن المدارس محكمة البنا ليس لها نظير وقد سمعت من بعض الافاضل ان السلطان حسن لما تم بناء مدرسته المذكورة رتب لها وظائف لاقامة الشعائر الاسلامية ووقع الاتفاق ان السلطان حسن يجلس بالمدرسة ويفرق وظائفها لمستحقيها بحضرته وحصل التنبيه على يوم معلوم فجاء السلطان حسن صبيحة اليوم المذكور بعد ان فرشت المدرسة بالفرش التي تليق وجلس السلطان حسن بالمدرسة وجلس من له عادة بالجلوس وكان بازاء السلطان حسن فرجة وبجوارها وسادة متكا عليها السلطان حسن فاتفق ان الشيخ الامام العالم العلامة الهمام قوام الدين الاتقاني العجمي صاحب الاتقان في فقه الحنفية والنهاية شرح الهداية وغير ذلك من التصانيف وكان في زمنه اوحد الدهر باتفاق وشيخ الحنفية على العموم والاطلاق وكان حالة قدومه الى مصر في صورة قلندري وعلى راسه طرطور فبلغه هذه الجمعية فبادر الى المدرسة ودخلها فرأى السلطان في هذا المحفل العظيم فما زال يتخطى الرقاب الى ان جلس في تلك الفرجة فنظر اليه السلطان حسن شزرا وقال له ما الفرق بينك وبين الحمار قال هذه الوسادة فما به السلطان فتكلم معه من حضر من العلما والافاضل وحصل البحث في علوم شتى فاجاد وافاد واخرست الالسن وفتحت الاذان لما ابداه من العلوم فاحتظ به السلطان حسن وانعم

عليه بالمشيخة بمدرسته وتوجه السلطان حسن الى تخت ملكه
وامران الشيخ قوام الدين المذكور يركب على المركوب الذى كان
راكب عليه السلطان حسن بسرجه وعدته فركب ومشى اما مه
اكابر الدولة من جملتهم الامير صرغتمش الى أن طلع الديوان فتعجب
بعض من حضر هذه الجمعية فقال الشيخ قوام الدين لا عجب
فى ذلك لقد مشى تحت ركابى عشرة سلاطين من سلاطين العجم
فسبحان المنعم على عبده ولقد صدق من قال فى المعنى

العلم يرفع بيتا لا عمود له والجهل يخفض بيت العز والكرم

وفى أيام السلطان حسن بنى شيخون جامعه وخانقاته وبنى
صرغتمش مدرسته وقرر الشيخ قوام الدين فى تدريسها ٥
وكان مدة تصرف السلطان حسن فى الولايتين عشرة سنين
واربعة اشهر ثم مسك وقتل عند مملوكه يلبغا فى شهر جمادى
الاولى سنة اثنين وستين وسبعمايه والله سبحانه اعلم

ثم تولى الملك المنصور بن حاجى بن الناصر

محمد بن قلاوون فاقام سنتين وخمسة شهور وخلع واقام
بالقلعة الى ان مات فى خامس شهر شعبان سنة اربع وستين
وسبعماية والله سبحانه وتعالى اعلم ٥

ثم تولى الاشرف شعبان بن السلطان حسن

وهو الذى بنا الاشرفية براس الصوة تجاه القلعة وهدم غالبها
بعده فاقام اربعة عشر سنة وشهرين ونصف ثم خلع وقتل فى
خامس القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعماية وفى زمنه
فى سنة ثلاث وسبعين وسبعماية كان ابتدا خروج تيمور لنك
وكان اصله من ابناء الفلاحين ونشا يسرق ويقطع الطريق
الى ان انضم الى خدمة خيل السلطان وما زال يترقى الى ان وصل
ما وصل قيل لبعضهم فى اى سنه كان ابتداء خروج تيمورلنك

ثم

قال في سنة عذاب ٧٧٣

ثم تولى الملك المنصور علي بن الملك

الاشرف فاقام خمس سنين واربعة اشهر وكان محجوبا لصغر
سنه والكلام لبرقوق وتوفي الملك المنصور يوم الاحد ثالث
عشري صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعماية وفي زمنه في سنة
اثنين وثمانين وسبعماية ورد كتاب من حلب يتضمن ان اماما
قام يصلي وان شخصا عبث به في صلاته فلم يقطع الامام الصلاة
حتى فرغ وحين سلم انقلب وجه العابث وجه خنزير وهرب
الى الغابة فتعجب الناس من ذلك وكتب بذلك محضر بواقعة الحال
ة والله تعالى اعلم بالصواب

ثم تولى الملك المنصور حاجي بن الاشرف

فاقام سنة وستة اشهر وكان عمره ست سنين والامر في ذلك
لبرقوق ثم خلع في ثاني عشر رمضان سنة اربع وثمانين
وسبعماية وقد انقضت دولة الاتراك كما انقضت دولة من
قبلهم ولله البقا ودولة ملكهم ماية سنة وثلاثون سنة وسبعة
شهور ولله در القايل حيث قال
ة وصاروا احاديثا لمن جاء بعدهم وكانهم في ملكهم يضرب المثل ة

* (الباب الثامن) *

في دولة الجراكسة وهم طوائف سواذج ولهم سماحة وحماسة
وصدقات وكانت ارزاق مصر بايديهم فكانت اهل مصر تلاذ
بهم فيما بيدهم من الارزاق وكانت خدامهم تبيع جميع ما يحصل
من طعامهم للناس من لحم ودجاج ونفايس وغير ذلك وكان
لهم سوق يباع فيه ما يفضل من اطعمتهم التي اخذتها خدامهم

من اسمطتهم وكانوا يتفاخرون ببناء البيوت الفاخرة والمدارس والجوامع والترب وكان لهم خيرات وقد نظم بعضهم فيهم فقال

قوم اذا اقبلوا كانوا ملائكة لطفا وان قوتلوا كانوا عفاريتا

الى ان فشى فيهم الظلم والعدوان وكثرت فيهم المصادرات وغلبت سيآتهم على حسناتهم ومالوا الى العوابية والمفسدين واخلوا بشعائر الدين فاستجاب الله فيهم دعا المظلومين ومزقهم كل ممزق ودار الظالمين ولو بعد حين وان الملك لله يؤتيه يشاء والعاقبة للمتقين

أولهم السلطان الظاهر برقوق

وكان اسمه من قبل الطبيغا فسماه استاذه يلبغا الكبير برقوق تسلطن يوم الاربعا تاسع عشر رمضان سنة اربع وثمانين وسبعماية فاقام ست سنين وعشرة ايام واختفى في جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين وسبعماية ثم ظهر وجهز الى الكرك وكان قد بدأ بعمارة مدرسته التي بين القصرين والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم عاد الملك المنصور حاجي بن الاشرف

فاقام سبع شهور الى ان خلع نفسه من السلطنة عند مجي برقوق من الكرك فدخل مصر والملك المنصور عن يمينه والخليفة على يساره والله سبحانه وتعالى اعلم

ثم جلس برقوق على تخت السلطنة

الشريفة فاتم بناء مدرسته وهي من محاسن مدارس مصر قال الشاعر

قد انشأ الظاهر السلطان مدرسة فاقت على ارم مع سرعة العمل

يحكى

يكفي الخليلي ان جاءت لخدمته صم الجبال بها تمشي على عجل
وبنا ايضا تربة بالصحرا وهي مسكونة معمورة الى الآن (وكان
مدة تصرفه ست عشرة سنة واربعة شهور وتوفي في شوال
سنة احدى وثمانماية ودفن بتربته المذكورة وضبط ما خلفه
برقوق من الذهب العين الف الف دينار واربعماية الف دينار
ومن القماش والخز والاثاث ما قيمته الف الف دينار ومن
الخيول المسومة والبغال ستة الاف ومن الجمال البختية خمسة
الاف وكان عليق دوابه في كل شهر عشرة الاف اردب والله اعلم

ثم تولى الملك المنصور ابو السعادات

فرج بن برقوق فاقام ست سنين وخمسة اشهر وعشرة ايام
ثم اختفى بعد ذلك والله اعلم

ثم تولى الملك المنصور عبد العزيز

ابن برقوق فاقام سبعة واربعين يوما وظهر الملك ابو السعادات
ومسك اخاه وحبس بالاسكندرية وقتل بها ثالث عشر جمادى
الاولى سنة ثمان وثمانماية والله سبحانه وتعالى اعلم

ثم عاد الملك الناصر ابو السعادات

فرج الى السلطنة فاقام ست سنين وتسعة اشهر وجملة ولايته
اولا وثانيا ثلاث عشر سنة وشهران وعشرة ايام وكان
ما كان بينه وبين جنده فقتلوه اشر قتلة بدمشق والقي على
مزبلة وهو عريان من اللباس يمر به الناس وينظرون الى ذلك
ذلك الجسد العاري وذلك من اعظم العبر واكبر المحن الى ان
حن الله عليه بعض الناس بعد عدة ايام فحمله وغسله وادرجه
في كفن وواراه في التراب والرجا من الكريم الوهاب ان يكون قد
غفر الله تعالى له انه على كل شئ قدير

ثم تولى الملك العادل ابو الفضل العباسى

ابن المتوكل فاقام ست شهور وأيام وخلع فى مستهل شعبان وكان استناب المؤيد شيخ وشاركه فى الخطبة والامر للمؤيد والله اعلم

ثم تولى الملك المؤيد ابو النصر شيخ المحمودى

وحبس الخليفة بالقلعة الى ان ارسله الى الاسكندرية فى محرم سنة تسع عشرة وثمانمائة ومعه أولاد الناصر فرج وهم محمد وفرج وخليل وان المؤيد شيخ بنى مدرسته الموجودة الآن فبهدأ فى عمارتها سنة سبع عشرة وكملت فى سنة عشرين وليس بمصر مدارس السلاطين احسن منها ولا اكلف ولا ابهى منظرا قيل ان حالة بناها امر المهندسين ان يعملوا ابابها مثل باب مدرسة السلطان حسن فبنى كما امر ولما تم بناها اشاروا عليه انه لا يصلح لباب مدرسته الا الباب المركب على مدرسة السلطان حسن فقلعه وركبه على بابها وجعل لوقف السلطان حسن فى نظير الباب قرية بالقليوبية تسمى قها فكان ذلك سببا لنمو وقف السلطان حسن وادر ريعها وأجزل منفعة وهى مستمرة الى الآن ذكر القطبو فى اعلامه انه فى سنة خمس عشرة وثمانمائة زمن السلطان المؤيد ان شخصا بمكة المشرفة يدعى القاروني كان له جمل حمله فوق الطاقة فهرب الجمل من صاحبه ودخل البيت ولم يزل يطوف بالبيت والناس حوله يريدون امساكه فيعضهم ولا يمكن احدا من امساكه الى ان تم ثلاث أسابيع ثم جاء الى الحجر الاسود فقبله ثم توجه الى مقام الحنفية ووقف هناك تجاه الميزاب الشريف فبرك عنده وبكى والقى نفسه على الارض ومات وحمله الناس الى ما بين الصفا والمروة ودفنوه هناك ومما يحكى ان السلطان سليم فاتح مصر لما كان بمصر دخل مدرسة السلطان حسن فقال هذا حصار عظيم ودخل مدرسة المؤيد فقال هذه عمارة الملوك ودخل مدرسة الغورى

فقال

فقال هذه قاعة تاجر وكان مدة السلطان المؤيد ثمان سنين وخمسة شهور وتوفي يوم الثلاثاء ثامن محرم سنة اربع وعشرين وثمانمائة والله تعالى أعلم

ثم تولى الملك المظفر ابو السعادات ابن المؤيد

وعمره ست سنين وتسلطن يوم الخميس تاسع محرم سنة اربع وعشرين وثمانمائة فكانت مدته سبعة أشهر وعشرين يوما والامر لططر فاقام سبع شهور وايامًا قلائل ثم خلع بعد ذلك والله تعالى أعلم

ثم تولى الملك الظاهر ابو الفتح ططر

في تاسع عشري شعبان سنة أربع وعشرين وثمانمائة فاقام ثلاثة وتسعين يوما وتوفي في خامس عشر ذي الحجة سنة تاريخه والله تعالى أعلم

ثم تولى الملك الظاهر محمد بن الظاهر ططر

فاقام أربعة شهور ويومين وخلع تاسع ربيع الاخرة سنة خمس وعشرين وثمانمائة واقام بقلعة مصر مكرما في احسن عيش الى ان مات بالطاعون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة في دولة الاشرف برسباي

ثم تولى الملك الاشرف أبو النصر برسباي

الدقماقي يوم الاربعاء ثامن ربيع الاخرة سنة خمس وعشرين وثمانمائة وكان سلطانا مهابا ذا شهامة وتدبير وفتح قبرس سنة وعشرين وثمانمائة واحضر ملكها اسيرا ذليلا حقيرا حتى وقف بين يديه بخضوع وانكسار فمتن عليه واعاده الى مملكته بمن اختاره من اتباعه وجعل عليه خزينة في كل سنة يرسلها

حكى انه لما سافر سفرته المشهورة الى آمد سنة اثنين وثلاثين وثمانمائة نزل بالخانقاه السرياقوسية بمكان خال من البنا فنذر لله تعالى نذر ينذره وقربة ان أحياه الله تعالى وظفره بعدوه ورجع سالما ليعمرن فى هذا المكان سبيلا ومدرسة فلما توجه الى آمد ظفره الله بعدوه فقتل ملكها واستأصل امواله واحضر خودته وعلقها بسلسلة فى دهليز مدرسته التى انشاها بمصر برأس الوراقين والخودة باقية مرئية الى الآن مشاهدة وان الاشرف اوفى نذره وعمر بخانقاه سرياقوس بالموضع الذى كان نزل به عند ذهابه الى آمد جامعا عظيما مفروشا أرضه بالرخام الملون وبجواره سبيلا وقيل ان بمحراب الجامع المذكور تسع شعرات من شعر النبى صلى الله عليه وسلم وفى معنى ذلك قال الشاعر

الاشرف السلطان عمر جامعا ... بالخانقاه ليرتجى بثوابه
وأتى بآثار النبى محمد ... شعراته قد قيل فى محرابه
وامامه بين البرية محسن ... وكذا القضاة مع الشهود ببابه

وان الاشرف عمر ايضا تربة خارج باب النصر بجوار تربة الظاهر برقوق ومما يحكى عنه ان شخصا مؤذنا كان قاطنا بمدرسته التى برأس الوراقين وكان مولعا بشرب الخمر ويؤذن ويسبح وهو سكران فبينما هو ذات ليلة قبيل التجهيد وهو نائم مخمور اذ رأى رجلا جليل المقدار ذا هيبة ووقار وخلفه ثلاثة انفار غلاظ شداد ومع أحدهم فلقة وقرابيج فقال للمؤذن ما السبب الداعى فى جراءتك على شرب الخمر فى هذه المدرسة فقال له المؤذن من تكون انت فقال انا السلطان برسباى منشئ هذه المدرسة ثم قال لاتباعه اطرحوه فطرحوه ووضعوا الفلقة فى رجليه وأمر بضربه فضرب ضربا شديدا الى ان غاب عن وجوده فلما افاق لم ينظر أحدا ووجد ألم الضرب برجليه فاراد الانتصاب فوجد نفسه مقعدا ثم انه تاب الى الله تعالى عن شرب الخمر واستمر وهو مقعد الى ان مات وتوفى السلطان برسباى فى يوم السبت

ثالث

ثالث عشر الحجة سنة احدى واربعين وثمانمائة فكان مدة تصرفه ستة عشرة سنة وثمان شهور وخمسة ايام والله سبحانه وتعالى اعلم

ثم تولى الملك العزيز يوسف بن برسباى

فاقام ثلاثة شهور وستة أيام وخلع فى سادس عشر ربيع الآخرة سنة اثنين وأربعين وثمانمائة واقام أياما وجهز الى الاسكندرية ومات فى أيام خوشقدم والله تعالى أعلم

ثم تولى الظاهر ابو سعيد جقمق العلائى اينال

وعمر فى ايامه عمارات كثيرة من مساجد وجوامع وقناطر وجسور وغير ذلك وكان مغرما بحب الايتام والاحسان اليهم ولغيرهم ومما يحكى عنه انه كان مقيدا بخدمة العارف بالله تعالى الشيخ شمس الدين محمد الحنفى عمت بركاته وكانت خدمته عنده ملئ المطهرة فخرج الشيخ من خلوته ذات يوم فوجد جقمق بلا عمامة على رأسه وكان الشيخ فى ساعة جمال فقال له اين عمامتك يا جقمق قال سقطت فى البئر يا سيدى فتبسم الشيخ محمد الحنفى وقال له ما يكفيك يا جقمق فى عمامتك سلطنة مصر فقبل أقدام الشيخ على هذه البشارة ولم يزل جقمق يترقى فى المناصب الى ان ولى سلطنة مصر فاقام فى السلطنة اربع عشرة سنة وعشرة اشهر وتوفى فى ليلة الثلاثاء ثالث صفر الخير سنة سبع وخمسين وثمانمائة بعد ان فوض امر السلطنة لولده فى ابتداء توعكه ودفن بتربة الامير قانى باى اميراخور والله أعلم

ثم تولى الملك المنصور ابو السعادات عثمان بن جقمق

فاقام اربعين يوما وخلع يوم الاثنين مستهل ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة وجهز الى الاسكندرية والله تعالى اعلم

(ثم تولى الاشرف ابو النصر اينال العلائى الناصرى)

في يوم الاثنين تاسع ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة وكان قليل السماع في الناس فاقام ثمان سنين وشهرين وستة ايام وتوفي في يوم الجمعة خامس عشر جمادى الاول سنة خمس وستين وثمانمائة بعد ان فوض الامر لولده بيوم ودفن بتربته التي انشاها بالصحرا

ثم تولى ابو الفتح احمد بن المؤيد فاقام اربعة

اشهر واربعة ايام الى ان خلع يوم الاحد تاسع عشر رمضان سنة خمس وستين وثمانماية

ثم تولى الملك الظاهر ابو سعيد خشقدم الناصري ثم المؤيدي

وهو السلطان الاول من الاروام بمصر ان لم يكن المعز ايبيك التركماني ولاجين من الاروام فاقام ست سنين وخمسة شهور واثنين وعشرين يوما وتوفي يوم السبت عاشر ربيع الاول سنة اثنين وسبعين وثمانماية ودفن بالتربة التي انشاها بالصحراء

ثم تولى الظاهر ابو سعيد بلباي العلائي ثم المؤيدي

يوم وفاة السلطان خشقدم فاقام سبعة وخمسين يوما وخلع يوم السبت عاشر جمادى الاول وجهز الى الاسكندرية فاقام بها الى ان مات رحمه الله تعالى

ثم تولى الملك الظاهر تمربغا الظاهري

يوم خلع بلباي فاقام ثمانية وخمسين يوما وخلع يوم الاثنين سادس رجب سنة اثنين وسبعين وثمانماية وجهز الى دمياط وخرج لامر لم يبلغه فاعيد الى الاسكندرية ليسكن بها في اي مكان شاء فسكن بها الى ان مات رحمه الله تعالى

(ثم تولى الملك الاشرف قايتباي المحمودي)

فى سادس رجب سنة اثنين وسبعين وثمانمائة قيل انه حصلت له
البشارة بالسلطنة من عدة اولياء الله الصالحين قبل ان يليها
وكان محبا للخير معتقدا للصالحين حكى عنه انه لما جلبه الخواجا
محمود الى مصر وكان معه رفيقه احد المماليك الذى جلب معه
فتحادثا مع الجمال الذى قائد الجمل الذى حاملهما فى ليلة من الليالى
فى شهر رمضان فقالوا لعل هذه الليلة النيرة ليلة القدر ولعل
الدعاء فيها مستجاب فليدع كل منا بما يحبه فأما قايتباى فقال
انا اطلب سلطنة مصر من الله تعالى وقال الثانى وانا اطلب ان
اكون اميرا كبيرا والتفتا الى الجمال وقالا له اى شئ تطلب أنت
فقال اطلب من الله خاتمة الخير فصار قايتباى سلطانا وصار
صاحبه أميرا كبيرا فكانا اذا اجتمعا يقولان فاز الجمال من بيننا
وللسلطان قايتباى محاسن لا تحصى من خيرات وعمارات
ومساجد ومرابط ومدارس واسبلة وغير ذلك منها أنه
امر ببناء مسجد الخيف فبنى بناء محكما وبوسطه قبة عظيمة
وان بالمسجد خوخة صغيرة يتوصل منها الى الجبل الذى فى سفح
غار المرسلات وهو الموضع الذى نزل فيه المرسلات على النبى
صلى الله عليه وسلم وفى سنة اثنين وعشرين والف حج مؤلف
هذا الكتاب ودخل الغار المذكور وشاهد به تجويفا باعلى
راس الجالس فيه ذكروا ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار
وجلس فيه وكان الجالس لا يستطيع أن يرفع رأسه فلما رفع النبى
صلى الله عليه وسلم رأسه الشريفة لان الحجر والناس يضعون
رؤسهم فى هذه التجويفة تبركا ومما شاهده المؤلف المرقوم
فى الحجة المذكور من الامر المهول ان أمير الحاج الشريف دخل بالحجاج
المدينة المنورة على الحال بها افضل الصلاة والسلام يوم
الاثنين والغالب ان الحجاج يصلون الجمعة عند النبى صلى الله عليه
وسلم والعادة انهم لا يزيدون فى المقام بالمدينة زيادة عن ثلاثة
ايام فاراد أمير الحاج الرحيل بالحجاج يوم الخميس فابرم عليه

جماعة من اكابر الدولة بصلاة الجمعة في الحرم النبوي فوافق على ذلك
وكان حصل من عرب العنزة عند قدوم الحاج بجبل مفرح مفاسد
وضرر للحجاج فخاف امير الحاج على الحجاج في التقدم قبله من غير
حرس يقدمهم من العسكر المنصور فنادى ان لا أحد من الحجاج يتقدم
بالمسير قبل صلاة الجمعة ولا يتأخر بعدها فلما قضيت الصلاة
واراد الانصراف من صلى الجمعة بالحرم الشريف من الحجاج لاجل
التأهب للمسير فحصل ازدحام في بابي السلام والرحمة فقتل في
تلك الساعة بالبابين خلق كثير والذى ضبطه شهود المحمل من
القتلى ما يزيد على سبعين نفرا خارجا عن المكسورين ومن هو للموت
اقرب وتركوا بمحلهم الى ان يحثوا الله عليهم من يواريهم التراب وهذه
مصيبة عظيمة ومن اثر عمارة السلطان قايتباى مسجد نمرة
الذى بجبل عرفات ومن آثاره ايضا انه أمر تاجره الخواجا
شمس الدين بن الزمن ان يجعل له محلا ملاصقا للحرم المكى فبنى
له مدرسة واحكم بناها بالرخام الملون والسقف المذهب
وبها شبابيك مطلة على الحرم الشريف وهي على يسار الداخل
من باب السلام وقرر بها خدمة وطلبة للمذاهب الاربعة وهي
باقية عامرة لم يحصل بها خلل في اوضاعها ولا بناها وينزل
بها امير الحاج المصرى وبما وقع في زمن السلطان قايتباى
من الامر المهول والحادث العظيم حريق المسجد الشريف النبوى
على الحال به افضل الصلاة والسلام وذلك في ثالث عشر رمضان
سنة ست وثمانين وثمانمائة فارسل امير المدينة قاصدا الى مصر
لاجل عرض ذلك على السلطان قايتباى فتهول لتلك الحادثة العظيمة
وتوجه الى عمارة المسجد الشريف وعرف نعمة الله تعالى عليه بتأهيله
لهذا الشرف العظيم فارسل نحوا من ثلثمائة من ارباب الصنائع
وكثيرا من البغال والحمير وسائر مؤنهم وصلنا نحو مائة الف دينار
او اكثر وجهز المؤن الكثيرة حتى امتلأت البنادر من الخيرات
وأمر بعمارة المسجد الحرام وان تبنى له مدرسة ملاصقة للحرم

الشريف ولما تمت العمارة أرسل الى المدينة المنورة خزانة كتب وجعل مقرها بالمدرسة وأرسل عدة مصاحف ووقف عليها تقرى بمصر تحمل غلاتها الى جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلك المدرسة باقية الى الآن في غاية الانتظام وهي على يسار الداخل الى الحرم الشريف النبوي وينزل بها أمير الحاج الشريف المصري قال بعض الشعراء

لم يحترق حرم النبي لريبة تخشى عليه ولا هناك عار
لكنما ايدي الروافض لامست ذاك الضريح فطهرته النار

وحج السلطان قايتباي حجة عظيمة وعن الملوك لا تسأل وكان واسطة عقد ملوك الجراكسة وأقربهم ميلا الى قلوب الرعية واكملهم عقلا وعاشت الرعية في ايامه رغدا الى ان انتبه له الزمن الجاشر واستيقظت له طرق الليالي الغوابر فاقدم على ما اقدم من عمله وترك ما حوله من متاع الدنيا ووراء اظهره وادرج في أكفان عمله بعد ما غسل بدموع فقره وانزل من سريره الى قبره وكان انتقاله الى رحمة الله تعالى في آخر يوم الاحد لثلاث بقين من شهر ذي القعدة سنة احدى وتسعمائة وصلي عليه يوم الاثنين ودفن بتربته التي انشأها بالصحرا في حال حياته وهي في غاية الحسن وبها مساكن للفقراء وأرباب وظائف ونفعها ولها أوقاف دارة وهي مسكونة معمورة الى الآن ليس بالصحرا أعمر منها وكان مدة سلطنته تسعة وعشرين سنة وأربعة أشهر ولم يملك أحد من الجراكسة قدر مدته وقيل انه تغطت قبل موته

ثم تولى الملك الناصر ابو السعادات بن السلطان

قايتباي وكان شابا يغلب عليه السفه والجنون وما كان له التفات الى ملك ولا الى سلطنة بل يغلب عليه اللهو وكان والده في حال حياته يود ان يخلفه ويأبى الله الا ما اراد حكي عنه امور قبيحة قيل ان والدته كانت من اعقل النساء واجملهن فهيأت له جارية وجمعتها به في بيت خال من أعدته لها فدخل

بها وقفل الباب على نفسه وعليها وربطها من رجليها ويديها وصار
يسلخ جلدها كالجلادين وهي حية فلما سمعوا صراخها ارادوا
الهجوم عليه فما امكنهم لانه قفل الباب واحكم قفله من داخل واستمر كذلك
الى ان سلخها وحشى جلدها بالثياب وخرج يظهر اسناديه في التسلخ
وان الجلادين عجزوا عن صنعته واستمر في حركاته الشنيعة الى ان قتل
في بر الجيزة وجاؤا به مقتول الى القاهرة ودفنوه في تربة ابيه في سنة
اربع وتسعماية فكان مدة سلطنته ثلاث سنوات والله سبحانه وتعالى اعلم
ثم تولى الظاهر ابو النصر قانصوه وهو خال الناصر ابن قايتباى
وكان ساذجا اميا لا يعرف الا بلسان الجركس قريب العهد ببلده لان السلطان
قايتباى جلبه من بلاده وهو كبير وصار يرقيه بواسطة زوجته خوندام
الناصر لانه اخوها وهي التي اقامته مقام ولدها وبذلت له الاموال واراد
ان تقويه وعمل يصلح العطار ما افسد الدهر فخلعوه بعد ان ساسهم سنه
وستة اشهر واخرجوه من الملك في اواخر سنة خمس وتسعماية والله تعالى
اعلم ثم تولى جان بلاط امير كبير ولقبوه بالملك
الاشرف جان بلاط
في اوائل سنة ست وتسعماية ولا تهنا بالملك ولا وافقه عليه احد
وخلع نفسه بعد ستة اشهر والله تعالى اعلم
ثم تولى الملك العادل طومان باى
وما استكمل يوما واحدا حتى هجم عليه العسكر وقتلوه ظلما فلم يقدر احد
على السلطنة واتفقوا على ان يولوا قانصوه الغورى لانهم راوه لين
العريكة سهل الازالة اى وقت رادوا ازالته ازالوه لانه كان اقلهم
مالا واضعفهم حالا واوجههم قوة فقال اقبل بشرط ان لا تقتلوني فان
اردتم خلعي من السلطنة اخبروني وانا اوافقكم وانزل لكم عن الملك
فعاهدوه فقبل ذلك منهم والله سبحانه وتعالى اعلم
ثم تولى قانصوه الغورى ولقبوه بالملك الاشرف
وذلك في سنة سبع وتسعماية وفرح العسكر بولايته وكان قانصوه
كثير الدها ذا فطنة وراي الا انه كان شديد الطمع كثير الظلم محبا للعمارة

ولما سكنت الفتنة بهذا التدبير الذي ذكره للجند قبل ولايته واشتغلوا
عنه بضرورات آخر فصار يلقي الفتنة بينهم ويأخذ هذا بهذا ويلقي لهم
دسائس في الطعام من سم ونحوه حتى افنى قرانصتهم ودهاتهم الا
قليلا منهم ثم اتخذ مماليك لنفسه جلبا واعدهم جندا فصاروا يظلمون
الناس واظهروا الفساد واهلكوا العباد وهو يتغافل عنهم وصار هو
يصادر الناس ويأخذ اموالهم بالقهر والبأس وكثرة العوانية في زمنه
لكثرة ما يصغي اليهم وصاروا اذا شاهدوا واحدا في دنياه متوسع وشوا
به الى السلطان فيرسل اليه الاعوان ويستصفي امواله ويسلمه الى من
يعاقبه ويأخذ ما اخفاه من دنياه الى ان يصير فقيرا بعد غناه وجمع
من هذا الباب اموالا عظيمة ذهبت في الامر سدا وتفرقت بيد العدا
وهكذا كل مال يؤخذ على هذا الاسلوب ويجمع على هذا الطريق المنكوب
واما الميراث فبطل في زمانه ولما اشتد ظلمه وطمعه استغاث الناس
فيه الى الواحد القهار وتضرعوا فيه آناء الليل واطراف النهار فاستجاب
الله دعاء المظلومين فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين
(حكى) عن شخص مجاب الدعوة من اولياء الله الصالحين انه رأى
جنديا من الجلبان اخذ متاعا من دلال ولم يرضه في ثمنه فتبعه الدلال
يطلب حقه وهو ممتنع فقال الدلال بيني وبينك شرع الله فضربه
بدبوس فتح رأسه وسقط على الارض مغشيا عليه فرفع يديه الى السماء
ودعى على الجندي المذكور وعلى سلطانه فصادفت ساعة الاجابة
ونام الرجل فرأى فيما يرى النائم ان ملئكة نزلت من السماء وبايديهم
مكانس وهم يكنسون الجراكسة فاستيقظ واذا بقارئ يقرأ قوله
تعالى فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها
غافلين فعلم ان الله يأخذهم اخذا وبيلا فما مضى قليل الا وبرز الغوري
بجنوده وامواله وخزائنه لقتال السلطان سليم خان الى حلب فجاء
الخبر ان الغوري كسرت عساكره وفقد هو تحت سنابك الخيل في
مرج دابق وهرب بقية الجراكسة الى مصر وصيروا طومان باي

الدوادار أخي الغوري سلطانا وما زال السلطان سليم في أثر الجراكسة يفتح البلاد ويضبطها الى ان وصل الريدانية فخرج طومان باي ومن معه لقتال السلطان سليم فما حمل هو ومن معه الا ساعة واحدة وانكسروا وهربوا وهرب طومان باي ومسك وجئ به الى السلطان سليم فامر بصلبه في باب زويله فصلب لاحدى عشر ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة فان الناس كانوا يزعمون بانه اختفى حتى يحصل له فرصة ويعود فلما صلب سكنت الفتنة والسلطان الغوري مآثر من عمارات وخيرات وغير ذلك منها عمارة مدرسته التي براس الشوايين بمصر وكان الفراغ من بنائها في ربيع الاول سنة تسع وتسعمائة والمدفن الذي هو مقابلها وسبيلا بجوار المدفن يعلوه مكتب أيتام وكان يود ان يدفن فيه وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ومنها عمارة منارة بالجامع الازهر ومنها عمارة جامع للمقياس بالروضة وما جاوره من قاعات ومساكن وغير ذلك ومنها عمارة سبيل المؤمنين بالقرافة ومنها عمارة بندر عقبة ايلا وتمهيد جبالها للسالك فيها ومنها سحابة للفقراء بطريق الحاج الشريف في كل سنة وهي مستمرة الى الآن ومنها السواقي بمصر القديمة والمجراة المتصلة من السواقي الى القلعة وهي باقية الى الآن ومنها القبة بالملقة بالقرب من المطرية وما يليها من الكشك والمجالس المطلة على الملقة ومنها أنه عمر بمكة المشرفة باب ابراهيم وبيوت حوله ومنها بناء ميضأة خارج باب ابراهيم على يمنة الخارج ومنها ترخيم في جدر البيت الشريف ومنها بناء سور جدة فانها كانت بلا سور فكانت مدة تصرف الغوري في السلطنة ست عشرة سنة وثلاثة أشهر تقريبا ومدة تصرف الجراكسة مائة سنة واحدى وعشرين سنة وملوك الجراكسه اثنان وعشرون ملكا أولهم برقوق وآخرهم طومان باي

وقد انقطعت مدة الجراكسة كما انقطعت دولة من قبلهم ولله البقاء كما قيل

عمّروا الارض مدة	ثم صاروا الى الحفر
يا بني جركس كنتم	خبرا فانقضى الخبر

وقد سمعت من بعض الافاضل ان المرحوم السلطان سليم لما ملك مصرا انشا يقول

يا بني جركس هيئوا	ملك الامر سليم
ملككم كان معارا	والعوارى لا تدوم
ظلمكم اوجب هذا	انه فعل ذميم
قد ملكتم فقهرتم	فلهذا لم تقيموا
ولهذا قد ذهبتم	ما لكم خل حميم
قد حمى الله حمانا	انه البر الرحيم
بمليك فاق كسرى	اذ له الملك العظيم
اسمه في الذكر يتلى	فافهمنه يا حكيم

والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

الباب التاسع في ظهور ملوك آل عثمان خلد الله ملكهم الى آخر الزمان

اول جلوس السلطان عثمان الغازى على تخت السلطنة الشريفة

في سنة تسع وتسعين وستمائة فبدأ بالجهاد وافتتاح البلاد وقتل الكفار أهل الفساد وكان للسيف والضيف كثير الاطعام فاتك الحسام شجاعا مقداما فعاش حميدا ومات شهيدا فكان مدة سلطنته ستا وعشرين سنة وتوفى سنة خمس وعشرين وسبعمائة

ثم تولى السلطان اورخان الغازى بن السلطان عثمان وجلس على تخت السلطنة في سنة ست وعشرين وسبعمائة

وسنه خمس وثلاثون سنة وهو الذى افتتح بروسيا وجعلها مقر سلطنته وكان فاق والده فى الجهاد وفتح عدة حصون واتسعت مملكته ونفذت كلمته وله حروب مشهورة مع النصارى فكان مدة سلطنته خمسا وثلاثين سنه والله تعالى أعلم

ثم تولى السلطان مراد الغازى بن السلطان أورخان

وجلس على تخت السلطنة الشريفة فى بروسا سنة احدى وستين وسبعمائة وعمره أربع وثلاثون سنة وافتتح عدة قلاع وحصون من جملتها ادرنه وهو الذى اتخذ المماليك وسماهم يكيجرى يعنى العسكر الجديد وألبسهم البركاه وكانت له صولة عظيمة على الكفار فاظهر واحد من ملوك النصارى الطاعة وكان اسمه بلواش وتقدم ليقبل يد السلطان فلما قرب منه اخرج خنجرا كان أعده فى كمه فضرب السلطان مراد فاستشهد الى رحمة الله فصار القانون العثمانى من يومئذ لا يدخل على السلطان ايلچى او غيره بسلاح وان يفتش وان يدخل بين رجلين يكتفانه فكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة والله اعلم

ثم تولى السلطان يلدرم بايزيد بن السلطان مراد

وعمره اثنان واربعون سنة وجلس على تخت السلطنة الشريفة فى سنة احدى وتسعين وسبعمائة وقد استولى على كثير من بلاد النصارى وقلاعهم وأراضيهم وصارت النصارى تنتمى الى بعض ملوك الطوائف فى بلاد الروم فقبض على جماعة منهم ابن قرمان وأخذه وحبسه فهرب من الحبس ومضى الى تيمورلنك وخلى له الوصول الى بلاد الروم وشكوا من السلطان بايزيد واستمر تيمورلنك يفسد فى الارض الى ان وصل الى اذربيجان فخرج السلطان بايزيد الى لقائه ولما التقى الفريقان هرب من عسكره طائفة التتار وعسكر منتشا وعسكر كرمان وتركوا

السلطان بايزيد وهربوا الى تيمورلنك ووقع الحرب فشرع عسكر بايزيد في الانهزام وثبت هو وقليل معه واستمر السلطان بايزيد يقاتل الى ان وصل الى تيمورلنك بسيفه وهو مشهور وقد عجزوا عنه فرموا عليه بساطا ومسكوه وحبسوه فلحقته الحمية الغضبية فتوفي الى رحمة الله تعالى فكانت مدة سلطنته ستة عشرة سنة ثم تخلف من بعده اولاده وهم عيسى ومحمد وموسى وسليمان وقاسم وصار النزاع والقتال بينهم اثنى عشر سنة وقتل بينهم خلق كثير الى ان استقر بالسلطنة (السلطان محمد بن السلطان يلدرم بايزيد)

في سنة ست عشرة وثمانمائة وعمره تسع وثمانون سنه وكان شجاعا مقداما مجاهدا في سبيل الله افتتح عدة بلاد وبذل نفسه في الغزو والجهاد ومهد البلاد اعظم مهاد ومما افتتحه قلعة اصطمونية وقلعة اسكب وقلعة اقشهر وغيرها وهو اول من عمل الصرة لاهل الحرمين الشريفين من آل عثمان وفي ايامه ظهر بدر الدين بن قاضي سموات وادعى السلطنة وجمع جماعة من مريديه نحو ثلاثة آلاف نفر ومسك بدر الدين وقتل وفي ايامه ايضا خرج محمد بن قرمان وولده مصطفى عن الطاعة واحتجا بروسيا فجاء السلطان محمد من بلاد روملي ووصل الى قونية ووقع بينه وبين محمد ابن قرمان حروب عظيمة مشهورة ومسك محمد بن قرمان وولده مصطفى واتى بهما اسيرين الى السلطان محمد فعفا عنهما وانعم عليهما بمملكتهما فكانت مدة سلطنته تسع سنين وتوفي بمرض الاسهال فتكون له مرتبة الشهادة وذلك في سنة خمس وعشرين وثمانمائة

ثم تولى السلطان مراد الثاني بن السلطان محمد

وجلس على تخت السلطنة سنة خمس وعشرين وثمانمائة وعمره

ثمان عشرة سنة وكان ملكا عظيما مقداما فاتكا فتح الفتوحات ومهد المسالك وامن السالك واذى الكفار والملحدين واعز الاسلام والمسلمين الى ان انتشا ولده محمد فرآى نجابته وعرف اقباله وشهامته فاجلسه على سرير السلطنة واختار لنفسه التقاعد والفراغ بحسن رضاه فكان مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة والله سبحانه وتعالى اعلم

ثم تولى السلطان محمد خان بن السلطان مراد

في سنة ست وخمسين وثمانمائة وسنه عشرون سنة وكان من اعاظم سلاطين آل عثمان واقواهم اقداما واجتهادا واكثرهم توكلا على الله واعتمادا له غزوات كثيرة من اعظمها فتح القسطنطينية الكبرى وساق اليها السفن رخا تجرى برا وبحرا وحاصرها خمسين يوما وفتحها في اليوم الحادي والخمسين وهو الرابع والعشرون من جمادى الاخرة سنة سبع وخمسين وثمانمائة وصلى في اكبر كنايس النصارى صلاة الجمعة وهي آيا صوفية وقد عمل بعض الفضلاء لفتح القسطنطينية تاريخا وهو بلدة طيبة سنة ٨٥٧ ذكر علماء التاريخ ان مدينة القسطنطينية كمل بناها في اربعين سنة وكان اسمها قبل ذلك البرنطية ومات بانيها قسطيطين في منتصف سنة ست وعشرين وثمانمائة من تاريخ الاسكندر وهي مدينة مثلثة الشكل جانبان في البر وجانب في البحر ولها سور سمكه احد وعشرون ذراعا والآن صارت القسطنطينية معدن الفخار والعلا ومقر السلطنة الشريفة العثمانية واجتمع فيها اهل الكمالات من كل فن فعلماؤها الآن اعظم علماء الاسلام واهل حرفها ادق الفطنا في الانام وقد ضبطت اماكنها من المرحوم زكريا افندي شيخ الاسلام في سنة ٩٩٤ فوجد بها من محلات المسلمين ثلاثة آلاف وتسعمائة وثمانون محلا ومن الجوامع

أربعمائة وثمانية وثمانون جامعا ومن المساجد أربعة آلاف وخمس
مائة وستة وتسعين مسجدا ومن مكاتيب الاولاد الف وستمائة
واربعة وخمسون مكتبا ومن المدارس خمس مائة وخمسة وثمانون
مدرسة ومن التكايا مائة تكية ومن الخانات مائة وخمسون
خانا ومن الزوايا ثمانمائة وستة وثمانون زاوية ومن الششما
تسعمائة وخمس وسبعون ششمه وهي الصهاريج للشرب بلغة
الترك ومن الحنفيات أربعة آلاف واربعمائة وثمانون حنفية
ومن الفرانين الفين ومائتين وخمسة وثمانين فرانا ومن
اسواق الاسباب تسعمائة وخمسة وثمانين سوقا ومن القبانية
اثنى عشر ألف قبانا ومن الحمامات ألف حمام ومن البوظخانات
ثمانمائة وخمسة وثمانين بوظه ومن القهاوى الفين وثلثمائة
واثنين وخمسين قهوة ومن محلات النصارى اربعة آلاف
وتسعمائة ومن محلات اليهود أربعة آلاف وتسعمائة وخمسة
وثمانين محلا ومن الكنايس مائة وخمسة وأربعين كنيسة
ومن الميخانات اربعة الاف وخمسمائة وثمانية وخمسين ميخانا
وذلك خارجا عما تجدد بعد ذلك من المحلات والجوامع وحمامات
البيوت وغير ذلك وقد ضبط في مملكة آل عثمان من قضاة الاقضيا
ما جملتهم خمسة آلاف وتسعمائة وستون قاضيا ماهو بقضا
اناضولى خمسة الآف وستمائة وماهو بقضا روملى ثلثمائة
وستون قاضيا وذلك خارجا عن الموالى والدانشمانية والملازمين
وقد سمعت من شخص من العسكر المنصور ان بالقسطنطينية
الآن من العسكر المنصور ماهو من الينشرية أربعين ألفا
ومن الاسباهية ستون ألفا ومن عجم اوغلان اربعة وعشرون الفا
ومن السراجين ثلاثة عشر ألفا ومن الجبجيان ثلاثة عشر الفا
ومن العربان اثنا عشر ألفا ومن الطوبوجية سبعة آلاف
وذلك خارجا عن الموالى والوزراء والجاويشية والمفتيين والمتفرقة
والزعما والمتقاعدين والصناجق والقابوجية والاغاوات والطلبة من

والبازرجدان والخوانين والنساء والمصاحبين وأرباب الآلات
وما لهؤلاء من الاتباع والخدم وما لكل مملكة من ممالك آل عثمان مثل
مصر والشام واليمن والحجاز والثغور والبنادر والحصارات والشرق
والغرب من العساكر والاجناد مما يعجز عنه الوصف وأخبرت أيضا
انه في يوم جلوس المرحوم السلطان عثمان بن المرحوم السلطان أحمد
صرف الترقي للعسكر المنصور فبلغ قدر خزينة مصر سبع كرات
فسبحان مالك الملك جل جلاله وقد اطلعنا على بعض تواريخ
الدول السابقة والملوك السالفة فيما سمعنا فما رأينا مثل دولة
بني عثمان ولا احسن نظاما منها ولا أحفظ في قانونها لا سيما
اطاعتها للشرع الشريف وتوقيرها لاهل العلم وحملة القرآن
واسداء الخيرات للفقراء والمساكين ولسكان الحرمين الشريفين
ولمجاوريهما على ما سيأتي بيانه فيه قريبا فنسأل الله الحنان
المنان ان يديم دولة بني عثمان الى آخر الزمان فكانت مدة
مولانا السلطان محمد احدا وثلاثين سنة وتوفي سنة ست
وثمانين وثمانماية والله أعلم

ثم تولى السلطان بايزيد خان بن السلطان محمد

وجلس على تخت السلطنة الشريفة في تاسع عشر ربيع الاول سنة
ست وثمانين وثمانماية وعمره اذ ذاك ثلاثون سنة وهو من
أعيان سلاطين آل عثمان تفرع من شجرة طيبة أصلها ثابت
وفرعها في السماء وورث سرير السلطنة كابرا عن كابر وتزينت
باسمه صدور المنابر وافتتح الفتوحات وغزا في سبيل الله أعظم
الغزوات وظهر في أيامه من بلاد العجم اسماعيل بن الشيخ
حيدر الصفوي في سنة تسعمائة وخمسة وكان له ظهور عجيب
واستيلاء على ملوك العجم يعد من الاعاجيب فتك في البلاد
وسفك دماء العباد وأظهر مذهب اهل الرفض والالحاد وغير
اعتقاد أهل العجم الى الفساد وأخرب ممالك العجم وأزال من أهلها

حسن الاعتقاد والله يفعل ما اراد وتلك فتنة عجيبة في غالب
البلاد حكاية عجيبة وهي ان السلطان بايزيد حذره منجم حاذق
من أهل عصره ان هلاكه يكون على يد ولد يولد له بعدما ولد له عدة
أولاد فكان التحذير قبل ان يولد له السلطان سليم فطلب
السلطان بايزيد معتمدة عنده بيدها جواريه للموطوآت وهي
القابلة لمن تضع حملها منهن وكانت من الصالحات الخيرات فقال
لها اذا وضعت احدى الجواري الآن صبيا فاقتليه ولا تدعيه حيا
وان ولدت أنثى اتركيها واكد عليها في ذلك غاية التأكيد واستمرت على
ذلك الى أن ولد السلطان سليم فتناولته القابلة لتخنقه فرأت
صورة جميلة فرقت وقالت في نفسها بأي وجه ألقى الله تعالى في قتل
هذا الطفل المعصوم والله لا اقدم على قتله وقالت لابي يزيد قد
حصلت لك بنت جميله حسنة الصورة فلما اخبر بذلك سماها
سليمة واستمر الحال مكتوم لا يعلمه غير القابلة والام والله تعالى
وصار كلما كبر وانتشى ظهر عليه سمت الغلبة والقهر فاذا اجتمعت
البنات وجلس بينهن لطم من بجانبه وضرب ونهب ما بايديهن
من ملعوبات الاطفال وكانوا يحذرون منه فدخل السلطان
بايزيد داخل السرايا في يوم عيد وامر المكان ان يطيب ويزين
واستدعى بيناته وأجلسهن بين يديه وأمر ان يوضع بين يدى كل
واحدة منهن انواع الحلوى والفواكه وأحضر بينهن السلطان
سليم فشرع السلطان سليم في سطوته وعادته وخطف ما بايديهن
من الحلوى والفواكه ووضع الكل بين يديه والكل خائفات منه
فتعجب السلطان بايزيد وصار يتأمل في اثناء ذلك وصار السلطان
سليم يضرب البنات ويلسعهن فقال السلطان بايزيد للدنيا الواقفة
هذا لا يكون بنتا اكشفوا لي عنه فبادرت القابلة وقالت نعم هو صبي
وليس ببنت فقال لها وكيف خالفت أمري وما قتليه فقالت خفت
الله وخلصت ذمتك من هذا الولد المعصوم ولا ذنب له فتفكر مليا
ثم قال ما قدره الله فهو كائن لا مفر منه وامر بالكف عنه وتربيته

الى ان كان من أمره ما كان ولما استولى على السلطان بايزيد مرض النقرس
ضعف عن الحركة وترك السفر سنين متعددة فصار العسكر لبطرهم
وكثرة راحتهم يطلبون سلطانا قوي الحركة كثير الاسفار ليجاهد
في سبيل الله ورأوا السلطان سليم أجلد من سائر اخوته وعاين
السلطان بايزيد من اركان الدولة والعسكر ميلهم الى السلطان سليم
فاشار عليه وزراؤه ان يفرغ عن السلطنة بقلب سليم لسليم
ويختار التقاعد في ادرنة في عز وتعظيم فابرموا عليه في ذلك فأجابهم
الى سؤلهم وفرغ وترك وتوجه الى ادرنة فلما وصل اليها انتقل بالوفاة
الى رحمة الله تعالى في سنة ثماني عشرة وتسعمائة فكانت مدة
سلطنته اثنين وثلاثين سنة والله سبحانه وتعالى اعلم

ثم تولى السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد كاسر العجم

وفاتح ممالك العرب وذلك في سنة ثماني عشرة وتسعمائة وكان
سلطانا ماهيا قهارا كثير السفك للدماء قوي البطش والفحص
عن أخبار الناس عظيم الكشف عن اخبار الممالك والملوك
وكان يغير زيه ولباسه في الليل والنهار ويتجسس ويطلع
على الاخبار وله عدة مصاحبين تحت القلعة وفي الاسواق
وفي الجمعيات والمحافل ومهما سمعوه ذكروه له في محل المصاحبة
ولما استقر السلطان سليم على سرير الملك بدأ بقتال العجم
وتوجه بخيله ورجله وعساكره المشهورة الى ان وصل تبريز
وتصادمت عساكره مع عسكر قزلباش ونزل النصر من عند
الله والفتح القريب وانهزمت عساكر اسماعيل شاه وساقت
العساكر المنصورة خلفه وكادوا يقبضون عليه ففر من بين
أيديهم وهم ينظرون اليه وترك ما حوله من مخيمه وأثاث
بجملاته فاغتنمها عساكر السلطان سليم ووطئت حوافر خيله
أرض تبريز ونهى وأمر وقتل وأسروا عطى الرعية تمام الامان
وأراد التمكن من بلاد العجم فما امكنه ذلك لكثرة القحط والغلاء

بحيث

بحيث بيعت العليقة بمائة درهم وبيع الرغيف بمائة درهم وسبب
ذلك انقطاع القوافل التي كان أعدها السلطان سليم بأن تتبعه
بالمؤن والعليق فتخلفت عنه في محل الاحتياج اليها وما وجد في
تبريز شيئا من الماكولات والحبوب لان شاه اسماعيل أمر باحراق
اجران الحبوب من شعير وغيره ذلك فاضطرب السلطان سليم
لذلك فتفحص عن انقطاع القوافل فاخبر ان سبب ذلك سلطان
مصر قانصوه الغوري فانه كان بينه وبين اسماعيل شاه محبة
ومودة ومراسلات وغير ذلك فلما استقر ركاب السلطنة
الشريفة في تخت ملكه الشريف تأهب لاخذ مصر وازالة الجراكسة
عنها فتوجه بعسكره الجرار الى حلب سنة اثنين وعشرين وتسعمائة
ولما بلغ السلطان الغوري قدوم السلطان سليم جمع عساكره
من الجراكسة وغيرهم وبرز الى قتال السلطان سليم فتلاقى
العسكران قرب حلب بمرج دابق وكان الغوري يتوهم ويخاف
على نفسه من خاير بك والغزالي وكانا يكرهانه في الباطن ويكرههما
كذلك فامرهما ان يتقدما القتال السلطان سليم وجعلهما
وعسكرهما أمامه ووقف الغوري بخواص عسكره الذين يعتمد عليهم
من الجلبان وقصد بذلك قتل خيربك والغزالي وعسكرهما بالبنادق
في أول مرة ويسلم هو ومن معه فخاب ظنه ورد الله مكره عليه
قال الله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله وقيل في المعنى

شعر للامام علي كرم الله وجهه

الحذر ينفع مالم يأتك القدر ... فان اتى قدر لم ينفع الحذر
من يحتفر حفرة يوما يصير لها ... فان حفرت فوسع حين تحتفر
ان الشباب لهم عذر اذا جهلوا ... وليس يقبل من ذي شيبة عذر

فتفطن خاير بك والغزالي لذلك وكانا ارسلا للسلطان سليم وطلبا
منه الامان ووثقا منه ان لا يقتلهما بل يكرمهما وينعم عليهما فارسل
السلطان سليم لهما الامان وعهد لهما بان يطيب خاطرهما وان
يعطي خيربك مصر والغزالي الشام فقبلا منه ذلك ووافقاه على ذلك

فلما تراءى الجمعان واضطربت نيران المدافع والبنادق في مرج دابق فر
خاير بك بمن معه من الميمنة وفر الغزالي بمن معه من الميسرة
وبقي السلطان الغوري بمن معه من خواص اتباعه في القلب واطلقت
البنادق والزربطانات فهلك من هلك وهرب من هرب وانقلب
النهار ليلا بالدخان وامتلأ وجه الارض بشعل النفط والنيران
وغار الغوري تحت سنابك الخيل ومحي نور العدل ظلم الجراكسة كما
يمحوا النهار الليل وانقلبت رايات السلطان سليم على قلعة حلب
الشهبا فطلب اهلها الامان فاجابهم بالقبول لطفا وكرما وحضر
صلاة الجمعة وخطب الخطيب باسمه الشريف ودعا له ولاسلافه
وبالغ في المدح والتعريف وعندما سمع السلطان سليم الخطيب
يقول في تعريفه خادم الحرمين الشريفين سجد لله شكرا وقال
الحمد لله الذي يسر لي ان صرت خادم الحرمين الشريفين واظهر
الفرح والسرور بتلقبه بخادم الحرمين الشريفين وخلع على الخطيب
خلعا متعددة وهو على المنبر واحسن اليه احسانا كثيرا واقام
بحلب اياما وهو يمهد الممالك ويجري احكام العدالة والسياسة
والاحسان الى الرعايا ثم ارتحل بالجيوش المنصورة الى الشام
فخرج أهل الشام الى لقائه وطلبوا منه الامان والامن فاجابهم
الى ما سألوه وبسط لهم ما طلبوه وأملوه وخلع على من يستحق
خلع الرضى والاكرام ودخل الشام بموكب عظيم واقام لتمهيد
أمور المملكة برأيه الشريف وخطب له الخطباء فخلع عليهم واكرمهم
وأمر بعمارة مقام الاكسير الاعظم مولانا الشيخ محيي الدين
ابن عربي ورتب له اوقافا كثيرة وهو باق الى الآن واستمر
السلطان سليم بارض الشام حتى مهد امورها وضبط حصونها ثم
توجه الى مصر فوصل الى بلاد غزة ثم عدل بمفرده الى زيارة القدس
والخليل في نفر يسير بقصد الزيارة فاحسن الى اهل القدس والخليل
وعاد الى عسكره فصار كلما مر ببلدة او قصبة او قرية في طريقه
احسن الى الرعايا وفر بقية الجراكسة الى مصر وولوا الى مصر

وجعلوا

وجعلوا الدوادار طومان باى سلطانا ولقبوه بالاشرف واجتمعوا عليه وألقوا مقاليد سلطنتهم اليه وصاروا يوكبهم بين يديه وجندوا الجنود وعقدوا الالوية والبنود وبرزوا الى الريدانية خارج باب النصر ونصبوا المدافع الكبار والاحجار وهيؤها ليطلقوها اذا اقبلت العساكر العثمانية فلما اخبر الجواسيس السلطان سليم بذلك عدل هو وعسكره وجاؤا من خلف الجبل المقطم من وراء عسكر الجراكسة واستمرت مدافع الجراكسة مركوزة لمن يأتى من أمام الريدانية وقاتل السلطان طومان باى ومن ثبت معه من الجراكسة قتالا شديدا واظهر طومان باى شجاعة قوية عرف بها وشهد له المصاف وهو يغوص فى العسكر ويكر ويفر وقتل من وزراء السلطان سليم سنان باشا وأسف عليه وقال اى فائدة فى مصر بلا يوسف ووجه النكتة ان يوسف يلقب بسنان فى عرفهم وبعد ساعة انكسر الجراكسة وانهزموا وهرب طومان باى ومسك وصلب فى باب زويله كما ذكرنا ذلك سابقا واستمر السلطان سليم يدبر امور مصر ويضبط خراجها ومتحصلاتها الى ثالث عشرى رجب سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة (وكان) مقام السلطان سليم بالروضة وبنى له كوشكا علو قاعات المقياس وهو مشرف على بحر الروضة والمقياس ولما رحل السلطان سليم منه قفل ومنع من يجلس فيه حرمة لمولانا السلطان سليم * ذكر القطبى فى اعلامه قال رايت جماعة من مصاحبى السلطان سليم وسمعت منهم حسن مصاحبته ولطف معاشرته وشدة تيقظه ودقة فهمه مع كثرة مطالعته للتواريخ وتفرسه فى اللغة الفارسية وحسن نظمه بالفارسية والرومية بحيث انه فاق الطائفتين ورايت بيتين بخطه الشريف كتبهما علو المقياس فى الكوشك الذى امر ببنائه لما فتح مصر وسكن الروضة وكانت هذا الكوشك محترما مقفلا لا يصل اليه احد لعظم بانيه فدخلت مصر سنة ثلاث وأربعين

وستمائة وكان يوم كسر النيل السعيد فتحوا هذا الكوشك لباشة مصر خسرو باشا وكنت مصاحبا المعلم عبد الكريم العجمي فطلع واطلعني صحبته فرايت مكتوبا على الرخام الابيض كتابة خفية لا تكاد تظهر الا بالتأمل هذين البيتين وهما

الملك لله من يظفر بنيل منى يُردّ قهرا ويضمن منه ما دركا
لو كان لي او لغيري قدر انملة فوقا لتراب لصار الامر مشتركا

ومرقوم تحته كتبه العفير سليم ولعمري ان كان هذان البيتان من نظم المرحوم فهما في غاية البيان والبراعة ونهاية في الشعر العربي الفصيح المنسجم وان كان قد تمثل بهما فهما ايضا مرتبة علية في حسن التمثيل ولطف الاستحضار رحمه الله تعالى وكان اشيع بمصر في جمادى الاول سنة احدى وثلاثين والف ان السلطان عثمان بن المرحوم السلطان أحمد يحل ركابه السعيد الى مصر المحروسة بقصد الحج أو غير ذلك على ما قيل فجدد ما تهدم من الكوشك المذكور وزخرف وزين بناء على ان السلطان عثمان اذا قدم الى مصر يقيم بالكوشك المذكور ويأبى الله الا ما اراد ومما افاده مولانا شيخ الاسلام الشيخ محمد حجازي الواعظ الشعراوي خادم السنة النبوية بالديار المصرية في فتوى افتى بها على سؤال رفع اليه في سنة احدى وثلاثين والف فيمن يتعرض للمرتزقة واوقاف المسلمين فمن جملة جوابه انه قال سمعت من استاذنا المؤرخ من الحق لا صاغر بالاكابر شهاب الدين احمد الجهركسي الشاطبي وكثيرا من مشايخي مشافهة ان مولانا السلطان سليم لما أخذ مصر من الجراكسه ووضع رجله في الركاب ليتوجه الى الروم فتقدم اليه خاير بك بمفاتيح البلد فردها عليه وولاه عليها الى أن يموت بها فشاوره على أن ابناء الجراكسة يريدون الدخول من جملة الاجناد فاجازه بذلك على ابقاء اوقاف الجراكسه

وهي نحو عشرة قراريط من اراضي مصر فاجازه بابقائها على
ماكانت عليه فشوش وزيره وقال فتح بالنا وعساكرنا
وتسلمهم بلدهم وتدخلهم في عسكرنا وتبقى اوقافهم يشنعون
علينا بذلك فقال السلطان سليم اين الجلاد فضرب عنق
الوزير المذكور ووضع رجله الثانية في الركاب ولما نزل الخانقاة
السرياقوسية لاطفوه فقال عاهدناهم على انهم ان مكنونا من
بلادهم ابقيناهم عليها وجعلناهم امراؤها فهل يجوز منا
ان نخون العهد ونغدر واذا ادخلنا ابناهم في جندنا هم اولاد
المسلمين ويغارون على دارهم واما اراضيهم اصلها ملك الفاتحين
ومنهم من وقف ومنهم من قامت ذريته من بعده فهل يجوز
ان ننازع الملاك في املاكها وانما زلت الوزير كراهة ان يغير
على اعتقادي بتكرار كلامه فرحم الله هذا الملك العظيم *
وهكذا شأن الملوك ولما رحل السلطان سليم بعساكره المنصورة
ظهرت في اثناء ظهره جراحة منعته الراحة وعجزت عن علاجه
حذاق الاطبا وتحيرت في دائه عقول الالبا وكانت توضع
الدجاجة في جرحه فتذوب وشوهد معاليق اكباده من خلف
ظهره وانشبت المنية اظفارها فما منعه التمايم والرقى وفدى
بالاموال فما قبل الفدا كما قيل في المعنى

ولو قبل الفداء لكان يفدى　　وان جل المصاب عن التفادي
ولكن المنون لها عيون　　تكد لحاظها في الانتقادي
فقل للدهر انت اصبت فالبس　　برغم بنيك اثواب الحدادِ

وكان السلطان سليم قصده العود ثانيا الى بلاد العجم
فما ساعدته القدرة الربانية ولما وصل الى تخت ملكه الشريف
وهو متوعك استمر الى ان لحق بربه فكانت وفاته سنة ست
وعشرين وتسعماية ومدة سلطنته تسع سنين ولم يعمر اكثر
من ذلك ولم تطل سلطنته لانه كان سفاكا للدم كثير القتل
وهذه مادة الله في السلاطين والامراء اذا اكثروا في سفك الدما

والله أعلم

ثم تولى السلطان سليمان خان

ابن السلطان سليم خان بعد وفاة والده في سنة ست وعشرين
وتسعماية وجلس على تخت السلطنة الشريفة ولاادمى انف أحد
ولااريق محجمة دم وسنة ست وعشرون سنة وكان سلطانا
مهابا سعيدا ايده الله لنصرة الاسلام مرغم انوف اعدائه وكان
مؤيدا في حروبه ومغازيه مسعودا في حركاته ومعانيه أين
توجه فتك والى سافر سافر وسفك (ذكر غزواته)
اول غزواته انكروس سنه ٩٢٧ ثاني غزواته رودس
سنه ٩٢٤ وعمل الناس لذلك تواريخا الطفها يفرح المؤمنون
بنصر الله ثالث غزواته انكروس ثانيا سنه ٩٢٩ رابع غزواته
غزوة مسيح سنه ٩٢٩ خامس غزواته غزوة العجم سنه ٩٢٩
سادس غزواته غزوة المان سنه ٩٤١ سابع غزواته غزوة
الونية سنه ٩٤٤ ثامن غزواته غزوة بغداد سنه ٩٤٥
تاسع غزواته غزوة اسطبور سنه ٩٤٨ عاشر غزواته غزوة
مسكم واسترعون سنه ٩٥٠ حادي عشر غزواته غزوة القاس
سنه ٩٥٠ ثاني عشر غزواته سفره الى المشرق سنه ٩٦١ ثالث
عشر غزواته غزوة سكتوار وهو آخر غزواته وتوفي
فيها سنه ٩٧٤ (ذكر وزرائه العظام) أول وزرائه
بيري باشا الصديق مصادفه وزير الوالده فابقاه ثم
استعفى من الوزارة لكبر سنه فاجيب (ثاني وزرائه ابراهيم
اوده باشا حرمة الخاص (ثالث وزرائه اياس باشا وكان
من الارنؤت (رابع وزرائه لطفي باشا وكان من الارنؤت
(خامس وزرائه سليمان باشا الخادم وكان من الارنؤت (سادس
وزرائه رستم باشا وكان من الارنؤت (سابع وزرائه احمد
باشا ثم اعيد رستم باشا (ثامن وزرائه علي باشا وكان

من

من البوسنه (تاسع وزرائه محمد باشا وكان آخر وزرائه
وكان متصرفا متمكنا فى الوزارة العظمى مع التدبير الحسن *
والتصرف العام على الخاص والعام وكانت وزارته فى سنة ٩٧٢
واستمر بقية مدة السلطان سليمان وكان مدة السلطان
سليم الثانى الى ان استشهد فى زمن المرحوم السلطان مراد *
وكان السلطان سليمان يحب الخيرات واجراء الصدقات
من جملة اثاره الحميدة السحابة الكبرى بطريق الحاج الشريف
ولها اوقاف بكثرة يشترى من ريع اوقافها فى كل سنة
جمالا لاجل حمل الفقرا والمنقطعين والعواجز والماء والزاد
وغير ذلك ومقرريها من المغاربة اربعين نفرا ومن
المطاوعة اربعين نفرا ذهابا وايابا وذلك مستمر الى الآن
وانضم الى اوقاف الدشيشة الكبرى اوقاف خوفصادت
الآن خمسة اوقاف وقف السلطان قايتباى (ووقف
السلطان جقمق (ووقف السلطان نتم (ووقف السلطان
سليمان (ووقف خوند والقرى الموقوف عليها وهى بالقليوبية
ناحية سرياقوس (وناحية سندوه (وناحية نوى والقشيش
(وناحية امياى (وبالمنوفية ناحية البيجور (وناحية
المقاطع (وناحية اسدود (وناحية الصنفرا (وناحية
سمدون (وبالغربية ناحية شبرا بسيون (وناحية القضا
(وناحية كفر شبرا بسيون (وناحية محلة المرحوم وكفرها
(وناحية منية الليث هشام (وناحية بقلوله (وناحية
قويسنه (وناحية دمقنوا (وبالدقهلية ناحية بدويه
(وناحية قيد ه (وناحية منية شرف (وناحية منية
القرشى (وناحية ابوداود العزب (وناحية طوانيس
وناحية منشاة عنير (وناحية منية العز مساعد (وناحية
الجديدة ناحية شبراهنت (وناحية بسنتود (وبالبحيرة
ناحية مطوبس الرمان (وناحية منية المرشد (وناحية

شمشيره (وناحية عزبة عمرو (وناحية الفتى (وبالجيزة نلسية صفيل (وناحية منية قادوس (وناحية صيده وناحية الكنيسه (وناحية وسيم (وبالبهنسا ناحية منية بنخصيب (والاسيوطيه (والوجه القبلى (وناحية الفيوم (وناحية زاوية بماس (وناحية طرشوب (وناحية جلف (وناحية شمسطا (وناحية براوه (وناحية سنجج (وناحية ابو الهدر (وناحية طحا ذات الاعمدة (وناحية طوة بنى ابراهيم وناحية منشاه التركانى (وناحية ابو الهر (وناحية صنبو وكفورها وناحية طمية (وناحية اللاهون وان المتحصل من النواحى فى كل سنة ما هو من المال سبعون كيسا وما هو من الغلال ثلاثة وثلاثون الف اردب وثمانماية وثمانون اردبا وذلك جاوجاعن اجرة الاماكن الكائنة بمصر وغيرها وهو فى كل شهر هلالى اربعة واربعون كيسا فكان مدة تصرف السلطان سليمان فى السلطنة تسعا واربعين سنة والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم تولى السلطان سليم الثانى

ابن السلطان سليمان وجلس على تخت السلطنة الشريفة تاسع ربيع الاخرة سنة اربع وسبعين وتسعماية وسنه ست واربعون سنة وعمل بعض الفضلاء تاريخا لتوليته فقال سليما تولى الملك بعد سليمان وبعد ثلاثة ايام من جلوسه توجه الى سكتوار لحفظ عساكر الاسلام المجاهدين فى سبيل الله فسار سيرا حثيثا الى ان وصل ركابه السعيد الى سرم فتلقاه الوزير محمد باشا المتقدم ذكره واعلمه بهجوم الشتاء وتيسير قلعة سكتوار والتماس الاذن الشريف بعود العسكر المنصور الى الاوطان واستمرار الركاب الشريف بذلك المكان الى ان يصل هو وبقية الوزراء واركان الدولة الى الشم

الركاب الشريف وبعد ذلك يعودون في خدمته الى محر
التخت الشريف بالقسطنطينية الكبرى فاجيب حضرة الوزير
الاعظم الى ما اشار واستمر ركابا بالسلطنة الشريفة بذلك
المحل الى ان ورد عليه الوزير الاعظم وباقي الوزرا وقبلوا
الركاب وهنوه بالملك وعادوا في خدمته الى القسطنطينية
الكبرى بغاية البشر واليمن والقبول وجهزت البشاير الى
الممالك الشريفة ووصلت اليه الهدايا والتحف من الملوك
والاشراف فعم بحسن نظره الشريف البلاد واطمانت
العباد ودمر اهل الكفر والالحاد (وله غزوات مشهورة
دمر بها بلاد الكافرين وقطع دابر الظالمين وهو جالس مكانه
الشريف (ومنها فتح قبرس (ومنها فتح تونس وحلق
الوادي (ومنها فتح ممالك اليمن واسترجاعها من العصاة
ومما يحكى عنه انه كان لوالده المرحوم السلطان
سليمان مصاحبا يدعى شمسي باشا العجمي ولا يخفى ما بين آل
عثمان والعجم من العداوة المحكمة الاساس الراسخة الاوتاد
فاقر السلطان سليم شمسي باشا مصاحبا على ما كان عليه زمن
والده وكان شمسي باشا له مداخل عجيبه وامور غريبة يلقيها
في قالب عرض يسحر بها ذوي العقول فقصد ان يدخل شيئا
منكرا في بيت آل عثمان يكون سببا لخللها وهو قبول الرشا
من ارباب الولايات والعمال فلما تمكن من مصاحبة السلطان
سليم فقال له على سبيل العرض عندكم فلان المعزول عن منصب
كذا وليس بيده منصب الآن وقصده من فيض انعامكم
عليه بالمنصب الفلاني ويعطي كذا وكذا فلما سمع السلطان
سليم ما ابداه شمسي باشا وعلم انها مكيدة منه في ادخال
السوء ببيت آل عثمان تغير مزاجه الشريف وقال له يا دفضي
تريد ان تدخل الرشوة بيت السلطنة حتى يكون ذلك سببا
لازالتها وأمر بقتله فتلطف به وقال له يا بادشاهم لا تعجل

هذه وصية والدك لى فانه قال لى السلطان سليم صغير السن وربما يكون عنده ميل للدنيا فاعرض عليه الامر فان جنح اليه فامنعه بلطف فان امتنع فقل له هذه وصية والدك فدم عليها ودعى له بالثبات فى ترك الرشوة التى هى من الامور المستصعبات فخلص من القتل بهذه الحيلة فكانت مدة سلطنة السلطان سليم تسع سنين وكانت وفاته فى سابع رمضان سنة اثنين وثمانين وتسعماية والله اعلم

ثم تولى السلطان مراد بن السلطان سليم

وجلس على تخت السلطنة الشريفة فى عاشر شهر رمضان سنة اثنين وثمانين وتسعماية وستة وثلاثون سنة * وكان محبا للخيرات ووجوه المبرات فمن جملة خيراته انه انشأ تكية بالمدينة المنورة على الحال بها افضل الصلاة والسلام ورباطا بقباء ظاهر المدينة المنورة وقرر بهما ارباب وظائف ومجاورين ورتب بالتكية طعاما يطبخ صباحا ومساء ورتب حبا لاهل الحرمين الشريفين ووقف على ذلك قرى من قرى مصر المحروسة ومنها باقليم البحيرة ناحية نكلا وناحية الظاهرية وبالمنوفية ناحية سبك الاحد وناحية شبراز نجى وبالقليوبية ناحية طنان وناحية كفر بريق وناحية طوخ الملق وناحية سد طنان وناحية سنهرا وبالدقهلية ناحية سندوب وناحية منية سمانود وناحية ابو الحسن وبالجيزة ناحية كوم برا وناحية نهيا وبالبهنساوية والوجه القبلى ناحية بلصفا وناحية دندبل وناحية الحكامنه وناحية دبشنا وناحية الضوابط وناحية اهناس الخضراء وفى كل سنة يجهز الى بندر السويس من متحصل النواحى المذكوره ومجاورا الحرمين الشريفين وان ما يجهز من النقد من

متحصل النواحى المذكورة فى كل عام صحبة أمير الحاج الشريف المصرى ما قدره سبعة عشر كيساً توزع على اربابها من مجاورين الحرمين الشريفين وتوفى السلطان مراد فى سابع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث والف فجملة تصرفه فى السلطنة عشرون سنة وخمسة اشهر وستة ايام والله أعلم

ثم تولى السلطان محمد بن السلطان مراد

وجلس على تخت السلطنة الشريفة يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث والف وقد نظم بعضهم تاريخا لجلوسه فقال

مراد بنى الفردوس والملك زانه ... محمد الآتى بخير معاد
بإثر أبيه قد تولى فارخوا ... محمد تولى عين ملك مراد

وقد نظم ايضا بعضهم تاريخا لجلوس السلطان محمد المومى اليه فقال

بولاية المولى المليك محمد ... عم الهنا والكون بالبشر انشرح
ومحا الشفا سقم الوجود فارخوا ... بمحمد قد شرف الملك وصح

ونظم بعضهم تاريخا لجلوسه فقال

محمد خان سلطان على ... ادم يارب دولته وابق
أيا أهل الممالك أرخوه ... محمد خان سلطان بحق

وتوجه بذاته الشريفة وصحبة عساكره المنصورة الى غزوة المجر وحصل هناك قتال وجدال يطول شرحه الف المؤرخون لهذه الغزوة تواريخ بالتركى والعربى وحصلت النصرة لمولانا حضرة حضرة السلطان محمد وعاد سالما مؤيدا منصورا ومن آثار خيراته انه رتب حبا يحمل فى مراكب من بندر السويس الى الينبوع لفقراء الحرمين ووقف على ذلك قرى من قرى مصر المحروسة وهى باقليم المنوفية ناحية البتنون وناحية مليج وناحية شنوان وبالغربية ناحية الطيبا تم وناحية منية الجميل وناحية نهوت وبالقليوبية

ناحية صنافير وناحية مجول البيضا وبالشرقية ناحية شلشلمون
وبالدقهلية ناحية نفيطا وناحية صهرجت للمش وبالفيوم
ناحية نقليفه وناحية بغتمين وبالبهنساوية والوجه القبلي ناحية
نويرمو وناحية سلاوه وناحية باها وناحية قاى وناحية الزينية
وناحية بهداد وناحية بلوصره وناحية صفط الخمارة وناحية
اهناس المدينة وناحية كفر حيدره وناحية العيس وناحية
النسوخ وناحية ديده والذى يجهز من محصولات القرى المذكورة
الى المدينة المنورة وفقراء الحرمين الشريفين ومجاوريهما ما قدره
من الحب اثنا عشر ألف أردبا ومن المال النقد ما جملته اثنا عشر كيسا
فكانت مدة تصرف السلطان محمد فى السلطنة تسع سنوات
وخمسة عشر يوما وتوفى فى رجب سنة اثنى عشر والف

ثم تولى السلطان احمد بن السلطان محمد

وسنه نحو الثمانى عشر سنة وجلس على تخت السلطنة الشريفة
فى ثالث رجب سنة اثنى عشرة والف وكان ملكا مهابا ولما التفات
الى السلطنة الشريفة وقتل جماعة من وزرائه من جملتهم نصوح باشا
فانه لما آلت اليه الوزارة العظمى وتصرف بها مع نفوذ الكلمة
فكثرت اتباعه ومماليكه حتى خرج عن طوره ووقع فى السنة العامة
والخاصة واشيع عنه ما يوجب التيقظ لامورة كما قيل وعند
صفو الليالى يحدث الكدر فازيل ولله عز وجل البقاء ومن
جملة محاسن السلطان أحمد انه عمر جامعا بالقسطنطينية
لم يعمل مثله فى اتساعه ولا احكام بنائه ودقة صنائعه وغير
ذلك مما يعجز عنه الوصف ومنها انه ارسل حجرا من الماس قيمته
اثنا عشر ألف دينار او اكثر الى المدينة المنورة واراد ان يوضع بالحجرة
النبوية على الحال بها افضل الصلاة والسلام وهو موجود الى الآن
وذكر انه حصل فى بناء الكعبة الشريفة ميلان فى بعض احجارها فارسل
عمدا من فولاد مموهة بالذهب مطلية بالفضة فطوقت بها

الكعبة

الكعبة الشريفة من جوانبها الاربع وحفظت الاحجار من السقوط
ومن آثار خيراته أيضا انه ارسل ميزابا من فضة مموه بالذهب ووضع
موضع الميزاب العتيق وتسلم امير الحاج الشامى الميزاب العتيق
ووضعه فى تختروان وأسبل عليه كسوة المحمل الشريف الشامى
وخرج امير الحاج الشامى امامه وخلق كثير من العسكر المنصور
ركبانا ومشاة بالطبل التركى وكان يوم خروجه من مكة يوما
مشهودا وذلك فى سنة اثنين وعشرين والف وكان مؤلف
هذا الكتاب حاجا فى السنة المذكورة وشاهد خروج الميزاب
المذكور وارسل الميزاب العتيق الى القسطنطينية ووضع بالخزائن
العامرة تبركا ومن خيراته أيضا انه عمل سحابة بركب الحاج الشريف
المصرى يحمل بها الماء للفقراء والمساكين ووقف عليها اوقافا وهى مستمرة
الى الآن وبها النفع العام ومن آثاره أيضا انه رتب من ريع اوقافه
ايضا لفقراء الحرمين الشريفين وارباب وظائفهما زيادة فى معلومهم
فى كل سنة ما قدره اثنا عشر كيسا يحمل اليهم صحبة امير الحاج المصرى
ولا يخفى على اولى البصائر وذوى العقل الباهر ما لبنى عثمان من
الخيرات والطول الكامل فى اسداء المبرات وكثرة احسانهم
واكرامهم لاهل الحرمين الشريفين جيران الله وجيران نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم فى هذين البلدين العظيمين المنيفين والتصدق
عليهم والرأفة اليهم بكثرة الانعام فى كل عام فلا غرو ان نطقت
بمدحتهم افواه الدفاتر وخطبت بذكرهم الاقلام على انها خطبا
والانامل لها منابر وشدت بذكرهم الاطيار فى اوكارها واجابهم
عاصى الصوادح لما نعا اوكارها وطربت بها الحداة
عندما مالت الى اوكارها فلا زالت الوية نصرهم منشورة
الذوائب مشرقة كالشمس فى المشارق والمغارب
ظاهرة السفور محلية عاطل طروس السطور والذى
ضبطه جامع هذه الاوراق المرتجى عفو ربه الخلاق
فقير رحمة ربه محمد بن اسحاق ورقمه بطريق التقريب

فى هذا الكتاب ووسمه حسبما وصل اليه علمه من افواه المباشرين
والكتاب ان الذى يجهز الى فقراء الحرمين الشريفين ومجاوريهما
فى كل عام من صدقة آل عثمان وخدمتهم وممن يأتى ذكره فيه من
الديار المصرية حماها الله تعالى من كل اضرو بليه ماهو من المال
النقد المسمى بالصرة مائة كيس واربعة وستون كيسا بيان
ذلك ماهو من اوقاف الدشيشة الكبرى اربعة وستون كيسا
وماهو من اوقاف السلطان مراد سبعة عشر كيسا وماهو من وقف
السلطان محمد اثنا عشر كيسا وماهو من وقف السلطان احمد
اثنا عشر كيسا وماهو من وقف الخاصكية عشرة اكياس وما
هو من وقف الحرمين عشرة اكياس وماهو من وقف الاشراف
خمسة عشر الف نصف فضة وماهو من وقف الخدم ثمانون
الف نصف فضة وماهو من وقف رستم باشا اثنا عشر الف نصف
فضة وماهو من وقف اسكندر باشا عشرة آلاف نصف فضة
وماهو من وقف سنان باشا اثنان وثلاثون الف نصف فضة
وماهو من الحب فى كل عام ثمانية واربعون الف اردب وثمانمائة
اردب وثمانون اردبا كما ذلك مذكور فى محله فى هذا الكتاب
وذلك خارجا عن صدقات البلاد الرومية والحلبية والشامية
وغالب البلاد الاسلامية وذلك ببركة دعوة سيدنا ابراهيم
الخليل عليه افضل الصلاة والسلام قال الله تعالى فى كتابه
العزيز ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك
المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم
وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون فاجاب الله تعالى دعاءه
وجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ فان اودية مكة حجرية
لا نبات بها قال البيضاوى فى تفسيره عند قوله تعالى فاجعل
افئدة من الناس اى افئدة من الناس ومن للتبعيض ولذا قيل
لو قال افئدة للناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى
وتوفى السلطان احمد فى عاشر شهر القعدة سنة سبع وعشرين والف

وكانت

وكانت مدة تصرفه اربع عشرة سنة واربعة شهور وعشرة ايام والله اعلم

ثم تولى السلطان مصطفى بن السلطان محمد وهو اخو

السلطان احمد وجلس على تخت السلطنة الشريفة فى ثالث عشرى القعدة سنة سبع وعشرين والف وكان فى مدة ولاية أخيه السلطان احمد فى محل داخل السرايا وهو ممنوع التصرف والاجتماع بالناس لا يمكن من الخروج من السرايا وعنده بعض اطفال يخدمونه وهو موصوف بالصلاح لا التفات له الى سلطنة ولا الى تصرف فى امر من الامور وكان كلما اجتمع باخيه السلطان احمد يقول له لا حاجة لى بسلطنة مطلقا وكان يشاع ان السلطان احمد كلما خطر بفكره شئ من قبل أخيه السلطان مصطفى يقول له ارجع عما تقصده . فكان ذلك سببا للكف عنه ثم خلع مولانا السلطان مصطفى ليلة الاربعاء ثالث ربيع الاول سنة ثمان وعشرين والف واودع فى جب داخل السرايا وسد بابه ماعدا روزنة لطيفة ينزل منها طعامه وشرابه وكانت مدة ولايته ثلاثة اشهر وعشرة ايام والله اعلم

ثم تولى السلطان عثمان بن السلطان احمد

وجلس على تخت السلطنة الشريفة يوم الاربعاء ثالث ربيع الاول سنة ثمان وعشرين وألف وسنه احدى عشر سنة وهو مع صغر سنه ملك همام وأسد ضرغام ولما تمكن وتصرف واستقام له الحال توجه بذاته الشريفة وعساكره المنيفة الى غزوة طائفة من النصارى المعروفين باللية من جنس الروس فانه بلغه عنهم امور قبيحة وخروج عن الطاعة وايذاء للمسلمين فوطئ بلادهم بخيله ورجله وقتل منهم من قتل وأسر من أسر فاذعنوا له ووقعوا على ان يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وعاد الى تخت ملكه مؤيدا منصورا فمكث مدة يسيرة وبعد ذلك شاع الخبر من

الداخل ان السلطان عثمان قصد الحج الى بيت الله الحرام والفوز بزيارة
قبر خير الانام عليه افضل الصلاة والسلام وبعد تمام الحج يحل
ركابه السعيد بمصر المحروسة لاجل احتياطه بامورها فبلغ ذلك
الخبر مولانا محمود افندى الولى العارف وبعض الوزراء واكابر
الدولة فاشاروا على مولانا السلطان عثمان بترك هذا الوارد وبانه
ما تقدم لاحد من اكابر سلاطين آل عثمان بمثل هذه الحركة وان
فيها ضررا عاما للرعايا والبرايا والعساكر المنصورة فلم يقبل لاحد
اشارة ولم يلتفت لما قالوه وصمم على هذا الامر اشد تصميم لامر
اراده العزيز العليم ثم فى يوم الاربعاء سابع رجب سنة احدى
وثلاثين والف اثيرت فتنة بالقسطنطينية بسبب هذه الحركة
المتقدم ذكرها فقتل بها خلق كثير من اكابر واماثل وغير ذلك
من جملتهم سليمان اغا ودلاور اغا الوزير الاعظم واختفى السلطان
عثمان ونزل من السرايا الى سكودار لاجل الاجتماع بمحمود افندى
المشار اليه فطرق عليه الباب فلم يمكنه من الاجتماع به بسبب
عدم قبول وعظه له اول مرة وكان ذلك قبيل الغروب ثم عاد الى
السراية الكبرى فوجدها مقفولة فلم تفتح له فرجع على اثره لمنزل
حسين باشا وبات به ثم توجه بكرة النهار هو وحسين باشا الى
اغات اليقشرية وابرم السلطان عثمان على حسين باشا واغات اليقشرية
بالتوجه الى العسكر المنصور واخذ خواطرهم وان يعطيهم ما يريدون
ويدفع ما يتضررون منه ويكرهون فقالا لا يتيسر ذلك الآن
بمقتضى انهم اخرجوا السلطان مصطفى من الجب واجلسوه
على تخت السلطنة الشريفة فابرم السلطان عثمان على اغات
اليقشرية فى ايصال هذا الكلام الى العسكر المنصور فما وسعهم
مخالفته وسلم الامر الى الله تعالى لانفاذ القدر المقدور فلما وصل
اليهم وذكر لهم ما ذكره له السلطان عثمان فما كان جوابهم الا ان
قطعوه بالسيوف آربا آربا وتوجهوا فورا الى بيت اغات اليقشرية
واخرجوا السلطان عثمان وجاء وابر السلطان مصطفى فلما تلاقيا

تباكيا

تباكيا وعما حصل لا تسل وأخذوا السلطان عثمان ونزلوا به في قايق وتوجهوا به الى المكان المعروف بيدي قلة فبات به واحضروا داود باشا بالقايق وهو ميت لا روح به ولا حركة وادخل الى السرايا الكبرى واذن للناس اذنا عاما في الصلاة عليه ثم دفن بتربة والده المرحوم السلطان احمد التي انشأها عند جامعه وكان له مشهد مشهود تباكت عليه الرعايا والعساكر المنصورة ونم بعضهم على بعض فالذي كان سببا لذلك ونشأ بعد ذلك فتن كقطع الليل المظلم من قال وقيل وغير ذلك مما يجب كتمه ولا يستحب اذاعته وبعد ذلك قتل داود باشا اشر قتلة وقتل معه جماعة من الاكابر وما يعلم ما يحدث بعد ذلك الا الله تعالى وكانت وفاة السلطان عثمان يوم الخميس تاسع رجب سنة احدى وثلاثين وألف ومدة تصرفه اربع سنوات واربعة اشهر واربعة ايام وقد نظم بعضهم تاريخا لقتله فقال

قتلتموا عثمانكم ... وختمتموا ايمانكم
الم تخافوا فتنة ... تاريخها ظلامكم

١٠٣١

وقد نظم بعضهم ايضا تاريخا فقال

مات سلطان البرايا ... وهو في الاخرى سعيد
قال لي الهاتف ارخ ... ان عثمان شهيد

١٠٣١

ثم أعيد مولانا السلطان مصطفى الى

الملك ثاني مرة وجلس على تخت السلطنة الشريفة يوم الخميس ثامن رجب سنة احدى وثلاثين والف خلد الله تعالى ملكه على الامم والمسلمين وجعل ظل سلطانه قويا متين وأنام الانام في ظل أمانه وعدله المكين فلم تزل ان شاء الله دولته ما شيه وآية ملكه تقول لسرجه هل اتاك حديث الغاشيه وابقاه على سرير السلطنة الباهرة دهرا طويلا وثبته

على منهج الكتاب والسنة ولن تجد لسنة الله تحويلا وجعل السلطنة باقية في عقبه الى يوم التناد وانار بنور عدله ظلم الظلم والفساد بجاه سيدنا محمد افضل العباد ابن كريم جواد لطيف بالعباد

الباب العاشر

فيمن تصرف في مصر من جانب آل عثمان المعظمين من الوزراء والباشوات المفخمين وايراد اخبارهم ومدة اقامتهم بالديار المصرية واحكامهم بها اول من تقرر باشا بمصر خاير بك اميرالامراء بوعد سابق له في ذلك من المرحوم السلطان سليم وذلك في اوايل رجب سنة اربع وعشرين وتسعمائة وجعلها مطعمة له الى ان يموت فتوفي في عاشر شهر صفر سنة ست وعشرين وتسعمائة فمدة تصرفه سنتان وتسعة أشهر وثلاثة ايام

ثم تولى مصطفى باشا

وكان دخوله في اوايل شهر رجب سنة سبع وعشرين وتسعمائة وعزل في سادس عشري شهر الحجة سنة ثمان وعشرين وتسعمائة فمدة تصرفه سنة واحدة وعشرة أشهر ويومان اثنان والله أعلم

ثم تولى قاسم جزل باشا

فكان دخوله سنة تسع وعشرين وتسعماية وخروجه من مصر في اوايل سنة ثلاثين وتسعمائة فكانت مدة ولايته سنة واحدة والله تعالى اعلم

ثم تولى أحمد باشا الخائن

في شهر صفر سنة ثلاثين وتسعمائة والسبب في توليته ان المرحوم السلطان سليمان لما جلس على تخت الملك صادف وزيرا

والده المرحوم السلطان سليم هو محمد باشا الصديقى فابقاه على
الوزارة العظمى وكان محمد باشا كبير السن بطئ الحركة فى قيامه
وقعوده وتصرفه والملوك لا يليق بخدمتها الا من يكون له حركة
ومبادرة للامور فاستعفى من الوزارة وولى مكانه اوده باشا
حرمة الخاص ابراهيم باشا وكان أقدم منه فى الخدمة المذكور
أحمد باشا وكان مؤملا ان الوزارة العظمى لا تتعداه فزاحمه
ابراهيم باشا وجلس بقوة قربه من السلطان فشكاه ابراهيم
باشا للسلطان وأعطاه باشوية مصر ليستجلب بذلك خاطره
وصار ابراهيم باشا متعقبه للعداوة السابقة ويرميه بما يوجب
قتله فبرز الامر لجماعة الامراء المحافظين بمصر ان يجمعوا عنده
ويقتلونه فى محله بالامر الشريف ويولوا احدهم مكانه الى ان يرد
الامر الشريف باقامة باشا وارسلت الاحكام الى الامراء بمصر فوقعت
تلك الاحكام بيد أحمد باشا قبل أن تصل الى الامراء فسولت له نفسه
العصيان وانه يقاتل بجيش يلفقه من مصر فابدى الطغيان وادعى
السلطنة وضرب السكة باسمه على الدنانير والدراهم وعصى بقلعة
الجبل وكان قد حبس عنده بالقلعة أميرين كبيرين هما جانم الحمزاوى
ومحمود بك واراد قتلهما وقد أخر الله تعالى أجلهما فسمعا انه دخل
الحمام فكسرا الحبس وخرجا ونصبا صنجقا سلطانيا وناديا من
أطاع السلطنة فليقف تحت لوائهما فوقف تحت الصنجق السلطانى
خلق كثير وجم غفير وصار سردارهم جانم الحمزاوى ومحمود بك
وتوجه بالعسكر الى الحمام فكبسا الحمام على أحمد باشا وكان قد حلق
نصف رأسه وأعجله النصف الثانى هجوم العسكر فهرب الى سطوح
الحمام وتسلق من مكان الى مكان الى ان وصل الى البر فنهبوا جميع
ما عنده من السلاح وغيره ثم انهم تقفوا اثره فادركوه بمنية
جناح بالغربية فقتلوه فى أواخر سنة ثلاثين وتسعمائة وجزوا
رأسه وجئ بها الى مصر وعلقت فى باب زويلة ثم جهزت الى الاعتاب
الشريفة فكان مدة تصرفه بمصر سنة واحدة والله تعالى أعلم

ثم تولى ابراهيم باشا

الذى صار وزيرا اعظم وكان دخوله فى اوائل سنة احدى وثلاثين
وتسعمائة وخروجه من مصر فى شهر شعبان من السنة المذكورة
فمدة تصرفه سبعة أشهر

ثم تولى سليمان باشا الخادم

فى تاسع شعبان سنة احدى وثلاثين وتسعمائة وفى زمنه حررت
الدفاتر الموضوعة بديوان مصر المحروسة وفى سنة ثلاث وثلاثين
وتسعمائة عين الامير كيوار لمساحة قرى مصر وضبط اراضيها
كل اقليم على حدته من الاطيان السلطانية والارزاق والاوقاف
والاقطاعات وغير ذلك وكتب بذلك دفاتر محررة ووضعت
بديوان مصر المحروسة وهى معول عليها الآن ومشار اليها
وتسمى دفاتر تربيع سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة وعمر
أيضا جامعاً بقلعة الجبل وعمر سليمان باشا جامعا ببولاق
القاهرة وبجواره وكايل وأسواق وربوع وغير ذلك ولما تولى
المرحوم الامير محمد بيك امير اللوا بالديار المصرية ناظرا على اوقاف
سليمان باشا المرقوم زاد فى الجامع المذكور زيادة حسنة ووقع سقفه
فصار الآن فى غاية الحسن والكمال مقام الشعائر الاسلامية وعمر
أيضا جامع سارية بقلعة الجبل وعمر أيضا وكايل برشيد وغير
ذلك ثم ورد عليه امر شريف بالتوجه الى اليمن فكان مدة تصرفه
بمصر تسع سنين وأحد عشر شهرا وستة أيام

ثم تولى خسرو باشا

فى عشرى شهر رمضان سنة احدى وأربعين وتسعمائة وعمر
فى ولايته صهريجا بين القصرين بمصر وبه النفع للشاردين والواردين
فتصرف الى سادس جمادى الاخرة سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة

فكان

فكان مدة تصرفه سنة وثمان شهور وستة ايام والله اعلم

ثم عاد سليمان باشا الخادم الى باشوية مصر

عند عوده من اليمن في حادي عشر شهر رجب سنة ثلاث واربعين وتسعمائة فتصرف الى حادي عشري محرم سنة خمس واربعين وتسعمائة فكانت المدة سنة واحدة وخمسة اشهر واحدى وعشرين يوما

ثم تولى داود باشا

في سابع محرم سنة خمس واربعين وتسعمائة وبنى في ولايته مدرسة عظيمة محكمة البنا بسويقة صفية اللالاه بمصر المحروسة ووقف لها اوقافا وهي باقية الى الآن مقامة الشعائر الاسلامية فتصرف الى ثالث عشر ربيع الاول سنة خمس وخمسين وتسعمائة فكانت المدة احدى عشرة سنة وشهرا واحدى وعشرين يوما وتوفي بمصر المحروسة ودفن بالقرافة بها

ثم تولى مصطفى باشا صفصفان

في خامس ربيع الاول سنة ست وخمسين وتسعمائة ومكث الى رجب من السنة المذكورة فكانت ولايته اربعة شهور ونصف شهر والله أعلم

ثم تولى علي باشا

في خامس شعبان سنة ست وخمسين وتسعمائة وتصرف الى غاية محرم سنة احدى وستين وتسعمائة فكانت المدة اربع سنوات وخمسة أشهر وستة وعشرين يوما ولما انصرف من باشوية مصر الى الاعتاب الشريفة فتنقلت به الاحوال الى ان ولي الوزارة العظمى فاحسن فيها السلوك

وساوى بين الغنى والصعلوك وصار محمودا فى جميع تصرفاته
مع الثناء عليه

ثم تولى محمد باشا الشهير بدوقكين زاده

فى أول صفر سنة احدى وستين وتسعمائة وتصرف الى عشرين
شهر ربيع الآخرة سنة ثلاث وستين وتسعمائة فكانت المدة
سنة واحدة وشهران وتسعة عشر يوما

ثم تولى اسكندر باشا

فى جمادى الاولى سنة ثلاث وستين وتسعمائة وتصرف
الى غاية رجب سنة ست وستين وتسعمائة فكانت المدة
ثلاث سنوات وثلاثة أشهر وثمانية أيام وفى ولايته عمر
المدرسة التى بباب الخرق المطلة على الخليج وهى مشيدة محكمة
البنا وعمر تكية تجاهها وسبيلا بجوار المدرسة وعمل له
بعض الفضلاء تاريخا وهو رحم الله من دنا وشرب ٩٦٦
ووقف على ذلك أوقافا وهم فى غاية الحسن والانتظام ولله
الحمد والمنة

ثم تولى على باشا الخادم

فى سابع عشر شعبان سنة ست وستين وتسعمائة فتصرف
الى سادس صفر سنة ثمان وستين وتسعمائة فكانت المدة
سنتين وستة اشهر

ثم تولى شاهين باشا

فى ثانى ربيع الاول سنة ثمان وستين وتسعمائة فتصرف الى غاية
جمادى الاخرة سنة احدى وسبعين وتسعمائة فكانت مدة
ولايته ثلاث سنين وثلاثة اشهر والله سبحانه وتعالى اعلم

ثم تولى على باشا الطوفى

فى أول رجب سنة احدى وسبعين وتسعمائة وتصرف الى غاية رمضان سنة ثلاث وسبعين وتسعماية فكانت المدة سنتين وثلاثة شهور

ثم تولى محمود باشا المقتول

وكان دخوله يوم الاربعاء تاسع عشر رمضان سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة فتصرف الى ان قتل يوم الاحد تاسع عشرى شهر جمادى الاخرة سنة خمس وسبعين وتسعماية فكانت مدة تصرفه سنة واحدة وتسعة شهور وعشرين يوماً وقد نظم بعض الفضلا تاريخاً لقتله فقال

موت محمود حياة فيه للعالم رحمه
قتله بالنار نور وهو فى التاريخ ظلمه

وقال بعضهم

أتى محمود باشا يوم خمس فلاقته منيته غضيبه
تجاه الناصرية خلف حيط بغيظ جاه منه مصيبه
ببندقة رماه كف رام لحزرها فجاءته مصيبه

ثم تولى سنان باشا

فى ثالث عشرى شهر شعبان سنة خمس وسبعين وتسعمائة وتصرف الى ثالث عشرى جمادى الآخرة سنة ست وسبعين وتسعمائة فمدة تصرفه تسعة شهور وأربعة وعشرون يوماً ثم ورد عليه امر شريف خاقانى بان يتوجه الى فتح بلاد اليمن واسترجاعها من الزيديين العصاة فتوجه ومعه جماعة من اكابر صناجق مصر وكان يقال ان استصحابه الصناجق بامر نسبوا اليه وهو قتل محمود باشا ولم يرجع من الصناجق أحد ولله البقاء وفتح سنان باشا اليمن واستنقذها من ايدى العصاة

وشتت شملهم وقطع دابرهم وقد ألف القطبي تاريخا لهذا الفتح وسماه البرق اليماني في الفتح العثماني لم ينسج على منواله في حسن انسجامه فمن أراد أن ينزه طرفه ويطلع على ما اودع من الدر المكنون فليطالعه وبه قصيدة لا بأس بإيراد أبيات منها أولها

لك الحمد يا مولاي في السر والجهر ... على عزة الاسلام والفتح والنصر
كذا فليكن فتح البلاد إذا سعت ... لها همم العليا الى اشرف الذكر
جنود رمت من كوكبان خيامها ... وآخرها بالنيل من شاطئ المصر
سنان عزيز القدر ويوسف عصره ... ألم تره في مصر احكام يجري
تدلى الى اقصى البلاد بجيشه ... ومهد ملكا قد تمزق بالشر
وشتت شمل الملحدين وردهم ... مثال قرود في الجبال من الذعر
وقطع رؤسا من كبار رؤسهم ... له باطن السرحان والطير كالقبر
وكان عصى موسى تلقف كلما ... بدا من صنيع الملحدين من السحر

ومنها

وما يمن الا ممالك تبع ... وناهيك من ملك قديم ومن فخر
وقد ملكتها ال عثمان او مضت ... بنو طاهر اهل الشامة والذكر
فهل يطمع الزيدي في ملك تبع ... ويأخذها من ال عثمان بالمكر
أبى الله والاسلام والسيف والقنا ... وسر امام المسلمين ابي بكر

ثم تولى اسكندر باشا الفقيه

الجهركسي في رابع جمادى الآخرة سنة ست وسبعين وتسعمائة فنصرف الى غاية المحرم سنة تسع وسبعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنتين وسبع شهور وخمسة عشر يوماً والله تعالى اعلم

ثم عاد سنان باشا من اليمن

وتصرف في باشوية مصر من أول شهر صفر سنة تسع وسبعين وتسعمائة وله مآثر جميلة وآثار حميدة وخيرات جسام لا

ينقطع على توالى الايام وعدة مساجد وربط وتكايا وجوامع بالديار المصرية والشامية والرومية والثغور والبنادر ولم يكن أحد من خدمة آل عثمان أنشا خيرات مثله وتوجه بذاته الى زيارة القطب العلوى سيدى أحمد البدوى فى تاسع شهر القعدة سنة تسع وسبعين وتسعمائة فانه بلغه ان الامير منصور بن بغداد امير ولاية المنوفية صغير السن متلاعب لا التفات له فى التصرف فى ولايته وعنده تحجب وانهماك على اللذات واتباع الشهوات واحتوى على عقله جماعة من السفهاء من منسوباته وهم متصرفون فى ولايته كيف شاؤوا وعنده غرور فى نفسه وهو متمسك بحبل ظهره الوزير الاعظم سياوش باشا فانه مكث عنده بالقسطنطينية مدة وكان فى زعمه ان لا قدرة لاحد على عزله فخشى سنان باشا من ضياع الاموال الديوانية وخلل يحصل باقليم المنوفية فقبض على الامير منصور وعزله فى رابع عشرى شهر القعدة المذكور وولى مكانه الامير علام بن بغداد واستمر الامير منصور مسجونا فى البرج بقلعة الجبل بمصر المحروسة من سنة تسع وسبعين وتسعمائة الى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة الى ان قدم حسن باشا الخادم واطلقه وولاه المنوفية على عادته فكان مدة حبسه نحو العشر سنوات ومدة تصرفه بالمنوفية الى ان عزله اويس باشا عشر سنوات سنتان قبل حبسه وثمان سنوات بعد اطلاقه من الحبس فولايته معادلة لحبسه وهذا اتفاق عجيب فكان مدة تصرف سنان باشا فى الولاية الثانية سنتين وتوجه الى الاعتاب العالية فولى الوزارة العظمى وفرحت الناس بولايته والله تعالى اعلم

ثم تولى حسين باشا

في سابع عشر محرم سنة احدى وثمانين وتسعمائة فصرف الى غاية جمادى الاخرة سنة اثنين وثمانين وتسعمائة فمدة تصرفه سنة واحدة وعشرة اشهر ونصف وفي زمنه حصل غلاء عظيم وقحط حتى اكلت الناس بزر الكتان واعقب ذلك موت فجأة حتى ان الرجل او المرأة او الخادم اذا توجه من منزله لاجل قضاء مصلحة فتدركه المنية فيموت من غير ضعف ولا الم واستمر ذلك مدة والله سبحانه اعلم

ثم تولى مسيح باشا الخادم

في أوائل سنة اثنين وثمانين وتسعمائة وكان ذا اهمام بارع متصفا بالعدل والعفة يكره اهل الفساد والحرامية وقطاع الطريق ويتجسس عن اخبارهم ومواطنهم ويرسل لحكام الاقاليم فاحضارهم ويقتل منهم من يظفر به ويشنع في قتله وبموجب ذلك رجع أهل الفساد عن فسادهم واختفا ارباب التهم وانتظم الحال في زمانه وأمنت الرعايا على انفسها وأموالها والقى الله الرعب في قلوب الحكام والكشاف والولاة وانكفت ايديهم عن التجري في الامور الخارجة عن الشرع والقانون وعمل شنكالا من حديد لقتل المفسدين بالرميلة وبولاق وبالشون بمصر القديمة وظفره الله بغالب المفسدين ووقع نادرة غريبة لا باس بايرادها وهو ان شخصا من الولات اخبرني شفاها انه كان بوابا عند القاضي محب الدين الظاهري كاتم اسرار السلطنة الشريفة العثمانية بالديار المصرية ثم ان القاضي محب الدين المشار اليه لما شرع في بناء قاعة مجاورة لبيته الكائن بمصر المحروسة بباب سر الصالحية وابتدا في حفر اساسها فوجد تحت الارض قاعة وبوسطها قبة لطيفة معقودة بالجبس والمون المحكمة فهدمها فوجد بها صندوقا لطيفا به قنينة زجاج تقارب ان تكون ظرفا لرطلين

زيتا وبار ائها ثلاثة ارغفة ففتحها فوجد بها شيئا يشبه الدهن
ولم يعلم جنسه فاطلع عليه بعض جلسائه ثم ما أحد عرف منهم ما بها
فاشاروا عليه ان يطلع عليها المرحوم الشيخ سرى الدين الصائغ
الحكيم رئيس الحكماء بمصر فاحضروه واطلع عليها فعرف ما بها
فعمى عليه امرها وقال لابد من مراجعة كتب الحكماء وتركه وطلع
من فوره الى مسيح باشا واخبره انه وجد كنزا عظيما ولا يأخذ
جائزته الا كذا وكذا اعتمانيا فى الجوالى فاجابه فقال ان القاضى
محب الدين الظاهرى وجد عنده بقاعة خزنة قنينة اكسير اذا القى
منها درهم على قنطار من الفضة او الرصاص قام ذهبا الخمرى والرومى
فاحضر القاضى محب الدين وامره باحضارها فاحضرها فورا
واختبر ما فيها فوجد كما قيل ثم ان مسيح باشا جمع جمعا كبيرا
من الموالى واكابر الصناجق واطلعهم على ذلك ثم جهزت القنينة
بعد الختم الى الخزانة المرحوم للسلطان مراد وان القاضى محب الدين
لم يتأسف لذلك ولم يهاب الشيخ سرى الدين بكلمة واحدة
وان مسيح باشا بنى له مدرسة ومدفنا بالقرافة ووقف على ذلك
أوقافا وكان يؤمل ان يدفن بالمدفن المذكور وما تدرى نفس
ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى ارض تموت فتصرف
الى ثانى عشر جمادى الاولى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة
وكان تصرفه خمس سنوات وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما

ثم تولى حسن باشا الخادم

فى سادس عشرى جمادى الاولى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة وقد
نظم بعض الفضلاء لعزل مسيح باشا تاريخا فقال

والله نرجو ان نراه كاسمه ... وبه نرى الكربات عنا تنجلى
وللطالب تاريخ زين أقول خذ ... أرخ مسيح انعزل حسن ولى

وفى زمنه البست اليهود الطراطير الحمر والنصارى البرانيط
السود وكان قبل ذلك لبس اليهود العمائم الصفر والنصارى
العمائم الزرق وكان حسن باشا محبا لجمع المال من حله ومن غير

بحله وحصلت منه مصادرات لبعض اكابر مصر من اولاد العرب
وعمر وكالة ببولاق القاهرة تجاه التارسخاناه وصهريجا مقابلها
يعلوه مكتب ايتام وكان قصده التارسخاناه ويعمر مكانها جامعا
فما تمكن من ذلك فتصرف الى ثالث عشرى شهر ربيع الاخرة سنة
احدى وتسعين وتسعمائه فكان مدة تصرفه سنتين واحد
عشر شهرا وثمانية عشر يوما ولما توجه الى الاعتاب الشريفة
حصل له مشاق واهوال وبعد ذلك تنقلت به الاحوال وولى
الوزارة العظمى وعزل بها قتلا وهو غير محمود والله تعالى اعلم

ثم تولى الوزير ابراهيم

فى رابع عشرى ربيع الاخرة سنة احدى وتسعين وتسعمائة
ودخل مصر فى موكب عظيم لم يعهد لاحد غيره وفرح الناس
بقدومه واستبشروا بالخير وكان بيده امر شريف بالتفتيش
على حسن باشا المذكور وكان مؤملا ان يظفر به ويقبض عليه
فسبقه بالتوجه ثم انه اقام عنه وكيلا فى الدعاوى واثبت عليه
مما اخذه غالبه ولم يسفر ذلك عن شئ مطلقا وان ابراهيم
باشا توجه بنفسه الى بير الزمرد فاحاط بها علما وظفر منها
بالزمرد النفيس وتوجه الى الاهرام بعد ذلك واراد الوقوف على ما
بها وانزل جماعة الى الهرم الكبير بشموع مطلية ليخبروه بما
بها ينوه فلم يظهر لذلك نتيجة ثم توجه الى دمياط ثم الى
المحلة الكبرى وهدم بها كنيسة وعمرها مدرسة وسماها
الوزيرية ثم خرج بعد ذلك الى زيارة القطب الربانى والولى
الصمدانى سيدى احمد البدوى عمت بركاته فزاره واحسن
الى مجاوريه ثم توجه الى محلة المرحوم ثم رجع الى مصر فكانت
ولايته سنة واحدة وتسعة عشر يوما وتوجه الى الاعتاب
الشريفة سنة اثنين وتسعين وتسعمائة

(ثم تولى سنان باشا الدفتردار)

باقامة ابراهيم باشا الوزير فى ثالث عشرى شوال سنة اثنين
وتسعين وتسعمائة فصرف الى ثالث عشرى شهر ربيع الاخرة
سنة خمس وتسعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنتين
وستة أشهر وعشرة أيام واستمر مقيما بمصر المحروسة
الى ان قدم أويس باشا ونزل بناحية شبرا قريبا من بولاق
القاهرة فارسل هدية الى اويس باشا من جملتها حصان اشهب
وهو مسرج بسرج مرصع وعدة تليق بالمرسل اليه وكان
يؤمل ان اويس باشا حال طلوعه من المركب الى اوثاقه المنصوب
له ان يركب الحصان المذكور فعدل عنه وركب اكديشا اشهب
كان احضره معه من الديار الرومية ثم ان سنان باشا قدم
الى ناحية شبرا وقابل اويس باشا عند غروب الشمس فشاهد عبوسا
لا يحا فى وجه اويس باشا وهاله ذلك وداخله أمور تخوف منها
فلما رجع من عنده الى مصر اختفى ولم ير بعد ذلك الا بالديار الرومية

ثم تولى أويس باشا المشار اليه

فى ثالث عشرى جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وتسعمائة
وفى زمنه حصلت الفتن بمصر المحروسة وتحركت العساكر
وقتل من قتل وهرب من هرب ومنعت اولاد العرب من الدخول
فى العسكر المنصور ومن التشبه بلباسهم وحدثت الطلب
وحصلت المتاعب من وجوه شتى وقيل ان هذه الحركة كانت
باشارة اويس باشا فسبحان عالم الغيب وفى يوم الاحد المبارك
رابع شهر صفر سنة تسع وتسعين وتسعمائة حصلت زلزلة
بمصر بعد ظهيرة اليوم المذكور فكثت درجة وسدس وسقطت
منها موادن وبيوت وربوع وفاض الماء من حيطان الحمامات
ومطاهر الجوامع وهدمت عقبة ايلا ونهب العرب جميع ما
كان فيها من ذخيرة الحجاج والمحافظين وسقطت صخور من
الجبال بطريق مكة وحال وقوع الزلزلة المذكورة كان مؤلف هذا

الكتاب اذ ذاك ببيت نقيب الجيوش بمصر فشاهد جهات حوش البيت المذكور وهى تتمايل ولها قعقعة وسقط منها بعض أحجار وكان بالحوش المذكور سدرة كبيرة فصارت تتمايل يمينا وشمالا كأنها فى فلاة وطرقها ريح عاصف ولم يُرَ مثل تلك الزلزلة وقد نظم بعض الفضلاء تاريخها فقال

اقترب الامر فتب ممتثلا للموعظه
زلزلة قد ارعبت تاريخها وهى عظه

٩٩٦

وفى يوم الاربعاء عاشر جمادى الاولى من السنة المذكورة حصلت زلزلة عند طلوع الشمس مكثت مدة يسيرة وقد ذكر جماعة ان جانبا من الجبل المقطم بالقرب من التبين بشرق اطفيح انفرق ثلاث فرق وخرج من كل فرق عين ماء أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأشد ما يكون فى الجريان ذكر الجلال السيوطى فى كتابه المسمى بكشف الصلصلة فى وصف الزلزلة فقال أخرج ابو الشيخ ابن حبان فى كتاب العظمة وابن أبى الدنيا عن ابن عباس قال خلق الله جبلا يقال له قاف محيط بالعالم وعروقه الى الصخرة التى عليها الارض فاذا اراد الله ان يزلزل قرية أمر ذلك الجبل ان يحرك العرق الذى يلى تلك القرية فيزلزلها ويحركها فمن ثم يحرك القرية دون القرية أول زلزلة وقعت فى الدنيا حكى المفسرون ان قابيل لما قتل هابيل رجفت الارض سبعة أيام واخرج الحاكم فى صحيحه عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الله عذاب أمتى فى الدنيا القتل والزلازل والفتن وفى خلافة المامون كانت زلزلة بخراسان دامت سبعين يوما وفى سنة خمس واربعين ومائتين فى خلافة المتوكل زلزلت الارض شرقا وغربا وسقطت الحصون والاسوار وخربت المنازل بالغرب وبمصر والشام وانطاكية والمدائن حتى بدت أهلها الى الصحارى وانقطع الجبل الاقرع بانطاكية وسقطت منه قطعة عظيمة فى البحر وارتفع منها دخان اسود

متن وفى سنة ثمانين فى خلافة المعتضد ورد الى مصر شخص من
أهل قرية اردبيل اخبران فى شهر شوال فى السنة المذكورة
كسف القمر واصبحت الدنيا مظلمة الى العصر فهبت ريح سودا فدامت
الى ثلث الليل واعقبها زلزلة عظيمة اذهبت غالب عامر المدينة
وكان عدة من اخرج من تحت الردم مائة وخمسين ألفا وفى خلافة
المطيع سنة أربع واربعين زلزلت مصر زلزلة عظيمة هدمت
البيوت ودامت ثلاث ساعات وفى سنة اثنين وخمسين وخمسمائة
كانت الزلزلة العظيمة المعروفة بزلزلة حماه هدمت ثلاثة عشرة
مدينة وهى حلب حماه المعرة شيراز كفطاب افاميه
حمص حصن الاكراد عدقا اللادقية طرابلس انطاكيه
بل حرب ويستحب عند الزلزلة العتق والدعاء والتضرع
والتكبير والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فانها تدفع كل
بلية وتزيل كل سوء فى جميع الامور الدنيوية والاخروية (ذكر
الكمال الدميرى فى حياة الحيوان قال وهب بن منبه كانت
الارض كالسفينة تذهب وتجئ فخلق الله ملكا فى نهاية العظم
والقوة وأمره ان يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه فاخرج يدا
من المشرق ويدا من المغرب وقبض على اطراف الارض وامسكها
ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله صخرة من ياقوتة حمراء فى وسطها
سبعة آلاف ثقبة يخرج من كل ثقبة بحر لا يعلم عظمه الا الله تعالى
ثم امر الصخرة حتى دخلت تحت قدمى الملك ثم لم يكن للصخرة
قرار فخلق الله ثورا عظيما له اربعة آلاف عين ومثلها آذان
ومثلها انوف وافواه والسنة وقوائم ما بين كل اثنين منها
مسيرة خمسمائة عام وامر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت
الصخرة فحملها على ظهره وقرونه واسم هذا الثور كيوثا ثم
لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا عظيما لا يقدر احد ان
ينظر اليه لعظمه وبريق عينيه وكبرهما حتى قيل لو وضعت البحار
كلها فى احدى مناخره لكانت كخردلة فى فلاة فامر الله ذلك الحوت

ان يكون قواما لقوائم الثور واسم هذا الحوت بهموت ثم جعل قرار
الماء وتحت الماء ظلمة ثم انقطع علم الخلائق عما تحت الظلمة هكذا
نقله القاضي شهاب الدين بن فضل الله في كتاب مسالك الامصار
ومما اتفق في زمان أويس باشا ان الامير حسين اليرموني انكسر
عليه مال للسلطنة الشريفة قدره ثلاثون الف دينار فطلب منه
ذلك فتعلل وذكر ان عنده قصبا سكر يا يفي بالقدر المذكور فاستبعد
ذلك أويس باشا فحبسه فشفع فيه بعض ارباب الدولة وطلبوا
المهلة ثلاثين يوما فقال اويس باشا كيف يمكن ذلك وهل يتصور
أن يجمع من بيع القصب في كل يوم الف دينار فقالوا له يرجى ذلك ان
شاء الله فاطلقه من الحبس وسلمه للحوالة ثم انه احضر الاقصاب
الى ساحل بولاق شيئا فشيئا واطلق المبيع فيها فما مضى الشهر حتى اوفى
الثلاثين الف دينار وطلع بها لاويس باشا فتعجب من ذلك وقال
مصر يباع فيها قصب برسم المصاصين كل يوم بالف دينار فقالوا
له هذا من موجود شخص واحد وهناك ما يباع براو بحرا من الاقصاب
ما ينوف عن ذلك فانظر يا اخي الى خيرات مصر وما اودع الله
فيها من الارزاق والبركات وسماحة أهلها بالمصرف والنفقات
وهذا القصب من اعظم نعم الله على اهل مصر لما فيه من الحلاوة
السائغة فسبحان ذي المنة العظمى والحكمة البالغة قال
الامام الشافعي رحمه الله لولا القصب ما أقمت ببلدكم يعني مصر
والقصب حار رطب وقيل انه معتدل واجوده الحلو الكثير الماء
ويوجد فيه شيء من الصمغ اذا اكتحل به يجلو العين وهو يجلو الصدر
والسعال ويولد دما معتدلا ويدر البول ولكنه يربي رياحا
فينبغي ان يغسل بماء حار بعد تقشيره ليزول ضرره وقد
شاهدت في سنة ست وتسعين وتسعمائة اعجوبة لا باس بذكرها
وان كانت خارجة عن المقصود وهو ان شخصا يدعى الامير سليمان
ابن احمد بن ازدمر المشهور بالاخرس الجهركسي الاصل وهو من
اعيان عسكر مصر حضر الى محكمة منف وأبرز من يده حجة أرز

مكتوب عليها ما قرأته وصفة رسمه بسم الله الرحمن الرحيم والعصر ان
الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق
وتواصوا بالصبر بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل
لربك وانحر ان شانئك هو الابتر بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد
الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد كتبه محمد سنة ٩٩٤
وشاهد ذلك قضاة المحكمة المذكورة وشهودها وما من شخص منهم
الا وقرأ ذلك مرة او مرتين وأما مؤلف هذا الكتاب فانه قرأها على
الارزة اكثر من ثلاث مرات وتأمل حروفها تأملا شافيا وشاهد
جرة كل بسملة والكافات المبسوطة واسم الكاتب والتاريخ المكتوب
بالاحمر وكتب في خصوص ذلك محضر ورقم به شهادة من شاهد ذلك
ورآه فرحم الله كاتبها وعفى عنه بمنه وكرمه فانظر يا أخي كيف يلم
التراب مثل هذه الانامل فانه من سمع ذلك ولم يشاهده فربما
يداخله الشك ويجول فكره ويقول كيف يتصور ذلك فسبحان
المنعم المتفضل على عبيده ومن على من يشاء بجودة الخط الذي
هو من اعظم موجبات الحظ وانعم بهذه الصناعة على اهل البراعة
والبراعة واجرى ذكرهم بالخيرات الى قيام الساعة وقال في كتابه
العزيز الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ذكر ابن الخادم
في تفسير سورة اقرأ تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع
العظيمة لان بالكتابة ضبطت العلوم ودونت الحكم وبها يعرف
أحوال الماضين واخبارهم ومقالاتهم ولولا الكتابة ما استقام امر
الدين والدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله عظيمة
لولا القلم لم يقم دين ولا يصلح عيش وسئل بعضهم عن الكلام
فقال ريح لا يبقى قال فما قيده قال الكتابة لان القلم ينوب عن اللسان
ولا ينوب اللسان عنه انتهى كلام ابن الخادم (فائدة) في معنى
حروف المعجم اذا نطق بها من غير تركيب آ الفرد الذي لا مثل له
ب الكثير الجماع ت التراب الذي يتمرغ عليه الحمار
ث اللبن الحليب ج الجمل المغتلم ح الدليل للعرس

خ عرف الديك ذ الرجل الاكول ذ القرد الصغير ر الشيخ البخيل ز التفاح الاحمر س الديك المرغ متقا في التراب ش رجل لايشبع من الجماع ص الهدهد ض المراة الكبيرة الثديين ط سنام البعير ظ الابل المقطورة ع زبد الماء غ المقدم على اقرانه ف المتوسط في الصلح ق الشجرة المخضرة ك الفحل ل جمل ذو سنام م للحوت ن الدواة والسيف هـ اللطم على وجه الصغير وشراك النعل ي اللبن الباقي في الضرع وقد اختلف في لفظ اللسان وخط البنان فقال بعضهم لفظ اللسان لايجاوز الاذان ولا يذكر في كل مكان ولا يترجم بكل لسان واما خط البنان فيوجد في كل مكان ويترجم بكل لسان فكان صلى الله عليه وسلم ينطق له الخط ولا يكتب فسمي النبي الامي فعدم الكتابة ونطق الخط معجزة في حقه صلى الله عليه وسلم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى النجاشي واترب فاسلم وكتب الى كسرى ولم يترب كتابه فلم يسلم اذا كتب احدكم كتابا فليتربه فان التراب مبارك وهو انجح للحاجة وسمعت وانا بمكة المشرفة سنة ثماني عشرة والف ان كاتبا الارزة المتقدم ذكره توجه الى بلاد الهند واجتمع على سلطان كجرات فكتب له قل اللهم مالك الملك الى آخر الاية في فرخ ورق هندي دولة عبادا بالقلم المثلث الوضاح كتابة بحرير على الاوضاع المرضية والطريقة الياقوتية ثم كتب الاية الشريفة ومطلوبه على جبة ارزوا وصل ذلك السلطان المذكور فاجله وانعم عليه بانعمة وافرة من اقمشة وغير ذلك واعطاه مصرف الطريق وهو ستة وثلاثون دينارا زنة كل دينار عشرة مثاقيل ثم عاد الى مكة المشرفة وقد نظم المرحوم الشيخ الفارضي في وصف آلات الدواة قصيدة لاباس بايرادها في هذا المحل وهي هذه

حمد المولى انزل الكتابا ... وشرف القرآن والكتابا

ثم صلاة الله تهدى للعلم … من مدحه فى نون والقلم
والآل والصحب ذوى انجابه … والحافظين العلم بالكتابه
ففى حديث قيدوا العلم بها … اسناده مصحح جاز بهـا
واختلفوا هل خط أشرف البشر … اصح قول لا وانما امر
قد ورد النص بذا وبسطه … فى قول ذى العرش ولا تخطه
لحكمة بيانها ما غابا … يتلى علينا فى اذا لارتابا
وكان من كتابه معاويه … ومن علت صحبته يا ساريه
وللدواة أربعون ميما … اثبتها اصطلاحهم قديما
وقد حوتهن دواة باهره … فهن فيها كنجوم زاهره
يخطها يراع كل ناقش … وما سواها ملحق بالهامش
شافية بحسنها وكافيه … ما حكيت وها هنا ما نافيه
نظمتها فمشكل فسرته … وواضح على التوالى سقته
أما الذى لا يخفى فالمحبره … مركبة ومنقد ومسطره
ومبرد ومغرز ومكشط … ثم مقص مجمع ومخيط
ومجرد ومحفر ومكنزه … مقلمة ومموه ومقطره
مطويه ومدية ومرمله … ممسحة ثم محك مصقله
ثم مزم ومسن ومقط … والحقت مفرشة بما قد انضبط
ثم ملف ثم محراك ولا … باس بملقاط وعد المشكلا
فالمزبر المخيط خذ فى العرف … لقلم وافترقا فى الوصف
ومكبس للضبط والمجفف … رمل له مزودة تنعطف
ومركز الاقلام هيئ وكذا … الحبر مصفاة بها ينفى الاذى
ومقسم وهو بيكار وصدق … والزموا ملزمة خوف الورق
لهم ملاق وحفة مشاق … وفى حديث لفظه مساق
ولف بالمنديل ما تقدما … وختمه مسك لما قد علما

رجعنا الى ما نحن بصدده فان اويس باشا تصرف فى باشوية مصر الى سادس شهر رجب سنة تسع وتسعين وتسعمائة ومات بمرض السبات فجأة ودفن بالقرافة فكانت مدة تصرفه

اربع سنوات وشهراً واحداً وثمانية ايام وقد نظم بعضهم تاريخاً لوفاته فقال

أهلك الله أويسا انه جار في الحكم ولم يخش الوعيد
مذ أتى مصر تجبر واعتدى وبه الظلم تبدى في مزيد
اهلك الله الحرث وكم من فتنة أقمها بالجهل فيما لا يفيد
مذ دهاه الموت ما افلته لا ولا كان له عنه محيد
خاب سعياً بوفاة ارخوا ها وخاب كل جبار عنيد

٩٩٩

ثم تولى احمد باشا حافظ الخادم

في سابع عشر رمضان سنة تسع وتسعين وتسعمائة وكان محبا للعلماء والفقراء ذا رأي وتدبير في تصرفه وعمر وكالة كبرى ووكالة صغرى وسوقا وقهوة وبيوتا وربوعا ببولاق القاهرة بجوار شون الحطب وعمل مصلاة بالوكالة الكبرى مطلة على بحر النيل وقرر بها ارباب وظائف وهي مقامة الشعائر الاسلامية وعمر أيضا برشيد وكالة وقهوة وربوعا وعمل سحابة بطريق الحاج الشريف وبها النفع للحجاج ولما صرف من باشوية مصر وتوجه الى الاعتاب الخاقانية فساعدته العناية الربانية فولي الوزارة العظمى وشكره الناس وحمد في ولايته ثم انه استعفى من الوزارة واستأذن في الحج فاذن له وجاء الى مصر بحرا وتلقته الاكابر باحسن ملتقا واهدت اليه الهدايا وحج ورجع وتوجه الى القدس وخليل الرحمن فزار ورجع الى الديار الرومية وتوفي بها الى رحمة الله تعالى فكان مدة تصرفه في باشوية مصر الى ان عزل في تاسع شعبان سنة ثلاث والف ثلاث سنوات وعشرة شهور واثنان وعشرون يوما والله سبحانه وتعالى أعلم

(ثم تولى قورد باشا)

في ثالث عشري رمضان سنة ثلاث والف وكان أميا ساذجا محب اللهو واللذات لاحيلة له في جمع المال ولا في غيره ومما حكي عنه انه كان جالسا بمجلس عال مشرف على حارة عرب اليسار فرأى شخصا بمكان ينكح حمارة فضحك حتى استلقى على قفاه ثم اطلع نفرين كانا عنده من خدمته على ذلك الرجل وامرهما باحضاره له وأوصاهما ان لايشوشا عليه ويبرا فقابه فنزلا من عنده واجتمعا بالرجل وقالا له نحن ضالين عن باب القلعة ودفعا له نصفين وقالا له دلنا على الطريق فاتى بهما الى باب القلعة فقالا له لابد من اكرامك فاخذاه الى ان اوقفاه بين يدي قورد باشا فسأله بان قال له من اي القبائل انت قال انا من عرب اليسار ثم قال له أنت عازب ام متزوج فقال عازب فقال لاي شيء انت عازب فقال له من الفقر فقال له لاي شيء تنكح الحمير فخجل الرجل ونكس برأسه الى الارض حياء ثم ان قورد باشا احضر له جارية بيضا من جواريه وقال له قد وهبتك هذه بشرط التوبة عن نكاح الحمير فقال تبت الى الله ثم بعد ذلك امران يعطي له ألف نصف وقال له هذه الدراهم تنفقها القيام الاود أنت وعيالك فاخذ الجارية والدراهم ونزل بهما وهو مسرور محظوظ فانظر الى مكارم اخلاق هذا الرجل وقل من يفعل مثل ذلك في هذا الزمن وان قورد باشا تصرف في باشوية مصر الى سابع رجب سنة أربع وألف وكان مدة تصرفه عشرة اشهر وعشرة ايام وفي سنة اربع والف توفي مولانا شيخ الاسلام محمد الرملي الشافعي ومولانا شيخ الاسلام الشيخ علي المقدسي الحنفي فنظم بعض الفضلاء تاريخا لوفاتهما فقال

لما قضى الرملي شيخ الورى	من كان يملي مذهب الشافعي
ثم تلاه المقدسي الذي	حاز علوم الصحب والتابعي
فقلت في موتهما ارخا	مات أبو يوسف والرافعي

١٠٠٤

ومما يحكى عن ابي يوسف رحمه الله تعالى ان هارون الرشيد اوى ذات يوم الى فراشه وقت الظهر فلما رقا سريره وجد منيا طريا بفراشه فهاله ذلك وانحرف مزاجه انحرافا شديدا فدعى زبيدة فلما حضرت بين يديه قال لها ما هذا الملقى على هذا الفراش فنظرت اليه ثم قالت له هذا مني يا امير المؤمنين فقال لها اصدقيني عن سبب ذلك والا بطشت بك في هذا الوقت قالت له يا امير المؤمنين والله لا أعلم لذلك سببا واني بريئة مما تتوهم ثم انه طلب أبا يوسف ونصب لزبيدة ستارة خلف السرير فلما حضر أبو يوسف ذكر له ان سبب دعواه هذا المني الذي وجد بالفراش فنظر أبو يوسف الى المني ثم رفع رأسه الى السقف فرأى فرجة بالسقف ثم قال يا امير المؤمنين ان للخفاش منيا كمني الرجال وهذا مني خفاش وطلب رمحا فأخذه بيده ووضعه بالفرجة التي بالسقف فطار منها خفاش والمني يقطر منه فوق الفراش فاندفع الوهم عن هارون الرشيد وظهرت براءة زبيدة ثم انها لغلغت بلسانها فرحا لبراءتها وأمرت لابي يوسف بجائزة وافرة وقالت له يا امام ايما احب اليك حلاوة الفيروزج ام حلاوة الفيلوذج فقال لها مذهبنا لا يحكم على غائب فاحضر له الحلوتان فاكل من هذه ومن هذه ولم يفرق بينهما فقالت له فما الفرق بينهما فقال لها كلما اردت ان استجل على احدهما اقام الآخر الى حجته فضحك هارون الرشيد وأمر له بصلة وافرة فاخذ الصلتين وانصرف من عنده فرحا مسرورا والله أعلم

ثم تولى الشريف محمد باشا

في ثالث عشر شوال سنة أربع بعد الالف وكان حاكما مهابا ذا بصيرة وسطوة وعند قدومه تكاثرت الشكاوى في كوسى حسن الشاعر وأحمد المسلماني بسبب خيانتهم في الاموال

الديوانية والشؤن السلطانية ووضع واتضح عليهما امر شنقهما
فنظم الامير باكير الناظر تاريخا لشنقهما فقال

بالعدل رب الخلق اجرى حكمه   فى خائنين خالفا أهل التقى
وان ترد فى الحال تاريخا يكن   كوساحسن وللسلمانى شنقا ١٢٠٤

وكان نية الشريف محمد باشا ان يبطش ببعض أناس ولما شيع
عنه ذلك حصل التيقظ لخامره الغرور وقد خاب ظنه كما قال
الطغرائى

والدهر يعكس آمالى ويقنعنى   من الغنيمة بعد الكد بالقفل

وقال ابو اسحاق الغزى

مصاحبة المنى خطر وجهل   وكم شرق تولد من زلال

وقال غيره

قد يدرك المتأنى بعض حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقال امية بن ابى الصلت

تجرى الامور على حكم القضاء وفى   طى الحوادث محبوب ومكروه
فربما سرنى ما بت احذره   وربما ساءنى ما بت أرجوه

ثم ان الشريف محمد باشا عزم على التوجه الى الربيع فاشار
عليه جماعة من ذوى الاراء بترك التوجه للربيع فنبذ كلامهم
للامر المقدور وصمم على التوجه للربيع فتحرك عليه جماعة من
العسكر المنصور وتعرضوا له عند انصرافه من الربيع وهو
بباب الوزير بموكبه وعسكره وطائفة من الساماتية وهم
معدون بالبنادق الجزايرية فلما عاين من معه كثرة العسكر
المنصور تفرقوا فى الازقة وتركوا محمد باشا فى نفر قليل من
أتباعه فدعاه العسكر الى المحاكمة على يد الشرع الشريف بمدرسة
السلطان حسن فاوهمهم الانقياد لما دعوه اليه فتوجه معهم
الى ان وصل الرميلة فركض حصانا نحو باب السلسلة ودخل
القلعة وقفل الباب بينه وبين العسكر المنصور واندفعت تلك
الثائرة وقتل بعض من كان يكثر التردد على محمد باشا واستمر

بالقلعة وهو مكفوف التصرف قاصر الكلمة الى ان صُرف فى خامس عشر الحجة سنة ست بعد الالف فكان مدة تصرفه سنتين وشهرين وثلاثة عشر يوما وفى ولايته غيرت استا الاروقة بالجامع الازهر التى كانت من الحصر قديمة وجعلها من خشب مدهون بالدهان الاخضر ورمم ايضا سقفا بالجامع الازهر ودهن بالدهان الاخضر ورتب عدسا بمطبخ الجامع الازهر للفقراء والمجاورين وهو مستمر الى الآن وكان له احسان الى الفقراء والمساكين وخرج من مصر فى موكب عظيم وعلى رأسه عمامة خضراء وركب معه خاصة العسكر وعامته وكان يوم خروجه مشهودا ولما توجه الى الاعتاب الشريفة مكث مدة يسيره وعين لسفر قول باش فسكه الشاه واستمر وهو محصور عنده الى ان مات ببلاد العجم رحمة الله تعالى عليه

ثم تولى خضر باشا

فى عشرى ذى الحجة سنة ست بعد الالف فصرف الى خامس عشر شهر محرم الحرام سنة عشرة والف فكان مدة تصرفه ثلاث سنوات وخمسة ايام والله سبحانه وتعالى اعلم

ثم تولى على باشا

فى تاسع صفر الخير سنة عشرة وألف وعند قدومه الى الاسكندرية تكاثرت عليه الشكاوى فى الكشاف واكثر ذلك من برويز كاشف المنوفية فقتله حالة مقابلته ويقال ان شيخى افندى لما انصرف عن ولاية قضاء المنوفية لقى على باشا على رودس فسأله عن الاحوال فقال له برويز كاشف المنوفية مستحق القتل وعدد له جرائم وقبايح وعند وصول على باشا الى كفر الخضرا حصلت شكاوى فى محمد بن شيحا حاكم النخراوية فقتله بكفر الخضرا فاهابه الحكام والكشاف ودخل مصر فى هيبة وجلالة ولقبوه بالنمر ولما استقر بالقلعة ارسل قوسا واسهما ان يعلق على باب زويلة بالمرماه

ولصق به تذكرة ذكر انه مكتوب فيها ان كل من أوفى القوس المذكور
يعطى مما هو مقيد بالتذكرة فلم يجسر أحد ان يمسك القوس تأدبا
واستمر وهو معلق لم يرفع وكان قصد على باشا اظهار شاج
واستقامت بعض أمور فما ساعدته القدرة على ذلك ماكلما يتمنى
المرء يدركه وما أحسن قول ابن أسيد المحاربي
شقى المؤمل يوم الحيرة النظر ليت المؤمل لم يخلق له نظر
ثم ان على باشا قصد زيارة الشريف العلوى سيدى أحمد
البدوى عمت بركاته ونزل فى المراكب الى طندتا وزار سيدى احمد
البدوى وأحسن لفقراء المقام الاحمدى وقصد العود فعرض
له طائفة من العسكر المنصور مشاة وركبانا وهم معدون بالآلة
السلاح وطلبوا منه أشياء كان توقف معهم فى اعطائها فاجابهم
الى ما طلبوه واعطاهم ما سألوه وطلع الى مصر وهو مغموم مقهور
فاعقبه ذلك مرضا شديدا فأرسل الى الاعتاب الخاقانية يستعفى
فأذن له فى سادس ربيع الآخرة سنة اثنى عشرة وألف وفى زمنه
فشى الدخان المضر بالابدان اليابس الطباع الذى لا شئ فيه من
الانتفاع المبطل لحركة الجماع بل ذكر اكثر من اكثر منه ان عاقبته
وخيمة ومداومة شربه ذميمه يورث النتن فى الفم والمعده
ويظلم البصر ويطلع باليبس على الافئدة ومن زعم ان شربه
يحرق للبلغم فقد أخطأ فيما زعم بل غم وقوله فى ذلك غير
صحيح وانما هو من تحسين القبيح والعلامة اللقانى ذمه
وقبحه وألف فيه نبذة توجب على من اقبل عليه نبذه ولو لم
يكن من دناآته الاولع السودان والاجلاف لكان ذلك ما يكف عنه
أكف الاشراف فكيف باصل لا نفع فيه ولا أثر بل شوهد منه
القبح والضرر ذكر القاضى ناصر الدين البيضاوى فى تفسيره
فى سورة الانعام عند قوله تعالى أو يأتى بعض آيات ربك يعنى عن
اشراط الساعة عن حذيفة بن أسيد والبراء بن عازب رضى الله عنهما
قالا اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر الساعة

فقال انها لا تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة
الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب
والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول
عيسى بن مريم ونارا تخرج من قعر عدن ذكر الكواشي في تفسيره
عند قوله تعالى واذا وقع عليهم القول أخرجنا لهم دابة من الارض
تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون اي وقع القول على
الكفار وقيل على جميع الناس والمراد بالقول العذاب قال
ويروى ان الدابة لها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل ولون
نمر وصدر أسد وخاصرة هر وقرن ايل وذنب كبش
وقوائم بعير بين كل مفصل اثنى عشر ذراعا وقيل ان لها وجها
كوجه رجل وسائرها طير وقيل لها زغب وريش وجناحان
ورأسها يمس السحاب ورجلاها في الارض وعن النبي صلى الله
عليه وسلم بينما عيسى عليه الصلاة والسلام يطوف بالناس
بالبيت فتضطرب بهم الارض وتنشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج
الدابة ملمعة اول ما يخرج رأسها ذات وبر وريش لا يدركها
طالب ولا يفر منها هارب معها عصا موسى وخاتم سليمان
ابن داود عليهما الصلاة والسلام وعن ابن عمر رضي الله عنهما
انه قال لو أشاء ان أضع قدمي مكانها اليوم لفعلت وجاء انها
تختم انف الكافر بالخاتم وتجلو وجه المؤمن بالعصا حتى ان
أهل البيت يجتمعون فيقولون لهذا مؤمن ولهذا كافر وعنه
صلى الله عليه وسلم انها تسم الكافر بين عينيه كافر والمؤمن
بين عينيه مؤمن ذكر الكواشي ايضا في تفسيره عند قوله تعالى
ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض أنهم ثلاثة أصناف
صنف كأمثال الارزة وهو شجر بالشام طوله مائة وعشرون
ذراعا وصنف طوله وعرضه سواء مائة وعشرون ذراعا قال
وهذا الصنف لا يثبت له الجبال ولا الحديد وصنف يفترش احد
أذنيه ويلتحف بالاخرى لا يمرون بشيء لا فيل ولا وحش الا

اكلوه ومن مات منهم اكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال يأجوج ومأجوج عشرة أجزاء وبنوا آدم كلهم جزؤ واحد وعن حذيفة بن اليمان مرفوعا ان يأجوج ومأجوج امتان وكل أمة اربع مائة أمة لا يشبه بعضها بعضا لا يموت الرجل حتى ينظر الرجل الف ألف ذكر من صلبه قد حملوا السلاح وهم من ولد يافث بن يافث ابن نوح يشيرون الى خراب الدنيا وخروجهم بعد عيسى عليه الصلاة والسلام وقتله الدجال وجاء ان الترك بوتة منهم خرجت الفساد فسد ذو القرنين دونهم جميع الترك منهم وقال قتادة هم اثنا وعشرون قبيلة وترك واحدة فلذلك سموا تركا وفسادهم في الارض انهم يفعلون فعل قوم لوط ومما يؤيد ما ذكرناه في امر الدخان قال جالينوس لاصحابه اجتنبوا الثلاثا وعليكم باربع ولا حاجة لكم الى الطبيب اجتنبوا الغبار والدخان والنتن وعليكم بالدسم والطيب والحلوى والحمام ولا تاكلوا فوق شبعكم قال الحكيم الرئيس موسى بن عبد الله الاسرائيلي القرطبي لو دبر الانسان نفسه كما يدبر بهيمته التي يركبها لكان يسلم من امراض كثيرة وذلك انه لا يأتي العلف بهيمته جزافا من غير تقدير بل يتفقد حالها لكي لا تعطب والعجب كل العجب ان الانسان لا يفعل ذلك لنفسه ولا يتفكر في رياضة الجسم التي هي الركن الاكبر ودوام الصحة ودفع اكثر المفاسد والامراض ولا ينام من بر زكمه على قفاه ذكر الفخر الرازي في كتاب برء ساعة ان أصعب العلل الزكام قال الحكيم الزكام هو سيلان الرطوبة من بطن الدماغ المتقدم الى المنخرين فان كان معه صداع والتهاب في الرأس وحمرة الوجه فعلاجه الفصد في القيفال ويسقى شراب البنفسج بدهن اللوز وان لم يكن معه دلائل الحر ولا يتحرك معه بلغم غليظ نضيج أصفر أو ابيض فيترك حتى ينقطع من ذاته وان كان أبيض دقيقا فيكمد الرأس بالمناديل المسخنة ويستنشق بالرياحين الحارة وذكر بعض الحكماء ان شم المبيعة

اوالتبخر بها ينفع من الزكام والنزلة وشم اللادن ينفع من الزكام
وكذلك شم التفاح اذا اكل ثمره ينفع الصداع وينوم ولا يأكل من
به غم حموضة اعلم ان آفة القلب الهم والغم وهو ظهور الحرارة الغريزية
الى ظاهر البدن عند الاهتمام بالامور قال الامام على كرم الله وجهه
أقوى خلق ربي ابن آدم واقوى منه السكر الذي يزيل العقل وأقوى
من السكر النوم واقوى من النوم الهم والغم ذكر العارف بالله
تعالى في كتابه المسمى بالانسان الكامل فقال اعلم انه يكون وجه القلب
دائما الى نور في الفؤاد يسمى الهم هو محل نظر القلب ووجهه لوجه اليه
فاذا حاذاه الاسم أو الصفة من جهة الهم نظره القلب فانطبع بحكمه
ثم يزول فيعقبه اسم آخر اما من جنسه او من جنس غيره فيجرى معه
ما جرى له مع الاول وهكذا مع الدوام واما ما كان من قفا القلب
فلا ينطبع له ثم اعلم ان القلب ماله قفا ينص عليه بل كله وجه لكن
موضع الهم منه يسمى وجها وموضع الفراغ منه يسمى قفا وهذه
المداين فيها كيفية ما ذكر قال بعض الحكماء ان استعمال اللازورد مصفى
دم القلب وينفع من الوحشة والغم والهم والامراض السوداوية
ومن خاصية لسان الثور التفريح وازالة الهم والغم روى ان
عائشة رضي الله عنها لما حصل لها من الافك أصابها هم وغم لا يوصف
فكانت تدعو وتقول في دعائها يا سابغ النعم ويا دافع النقم
ويا فارج الهم ويا كاشف الغم وأعدل من حكم وحسيب من ظلم وولى
من ظلم ويا اول بلا بداية وآخر بلا نهاية ويا من له اسم بلا كناية
اجعل لي من امري هذا فرجا ومخرجا فانزل الله تعالى براءتها وفرج
همها وغمها وذكر البوني في اللمعة النورانية وأما اسمه الفعال
فهو اسم المطلوبين بالخواطر والوساوس واغتمام القلب فمن
ذكره واكثر من ذكره ذهب ذلك عنه وهو من الاسرار البديعة فانه
من داوم على ذكره فرج الله عنه ما نزل به وفرح بعد حزن وسر بعد نكد
وقد حصل لي غم وهم ووسواس وتزايد ذلك على الى ان كدت ان
اشغل نحافة لي نهاية وقل نومي فاستعملت له أدوية كثيرة واورادا

شتى فلم يذهب عنى وكلما تقادم تجدد ولازمني هذا الحال خوسنة
فلما استعملت هذا الاسم الشريف وهو نعتال خفف عنى هذا الوارد
ببركة هذا الاسم الشريف قال الحكيم ولا تسرعوا اذا فصدتم
فانه مخاطرة الموت ولا تبقيا يا من تولمه عيناه ولا تاكلوا فى الصيف
لحما كبيرا لان المضموم فى الصيف ضعيف محلل الحار الغريزى وكلما
برد الهوا زاد فى المقدار فان المضموم فى الشتاء كثير بوفر الحار الغريزى
فى الاجواف لانسداد المسام وافضل اللحوم لحوم الضان المحول
السمين وافضل لحمه مقدمه وكلما فى البطن ردئ والشحوم كلها
ردية تشبع وتخم وما كان لاصقا بالعظم وتسقط شهوة
الطعام وتولد اخلاطا بلغمية وكذلك رأس كل حيوان والخرفان
الرضيعة كثيرة الفضلات لاخير فيها واما الجداء الرضيعة
جيدة الغذا سريعة الانهضام ومن حكمة لقمان ان سيده
اعطاه شاة وامره ان يذبحها ويأتي باطيب ما فيها فذبحها
واتاه بقلبها ولسانها ثم اعطاه فى يوم شاة اخرى وامره يذبحها
وان يأتيه باخبث ما فيها فاتاه بقلبها ولسانها فسأله عن ذلك
فقال هما اطيب ما فيها ان طابا واخبث ما فيها ان خبثا وهذا
معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان فى الجسد مضغة اذا صلحت
صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب
الا وهى القلب وذكر الدماميني فى عين الحياة انه يجلب من الهند
نوع من الضان فى صدره الية وعلى كتفه اليتان وعلى ذنبه الية
وربما تكبر الالية حتى تمنعه من المشى وفى الامثال كل شاة برجلها
معلقة اول من قال هذا المثل وكيع بن سلمة بن زهير بن اياد وكان
ولى البيت بعد جرهم فبنى صرحا باسفل مكة وجعل فى الصرح
سلما وكان يرقاه ويزعم انه يناجى ربه تعالى وكان يفعل الخير
وكان علماء العرب يقولون انه من الصديقين فلما حضرته الوفاة
جمع اياد فقال لهم اسمعوا وصيتي من رشد فاتبعوه ومن غوى
فارفضوه وكل شاة برجلها معلقة فارسلها مثلا اى كل احد

يجزى بجملة ولا تزر وازرة وزر اخرى ولحوم الطير على العموم اخف من لحوم المواشي واسرع انهضاما فائدة لحم الدجاج معتدل يربي الدماغ ويزيد في المني لحم الديك حار يابس يضر بالمعدة مرقه ينفع القولنج ومن اسماء الديك الصارخ روى البخاري ومسلم وابوداود والنسائي عن مسروق قال سألت عائشة عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يحب الدائم من العمل قال قلت اى حين كان يصلي قالت كان اذا سمع الصارخ قام يصلي قال النووي الصارخ هنا الديك باتفاق العلماء وسمي بذلك لكثرة صياحه في الليل قال في الاحيا وهذا الوقت يكون سدس الليل فما دونه وقد الف العلامة الجلال السيوطي رحمه الله كتابا وسماه الوديك في فضائل الديك لحم الحمام حار رطب يضر بالامراض الحارة ولحم العصفور حار يابس يقوي الظهر ويزيد المني ولحم الكركي بارد يابس بطيء الهضم ولحم الماعز بارد يابس سريع الهضم ولحم البقر يابس وقيل بارد يصلح للمعدة القوية ويولد السوداء ولحم الغزال حار يابس ينفع للقولنج والفالج والقوة والامراض الباردة فائدة لسان الغزال اذا جفف في الظل واطعم للمرأة السلطة تزول سلاطتها واذا احرق بعر الغزال وجلده وسحقا وجعلا في طعام صبي نشأ ذكيا فصيحا حافظا ذلقا ولحم ابن عرس ينفع من الصرع لحم الجمل حار يابس يولد القولنج والماخوليا لحم القنفذ حار يابس كثرة اكله تولد البواسير ولا ينام صاحب الحمى الباردة في الشمس فائدة قال بعض الحكماء النوم له اربع حالات الحالة الاولى النوم على الشق الايمن الحالة الثانية النوم على الشق الايسر الحالة الثالثة الاضطجاع على الظهر الحالة الرابعة الاضطجاع على الوجه فالحالة الاولى وهي الاضطجاع على الشق الايمن وهو السنة ولكن غير محمود طبا وهو ان القلب يتعلق بالجانب الايسر فاذا نام على الجانب الايسر استثقل نومه لان يكون في دعة واستراحة واذا نام على الشق الايمن تعلق القلب ويسترق في النوم وطلب

وميله اليه الحالة الثانية النوم على الجانب الايسر فانه أمرى لانه مستقر القلب بسبب ميل الاعضاء فتصيب المراد من الراحة من هضم الطعام وخلاء فيه الحالة الثالثة الاضطجاع على الظهر فانه محمود اذا كان من غير نوم لان البدن يستريح بذلك ويحصل للظهر راحة بسبب تلك الحالة الرابعة الاضطجاع على الوجه فانه مذموم لانه نوم اهل جهنم ومن نام على وجهه نكحه الشيطان وقد ورد في سنن ابن ماجة أنه صلى الله عليه وسلم مر على رجل في المسجد منبطح على وجهه فضربه برجله وقال له قم اواقعد فانها نومة جهنمية والى هذا المعنى أشار سيدى على بن سيدى محمد وفا بن سيدى محمد وفا في قوله

عينى تنام لكن قلبى والله لاينام وكيف ينام عاشق ناظر الى وجه الحبيب مسبى في الحب مستهام شاخص على الدوام . ومن شرب كل يوم في الشتاء قدحا من ماء حار امن من الاعتلال ومن دلك جسمه في الحمام بقشر الرمان أمن من الجرب والحكة بانواعها

روى عن امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه انه قال اربعة تقوى البدن اكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان واربعة توهن البدن كثرة شرب الماء على الريق وكثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة اكل الحموضة واربعة تقوى البصر الجلوس قبالة القبلة والكحل عند النوم والنظر الى الخضرة وتنظيف المجلس واربعة توهن البصر النظر الى المقتول والنظر الى المصلوب والنظر الى فرج المرأة والقعود مستدبر القبلة واربعة تزيد في الجماع اكل العصافير واكل الاطريفل واكل الفستق واكل الجرجير واربعة تزيد في العقل ترك الفضول في الكلام والسؤال ومجالسة العلماء ومجالسة الصالحين

وعن عبد الله بن المبارك رضى الله عنه قال مررت في سياحتى بالشام بطبيب يصف لكل ما يسال عنه فقلت يا طبيب اعندك دواء للذنوب قال نعم فلما تفرق الناس قال لى يا هذا عليك بورق الفقر وعروق الصبر واهليلج الصفا وبليلج الرضا وغاريقون الكتمان

وسقمونيا الاحزان فامرسه بماء الاجفان ودعه في طاجن القلق وقد تحته نار الفرق وصفه بمنخل الارق واشربه على الحرق فانه شفا وكل وانشد يقول

يا طبيبا بذكره يتداوى ... وصفوه بكل داء غريب
ليس حزني عليك شئ عجيب ... انما الصبر عنك شئ عجيب

رحمنا الله بمدده وفي زمن على باشا المذكور حصل فناء بالطعن والطاعون عم الامصار والقرى ومكث مدة ورفعه الله وكانت مدة تصرف على باشا بمصر المحروسة سنتين وستة أشهر وعشرين يوما ولما وصل على باشا الى الاعتاب الخاقانية قلد الوزارة العظمي وفرح الناس بولايته فوجه لسفر البحر فنقض عليه المرض السابق فمات ولعله بلغ مرتبة الشهادة

ثم تولى بيرى بك أمير الحاج الشريف

بإقامة على باشا فانه أحضر له اجازة من الاعتاب الشريفة بالتصرف في باشوية مصر فتصرف من عاشر ربيع الاول سنة اثنتي عشرة وألف وتوفي بأجله يوم الثلاثا سادس عشر شعبان فكانت المدة أربعة شهور ودفن بالقرافة رحمة الله عليه

ثم اقيم بعده عثمان بك مير اللوا

بمصر المحروسة في سابع عشر شعبان المذكور باتفاق من الامراء واكابر الدولة الى ان يرد من الاعتاب الشريفة من يتصرف وكان الامير عثمان مشهور بالعفة والاستقامة وله جلالة وهيبة لا يخشى في الله لومة لائم وله خط مليح فاق به العرب والعجم وحاز فضيلة السيف والقلم فتصرف ثلاثة شهور وثلاثة وعشرين يوماً وكانت مدة حسنة والله سبحانه وتعالى اعلم

ثم تولى ابراهيم باشا المقتول

في يوم السبت ثاني عشري الحجة سنة اثنتي عشرة وألف وكان
مستقلا برأيه لا ينقاد الى نصيح ولا يهتدي لقول مشير سواء
كان بالكناية او بالتصريح وكان يريد اظهار شيء يستحسنه وهو في
نفس الامر قبيح كما قيل

كان لا يدري مداراة الورى ومداراة الورى امر مهم

من كلام الحكماء من علامات العاقل بره باخوانه وحنينه
لاوطانه ومداراته لاهل زمانه وقال ابو قتادة البحتري

اذا المرء لم يرض ما امكنه ولم يأت من امره ازينه
واعجب بالعجب فاقتاده وتاه به التيه فاستحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره سيضحك يوما ويبكي سنه

ومن كلام الحكمة فلم يغن ذلك التدبير عما رقمه قلم التقدير
في لوح المقادير والله على كل شيء قدير فاخذ يتتبع عثرات
العسكر المنصور ويتجسس عن اخبارهم وعن اجتماعهم
بالاماكن خصوصا مجالس الانس فاشار عليه اهل العقول
بترك هذا الوارد وهذا مشرع لا يعقبه الا التعب وربما
يتولد من ذلك مفاسد ومضرات فلم يهتد لما القي اليه وركب فرس
الغرور لانفاذ امر الله المقدور والمثل المشهور من احسن
السياسة دامت له الرياسه واستمر على ما هو عليه حتى بلغه ان
جماعة من العسكر المنصور بالغيط الذي بقناطر السباع فبادر
فورا بنفسه وغير لباسه ومعه ثلاثة انفار وهجم عليهم وهم
بالغيط المذكور فلما تحققوه فروا هاربين مع انه كان في قدرتهم
البطش به وبمن معه خصوصا من دب الشراب في رأسه ولحقته
حمية الجاهلية ولولا لطف الله لهلك هو ومن معه في تلك الساعة
ومن كلام الحكمة من قاتل بغير نجدة وخاصم بغير حجة
وصارع بغير قوة فقد اعظم الخطر واكثر الضرر ومن كلام
الحكمة ايضا من الحكمة تكون الشجرة العظيمه ومن الجمرة تكون
النار العظيمه ثم ان ابراهيم باشا بعد ذلك عزم على التوجه لقطع

جسر ابي المنجا والقدر يقول له ليست اليوم المنجا قال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله تعالى انفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم حتى ينفذ قضاؤه وقدره ومن كلام القاضي الفاضل رحمه الله والمقدور كائن والهم فاضل والمعنى من يحط على الاقدار ويقلب الله الليل والنهار اذا دار الفلك فعليك او فلك لا حذر من قدر ولا ملام على الايام مفرد

اذا عقد القضاء عليك امرا فليس يحله الا القضاء

ذكر العارف بالله تعالى سيدي عبد الكريم الجيلي رحمه الله في كتابه المسمى بالانسان الكامل ان القضاء المحكم هو الذي لا تغيير فيه ولا تبديل والقضاء المبرم هو الذي يمكن فيه التغيير ولهذا استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من القضاء المبرم لانه يعلم انه يمكن ان يحصل فيه التغيير والتبديل قال الله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب بخلاف القضاء المحكم فانه المشار اليه بقوله وكان امر الله قدرا مقدورا ثم ان البعض من اكابر الدولة عرف ابراهيم باشا انه ما سبق لاحد من الباشوات بالتوجه لقطع الجسر المذكور وانما المعتاد ان زعيم مصر يباشر ذلك بل واذا كان مشغولا يرسل احدا من اتباعه يقطعه فلم يلتفت الى ذلك الكلام ثم طلع له بعض المنجمين يوم الجمعة قبل صلاتها وذكر له ان في اليوم الذي يلي يوم الجمعة المذكور قران النحسين ولا بد فيه من اهراق دم والحركة فيه مذمومة منحوسة فلم يكترث بكلامه وكان من جواهر ما قدره الله سيكون كما قيل

خليلي لا تستعجلا وانظرا غدا على ان يكون المكث في الامر ارشد

وما احسن قول محمد الخفاجي

وكم طالبا امرا وفيه حمامه وسائرة تسعى الى ما يضرها

مفرد

اذا ما حمام المرء كان ببلدة دعته اليها حاجة فيطير

سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الهدهد كيف يبصر الماء من

فائدة الفرق بين القضاء والقدر هو ان القضاء هو وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ جملة والقدر تفصيل قضائه السابق بايجادها في الوجود اي المواد الخارجية واحدا بعد واحد اهـ

تحت الارض ولا يرى القبر اذا غطى عليه بقدر اصبع من تراب فقال
اذا نزل القضاء عمى البصر ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه انه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا وقد
ذر عليه من تراب حفرته ويروى عن ابن مسعود ان الملك الموكل
بالرحم يأخذ النطفة من الرحم ويضعها في كفه ثم يقول يارب مخلقة
ام غير مخلقة فان قال له مخلقة قال يارب ما الرزق ما الاجل
ما الاثر فيقول له الله انظر في ام الكتاب فينظر في اللوح المحفوظ
فيجد فيه رزقه وأجله وأثره وعمله ثم يأخذ التراب الذي يدفن
في بقعته ويعجن به نطفته وفي رواية فيقال للنطفة من ربك
فتقول الله ثم يقال لها من رازقك فتقول الله فتخلق فتعيش
في أجلها وتأكل رزقها وتطأ أثرها فاذا جاء أجلها ماتت فدفنت
في المكان الذي أخذ منه التراب وعجن به ماؤها وذلك قوله
تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى
ويروى عن ابي هريرة انه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
يطوف ليلة في بعض نواحي المدينة واذا بقبر يحفر فاقبل حتى
وقف عليه فقال لمن هذا فقيل لرجل من الحبشة فقال لا اله الا
الله سيق من أرضه وسمائه حتى دفن في الارض التي خلق منها
وفي المثل انشدوا لابن عمران الزاهد رحمة الله عليه في هذا
المعنى فاجابهم عن ذلك بقوله

اذا أراد الله أمرا بامرئ	وكان ذا عقل ورأي وبصر
وحيلة يفعلها في دفع ما	يأتي به محتوم اسباب القدر
غطى عليه عقله وسمعه	وسله من ذهنه سل الشعر
حتى اذا انفذ فيه حكمه	رد عليه عقله ليعتبر

ثم ان ابراهيم باشا ركب من وقته فورا واسرع والمنية تسوقه
حتى أدرك صلاة الجمعة ببولاق ولما قضيت الصلاة هيئت
له سفينة عظيمة وزينت له بالستائر والبيارق والفرش
وغير ذلك مما يليق لمثله ونزل وهو محظوظ وما تدري نفس

ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى أرض تموت وتوجه وصحبته
الامير محمد بن خسرو امير اللوا بمصر المحروسة بموكب عظيمة وكذا
البعض من اكابر خدمة الديوان وسارت المراكب احسن سير
الى ان وصلت الى محل القطع وقطع الجسر المذكور فى يوم السبت
مستهل جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة وألف وكان ابراهيم
باشا قد هيأ طعاما بالغيط الذى أنشاه محمود باشا تجاه قناطر
أبى المنجا فدخل الغيط وصحبته الامير محمد بن خسرو المرقوم ومصطفى
افندى عزمى زاده قاضى مصر المحروسة اذذاك وحصل لهم الصفا
والمباسطة قبل الطعام وعند صفو الليالى يحدث الكدر الى ان
قدر الله ما قدره فى الازل ودنا منه وقت حلول الاجل ولكل
شئ حد محدود وامر من المقدور ممدود فلما قدم الطعام وشرعوا
فى الاكل هجم عليهم طائفة من العسكر المنصور وهم معدون
بالآت السلاح وأحاطوا بالغيط احاطة الخاتم بالاصبع وطلبوا
من ابراهيم باشا فى تلك الساعة شيئا كان يمكن الاجابة لتخميد
هذه الثائرة فامتنع وأغلظ عليهم فلاطفهم الامير محمد بن خسرو
واراد دفعهم بلطف فلم يهتدوا وقدموا وا قدموا وفتكوا
أولا بالامير محمد بن خسرو ثم من بعده بابراهيم باشا وقطعوا
رؤسهما وامتلات جفان الطعام دما وانقلب النهار ليلا
ورفعوا رؤسهما على جريدتين من محل القطع الى باب زويلة
وكان يوما عبوسا قفلت فيه مصر المحروسة وقد نظم

بعضهم تاريخا لقتله فقال

ان ابراهيم باشا قد سعى فى الخير سعيا
قتله قد ارخوه • وأرى التاريخ بغيا

١٠١٣

وكان مدة تصرفه اربعة اشهر وثمانية أيام والله تعالى أعلم
وفى سنة ثلاثة عشر وألف كانت وفاة مولانا شيخ الاسلام
الشيخ صالح البلقينى الشافعى وقد نظم بعضهم تاريخا فى وفاته

فقال

شيخنا صالح اذيق المنايا ‏ ‏ ومن الهم والغموم استراحا
قلب مع غاية للمصايب أرخ ‏ ‏ صالح المومنين بات وراحا

١٠١٢

ثم اقيم بعده مصطفى افندى

عزمى زاده فى ثالث جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة وألف فصرف الى سادس رجب فكانت مدة تصرفه بمصر شهرين وثلاثة عشر يوما والله أعلم

ثم تولى جرجى محمد باشا الخادم

فى سابع رجب المذكور سنة ثلاث عشرة والف ورمته الرياح عند قدومه الى دمياط ولم يتقدم لاحد من الباشوات انه قدم من دمياط ولما استقر بمصر أخذ فى طلب من كان سببا لاثارة فتنة ابراهيم باشا فانه اخبر بما تقدم مفصلا ومجملا فلما تحققوا الطلب تشتتوا فى البلاد فجد فى طلبهم من الاكناف والاطراف فمنهم من جئ به حيا فقتل ومنهم من تلقته العربان فقتل اشر قتلة ولم تطل مدة محمد باشا فانه ورد عليه العزل فى يوم الاحد ثانى عشر شهر ربيع الاول سنة اربع عشرة والف فكان مدة تصرفه سبعة أشهر وسبعة عشر يوما وتنقلت به الاحوال الى ان ولى الوزارة العظمى فى مدة السلطان مصطفى فتصرف مدة يسيرة وصرف عنها ومنع من الاقامة بالقسطنطينية ثم رجع وأقام بها وهو مكفوف البصر

ثم تولى حسن باشا الوزير

بعد صرفه من اليمن فانه لما قدم من اليمن صحبة الحاج الشريف الى مصر المحروسة نزل ببيت المرحوم داود اغا الكائن بجامع توصون

فترددوا عليه الناس من جليل وحقير وأمير وفقير وهم يشاهدون
منه الملاطفة والمصاحبة الحسنة والسكون والاخلاق المرضية
فانطبق الاجماع على محبته وحسن اخلاقه وهم يطلبون
من الله ان يلي باشوية مصر وان يصلح الله الاحوال على يديه
والله الفعال لما يريد ومدة اقامة حسن باشا وهو يتجسس
عن أخبار مصر من كليات وجزئيات وربما تفوه لبعض المتردد
عليه انه اذا اسند الامر اليه ربما يكون الصلاح على يده
فوردت الاخبار الخاقانية الى مصر يوم الاثنين المبارك ثالث
ربيع الاول سنة اربع عشرة وألف بولاية حسن باشا بباشوية
مصر وقد نظم الشيخ حسن الشامي تاريخا للولاية فقال

قد جاء وزير العدل لنا من ساد بمكة بعد يمن
ولسان الحال مؤرخة كملت مصر بجمال حسن

وان حسن باشا لما اسند اليه الامر وتصرف في مصر لم يحصل
منه نفع للعباد ولا دفع ضرر عن البلاد ولم يمنع ولم يدفع
وتلاشت أحواله وقصرت كلمته وعمت البلوى وانفتحت
باب الشكوى والامر بيد الله ثم صرف حسن باشا عن
باشوية مصر في يوم الاربعاء رابع صفر سنة ست عشرة وألف
فكانت مدته سنة واحدة وستة وعشرين يوما ولما توجه
الى الاعتاب الشريفة بما جمعه من ولاية اليمن من تحف واحجار
وأموال وأثاث وغير ذلك فانه تصرف في ولاية اليمن نحو خمس
وعشرين سنة ثم مكث بالقسطنطينية مدة يسيرة ومات
هو وولده وعياله ولم يعقب وارثا سوى بيت المال وترك ما
خوله خلف ظهره وقدم على رب رحيم كريم غفور حليم يغفر
الذنب العظيم

ثم تولى محمد باشا

في يوم الخميس خامس شهر صفر الخير سنة ست عشرة وألف وفيها

توفي مولانا شيخ الاسلام الشيخ سالم السنهوري المحدث فنظم بعضهم تاريخا لوفاته فقال

مات شيخ الحديث بل علم سالم ذي الكمال افضل عصر
قلت من غير غاية البكا أرخوه قد مات عالم مصر

وعند قدومه تراكمت عليه القصص والشكاوى باسكندرية ورشيد وفي طرقاته الى ان وصل الى مصر المحروسة وهو ساكن الجنان ثابت الاركان لا يرد جوابا لاحد واشتد الحال على الرعايا من كثرة الطلب ولوقعت الناس في المهالك والعطب الى غاية جمادى الاولى من السنة المذكورة فعند ذلك طلب محمد باشا سليمان ابن دروغت كاشف المنوفية وبرويز بجر كاشف الغربية وكوسج كاشف البحيرة وعزلهم من ديوان الاجيا واراح الله منهم البلاد والعباد وولى مكانهم كشافا واخذ عليهم العهود ان لا يتعدوا الحدود من جملة الكشاف الحلوجي عين لكشف الغربية فتوجه بولاق لقضاء مصالحه فتقدم عليه جماعة من العسكر المنصور وتكالموا معه في امر من الامور فلم يوافقهم واغلظ عليهم فدب في رؤس بعضهم حمية الجاهلية ففزعوا عليه بالسلاح وهو بمركب في البحر فالقى الله الرعب في قلبه فرمى بنفسه في البحر فاثقلته اثوابه فغرق ومات ان شاء الله تعالى شهيدا وكان ذلك سببا لازالة الطلب ثم ان محمد باشا جمع الامراء واكابر العسكر المنصور بالميدان ونصبوا البيارق السلطانية واجهروا النداء بانه كل من كان مطيعا لله ولرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وولي الامر فليدخل تحت لواء السلطنة الشريفة العثمانية فاجتمع عالم كثير من الامراء واكابر العسكر المنصور وهم طائعون ممتثلون داخلون في طاعة السلطنة العثمانية ومكثوا بالميدان ثلاثة ايام وبعد ذلك حصل الاتفاق بالخروج من حق من فعل تلك الفتنة فقتل منهم طائفة جهارا وخفية وقد نظم بعض الفضلاء لهذه الواقعة تاريخا فقال

ان البغاة المارقين قد رمى
رب العباد كيدهم فى نحرهم

براس ابراهيم باشا سابقا
طا فوا جهارا مع مزيد مكرهم

والحلوجى جرعوه كاسهم
واغرقوه فى بحار شرهم

على الفساد قد بنوا امورهم
فقو تلوا تاريخهم بظلمهم ١٠٦٧

ثم خمدت تلك الثائرة باذن الله تعالى ثم ان جماعة من الاشقياء ايقظوا الفتنة واثاروها فى اوائل القعدة سنة سبع عشرة والف واجتمعوا من الاقاليم وصاروا حزبا واحدا ونصبوا خيامهم بالمرج والزيات وتحالفوا واظهروا المحاربة والجدال فبلغت هذه الجمعية محمد باشا فارسل لهم جماعة من اختيارات العسكر المنصور المتصفين بالعقل والتدبير فوعظوهم وعرفوهم عواقب الامور وقالوا لهم ان الذى يخالف ولى نعمته لا يفلح ابدا فلم ينتهوا ولم يتعظوا لامر اراده الله تعالى ثم ان محمد باشا ارسل الى الاجناد ومشايخ العربان من الاقاليم وصاروا حزبا واحدا وجيشا عرمرما بسلاح ونار ومدافع كبار وعين الامير مصطفى بيك سردار العسكر المنصور وبرزوا لمحاربة الخوارج وساروا بعون الله والنصر امامهم الى ان وصلوا بركة الحاج فلما تراءى الجمعان فما وجدت الخوارج للحرب طاقة وضاقت عليهم الارض بما رحبت فطلبوا الامان واختلط الجيشان فقبض على اشرارهم وقيد ووضع الحديد فى اعناقهم والذى هرب منهم تلقته العربان وقتل اشر قتلة ومزقهم الله كل ممزق وما نجا منهم الا القليل ودخل مصطفى بيك السردار الى مصر المحروسة بمن معه من الخوارج المقبوض عليهم وهم مشاة حفاة منكسة رؤسهم موضوعون فى الحديد ورؤس القتلى المقتولين منهم حالة الاختلاط مرفوعة على رماح ودخلوا جميعا من باب النصر والناس ينظرون اليهم ومروا بالقصبة الى ان وصلوا الى القلعة المنصورة وكان يوما مشهودا ومحفلا معهودا وقد نظم بعض الفضلاء

ميم

لهذه

لهذه الواقعات أبياتا فقال

يوم نصر الوزير قد كان عيدا | عيد فطر لفطر قلب الحسود
واذا قلت عيد اضحى فصدقوا | فضحايا ه ضاريات الاسود
الحدوا فى الانام نهبا وقتلا | فازيلوا واسكنوا فى اللحود

ثم ان محمد باشا قتل منهم جماعة حالة طلوعهم جهارا
وقتل منهم جماعة ليلا وألقوا فى البحر ومن بقى نفى الى اليمن
وقد نظم تاريخ لهذه الواقعة فقيل

انظروا انظروا الى البغاة ومنهم | لوزير المليك راموا نكالا
وتعدوا طورا وجاءوا بافك | طلبوا الغدر حين راموا جدالا
وأتوا بالجيوش من كل فج | واستحقوا القيود والاغلالا
وأتوا مصر صاغرين لقتل | لم يروا منه للفرار مجالا
وعلاهم الذل فأرخ | زالوا وكفى الله المؤمنين القتالا

وقد نظم العلامة الشيخ عبد الله الدنوشرى تاريخا فقال

بشرى لمولانا الوزير محمد | فهو الذى بذوى المفاسد يفتك
وعلى البغاة له انتصار دائم | تاريخه جميع الخوارج أهلكوا

واستمر محمد باشا محفوظا ملحوظا متصرفا نافذ الكلمة لا
يرد له أمر ولا يعارض فى قضية الى ان اختار التوجه الى الاعتاب
الشريفة فخرج من مصر يوم السبت ثانى عشر جمادى الآخرة
سنة عشرين والف فى جلالة وموكب عظيم ما تخلف عنه احد
من العسكر المنصور فكانت مدة تصرفه اربع سنوات واربعة
أشهر واثنى عشر يوما وعمر فى زمنه وكالة برشيد وبجوار
الوكالة جملة حوانيت وقهوة وسوق صاغة وغير ذلك وأخذ
غالب الجزر المقابلة لرشيد واطيانا بالمنوفية والجزيرية وعمل
سحابة بطريق الحاج الشريف وتوجه الى الاعتاب الشريفة
فقوبل بمزيد الاجلال والاكرام وولى الوزارة العظمى وفرح الناس
بذلك وكان القياس ان يفعل أفعالا تزيد على ما فعل بمصر فوجه
لسفر العجم فما ساعدته الارادة الازلية على نتاج فعل يكون

فيه اصلاح وصار كلما دبر امرا انعكس الى الفساد فزجر من سفرته
غير محمود ومازال الدهر يقهقره الى ان أعطوه باشوية حلب فمات
بها وهو مغموم مقهور وبعد ذلك حلت أوقافه وبددت وتصرف
فيها الغير وهكذا حال الدنيا والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم تولى حساجى باشا

بامر أحضره له محمد باشا قبل سفره وأعطاه له بمدينة بلبيس في يوم
السبت ثالث رجب سنة عشرين وألف فتصرف الى يوم الخميس
عشرين شعبان من السنة المذكورة فكانت مدة تصرفه شهرا
واحدا وسبعة عشر يوما ولما توجه الى الاعتاب الخاقانية فمكث
مدة يسيرة وتوجه باشوية اليمن ولما تمكن منها احتكر البهار
والبن والبضائع وكان التجار لا يأخذون الا ما فضل منه وحصل
من هذا القبيل ومن غيره أموالا لا تحصى غير ما ظفر به من نفائس
الاحجار والتحف والاقمشة ولما صرف من ولاية اليمن قدم مكة
المشرفة بجميع ما معه وما خوله فورد عليه أمر خاقاني باصلاح العين
التي بمكة فادركه الاجل المحتوم فمات بها وكان يؤمل اذا توجه الى
الاعتاب اولما يصل الى مصر يأتيه باشوية مصر ويأبى الله الا ما
أراد فكانت وفاته بمكة المشرفة سنة احدى وثلاثين وألف وذهب
غالب ماله ولم يظفر ولده الا بما قل واقيمت فتنة بين الاشراف
حكام مكة بسبب متروكات حاجى باشا وهى باقية الى الآن
ونسأل الله حسن الخاتمة

ثم تولى محمد باشا

ثانى عشرى شعبان سنة عشرين وألف وفى شهر ربيع الآخر
سنة اثنين وعشرين وألف ورد على محمد باشا عسكر من البلاد الرومية
نحو الاربعة آلاف نفر خارج عن الاتباع بقصد الاقامة بمصر
فلما وصلوا الى مصر واستقروا بها ورد حكم خاقانى بان محمد باشا

يجهز العسكر الذى ورد طلبه الى اليمن فشق عليهم ذلك وعلموا انها
حيلة عليهم فى خروجهم من البلاد الرومية فانهم احدثوا فتنة
بالقسطنطينية ولولا لطف الله لحصل ما حصل فدبر لهم محمد
باشا الوزير هذا التدبير وطمعهم بالاقامة فى مصر ولما
حضروا اعقبهم الامر بالسفر الى اليمن فلما تحققوا انها مكيدة
اظهروا التمرد والعناد وعدم الانقياد فاعجلهم محمد باشا
بالخروج بعدان صرف لهم جوامك السفر وقدره احد وثلاثون
كيسا وعين لهم سردار يوصلهم الى السويس وهو قيدق بك
فبرزوا وتا قر يوم الاحد ثالث عشرى ربيع الآخرة من السنة المذكورة
فلما امر الاوتاق بباب النصر على طائفة العسكر المذكورين ارموا
الخيام من ظهور الجمال ومنعوهم من الخروج فوصل الخبر الى محمد
باشا فجمع من وجد بمصر اذذاك من العسكر المنصور وامر قيدق
بك بالطلوع الى الريدانية بالعساكر المنصورة واجهار النداء
ان جميع العسكر الذى ورد من الروم يطلع من السردار ومن
خالف وتأخر قبض عليه وخرج من حقه فامتنعوا جميعا وقفلوا
بابى النصر والفتوح وارموا خلف البابين الاحجار وتحفظوا من
كل جانب ومنعوا اكابرهم واغواتهم الخروج الى الريدانية والطلوع
الى الديوان وجعلوا حوجز بالشوارع المتوصلة اليهم نحو القامة
ونصف حتى صار كل حاجز مانعا لتوصل الخيول والعجل الحاملة
للمدافع وتحصنوا بمتاريس ولبسوا اللبوس واوقدوا البنادق
واشهروا السلاح وصعد غالبهم فعلوا الخانات والربوع والبيوت
والجوامع والمواذن وهم ينتظرون من يقدم عليهم فلما بلغ محمد
باشا هذا التحصن العظيم والتيقظ والاقدام على الموت وعلم ان
قيدق بك ومن عين معه لا كفاءة لهم بمحاربتهم جمع الصناجق
والكشاف وابن الخبير والقلاوية ومقدمين الخفراوكانت هذه
الجمعية بالرميلة وسلطوا على الخوارج فلما عاينوا ذلك اذعنوا واجابوا
ورفعوا الحواجز والمتاريس والاحجار الموضوعة خلف الابواب

وطلبوا الامان والجمال فاحضر لهم ما يزيد على ثمانين جملا فلما
وصلت اليهم الجمال ضربوها بسيوفهم فنفرت وتشتت وقفلوا
الابواب وتحصنوا اقوى من المرة الاولى وعاد كل شئ الى محله وشاع
الخبر بانهم قتلوا اغاواتهم فامر محمد باشا السردار بالخروج فخرج
معه جمع كبير من الامراء وهم الامير قاسم والامير يوسف الغطاس
والامير ماماى والامير عيسى والامير مصطفى والامير احمد
والامير مراد والامير صالح والامير يوسف زعيم مصر سابقا
والامير عبدى كاشف القليوبية والامير على زعيم مصر حالا
وطائفة اليمانية وطائفة من القلاوية وطائفة من حارة الفوالة
وهم معدون بالسلاح والسيوف والدرق والعمد الحديد والقوس
وتقدم الامير يوسف الغطاس وامامه ستة مدافع كبار مملوءة
فلوس جدد ونودى للرعايا الملاصقين لاماكنهم وبيوتهم بقفل
حوانيتهم وبيوتهم فلما وصلوهم وجدوهم متيقظون متحفظون
على الاسطحة والموادن فلما تراءى الجمعان التحم القتال فكان كلما
القى العسكر من البنادق والنشاب والاحجار لا تصل الى الخوارج
وكلما القاه الخوارج على العسكر نال منهم فقتل من العسكر نحو سبعة
انفار وفرس ثم ان الامير على زعيم مصر توصل الى الخوارج من
وكالة البطيخ والامير قاسم والامير عبدى من خلف اماكنهم
والامير يوسف الغطاس رفع الحواجز والمتاريس وبقية العسكر
نقبوا عليهم اماكنهم ودخلوا عليهم من محلات متعددة فلما
اشتد الحال على الخوارج ولم يجدوا لهم قوة على القتال اجابوا
بالامتثال فى التوجه الى اى محل يريده محمد باشا وخرجوا جميعا
ولم يتخلف منهم احد وتوجهوا الى السويس واندفعت تلك الفتنة
وكفى الله المؤمنين شرها فاتفق ان عند خروجهم حصلت زلزلة
فنظم بعض الفضلاء فى ذلك فقال

خرج الخوارج للسويس وهجروا ... من ارض مصر لكثرة الافساد
رقصت لهم طربا فقالوا اذ زلزلت ... زالوا فزالت حملة الالحاد

حفروا للمولانا الوزير محمد ٭ بيرا فقيها اوقعوا الفساد
والله ساعده على اذهابهم ٭ وامده بنهاية الامداد

وفي زمن محمد باشا حصل رخاء عظيم وكساد في الاقوات اما القمح ابيع كل اردب بخمسة وعشرين نصفا فلوسا نحاسا والفول كل اردب بخمسة عشر نصفا والعدس والباسلا كل اردب بثمانية عشر نصفا والارز بستة وتسعين نصفا والجبن الطري كل قنطار بثلاثين نصفا والسكر كل قنطار بالوزن القوي مائة وستين نصفا واما اللحوم والاسماك فلكثرتها تباع بارخص قيمة فسبحان المتفضل على عبيده وعبرة القنطار القوي بالوزن المصري ما قدره مائتا رطل ثنتان وخمسون رطلا تصير كل خمسة وعشرين رطلا بالوزن المصري بستة عشر نصفا فلوسا نحاسا وكل رطل ونصف رطل ونصف ثمن رطل بنصف فلوسا جددا ثم في يوم الاربعاء عاشر ربيع الاول سنة اربع وعشرين والف وردت احكام سلطانية بصرف محمد باشا عن ولايته فكان مدة تصرفه ثلاث سنوات وستة اشهر وثمانية وعشرين يوما والله سبحانه وتعالى اعلم

ثم تولى احمد باشا الدفتردار

في يوم الخميس حادي عشر ربيع الاول سنة اربع وعشرين والف وكان حاكما سيوساصاحب تدبير سهل في اموره قريب من الناس ليس عنده تجبر ولا غلظة ومما اتفق عند قدومه لما استقبله العسكر المنصور على العادة فدخل مصر يوم الاثنين سادس ربيع الآخر من السنة المذكورة في موكب عظيم بجلالته وكان بعمامته ريشتان مكللتان بالمعادن قيل ان قيمة كل ريشة الف دينار فلما وصل الى الجوخيين وهو بموكبه سقط على عمامته حجر من طاقة ببيت بالربع الذي يعلو حوانيت الجوخيين فالقى احد الريشتين على الارض ومرق جانبا من الشاش ونسب رمي الحجر لشخص من اقارب ابراهيم

المنصوري الخياط فقبض على رامي الحجر بعد ان اعتبر الحجر بالوزن فوجد زنته خمسة ارطال فتطير احمد باشا من ذلك وامر بشنق الرامي وكان يوصف بخبال العقل وان احمد باشا لم ينله من ذلك مكروه واستمر نافذ التصرف الى ان صرف عن ولايته يوم الخميس ثالث شهر صفر سنة سبع وعشرين والف وكان مدة تصرفه سنتين واحد عشر شهرا وثلاثة ايام والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم تولى مصطفى باشا السلحدار

في ثالث عشر صفر سنة سبع وعشرين وألف فصرف الى اواسط شهر صفر سنة ثمان وعشرين والف فكانت مدة تصرفه سنتين واحد عشر شهرا وثلاثة أيام

ثم تولى جعفر باشا

فانه لما قدم من اليمن مكث بمصر مدة والناس يترددون عليه وكان له مصاحبة لطيفة وعنده فضل وله قوة في طرح المسائل العلمية ومشاركة في غالب العلوم وابحاث جيدة وفكرة وقادة ويحب اهل العلم والصالحين ويركن اليهم ويحب الفقراء والمساكين قليل الطمع لا ينظر الى ما في ايدي الناس مستغنيا بما في يده من الدنيا وكان ارسل عرضا للابواب الشريفة في خصوص باشوية مصر وهو منتظر ورود الاخبار وقد كثر لغط الناس من قال وقيل في جعفر باشا وكان اقامته بمصر في زمن احمد باشا الدفتردار المتقدم ذكره وكان احمد باشا متألما منه وخشي الفتنة فارسل اليه من اكابر الدولة من يحثه على الرحيل من مصر فتوجه برا ولما توجه الى الاعتاب الشريفة انعمت عليه بولاية مصر فقدم برا فلما توجه خرج لاستقباله الامراء والعلماء واكابر العسكر المنصور ودخل مصر في موكب لم يعهد مثله وفرح العامة والخاصة بقدومه فاستبشروا بالخير وكان قدومه الى مصر في اواسط صفر سنة ثمان

وعشرين والف ولما استقر بمصر المحروسة حصل الطعن والطاعون
بمصر المحروسة وقراها ومكث نحو الشهرين فاشتغل الناس بموتاها
وقفلت غالب اسواق مصر وحوانيتها ما عدا اسواق الاكفان فانها
مفتوحة ليلا ونهارا وان جعفر باشا منع ما على الاموات من التعرض
للموتى فصار الناس يدفنون موتاهم بغير اذن وحصل بذلك رحمة
للعالمين ومنها حكاية لطيفة لا باس بايرادها وهي انى لما حججت في
سنة ثمان وعشرين والف وكان ركب التكرور حاجا فعند العود سرت
مع رفقة بغالة ايام الركب المصرى فادركت رجلا من التكرور قريبا
من بندر المويلح راكبا على ناقة وحوله ثمانية انفار وهم مشاة فسالت
من رجل منهم من الرجل الراكب الناقة فاخبرنى انه شيخ الركب وقد
وسع الله عليه دنياه وهو ماش على الكتاب والسنة وله اربع زوجات
وما يزيد على الستين جارية كلهن موطوآت فرزقه الله من زوجاته
وجواريه مائة وعشرين ولدا ثمانون ذكورا واربعون اناثا وتناكحوا
وتناسلوا وهو لا يعلم عدة اولاده واولاد اولاده وان بلادهم مجاورة
لبلاد النصارى وفي كل اوان يذهب هو واولاده وهم معدون بالسلاح
ركبانا ومشاة ويقاتلون النصارى وينهبون ويأسرون ولما
وصل الركب التكرورى الى مصر نزل بقرية من قرى الجيزة تسمى
منشية البكارى فادركه شيخ الركب المذكور الاجل المحتوم فمات
فاشيع عنه انه ترك مالا كثيرا فارسل وكيل بيت المال من يضبط ماله
فمنعوا اولاده وكيل بيت المال وقالوا والله نقتل دون مالنا فبلغ ذلك
جعفر باشا فمنع بيت المال من التعرض لهم وسافر اولاده الى
بلادهم وتركوا اباهم تحت رحمة الله تعالى قال الطغرائي في لاميته

والدهر يعكس آمالي ويقنعني من الغنيمة بعد الكد بالقفل

وفى نفس الواقع ان الزمان مستدبر ما شرع فيه شئ يكون فيه ازكى
صلاح الا انعكس الى الفساد ولله في هذا مراد ثم ان جعفر باشا
فى اوايل رمضان سنة ثمان وعشرين والف صرف عن باشوية مصر
وتوجه الى الديار الرومية في البحر لعدم تأهبه لآلات السفر برا فان

عزله جاء بغتة على حين غفلة وما أمكنه الاستعداد لسفر البر والله يفعل
ما يشا فكان مدة اقامته بمصر سنة أشهر وايام ولما وصل
الى الديار الرومية مكث مدة يسيرة ومات وذهب ماله ونواله وهكذا
حال الدنيا وفي ذلك عبرة لمن اعتبر وعاد ولده الى مصر وأقام بها فقيرا

ثم تولى مصطفى باشا

في عاشر رمضان سنة ثمان وعشرين وألف وفي ولايته حصل تأهب
لارباب الاموال وكثرت العوانية والوشاة ببابه وصاروا ينقلون
اليه اخبار الناس ويزخرفون له اقاويل كاذبة واموراً باطلة
يتوصلون بها الى اغراضهم الفاسدة فاتعبت ارباب الاموال واختلت
الاحوال في زمنه فمن وشى عليه بشيء فمنهم من يبذل ما يطلبه منهم
زيادة او نقص سراً او علانية ويستر عرضه ومنهم من يتقاعس
فيحقر ويؤخذ منه اكثر مما هو مطلوب منه وكان مصطفى باشا
عنده شجاعة واقدام فقتل مصطفى بيجلي بيده وكان يظن ان
تقام بسببه فتنة فلم يظهر لذلك أثر ولما زاد طمعه توسلت
الرعية بالنبي صلى الله عليه وسلم الى خالق البرية بكف هذه البلية
فاستجاب الله دعاهم وورد الخبر بعزله في ثالث عشري رمضان
سنة تسع وعشرين فكانت مدته سنة الا ثلاثة أيام والله أعلم

ثم تولى سيد حسين باشا

في ثالث عشري رمضان سنة تسع وعشرين وألف وقدم مصر في اقرب
وقت وادرك مصطفى باشا قبل سفره فمنعه من السفر وانزله من القلعة
الى بيت مراد باشا الذي بالسبع قاعات بمصر وأشيع بانه جعل على الناس
جرساً وأراد ان يفتش عليه ثم انفك ذلك بتدبير بعض الاكابر
من ارباب الدولة وتوجه مصطفى باشا الى الديار الرومية وتبعه
جماعة ممن صادرهم واخذ أموالهم الى القسطنطينية وشغبوا عليه
ومزقوا عرضه وأخذوا منه جملة مال وفي زمن حسين باشا

في سنة

فى سنة ثلاثين والف حصل غلاء عام حتى أبيع القمح كل أردب بالكيل المصرى بمائتى نصف والشعير بمائة وعشرين نصفا والفول بمائة وستين نصفا وكذلك الباسلا والعدس واما الارز بمائتين واربعين نصفا وتحرك الاسعار فوق ذلك واما ماء النيل مكث فوق الارض الى غاية هاتور القبطى حتى كادت الناس تيأس من الزرع والذى زرع شتويا هاف ولم يحصل منه الا ما قل لكونه زرع بعد الاوان وقد من الله على عباده بنمو زرع الذرى فانه اخصب ونما وحصل به النفع لاقليم مصر وقراها وغيره من الاقاليم وفى زمنه حصلت بلية عمت وطمت على الرعية وهى رمية الاطرون على على المدن والثغور وتألمت الرعية بسبب ذلك ورجع حسين باشا فى رفعها ولم يرفعها ثم رفعت بعد عزله باذن الله تعالى وقد حصل فى زمنه فساد عظيم وفى عشرى ربيع الآخرة سنة احدى وثلاثين والف عزل حسين باشا فكانت مدة تصرفه سنة واحدة وسبعة أشهر وعشرة أيام ثم توجه الى الديار الرومية فحصلت الفتنة الكبرى بالقسطنطينية وقتل من قتل واعيد مولانا السلطان مصطفى وجلس على التخت الشريف وتحرك بعد ذلك فتن أخر ومات جماعة من الاكابر قتلا وآل الامر الى ان ولى حسين باشا الوزارة العظمى فى احد الجمادين سنة اثنين وثلاثين والف ولما تمكن من الوزارة ظن ان الدهر قد صفا له من الغم والنحوس فاستبد برأيه المنكوس فتصرف بالجهل والجنون ولم يراع الشرع والقانون ووقر فى قلبه وسوسة الشيطان الخناس ومشى بالجور والشدة والباس وركست بغضته فى قلوب الناس فمن جملة مجازفاته انه بلغه ان جماعة من العلماء والموالى والدانشمانية مجتمعين بجامع السلطان محمد وهم يدعون عليه ويطلبون من الله ازالته فارسل لهم جماعة من اتباعه واعوانه من قتل منهم جماعة ونفى جماعة من العلماء وشاع ذلك وذاع فى غالب الامصار والاقطار ومن جملة مجازفته ايضا انه وضع يده

على جملة مال الخزائن العثمانية وصار كلما أخذ مبلغا يرسله خفية
الى انغاد من اكابر الدولة ويأخذ منه تذكرة بوصول المبلغ وكميته
ويوضع التذكرة عنده فقدر الله ان السلطان مصطفى استعفى
وفرغ منها الولد أخيه السلطان احمد هو مولانا السلطان مراد
جعل الله جلوسه مباركا على البلاد والعباد انه على ما يشاء قدير

فكان جلوس مولانا السلطان مراد

حفظه الله وبصره بجاه محمد وآله على تخت السلطنة الشريفة
العثمانية في يوم الاحد المبارك رابع عشر القعدة سنة اثنين
وثلاثين والف ختمت بالخير الوف فأمر السلطان مراد بعود من
نق العلماء وطلب العسكر المنصور حسين باشا فلما احس بالطلب
وتحقق انه انما طلب للهلاك والعطب فاختفى وتمزقت اتباعه
وتشتتوا وذهبت دولته كأن لم تكن وندم حيث لا ينفعه الندم
وصار في الوجود عدم ثم ان مولانا السلطان مراد أعاد
مصطفى قولار الى مرتبته فاخذ مصطفى اغا يدبر في تحصيل حسين
باشا فبلغه انه بمكان فارسل اليه الامان من مولانا السلطان
فحضر وقبل قدام السلطان مراد فاظهر له البشري وأعاده
الى الوزارة العظمى وخلع عليه خلع الرضى فلما تصرف وزال
روعه مكث مدة يسيرة ثم طولب بما وضع يده عليه من مال
الخزائن العامرة فاعترف بالاخذ واحضر التذاكر التي اخذها ممن
وصل اليه شئ من المال ثم ان مولانا السلطان مصطفى قتل حسين
باشا اشر قتلة واخذ جميع ما كان بمنزله مما اخفاه وأظهره وامر ان
يلقى حسين باشا بباب منزله والناس يمرون عليه وامر ان لا يدفن
الا بعد ثلاثة ايام فمر عليه شخص ممن كان ظلمه واذاه فرفسه
بجزمة كانت برجله فدخلت جوفه وصار يلقى في جوفه رملا ودفن
بعد مضي الثلاثة ايام وقل الناس الترحم عليه وهكذا حال الظلمة
المغرورين ثم ان مصطفى أغا أرسل الى ارباب التذاكر واحضرهم

واحداً بعد واحد واستخلص منهم المال جميعاً وكل من اخذ منه مالاً
عنده يعاتبه بقبوله من حسين باشا المال العيقال له اما علمت
انه من مال الخزينة ويقبله وينسب اليه الخيانة بسكوته
وعدم اعلامه فيقتل ويلقى في البحر ولم يبق منهم احد ولله
البقاء

ثم تولى محمد باشا البستنجي

في حادي عشر ربيع الآخرة سنة احدى وثلاثين والف فقام
عنه حسن افندى الدفتدار وما يسر الله له الحضور الى مصر
وصرف عنها فكان مدة تصرف حسين افندى اربعة شهور
وسبعة ايام والله أعلم

ثم تولى ابراهيم باشا السلحدار

وحضر بنفسه الى رشيد يوم الجمعة ثاني عشر رمضان سنة
احدى وثلاثين وألف ووصل الى مصر في اواخر رمضان وقد
تحركت الغلاول في زمنه بزيادة في الثمن عما تقدم وجلت غالب
الناس من اوطانها من الاقطار الشامية والحجازية وبلاد غزة
وجاءوا الى مصر واقليمها بقصد الميرة فمن كان ذو ميسرة يمتار
ما يحتاج اليه ويرجع الى اهله ومالا مال معه وله قدرة على الكسب
اوالخدمة فيقتات من كسبه او من خدمته ومن لا مال معه ولا قدرة
على الكسب والخدمة فيستعطي حتى امتلأت مصر وقراها منهم
والذي ضبط بيعه من الذرى في ثغر دمياط في عدة ثلاثة اشهر ما يزيد
على ستين الف اردب ويجدد بعد ذلك ما يقارب او أزيد وذلك
خارج عما يباع من الحنطة والشعير والفول وبقية الحبوب
واما ما يباع برشيد فضعف ما يباع بدمياط فان رشيد اكثر
وارد امن دمياط واما ما يباع ببولاق والداير والقرى فلا حصر
له وكل ذلك من هذا اهل مصر وقراها وما يدخرونه لزيادة الثمن
نسيان المنعم المتفضل على عبيده ونسأل الله ان يعم مصر

وقراها ويكثر زرعها وخيرها ويهلك من أراد بها سوءا انه على ما يشاء قدير وفى زمن ابراهيم باشا حصل من اعوانه واتباعه اجحاف وطمع وخروج عن الحد فى الخدم التى يتوجهون اليها وتعب الرعايا بسبب ذلك وان ابراهيم باشا رمى بضئة على التجار ومشايخ الاسواق فحصل لهم خسارة فاحشة فشكوا امرهم اليه فلم يلتفت لشكواهم فتحرك عليه طائفة من اكابر الدولة ومنعوه من ذلك فلا شأ أمره وقصرت كلمته واستمر الى ان صرف فى يوم الاربعا سابع رمضان سنة اثنين وثلاثين وألف وكان مدة تصرفه سنة واحدة وتسعة عشر يوما وبها انتهى ذكر من ورد من ارباب الحنكارى الى الديار المصرية ووقف عنده القلم طالبا لكمال هذه الخدمة التاريخية شعر

فما لها فى الورى مثلا يناظرها	وكم لها ثار بين الناس من مثل
يرتاح سامعها حتى يهزبها	من التعجب عطف الشارب الثمل
فلا تعز غيرها سمعا ولا نظرا	فى طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

ونرجوا من الله بقاء الدولة العثمانية ودوام عزتها المحمية بالعناية الربانية واستمرار اقطار الارض فى ملكها داخلة تحت سلطنتها وملكها وتخت مصر عندهم بالالتفات محفوفا وكلما قدم منجم واقتضت الحكمة توليته اصبح محفوظا بالسعد محفوفا بجاه محمد افضل العباد وعلى اله واصحابه صلاة وسلام الى يوم المعاد

الخاتمة

روى الامام احمد بن حنبل فى مسنده والترمذى عن عمرو بن مرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امام او وال يغلق بابه دون ذوى الحاجة والخلة الا اغلق الله ابواب السماء دون

حاجته وخلته ومسكنته ولهذا كان بعض الحكام لا يغيب عن بيته ولا يسكن الا في دهليزه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس من ولي منكم عملا فحجب بابه عن ذوي حاجة من المسلمين حجبه الله يوم القيامة ان يلج الجنة فليس شيء احب الى الله عز وجل من قضاء حوائج المسلمين ومن كانت همته الدنيا حجبه الله عز وجل عن جواري فاني بعثت بخراب الدنيا ولم أبعث بعمارتها وعن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لابد للناس من امارة برة أو فاجرة فاما البرة فيعدل في القسم ويقسم فيكم بالسوية واما الفاجرة فيبتلى فيها المؤمن والامارة الفاجرة خير من الهرج قيل يا رسول الله وما الهرج قال القتل او الكذب (فائدة) الهرج باسكان الراء الفتنة وكثرة العناد وبفتحها تحير البصر روي انه صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس بارة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لم أزدد وان عملت شرا قالت يا ليتني قصرت وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيلي اموركم من بعدي رجال يطفئون السنة ويعملون بالبدعة ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها (فائدة) تعريف البدعة من ابتدع الشيء اي اخترعه وأحدثه ثم غلب على ما خالف قواعد الشرع وروى الحاكم وصحح اسناده من ولي من اموري شيئا فاحتجب عنهم احتجبت عنه يوم القيامة وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل أقواما يختصهم بالنعم لمنافع العباد ويقرها فيهم ما بذلوها فاذا منعوها نزعها منهم فحولها الى غيرهم اخرجه الطبراني في الكبير وابو نعيم في الحلية وغيرهم وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة واحدة منها فيها صلاح أمره كله وثنتان وسبعون درجات يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من أبلغ حاجة من لم يستطع ابلاغها ثبت الله قدميه على الصراط وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعى لاخيه المؤمن في حاجة قضيت أو لم تقض غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقي أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك سره الله يوم القيامة رواه الطبراني في الصغير باسناد حسن ومن رسالة للجاحظ مما اوتى فيها بالحكمة قوله كن شفيعاً الى أذنك حتى تسمعها وشفيع أذنك الى قلبك حتى تفهمها وشفيع قلبك الى نفسك حتى تعمل بها وقال ابن زيدون في رسالته المعروف ثمرة النعمة والشفاعة زكاة المروءة ومن كلام الحكمة بذل الجاه أحد المالين وشفاعة اللسان افضل زكاة الانسان وبذل الجاه رفد المستعين والشفيع جناح الطالب والشفاعة امر مندوب اليه نطق به القران وحث عليه السنة قال الله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقال جابر بن عبد الله من كثرت نعمة الله عليه كثرت حوائج الناس اليه فاذا قام بما يجب لله فيها عرضها للدوام والبقاء وان لم يقم فيها عرض نعمته للزوال نعوذ بالله من ذلك ونسأله التوفيق والعصمة وعن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه وقال اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما أحب متفق عليه وفي مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا من ولي من امر امتي شيئا فشق عليهم فاشقق اللهم عليه ومن ولي شيئا فرفق بهم فارفق اللهم به (فائدة) الرفق هو التوسط واللطافة في الامر مع الناس برفق في تحصيله من فضل ذلك ولم يجهد نفسه دام له ما استفاد وأفاد وشرى واشترى ومن كلف نفسه فوق طاقتها وعامل الناس بصلابة الجانب لم يدم له بجهله فضل وأضل قال صاحب المنفرجة

والرفق يدوم لصاحبه والخرق يصير الى الهرج وقد تقدم الكلام في شرح المزج وقال عبد الله بن طاهر لا ينبغي للملك ان يظلم وبه يدفع الظلم ولا يبخل ومنه يتوقع الجود من الفردوس عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على امتي زمان السلطان كالسبع ومن قبله كالذئب ومن قبله كالثعلب ويكون المسلم كالشاة فمتى تسلم الشاة بين سبع وذئب وثعلب فويل في ذلك الزمان يا سلام سلم يا سلام سلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن قال الشارح ناظماً

ان كنت لا ترحم للمسكين ان ظلما ولا الفقير اذا يشكو لك العدما
فكيف ترجو من الرحمن مرحمة وانما يرحم الرحمن من رحما

ذكر الجلال السيوطي في الاحاديث العشارية الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء وقال ناظما

ارحموا الذين في الارض يرحمهم من في السما فاعد عنك وسواسا
وقل اعوذ برب الناس منك اذا لا يرحم الله من لا يرحم الناسا

ومن كلام الحكماء يستدل على ادبار الملك بخمسة أمور الاول الاكتفاء بغير اهل الديانة الثاني ان يقصد مودة أبيه واسلافه بالاذى الثالث أن ينقص خراجه عن قدر مؤنة ملكه الرابع ان يكون تقريبه وابعاده بغرض نفسه معرضا عن مراتب الناس الخامس استهانته بنصائح الفضلاء وآراء ذوي التجارب ويقال من عصى نصيحا فقد استفاد عدوا وقال بعض اهل الحكمة الملك بالملك والملك بالجند والجند بالمال والمال بعمارة البلدان وعمارة البلدان بالعدل في الرعية

شعر

عليك بالعدل ان اوليت مملكة واحذر من الظلم فيها غاية الحذر
فالملك يبقى مع الكفر البهيم ولا يبقى مع الجور في بدو ولا حضر

وقال الشاعر ايضاً

خف الله واحذر من عواقب لذة مسرتها تفنى ويبقى لك الوزر
ولا تحقرن ذنبا صغيرا تضيفه الى غيره فالغيث اوله قطر

واعلم انه لا ذنب اعظم من ظلم الناس واخذ اموالهم بغير استحقاق لا سيما من كان ضعيفا او مسكينا او لا عقل له او كهلا اشرف نفسه على الهلاك وقال الامام على كرم الله وجهه ملك بلا عدل كنهر بلا ماء وعالم بلا علم كغيم بلا مطر وغنى بلا جود كشجرة بلا ثمر وشاب بلا توبة كقنديل بلا زيت وفقير بلا صبر كبيت بلا سقف وامرأة بلا حياء كطعام بلا ملح وقال طلحة الطلحات لاسد بن عبد الله وهو والى خراسان ان كنت تعطى من ترحم فارحم من تظلم ان السموات لتفرج لدعوة المظلوم فاحذر من ليس له ناصر الا الله ولا بد له الا الثقة ولا سلاح له الا الابتهال فان البغى يصرع اهله والبغى مصرعه وخيم فلا تغتر بابطاء الغياث من ناصر متى شاء ان يغيث اغاث وقد املى للقوم لكى يزدادوا اثما وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه اشتد غضبى على من ظلم من لم يجد ناصرا غيرى نقل الغزى فى كتابه حديثا عن ابن عباس رضى الله عنهما قيل يا رسول الله اتهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل بم يا رسول الله قال بتهاونهم وسكوتهم عن معاصى الله ومن الجامع الصغير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم انه ظالم فقد خرج من الاسلام ومن الجامع الصغير ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اوقر صاحب بدعة فقد اعان على هدم الاسلام وذكر شيخ الاسلام ابن حجر العسقلانى فى الاربعين حديثا التى جمعها الحديث التاسع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاصم فى باطل وهو يعلم لم يزل فى سخط الله حتى ينزع رواه ابو داود وصححه الحاكم وفى لفظ آخر من اعان على خصومة بظلم فقد باء بغضب من الله تعالى الحديث الحادى عشر من الاربعين حديثا المتقدم ذكرها من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ولفظه من اعان ظالما بباطل ليدحض به حقا فقد برئ من الله ورسوله وقد اجمع المسلمون على تحريم الظلم قليله وكثيره ومن استحله فهو كافر والظلمة من الكافرين

وغيرهم غافلون عن هذا كله وعن قوله صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة صاحب مكس حديث حسن رواه الامام احمد فى مسنده وهذا الحديث مع قوله صلى الله عليه وسلم فى قصة ماعز والله انه لتاب توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له من املاء الشيخ جلال الدين السيوطى على الدرة الفاخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقيتم عاشرا فاقتلوه أخرجه ابن عبد الحكم فى فتوح مصر عن عبد الملك بن سلمة عن ابن لهيعة الى الامام أحمد عن التبرى وعن منصور بن مجاهد فى قوله تعالى ولا تقعدوا بكل صراط توعدون قال نزلت فى المكاسين

وانشد

اقتل اولى المكث ولا تكترث ان حرموا ذاك أو حللوه
فان خير الخلق اوصى به اذا لقيتم عاشرا فاقتلوه

وقال بعضهم

مصر السعيدة اصبحت دار تطيب بها النفوس
فالظلم فيها قد فشى واصله قبض المكوس

وذكر بعض الافاضل ان الشيخ محمد الحيثى بالثاء المثلثة ذكر فى كتابه البركة فى فضل السعى والحركة قال صلى الله عليه وسلم خلق الله ولد الزنا وأخفاه بين خلقه فاذا اراد ان يظهره جعله مكاسا او عوانيا وقد أحدث الظلمة اشياء تقشعر لسماعها الجلود فضلا عن مشاهدتها لاشتهادها عند الخاص والعام لما ذكر الله فى قلوبهم من حب الدنيا الدنية والغفلة عن الآخرة وقد ورد ان الظلمة كلما أحدثوا ظلما جدد لهم نعمة وأنساهم الاستغفار والرجوع اليه قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم ان كيدى متين وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار وقال تعالى وقد خاب من حمل ظلما وقال تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون قال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصية فاعلموا انه استدراج ثم قرأ فلما نسوا ما

ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين تمّ فائدة تعريف الظلم هو مجاوزة الحد والتعدى على خلق الله وقال الراغب هو لغة وضع الشئ بغير موضعه بنقص او زيادة او عدول عن وقته أو مكانه قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة قال الشارح الظلم على اصحابه في الدنيا بمعنى انه يورث ظلمة القلب فاذا اظلم القلب تاه وتحير فذهبت الهداية والبصيرة فصار صاحبه في ظلمة ذكر البيضاوى في تفسيره في سورة النبا عند قوله يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا جماعات من القبور الى المحشر روى انه عليه افضل الصلاة والسلام سئل عنهم فقال تحشر عشرة أصنافا من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكبين يسحبون على وجوههم وبعضهم عمى وبعضهم صم وبعضهم ألسنتهم مدلاة على صدورهم يسيح القيح من افواههم يتقذرهم الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وأرجلهم وبعضهم مصلوبون على جذاع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون ثيابا من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات وأكل السحت وأكل الربا والجائرين في الحكم والمعجبين باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والموذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان والتابعين للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما تكلم بعض الملوك بكلمة بغى وهو جالس على سريره فسخه الله فلم يرا ثره شعر في المعنى

أيها المستطيل بالبغى قصّر ... طالما طاطا الزمان رؤسا

وتذكر قول الاله تعالى ... ان قارون كان من قوم موسى

وقال الامام الشافعي رضى الله عنه

اذا ما ظالم استحسن الظلم مذهبا ... ولج عتوا في قبيح اكتسابه

فكله الى صرف الليالى فانها ... ستبدى له ما لم يكن في حسابه

فكم قد رأينا ظالما متجبرا ... يرى النجم تيها تحت ظل ركابه

طغى وبغى حتى اذا عزه البقا   اناخت جميع النائبات ببابه
وقد ورد فى البغى آثار   منها ان النبى صلى الله عليه وسلم اوصى
رجلا فقال له انهاك عن ثلاث لا تنقض عهدا واياك والبغى
فانه من بغى عليه لينصرنه الله واياك المكر السيئ فانه لا يحيق الا
باهله   وقال صلى الله عليه وسلم اذا جار الحاكم قل المطر واذا نقض
العهد جار العدو واذا ظهرت الفواحش كانت الزلزلة وقال
صلى الله عليه وسلم اذا رضى الله على قوم امطرهم المطر فى وقته وجعل
المال فى سمحائهم واستعمل عليهم خيارهم واذا سخط عليهم استعمل
عليهم شرارهم وجعل المال فى بخلائهم وامطرهم المطر فى غير وقته
ذكر البيضاوى فى تفسيره فى سورة المطففين ويل يومئذ
للمطففين التطفيف البخس فى الكيل والوزن روى ان اهل
المدينة كانوا ابخس الناس كيلا فنزلت وفى الحديث خمس بخمس
ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما
انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا
فشا فيهم الموت وما طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين
ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم المطر   حديث واصل بن عبد الله
السلمى عمن حدثه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما
يذهب من هذا الدين الامانة وآخر ما يبقى منه الصلاة وسيصلى
من لا خير فيه وما استجاز قوم بينهم الزنا الا استوجبوا حرب
الله ورسوله ولا ظهرت فيهم المعازف والغنا الا صمت قلوبهم
حتى لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر   قيل ان سيدنا عيسى
عليه افضل الصلاة والسلام رأى ابليس وهو يسوق اربعة حمير
فقال ما هذا قال اسوق بتجارة لمشتريها الجور للسلاطين والحسد
للعلماء والخيانة للتجار والكيد للنساء ومن كلام الحكمة الاسباب
التى تجر الملك الى الهلكة ثلاثة احدها ان تتأمر شهواته على
عقله فيستهويه نشوان الشهوات فلا تسنح له لذة الا اقتنصها
الثانى من جهة الوزراء وهو التحاسد المقتضى لتعارض الآراء

فلا يسبق أحدهم الى حق الا عورض وفند الثالث من جهة الجند
والجند صنفان صنف وسع الله عليهم ارزاقهم فابطرهم الاسراف
وصبوا بنفوسهم للاتلاف وصنف قتر الملك عليهم ارزاقهم وركنوا
الى الاحقاد والتزموا النفاق واعلم ان آفة الملوك سوء السيرة
وآفة الوزراء خبث السريرة وآفة الجند مخالفة العادة وآفة
الرعية مخالفة السادة وآفة الرؤساء ضعف السياسة وآفة
العلماء حب الرياسة وآفة القضاة شدة الطمع وآفة العدل
قلة الورع وآفة القوى استضعاف الخصم وآفة المنعم منع النعم
والخلافة لا يصلح لها الا التقوى والرعية لا يصلح لها الا العدل
فمن جارت قضيته ضاعت رعيته ومن ضعفت سياسته بطلت
رياسته ومن كلام الحكمة خير الملوك من اشرب قلوب رعيته
محبته كما اشعرها هيبته ولن ينال ذلك الا بخمسة اشياء اكرام
شريفها واغاثة لهيفها ورحمة ضعيفها وكف عدوان عاديها
وتامين سبل رايحها وغاديها روى عن الامام على رضى الله عنه
انه قال فساد العامة من فساد الخاصة والخاصة تنقسم
اربعة اقسام العلماء وهم الادلاء على الله والزهاد وهم الطريق
الى الله والتجار وهم أمناء الله والملوك وهم رعاة دين الله
فاذا كان العالم طامعا وللمال جامعا فبمن نقتدى واذا كان الزاهد
راغبا فبمن نهتدى واذا كان الملك جائرا فبمن نلتجى فوالله ما اهلك
الرعية الا العلماء الطامعون والزهاد الراغبون والتجار الخائنون
والملوك الجائرون فانا لله وانا اليه راجعون وسيعلم الذين ظلموا
اى منقلب ينقلبون وقال صاحب النفحات المسكية واما اصناف
العدل من الخلائق فخمسة رفع الله بعضهم فوق بعض درجات
الصنف الاول الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهم ادلا الامة
وعمد الدين والاسلام ومعادن حكم الكتاب وأمناء الله فى
خليقته وهم الهداة والقدوة والسرج المنيرة على سبيل الهدى
وحملة الامانة عن الله الى خلقه بالهداية وأنزل معهم الكتاب

والايمان وان لا يتعدوا حدود ما انزل الله من الاوامر والزواجر
ارشاداً وهداية حتى تقوم الناس بالقسط ونحو ويخرجوهم من
ظلمات الكفر والطغيان الى نور اليقظة وعوضب بحالهم
من دركات جهنم الى درجات الجنان الصنف الثاني العلماء وهم
ورثة الانبياء فهموا مقامات الدعوة من الاجنبيين وفحلهم دائم
وا قتفوا آثارهم فصدقوا ما اتوا به وشيدوا كلمتهم ونشروا دعوتهم
ونشروا حكمتهم كشفا وذوقا وتحقيقا وانا نا بكمال المبالغة
لهم ظاهراً وباطناً اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس
هم فيها خالدون وما ظهر في هذا الزمان من اختلال في حال
البعض من حب الرياسة والمال والجاه والحسد فلا يقدح في حق
الجميع غفر الله لنا ولهم (تنبيه) في هذا المحل وهو ان مولانا
شيخ الاسلام الشيخ زكريا الانصاري رحمه الله افاد في شرحه
على المنفرجة حيث قال قال بعض العارفين العلم بمنزلة البحر اجرى
منه واد ومن الوادي نهر ثم من النهر جدول ثم من الجدول ساقية
فلو جرى البحر في النهر او الوادي الى الجدول لغرق وهو المراد بقوله
تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فبحور العلم
عند الله ان الله أعطى الرسل منها أودية ثم أعطت الرسل من اودية
العلماء انهاراً ثم اعطت العلماء من انهارها العامة جداول لا
بقدر طاقتهم والمناسب ان يقيد العلماء بالمتفقهين في الدين
الصنف الثالث الملوك الذين هم يراعون العدل والانصاف
بين الناس والرعايا توصلا الى نظام المملكة وتوسلا الى قوام السلطنة
في اموالهم وابدانهم وعمارة بلدانهم وبسطوتهم يمنع القوي عن الضعيف
والدني عن الشريف فرأس المملكة واركانها وثبات احوال الامة
وبنيانها العدل والانصاف فان الله تعالى أمر بالعدل والانصاف
ولم يكتف به حتى اضاف اليه الاحسان فقال ان الله يامر بالعدل
والاحسان لان العدل ثبات المملكة ودوامها والجور والظلم خرابها
وزوالها قال سفيان الثوري صنفان اذا صلحا صلحت الامة

واذا افسدت فسدت الامة الملوك والعلماء الصنف الرابع أوساط الناس يراعون بالعدل في معاملاتهم وأروش جناياتهم فيكافئون بالحسنة الحسنة والسيئة السيئة الصنف الخامس القائمون بسياسات نفوسهم وتعديل قوامهم وحفظ جوارحهم وانخراطهم في سلك العدل لان كل فرد من افراد الانسان مسئول عن رعاية رعيته التي هي جوارحه وقواه كل راع مسئول عن رعيته قال صاحب الدرر مسئول عن أهل بيته وحاشيته ولا تؤثر علالة الشخص في غيره مالم تؤثر اولا في نفسه والتأثير في القريب قبل البعيد كما قال الله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقال الشاعر

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك اذا فعلت عظيم

انتهى كلام النفحات المسكية وعلى ذكر الصنف الثاني من النفحات المسكية المتقدم ذكرها قال الشاعر

اجعل العلم يا فتى لك قيدا ... واتق الله لا تخنه رويدا

لا تكن مثل معشر فقهاء ... جعلوا العلم للدراهم صيدا

طلبوه فصيروه معاشا ... ثم كادوا به البرية كيدا

فلهذا اصاب البلاء علينا ... مستحقا وملئت الارض ميدا

وقال الغزالي رحمه الله تعالى في بداية الهداية ايها الحريص ان كنت تقصد بطلب العلم المنافسة والمباهاة والتقدم على الاقران واستمالة وجوه الناس اليك وجمع حطام الدنيا فانت ساع في هدم دينك واهلاك نفسك وبيع آخرتك بدنياك فصفقتك خاسرة وتجارتك بائرة ومعلمك معين لك على عصيانك وشريكك في خسرانك وهو كبائع سيف القاطع طريق ومن اعان على معصية ولو بشطر كلمة قال صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي باقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم قالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه ومما يعزى لمولانا الشيخ عبد العزيز الديريني رحمه الله تعالى

ان شئت تدعى فقيه قوم ... فطول الكم ثم عمم

ويجعل على الرأس طيلسانا | واجلس على الركبتين واحترم
وباحث القوم في عياط | لا من بخاري ولا بمسلم
الا زعيق ونفض كم | وقول لم لا ولا مسلم
ثيابهم بيضت رياء | وقلبهم بالسواد مظلم
وان راوا الوقف ياكلوه | ويتركوا العلم والمعلم
احذر ترى في الورى فقيها | اهرب وقل يا سلام سلم

وقال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزده هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال صلى الله عليه وسلم العالم الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضئ للناس ويحرق نفسه وقال صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه رواه الطبراني والبيهقي وخبر لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال صلى الله عليه وسلم انا من غير الدجال اخوف عليكم فقيل من هم يا رسول الله قال العلماء السوء واعلم ان الناس في طلب العلم على ثلاثة احوال رجل طلبه ليتخذه الزاد ولم يقصد به الا وجه الله والدار الاخرة فهذا من الفائزين ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة وينال العز والمال وهو عالم بذلك مستشعر في قلبه ركاكة حاله فهذا من المخاطرين حقيق عليه سوء الخاتمة وبقي امره للمشيئة ان وفق للتوبة قبل حلول الاجل ورجل استحوذ عليه الشيطان فاتخذ علمه ذريعة الى التكاثر بالمال والتفاخر بالجاه والتعزز بكثرة الاتباع يدخل بعلمه كل مدخل رجاء ان يقضي وطره من الدنيا ومع ذلك يضمر في نفسه انه عند الله بمكان فلو تسمه بسيمة العلماء فما افسده هذا المغرور باعماله اكثر مما اصلحه باقواله انتهى كلام الغزالي

شعر

اني رأيت الناس في عصرنا | لا يطلبون العلم للعلم
الا مباهات لاصحابهم | وعدة للظلم والغشم

وفي الجامع الصغير من اكل بالعلم طمس الله وجهه ورده على عقبيه

وكانت النار اولى به ومن الفردوس عن ابن مسعود رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان يكون
عامتهم يقرؤن القرآن ويجتهدون في الصلاة يستعملون
عمل أهل البدع يشركون من حيث لا يعلمون يأخذون على قراءتهم
وعلمهم الورق ويأكلون الدنيا بالدين هم اتباع الدجال الاعور
ومما افاده مولانا شيخ الاسلام الشيخ زكريا رحمه الله في شرحه
على المنفرجة حيث قال ان كتاب الله تعالى خص بالذكر لانه مرجع
الادوية الكبرى والنعمة العظمى في بيان ما لا تهتدي اليه العقول
في الاعتصام من الفتن لخبر سيكون فتن كقطع الليل قيل فما النجاة
منها يا رسول الله قال كتاب الله تعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر من
بعدكم وحكم ما بينكم وهو فصل ليس بالهزل من تركه تجبرا قصمه
الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله وهو حبل الله المتين
ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم هو كلام الله لا تزيغ
به الاهواء ولا تتشعب منه الآراء ولا تشبع منه العلماء ولا
تمله الاتقياء من عمل به اوجر ومن حكم به عدل ومن اعتصم به فقد
هدي الى صراط مستقيم (وهنا) حكاية لطيفة لا بأس بايرادها
في هذا المحل وهي ان الشيخ زكرياء المشار اليه آنفا كان قاضي القضاة
بالديار المصرية وكان معاصرا له رجل من العلماء فاخذ ذلك الرجل
يعيب الشيخ زكريا بولاية القضا ويشنع عليه في المجالس
ثم ان ذلك الرجل رأى في منامه رب العزة جل جلاله فقال له ما لك
ولعبدنا زكرياء اذا غضبنا نهارا واصالحنا ليلا ثم ان ذلك الرجل
تاب الى الله تعالى ورجع عما هو فيه وجاء الى الشيخ زكريا معتذرا
فانظروا الى هذا المقام الذي للشيخ زكرياء رحمه الله تعالى ومما
يقع لكثير من الناس ممن ابتلي بالورود على ارباب الولايات وحضور مجالسهم
ممن ينتمي الى علم او صلاح فانه يرى منهم ما لا يحل فعله فلا ينكره
عليهم فيقع بسبب ذلك في الهلاك وربما يظن صاحب المجلس ان
سكوته عن النهي تقرير له واستحسان فيتمادى على ذلك فما ظنك

باناس يحضرون مجالس الظلمة ويشاهدون من ظلمهم ما لا يحل من
اكراه وضرب ومصادرات وغير ذلك ولا ينكرون عليهم والعجب
من المباق من يتظاهر بالدين والصلاح فانا لله وانا اليه راجعون
لم يبق من الاسلام الا رسمه ومن الدين الا اسمه ومن تذكر فيما ذكر
وعمل بما اوردناه فقد احسن لنفسه ويرى نور عمله في ظلمات رمسه
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور من الجامع الصغير عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
رأيت العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم انه لص قال
الشارح اى سارق محتال على قتناص الدنيا بالدين ويجذبها
اليه من حرام اوغيره فاحذره اما لو خالطه احيانا للمصلحة كشفاعة
ونصرة مظلوم فلا بأس والله يعلم المفسد من المصلح وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزداد الامر الا شدة ولا الدنيا
الا ادبارا ولا الناس الا شحا ولا تقوم الساعة الا على شرار الناس
ولو بسطنا القول في هذا المحل لا تسع الخرق على الراقع ونسأل
الله العفو وحسن الخاتمة والتوفيق للعمل الصالح بمنه وكرمه

ومن كلام الحكمة احسن الملوك من تكلف الكلف من رعيته
فانه سايسها في اقبالها وادبارها والقائم على ثغورها بسدادها
والرادع لمروغها عن افسادها والحافظ لدينها والمعد لنوازل
المهمات قبل حينها والجابي لفيئها وخراجها والمنفق في
مصالحها وحاجاتها والمجاهد لعدوها والكالي لضعيفها
من قويها ولرشيدها من غويها والى ذلك اشار عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ومن ولي امر المؤمنين فهو عبدهم ويقال اربعة
من استقبلهم بالعنف في اربعة احوال هلك الملك في حال غضبه
والسيل في حال صدمته والفيل في حال غلمته والرعية في حال
هيجانها ويقال ان الرعية لا تخلو منها على ذي حزم يجزع السوقة
والتجارب وارباب الصنايع من طبقات الجند فانه ليس في قوام
الفتى قوى الجند من بذل النفوس في تشييد عز الملك ولم تزل قدماء

الملوك يلزمون كل طبقة ترك التعرض للترقي عنها (فصل في ادارة الرأي والاحتراز من العدو قال بعضهم الرأي مرآة العقل فمن اراد استحسان صورة عقله فاستشره (فائدة) سبعة لا ينبغي لذي لب ان يشاورهم جاهل وعدو وحسود ومرائي وجبان وبخيل وذو هوى فان الجاهل يضل والعدو يريد الهلاك ويتمنى زوال النعمة والمرائي واقف على رضى الناس والجبان من رأيه الهرب والبخيل حريص على جمع المال فلا رأي له في غيره وذا الهوى أسير هواه فلا يقدر على مخالفته واحترز من تدبيرك على عدوك كاحتراسه من تدبيره عليك فرب هالك بما دبر وساقط في البئر الذي حفر وجريح بالسلاح الذي شهر ويقال اذا امكنت عدوك من اذنك فقد تعرضت للغرق في بحره والخوض في وحل سحره والعجب لمن يصغي لعدوه ويلقي له سمعا وهو لا يرجو له نفعا ويقال من غرس العلم اجتنى بالنباهة ومن غرس الزهد اجتنى العزة ومن غرس الاحسان اجتنى المحبة ومن غرس الفكرة اجتنى الحكمة ومن غرس الوقار اجتنى المهابة ومن غرس المكر اجتنى المقت ومن غرس الحرص اجتنى الذل ومن غرس الطمع اجتنى الكمد والامم على اختلاف أزمانها وبلدانها وأديانها اتفاق على أربعة اخلاق العلم والزهد والاحسان والامانة (حدث) عباد بن كثير عن أبي ادريس عن وهب بن منبه قال من أخلاق العاقل عشرة الحلم والعلم والرشد والعفاف والصيانة والرزانة ولزوم الخير والمداومة عليه وقصر الشر عنه وعن أهله وطواعية الناصح وقبوله منه (حدث) حسان بن عبد الله البصري عن الري بن يحيى قال وجدت كتابا فيه قول قاله وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطئ ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المرا يشتم ومن يكره الشر يأثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يأمن ومن يتول الله يمنع ومن لا يسأل الله يفتقر ومن لا يكون بالله يخذل ومن

يستعن

يستعن بالله يظفر ويقال صفا النفس الناطقة بمواظبة الفكر الصادقة من لا فكرة له فيما خلق فهو مسلوب معنى الانسانية وحقيقة الروحانية ويقال الاماني في الشدة ارتياح وفي الرخا جماح فلا يصلح للعاقل ان يريح نفسه في الاماني الا بقدر ما يؤنس الوحشة وينفس الكربة ويقال استيلاء الاماني على النفوس هام السفلة الذين يجعلون الرؤس اذنابا والاذناب رؤسا ويسعون في تغيير صور الصواب روى الطبري باسناد صحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ويخون الامين ويؤتمن الخائن وتهلك الوعول وتظهر التحوت قالوا يا رسول الله ما الوعول وما التحوت قال الوعول وجوه الناس واشرافهم والتحوت الذين كانوا تحت اقدام الناس لا يعلم بهم (فائدة) الفحش هو السوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع وقيل السوء يعم القبائح والفحشا ما يجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما فيه حد والثاني ما شرع فيه الحد

ولنجعل ختام هذه الخاتمة

في التفويض والصبر اما التفويض اعتقاد العجز عن مغالبة القدر وانه لا يكون من الخير والشر الا ما اراد الله كونه ولا يصح التفويض ممن لا يعتقد ذلك ويحمله على اليقين قال صلى الله عليه وسلم لابي هريرة من كلام وان اصابك شئ فلا تقل لو فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله تعالى ومن كلام الحكمة اذا كانت مغالبة القدر مستحيلة فمن اعوانه نفوذ الحيلة الكيس الماهر من استسلم لامر القادر واما الصبر فقد تقدم الكلام على نبذة منه في خلافه المقتدى لكن لا باس بايراد نبذة منه في هذا المحل فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله وقائده والرفق والده والبر اخوه والصبر جنده وقال

صلى الله عليه وسلم ما أعطى المؤمن عطاء أوسع من الصبر وان الصبر من الانسان بمنزلة الرأس من الجسد (فائدة) اصبر للنوائب صبر من لا يحتال ولا يقلق لنزولها فان في حوادث الدهر ووقائعه ما يغنيك عن الحيل ويأتيك ما لا تعده بحولك ولا بحيلتك ولو لم يكن في الصبر الا ما جاء في القرآن العظيم من الثناء على من اتصف به ومن الوعد له بالعقبى وما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة لكان ذلك كفاية وروى عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله وقالت عائشة رضي الله عنها لو كان الصبر رجلا لكان كريما وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه القناعة سيف لا ينبو والصبر مطية لا تكبو وافضل العدة الصبر على الشدة وسئل الامام علي رضي الله عنه اي شئ اقرب الى الكفر قال ذو فاقة لا صبر له وقال الحرث بن اسد المحاسبي لكل شئ جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر قال الشاعر

لا تجزعن لعسرة من بعدها ... يسران وعدا ليس فيه خلاف
كم عسرة ضاق الفتى لنزولها ... ولله في أعطافها الطاف

مفرد

ما احسن الصبر ولكنه ... في ضمنه يذهب عمر الفتى

وقال القاضي الفاضل

يقولون ان الصبر يعقب راحة ... وما فهموا تبليغ عاقبة الصبر
وفي الصبر ربح او طريق مبلغ ... الى الربح لكن الخسارة في العمر

وللسراج الوراق

وقائل قال لي لما رأى قلقي ... لطول وعد وآمال تمنينا
عواقب الصبر فيما قال اكثرهم ... محمودة قلت تخشى ان تخزينا

والصبر انواع كثيرة واللائق بهذا المقام صبر الملوك وهو عبارة عن ثلاث قوى الاولى قوة الحكم وثمرتها العفو الثانية قوة الحفظ وثمرتها عمارة المملكة الثالثة قوة الشجاعة وثمرتها الثبات

قال الشاعر

لا تقف للخطوب في كل وقت ولا تخشها اذا هي جلت
فحقيق دوام ما ليس يبقى كثرت في الزمان او هي قلت
واودع للهموم صبرا جميلا فالرزايا اذا توالت تولت

وليكن هذا آخر ما يسر الله تعالى جمعه على يد مؤلفه محمد اسحاق في هذه الاوراق مما دق معناه وراق لا سيما مع توزع البال والاشتغال بهم العيال والخاطر بالافكار مشغول والعزم للالتوا بالامور وتقسرها فاتر محلول والذهن من خطوب هذا الزمن القطوب كليل والقلب لتوالي المحن وتواتر الغم عليل

كما قيل

يعاندني دهري كأني عدوه وفي كل يوم بالكريهة يلقاني
فان رمت منه جاني منه ضده وان راق لي يوما تكدر في الثاني

وأرجو ممن رشف من راح براعة هذه العبارة وراح بدر وحديق البراعة نظره وبصير انظاره ان يغض نظر الانكار عند العثور على العثار فاني في خجل واضطراب من هفوات هذا الكتاب لانه أدرج فيه بقدر ما وسع ملئ اهابي من غث وسمين ورخيص وثمين واذا عثر على غير صواب فليصلح واذا وقف على ما لم يستحسن فلا يقبح فاني ناقل عمن مضى واحسن الناس من كان لطرف الانتقاد مغمضا فان الكريم عفاد والحليم ستار فاني لا ادعي رتبة الكمال ففوق كل ذي علم عليم ولا ازعم النزاهة عن النقص والعيب فالمنزه عن كل عيب هو الملك القدوس العزيز العليم

قال الشاعر

ما كان من خطاء في النقل أو خطل في اللفظ او هفوة في الرقم او خلل
وشامه ذو ذكاء نا قد فطن فليسترن عوارا منه بالحلل
فليس يعصم من عيب ومنقصة سوى الملائك والانبياء والرسل

تمت

ذكر أثر متصل السند في النيل

حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح بن محمد كاتب الليث بن
سعد قال بلغني انه كان رجل من بني العيص يقال له حايد بن ابى
شالوم بن العيص بن إسحاق بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام
خرج هاربا من مصر من ملك من ملوكهم حتى دخل ارض مصر فاقام
بها سنين فلما رأى عاجيب نيلها وما يأتي به جعل لله عليه أن لا
يفارق ساحله حتى يبلغ منتهاه ومن حيث يخرج او يموت قبل
ذلك فسار عليه قال بعضهم ثلاثين سنة في الناس وثلاثين سنة
في غير الناس وقال بعضهم خمسة عشر كذا حتى انتهى الى بحر اخضر
فنظر الى النيل ينشق مقبلا فصعد على البحر فاذا رجل قائم يصلي
تحت شجرة من تفاح فلما رآه استأنس به وسلم عليه فساله الرجل صاحب
الشجرة فقال له من أنت فقال له انا حايد بن ابى شالوم بن العيص
ابن اسحاق بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام فمن انت قال انا
عمران بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم قال فما الذي جاء بك يا حايد
قال جئت من أجل هذا النيل فما جاء بك هنا انت يا عمران قال جاء بي
الذي جاء بك حتى انتهيت الى هذا الموضع فاوحى الله الى ان أقف في
هذا الموضع حتى يأتيني امره فقال له حايد اخبرني يا عمران ما انتهى
اليك من أمر هذا النيل وهل بلغك في الكتب ان احدا من بني آدم يبلغه
قال له عمران نعم بلغني ان رجلا من بني العيص يبلغه ولا اظنه غيرك
يا حايد فقال له حايد يا عمران اخبرني كيف الطريق اليه قال له عمران
لست اخبرك بشيء الا ان تجعل لي ما اسئلك قال وما ذاك يا عمران
قال اذا رجعت الى وانا حي تقيم عندي حتى يوحي الله الى بامره او يتوفاني
فقد فنني فان وجدتني ميتا فتدفنني وتذهب قال ذلك على قال له

سركما أنت على هذا البحر فانك تأتى دابة ترى آخرها ولا ترى أولها
فلا يهولنك أمرها اركبها فانها دابة معادية للشمس اذا طلعت أهوت
اليها لتلتقمها حتى يحول بينه وبينها يحجبها واذا غربت أهوت عليها
لتلتقمها فتذهب بك الى جانب البحر فسر عليها راجعا حتى تنتهى الى
النيل فسر عليها فانك ستبلغ أرضا من حديد جبالها واشجارها
وسهولها من حديد فان انت جزتها وقعت فى ارض من نحاس جبالها
واشجارها وسهولها من نحاس فان انت جزتها وقعت فى ارض من
فضة جبالها واشجارها وسهولها من فضة فان انت جزتها وقعت
فى أرض من ذهب جبالها واشجارها وسهولها من ذهب فيها
ينتهى اليك علم النيل فسار حتى انتهى الى ارض الذهب فسار فيها
حتى انتهى الى سور من ذهب وشرفه من ذهب وقبة من ذهب
فيها اربعة ابواب فنظر الى ما ينحدر من فوق ذلك السور حتى يستقر
فى القبة ثم ينصرف فى الابواب الاربعة فاما الثلاثة فتغيض فى الارض
واما الواحد فيسير على وجه الارض وهو النيل فشرب منه واستراح
واهوى الى السور ليصعد فاتاه ملك فقال له يا حايد قف مكانك
فقد انتهى اليك علم هذا النيل وهذه الجنة والماء ينزل من الجنة
فقال اريد أن انظر الى الجنة فقال انك لن تستطيع دخولها اليوم
يا حايد قال فأى شئ هذا الذى أرى قال هذا الفلك الذى يدور فيه
الشمس والقمر وهو شبه الرحى قال انى اريد ان اركبه فادور فيه قال
بعض العلماء انه ركبه حتى دار الدنيا وقال بعضهم لم يركبه فقال يا حايد
انه سياتيك من الجنة رزق فلا يؤثر فيه شئ من الدنيا يبقى ما بقيت
قال فبينما هو واقف كذلك اذ نزل عليه عنقود من الجنة فيه ثلاثة
من الاصناف لون كالزبرجد الاخضر ولون كالياقوت الاحمر ولون
كاللؤلؤ الأبيض ثم قال يا حايد ان هذا من حصرم الجنة وليس من طيب
عنبها فارجع يا حايد فقد انتهى اليك أمر النيل قال فهذه الثلاثة التى
تغيض فى الارض ما هى قال أحدها الفرات والاخر دجلة والاخر

سبحان فارجع فرجع حتى انتهى الى الدابة التى ركبها فركبها فلما اهوت الشمس لتغرب فدنت به من جانب البحر فاقبل حتى انتهى الى عمران فوجده ميتا حين مات فدفنه واقام على قبره ثلاثا فاقبل شيخ متشبه بالناس اغر من السجود ثم اقبل الى حائد فسلم عليه ثم قال يا حايد ما انتهى اليك من علم هذا النيل فاخبره فلما اخبره قال هكذا نجده فى الكتب ثم اظهر له شجرة تفاح فى عنبة فقال الا تاكل معى قال معى رزقى قد اعطيته من الجنة ونهيت ان أوثر عليه شيئا من الدنيا قال له صدقت يا حايد او ينبغى لشئ من الجنة ان يؤثر عليه شئ من الدنيا وهل رأيت فى الدنيا مثل هذا التفاح انما انزل الى الارض وليس من الدنيا وانما هذه الشجرة من الجنة اخرجها الله تعالى لعمران يأكل منها وما تركها الا لك وان وليت عنها رفعت فلم يطريها له فى عينه حتى اخذ منها تفاحة فعضها فلما عضها عض يده ثم قال اتعرفه هو الذى اخرج اباك من الجنة اما انك لو سلمت لهذا الذى كان معك لأكل منه اهل الدنيا قبل ان ينفد وهو مجهودك ان يبلغ فكان مجهوده ان بلغه واقبل حايد حتى دخل ارض مصر واخبرهم بهذا ومات حايد بارض مصر وبهذا الاسناد الى عبد الله بن صالح حدثنا ابن لهيعة عن وهب بن عبد الغافرى عن عبد الله بن عمرو فى قوله تعالى فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم قال كانت الجنان بحافتى هذا النيل من اوله الى آخره من الشقين جميعا من اسوان الى رشيد وكان له سبعة اخلجة خليج الاسكندرية وخليج دمياط وخليج سردوس وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهى متصلة لا ينقطع منها شيئا عن شئ وبزرع ما بين الجبلين كله من اول مصر الى آخرها ما يبلغه الماء وكانت جميع مصر كلها يومئذ تروى من ستة عشر ذراعا وبهذا الاسناد الى ابن لهيعة عن يزيد بن ابى حبيب انه كان على نيل مصر فرضة لحفر خلجها واقامة جسورها وبناء قناطرها وقطع جزائرها مائة الف وعشرون الفا علمهم الطور والمساحى والاداة يعتقبون ذلك لا يدعونه شتاء ولا صيفا وذكر فى بعض الاخبار ان حايد هذا لم يكن نبيا وانما اوتى الحكمة وانه سال الله تعالى ان يريه

منتهى

منتهى النيل فاعطى قوة على ذلك فوصل الى جبل القمر وقصد أن يطلع على اعلاه فلم يقدر فسال الله تعالى فيسره عليه فصعد فرأى خلفه البحر الزفتى وهو بحر أسود منتن الريح مظلم فرأى النيل يجرى فى وسطه كانه السبيكة الفضة وقال صاحب مباهج الفكر ذكر ابو الفرج قدامة ان مجموع ما فى المعمور من الانهار مائتان وثمانية وعشرون نهرا منها ما يجرى من المشرق الى المغرب ومنها ما يجرى من الشمال الى الجنوب ومنها ما جريانه كنهر النيل من الجنوب الى الشمال ومنها ما هو مركب من هذه الجهات كالفرات وجيحون فاما النيل فذكر قدامة ان انبعاثه من جهة القمر وراء خط الاستواء من عين تجرى منها عشرة أنهار وكل خمسة تصب منها الى بطيحة كبيرة فى الاقليم الاول ومن هذه البطيحة يخرج ماء النيل وذكر صاحب كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق أن هذه البحيرة تسمى بحيرة كورى منسوبة لطائفة من السودان بين كانم والنوبة فاذا بلغ دنقلة مدينة النوبة عطف من غربيها الى المغرب وانحدر الى الاقليم الثانى فيكون على شفته عمارة النوبة وفيه هناك جزائر متسعة عامرة بالمدن والقرى ثم يشرف الى الجنادل واليها ينتهى مراكب النوبة انحدارا ومراكب الصعيد الاعلى صعودا وهناك احجار مضرسة لا مرور للمراكب عليها الا فى ايام زيادة النيل ثم ياخذ الى الشمال فيكون على شرقيه مدينة اسوان من الصعيد الاعلى ثم يمر بين جبلين مكتنفين لاعمال مصر شرقى وغربى الى الفسطاط فاذا تجاوزها مسافة يوم انقسم قسمين احدهما يمر حتى يصب فى بحر الروم عند رشيد ويسمى بحر الغرب ومسافته من منبعه الى ان يصب فى رشيد سبعمائة فرسخ وثمانية واربعون فرسخا وقيل انه يجرى فى الخراب أربعة أشهر وفى بلاد السودان شهرين وفى بلاد الاسلام شهرا وليس فى الارض نهر يزيد حين تنقص الانهار غيره وذلك ان زيادته تكون فى القيظ الشديد فى شمس السرطان والاسد والسنبلة وروى ان الانهار تمدها بمائها وقال قوم ان زيادته من ثلوج يذيبها الصيف على حسب مددها تكون كثرته وقلته وذهب آخرون ان زيادته بسبب أمطار

كثيرة تكون ببلاد الحبشة وذهب آخرون الى ان زيادته عن اختلاف الريح وذلك ان الشمال اذا هبت عاصفة الريح للبحر الرومي فيدفع اليه ما فيه منه فيفيض على وجه الارض فاذا هبت الجنوب سكن هيجان البحر فيسترجع منه ماءه اليه فينقص وقال آخرون مجراه من جبال الثلج وهي بجبل قاف وانه يخرق البحر ويجري على معادن الذهب والياقوت والزمرد والمرجان فيسير ما شاء الله الى ان ياتي بحيرة الزنج قالوا ولولا دخوله في البحر المالح وما يختلط به منه لم يستطع أحد شربه لشدة حلاوته وقد تم هذا الكتاب البديع المستطاب وفيه يقول الناظم

شمس الهنا لاحت على الآفاق	ودعا السرور معاشر العشاق
فيه الغرائب والعجائب اشبهت	في النظم عقدا جل في الاعناق
وكذا نوادره الفريدة أوثقت	من حكمة معهودة الميثاق
يا من يميل الى نديم صادق	ياتي الى تاريخنا الاسحاقي
يغني السكارى عن تغرد آلة	اوهزة بالردف او بالساق
حفظ الجليس ولا يمل سماعه	اذ حن للمعشوق والمشتاق
يهدي القلوب مع اللواحظ والنهى	سبلا الى خلاقنا الرزاق
وحوى كلام الاولين بصحة	ولطافة وعذوبة بمذاق
يكفيه من درر المعاني لفظه	وحديثه للنفس كالدرياق
وكفاه في التشريف مصر واهلها	من شاهد فالفضل بالاطلاق
فيه الكفاية من اراد مسامرا	يسقي الندامى كان هذا الساقي
فاسعى الى دار الطباعة انها	دار الهنا في صحة الاوراق
فترى الكتاب وما عليه من البها	فتجود بالارواح والارزاق
هذا الكتاب من تامل ما حوى	بأمانة لشراه بالاحداق
يا سعد بلغ من رايت مؤرخا	في طبعه مجد الضيا الاسحاقي

٩٠ ٨٦ ٤٧ ٨٤٢ ٢١١

١٢٧٦

بالمطبعة الفاخرة الكائنة بمصر القاهرة ادارة محمود افندي بخان الخليلي على ذمة ملتزميه كل من جناب الشيخ عبد الرازق والراجي عفو ربه القريب عبد المجيد البابي حفظهما الله

تم وعفر لهما

اول من نظر فيه وتحمل معانيه الفقير الى ربه

محتاج العفو محمد ابن الشيخ نجيب الفلعي

شعبان المبارك الذي من [illegible]

هذا الكتاب [illegible]

اودعت في [illegible]

لا اله الا الله محمد الرسول [illegible]

نظر فيه وتأمل معانيه الراجي الى

العفو [illegible] سليم ابن الحاج حمزه [illegible]

نظر فيه وتأمل معانيه

الحقير الفقير الى الله

خليل ابن الحاج احمد

السمان غفر الله

له ولوالديه

والى جميع المسلمين

وصار [illegible] ٢٧

نظر فيه وتأمل بمعانيه الفقير محمد [illegible] عفي عنه [illegible]

روى عن ابي اسحاق سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه
قال لما تولى الخلافه ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
قال فبينما هو ذات يوم جالس في محرابه وهو يحدثنا
بحديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ اقبل راهبا ومعه الفين راهب ووقفوا جميعهم على
باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فابرك الراهب ناقته
له وتقدم الى وسط المسجد وقال السلام عليك يا خليفة
محمد فقال ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه السلام على
من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى واطاع العلي الاعلى
ما الذى اتيت فيه يا راهب فقال يا خليفة محمد اتيت اسالك
عن مسائل غريبه وعجايب كثيره فان شرحتها لنا كما
هي عندنا امنا وصدقنا وعلمنا ان صاحبك نبي كريم
مرسل من عند السميع العليم فقال ابو بكر الصديق اسال
يا راهب عما شئت فقال الراهب اول ما اسالك ان تخبرني
عن مستقر اسمك من جسمك واخبرني عن اى شئ جاء
معي من البضايع واخبرني عن الحاملات وقرا وعن

الجاريات يسرا وعن المقسمات امرا واخبرني عن اربعة
عشر [illegible] رب العالمين كلمة واحدة واخبرني عن شيء
يتنفس وليس له روح واخبرني عن قبر مشى بصاحبه
وعن الطريق البيضا الذي لا في السماء ولا في الارض واخبرني
عن ماء لا نزل من السماء ولا نبع من الارض واخبرني عن
اول شجرة هزتها الرياح وعن شيء خلقه الله وانكره
وعن شيء خلقه الله وسال عنه واخبرني عن شيء خلقه
الله واشتراه واخبرني عن شيء خلقه الله واستعظمه
واخبرني عن رجل يدخل الجنة وقد نها الله تعالى ان
لا يفعل احداً بفعله واخبرني عن شيء يتكلم وليس له
روح ولا لحم ولا دم وعن طير لم تبضه الطيور وعن
شيء قليله حلال وكثيره حرام وعن رسول لا من الجن
ولا من الانس ولا من الملائكة واخبرني عن شيء بعضه
حلال وبعضه حرام واخبرني عن شيء ان فعلته كان
حرام وان تركته كان حرام واخبرني عن رجل خاطب
امراة وهي عريانه ولم يكن بعلها ولم يلحقه اثم واخبرني
عن اليوم الذي كلم الله موسى فيه واخبرني عن ادم

كم كان طوله وكم سنةٍ عاش واخبرني عن نفس اوحى
الله اليها ولم تكن من الانبياء واخبرني عن خمس كانوا
في الدنيا اكلوا وشربوا ولم يكونوا من ذكر ولا انثى واخبرني
صيدين ماتوا فحلل الواحد وحُرم الاخر واخبرني عن اثنين
اوحى الله اليهما واخبرني عن موضع طلعت عليه الشمس
مرة واحدة ولم تطلع عليه مرة اخرى الى يوم القيمة
واخبرني عن شئ حلال الى الخلق وحرام على رجل واحد
واخبرني عن من حرمت عليه زوجته من غير طلاق
واخبرني عن نفس ماتت واحيت غيرها واخبرني كم بين
المشرق والمغرب وكم بين السماء والارض واخبرني ماتقول
البقرة في خوارها وماتقول الفرس في صهيلها ومايقول
الاسد في هديره وماتقول الحمامه في تغريدها ومايقول
الهدهد في صياحه وماتقول اليمامه في تسبيحها ومايقول
الضفدع في نعيقه وماتقول الدجاجه في سفيرها ومايقول
الطاوس في لقاته ومايقول الغراب في نعيقه وماتقول
الحداه في صفيرها وماتقول النار في اضرامها واخبرني
عن الممسوخين كم كانوا وباى ذنب مسخوا وهذه
مسا

مسائلنا اشرحها لنا قال فعند ذلك قال ابو بكر
الصديق رضى الله عنه الى سلمان الفارسى يا سلمان
امضى الى على ابن ابى طالب وائتنا به واخبره بما نحن
فيه فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
انا مدينة العلم وعلى بابها قال سلمان الفارسى فانطلقت
الى على رضى الله عنه فسلمت عليه فرد على السلام
وقال لى ما الخبر يا سلمان فقلت له ان ابا بكر الصديق
يطلبك الى عنده فقال السمع والطاعة لله ثم الى ابو
بكر ثم قال على يكون الراهب والرهبان حضروا اليه
فقلت يا امير المؤمنين ومن اخبرك بذلك قال اخبرنى ابن
عمى محمد صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بحضورهم
فى هذا اليوم ثم ان الامام على توجه هو وسلمان الفارسى
ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى المسجد فنهضوا
القوم كلهم قيام هذا والرهبان ينظرونه الى الامام على
رضى الله تعالى عنه فسلم عليهم فردوا عليه السلام
فقال له ابى بكر يا ابى الحسن انظر الى هذا الراهب وما
يقول فنظر الامام الى الراهب وقال له انت مراحيل

ابن شرحبيل من المكان الفلانى فقال الراهب هـذا هو
العجب العجيب يافتى من اخبرك باسمى قال الامام اخبرنى
باسمك ابن عمى محمد صلى الله عليه وسلم قبل وفاته فقال
الراهب يافتى انت الطاعن بالرمحين والضارب بالسيفين
فى غزاة بدر وحنين قال نعم انا قال الراهب يافتى انا
قد وجدنا فى كتبنا هذه المسائل فقال الامام على اسال
عن ماشئت فاعاد الراهب المسائل على الامام مثل ماقالها
الى ابوبكر رضى الله عنه من اولها الى اخرها فقال
الامام يا راهب ان شرحت لك هذه المسائل ما الذى يكون لى
عندك قال الذى تقول انت يافتى قال اريد منك ان
تقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
قال الراهب يافتى لك هذا قال الراهب واشهد على ذلك
الحاضرين فقال الامام يا راهب اما مستقر اسمك من
جسمك فهو اذنيك لان من دعى باسمه سمع باذنيه
قال الراهب صدقت يافتى فقال الامام واما ما اتيتم
فيه فانكم اتيتم تسالون عن دين الاسلام ان كان صحيح
ام باطل واما ماجاء معكم من البضايع فقد جا معكم
الف

الف دينار من الذهب الاحمر والف اوقيه من الفضة
البيضا واما الرياح الاربع فالشمالى والجنوب والصبا
والدبور واما الحاملات وقرا فهى السحاب التى تحمل الماء
من مكان الى مكان واما الجاريات يسرا فهى المراكب الجاريات
فى البحار واما المقسمات امرا فهى الملائكة الذين
يقسمون الارزاق على الخلائق واما الاربعة عشر الذين
كلموا الله كلمة واحدة فهى السموات والارض ولذلك قوله
تعالى لما قال للسموات والارض ائتيا طوعا اوكرها
قالتا اتينا طائعين واما الشيء الذى يتنفس وليس له
روح فهو الصبح وذلك قوله تعالى والصبح اذا تنفس الايه
واما القبر الذى مشا بصاحبه فهو حوت يونس ابن متى
عليه السلام واما الطريقة البيضا التى لا فى السماء
ولا فى الارض فهى مخرمة ابن لوط عليه السلام واما
الماء الذى لا نزل من السماء ولا نبع من الارض فهو
عرق الخيل واما شجرة الذى هزتها الرياح فهى شجرة
الصنوبر لان منها سفينة نوح عليه السلام واما اول
قتيل قتل على وجه الارض فهو هابيل لما قتله اخاه

قابيل واما الذى خلقه الله واشتريه فهى ارواح
المؤمنين والشهداء وذلك قوله تعالى ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم الاية واما الذى خلقه الله وسال
عنه فهى عصاة موسى عليه السلام وذلك قوله تعالى
وما تلك بيمينك يا موسى الايه واما الذى خلقه الله
وانكره فهو صوت الحمار وذلك قوله تعالى ان انكر
الاصوات لصوت الحمير واما الذى خلقه الله واستعظمه
فهو كيد النساء وذلك قوله تعالى ان كيدكن عظيم
واما الذى يدخل الجنة وقد نها الله تعالى ان لا يفعل
احدا يفعله فذلك قوله تعالى ولا تكن كصاحب
الحوت فهو يونس عليه السلام واما الذى يتكلم وليس
له روح ولا لحم ولا دم فهى جهنم وذلك قوله تعالى
يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد
واما الطير الذى لم تبضه الطيور ولم تحضنه فهو
الطير الذى نفخ فيه عيسى عليه السلام واما الذى
قليله حلال وكثيره حرام فهو نهر طالوت وذلك
قوله تعالى فمن شرب منه فليس منى الايه
واما

واما الرسول الذى ليس من الجن ولا من الانس ولا
من الملائكة فهو الهدهد واما الذى بعضه حلال
وبعضه حرام فهو الذى شرب من اناء ثم رعف فيه قبل
ان يرعف شرب حلال ولما رعف حرم عليه الباقى
واما الذى خاطب امراة عريانه ولم يكن بعلها فانه رجل
اعمى كلم امراة عريانه فما عليه اثم واما الذى
ان فعلته كان حرام وان تركته كان حرام فهو السكران
وصلاته واما رضاع موسى كم ارضعته امه فانها
ارضعته ثلاثة اشهر وثلاثة ايام ثم ارمته فى البحر
واما اليوم الذى كلم الله موسى فيه فهو يوم الجمعه
واعطاه فيه التورية واما ادم عليه السلام فكان
طوله ستون ذراعا وعاش ثلاث مائة سنة واما
الذى اوحى الله اليه ولم يكن من الجن ولا من الانس
ولا من الملائكة فهو النحل وذلك قوله تعالى واوحى
ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما
يعرشون واما الخمسة الذى اكلوا وشربوا فى الدنيا
ولم يكونوا من ذكر ولا انثى فهم ادم وحوى وناقة صالح

وكبش اسمعيل وعصاة موسى عليه السلام واما
الصيدين الذى ماتوا جميعا فحلل الواحد وحرم الواحد
فهو طير صاد سمكه ووقع فى البحر وماتوا جميعا فالطير
حرام والسمكة حلال واما الذى اوحى الله اليهما وهما
اثنين فهما [illegible]ديون واما كم طير ذكرهم الله تعالى
فهم الغراب والهدهد والفراش والبعوضة واما الذى
ابصرته الشمس مرة واحدة ولا تعود تراه ابدا الى
يوم القيمة فهو قعر البحر لما انفلق الى موسى ابن عمران
عليه السلام واما الذى حرمت عليه زوجته من غير
طلاق فهو رجل اتى الى امراته فاقسمت عليه بالله
العظيم بالعفه وهى فى الحيض فماله عليها من سلطان
فى ذلك الوقت واما النفس التى ماتت واحيت غيرها
فانها بقرة بنى اسرائيل واما كم بين المشرق والمغرب
فمسيرة يوم واحد الى الشمس واما كم بين السماء
والارض فدعوة المظلوم مستجابه واما كلام الطيور
والبهايم والوحوش وغيرهم فان الفرس تقول اللهم
اعز المؤمنين واخزى الكافرين واما الابل فانها
تقول

تقول عجبت لمن عدم القوت كيف يستطيع السكوت واما
البقرة فانها تقول يا غافل انت عن قليل راحل ستلقا
غدا ما انت فاعل واما الحمار فانه يقول لعن الله المرابي
وكسبه واما الكلب فيقول اللهم انى محروم وانت الرحيم
فارحمنى وارحم من يرحمنى واما الغراب فانه يقول معاشر
الامم احذروا حلول النقم واما الحداه فانها تقول
البعد عن الناس انس لمن عقل واما الحمامه فانها تقول
صلوا من قطعكم وكلموا من هجركم تكون الجنة مستقركم
واما النار فانها تقول اللهم اجيرنى من نار جهنم واما
الرياح فانها تقول اللهم انى مطيعه فالعن من يسبنى
واما الضفدع فانه يقول سبحان من يسبح له فى لجج البحار
واما الهدهد فانه يقول اللهم رب انى ظلمت نفسى
واعترفت بذنبى فاغفر لى ذنبى فانه لا يغفر الذنوب
الا انت واما الدجاجه فانها تقول الرحمن على العرش استوى
واما الديك فانه يقول يا غافلين اذكروا واما ما سالتم
عن الممسوخين كم كانوا وباى ذنب مسخوا اعلم يا راهب
ان الله تعالى مسخ سبعة وعشرين طائفه منهم الفيل

فانه كان رجل يأتي البهايم فمسخه الله تعالى واما
الارنب فانها كانت امراة لا تغتسل من الجنابه والحيض
فمسخها الله تعالى واما الذيب فانه كان رجل مخنث
فمسخه الله تعالى واما ابن اوى فانه كان رجل يجادل
في الله بغير علم فمسخه الله تعالى واما الخنازير فانهم
كانوا سبع مائة من النصارى الذين اكلوا مائدة عيسى
ولم يامنوا بالله تعالى وكفروا فمسخهم الله تعالى واما
القرود فانهم كانوا خمس مائة من اليهود الذين اعتدوا
في السبت وكانوا يصطادوا الحيتان في يوم السبت فمسخهم
الله تعالى واما العنكبوت فانها كانت ساحره تسحر زوجها
فمسخها الله تعالى واما الزلحفه فانه كان رجل يطفف
المكيال اذا اكتال للناس فمسخه الله تعالى واما السرطان
فانه كان رجل ينبش القبور وياخذ اكفان الموتى فمسخه
الله تعالى واما الحيه فانها كانت حاكم يحكم على الناس
بغير عدل فمسخها الله تعالى واما الثعلب فانه
كان رجل كذاب يكذب على العلماء ويسبهم فمسخه
الله تعالى واما الكلب فانه كان رجل يشهد
بالزور

بالزور ويمنع الناس عن حقوقهم فمسخه الله تعالى
واما العقاب فانه كان رجل يحتكر القمح ويشتهي الى
الناس الغلا فمسخه الله تعالى واما الفاخته فانها كانت
امراة لا تمنع الناس من نفسها فمسخها الله تعالى واما
الفاره فانها كانت امراة متزوجة بزوجين كل موضع
زوج فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم الفويسقه
فعند ذلك قام الراهب والرهبان وقطعوا زنانيرهم وقالوا
نحن نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ففرح الامام على كرم الله
وجهه والامام ابو بكر الصديق
رضى الله تعالى عنه
باسلامهم وهذا اخر
حديثهم على التمام
والكمال والحمد
لله على
كل
حال
مم

قصة ابا يزيد البسطامى

روى عن بعض المشايخ الراشدين انه كان فى القرن
الثالث ولى الله تعالى يقال له ابا يزيد البسطامى
وكان حافظ كتاب الله تعالى والعلم الشريف وكان
تجرد الى العباده وحفظ الصلاة وصوم النهار وقيام
الليل والاعتكاف فى الخلوات وصحبة المشايخ والسادات
قال فلما بلغ مبالغ الرجال حج حجة الفريضة وكان
يحج كل عام ماشيا صائما وكان يختم كل يوم ختمه
فلم يزال كذلك حتى انه حج خمسة واربعين حجه فلما
كان فى الثالث واربعين حج رئ البيت زمردة خضراء
وفى الخامس واربعين راه نورا يزهر فاعجبته نفسه
فقال طيب يا ابا يزيد الناس يطوفون بالاحجار وانت
تطوف بالانوار فحجب الله عنه ذلك الحال وعاد ينظر
الى البيت كما تنظر الناس فبرك على ركبته وحث
التراب على راسه وصبغ احرامه اسود وانشد يقول

جس الطبيب يدى فصحت منا ديا

ا يا طبيب اترك يدى وجس فؤادك

ان لم تسامحنى وتجبر فاقتى
من ذا يكون دخيرتى فى معادى

فلئن رجعت ولم تكن لى مواصلا
واحسرتى من شقوتى وبعادى

فاوليك انشرح فى السرائر باطنى
ماحل بى ياسيدى واناادى

يا فارج الكربات فرج كربتى
قبل الرحيل وقبل يوم احصادى

ان لم تكن لى راحما ياسيدى
من ذا يكون دخيرتى فى معادى

ما ثم باب غير بابك سيدى
متوسل بمحمد و باله الامجادى

انت الرحيم وراحم لبديتى
فاعطف على فكم لديك انادى

قال ثم انه يبكى ويتضرع حتى صعد على جبل عرفات
فلما كان ساعة العرقه بكا بكاء شديد فقال فى نفسه
لم تبكى فو الله ما على الجبل رجل اخر مثلك من لـه

خمسة واربعون حجه مع صيام خمسون عام مع ثلاث مائة
ختمه فعندها قال ابايزيد يانفس الشوم انا عذبتكى
ومقتكى حتى تنكسرى وشومك ماينكسر ثم نادى معاشر
الحجاج من يشترى منى خمسة واربعون حجه برغيف فقال له
رجل اعرابى انا ثم اخذ منه الرغيف وارماه الى الكلب
ثم قال لنفسه اذهبى يا نفس الشوم فلم يبقى لكى عند
ربك عملا تتذللى به قال فلما اتمّ مناسكه ودخل
يطوف طواف الافاضه وفى طوافه رئ البيت كما تراه
الناس على حاله ولم يرجع اليه مثل الحال الاول ثم انه
قال والله ان لم يصلحنى ربى لاشدن الزنار حتى
ترجمنى الناس بالاحجار ثم انه بعدها شد وسطه
وجعل الناس يقولوا مكر الله بابى يزيد ثم انهم
جعلوا يشتموه ويرجموه وهو مشتفى فى نفسه ثم
انشد يقول

ان كان يهجرنى والله ماظلما فهو الحبيب الذى تشفا به السقما
والله ما جن ليلى الا وهمت به طوبى لمن بات من هجرانكم سلما
كتمت الهوى جهدى فما انكتما وصنت دمعى ففاضت مقلتى ندما

مولاى

مولای مولای جد بالعفو من زللی
وارحم بفضلك من اخطا وقد ندما

ثم قال یانفس المشوم اشد العذاب فراق الاحباب
والله لافارقنك عن الاهل والمشایخ والاصحاب
ولالحقنك بدار المشركين من اهل الكتاب

ثم ان ابا یزید سار الی بلاد الروم وجلس فی السوق
عند رجل نصرانی تاجر فقال له التاجر وهو یظن انه
نصرانی اظن انك جبیت من دیار المحبین الی دیار
المطرودین تعاقب نفسك بجرمها قال نعم وازیدها غما
علی غمها فقال له النصرانی انی اقسم علیك بالانجیل
ومن انزله ان تجعل مقامك عندی لانی اری علی وجهك
نور ساطع وضیاء لامع فقال له ابا یزید من دعی
فالیجب فمشی معه الی منزله فعشاه ثم دخل به الی
كنیسه قد بناها النصرانی فی داره وفیها اصنام
مصوره قال النصرانی الی ابا یزید دونك والعباده
فی هذه الكنیسه قال فدخل ابا یزید الی الكنیسه
واخذ الاصنام وكبها علی وجهها ومحا التصاویر

واقام فيها شهرا كاملا والنصرانى ياتيه بالاكل
والشرب وهو يناوله من الباب ولم يعلم سر ابا يزيد
وما صنع قال فبينما ابا يزيد يعاتب نفسه اذ سمع
هاتفا يقول يا ابا يزيد دع عنك عتاب النفس وتعالى
فلما سمع ابا يزيد ذلك فرح فرحا شديدا بالوصال
وصلاح الحال وعزم على الرجوع الى بيت الله الحرام
وبات تلك الليلة يصلى شكرا لله تعالى الى الصباح
فلما أصبح الصباح فتح النصرانى باب الكنيسه ودخل
على ابا يزيد فوجده يصلى الصبح الى قبلة المسلمين
ووجد الاصنام مكبوبه على وجوهها فقال له يا راهب
انت اسلمت البارحه وانت من جملة المسلمين فقال
انا من المسلمين من اول ما خلقنى الله تعالى ومن يبتغ
غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الاخرة من
الخاسرين وجعل ابا يزيد يصف الى النصرانى فضائل
الاسلام وفضائل سيدنا محمد عليه من الله افضل
الصلاة واتم السلام فقال النصرانى اين جاهل ملك
شئ مما تقول ولكن لنا عالم اسمه منهاد يعتكف عنا
سنة

سنه ويائتينا فى راس يوعظنا نعمل به الى العام القابل
وقد قرب خروجه وقد بقى له عشرون يوما فبالذى
انزل الانجيل على عيسى ابن مريم لا تسافر حتى
ياتى الراهب وتحدثه وتجتمع به فان كان قولك
حق اتبعناك فقال ابا يزيد حبا وكرامة فانى يشق
على ان اسافر وانت على دين النصرانيه وقد احسنت
الى هذا الاحسان ثم ان ابا يزيد اقام عند النصرانى
واذا بالراهب منهاد قد اقبل هذا وابا يزيد قد
لبس الثياب البيض وخلع الثياب السود فقال
النصرانى الى ابو يزيد اذا قدم الراهب الينا
اخلع الابيض والبس الاسود وشد الزنار حتى
لا ينكروا عليك النصارى والرهبان فعظم ذلك
على ابا يزيد فلما كان يوم خروج الراهب منهاد
اجتمعوا اكابر النصارى وعلماهم فى الكنيسه فقال
التاجر الى ابا يزيد اخلع المرقعه والبس البرنس
وخذ الانجيل والمزامير بين يديك وشد الزنار
على وسطك حتى لا ينكر عليك احد ولا ينظر اليك

فعظم ذلك على ابا يزيد واذا بالهاتف يقول له
افعل مثل ما قال لك لان لنا في ذلك عنايه
ومشيئه قال فنزل ابا يزيد في زى الرهبان
وسار الى الكنيسه فصار في جملة النصارى في تلك
الكنيسه وجلسوا الجميع وابا يزيد جالس في جملتهم
واذا قد دخل الى الكنيسه رجل طاعن في السن
قد بلغ من العمر مائة وستون سنة فعظموه
النصارى وقبلوا اياديه ثم صعد على منبر وجلس
الى ان ارتفع النهار ولم ينطق بكلام فقام اليه
رجل من النصارى وقال له يا ابونا ان لنا في انتظار
هذا اليوم سنه وقد حميت الشمس فان كنت
غضبان عرفنا حتى تزيل غضبك وسمعنا شيئا حتى
ننتفع به وان كان قد بدا لك امر تكرهه في هذا
اليوم عرفنا حتى انتا نطلع فقال الراهب مشهاد
ماعندى شيء من ذلك ولكن ما يمنعنى ان اتكلم
الا عندكم في هذا المكان رجل محمدى وهو من
عباد الله الصالحين قد مسك على الوقت

فلا

قلا اقدرا تتكلم فقالوا دلنا عليه حتى اننا
نخرجه من بيتنا فقال الراهب والله ما اد لكم عليه
تحلفولى انكم لا تكلموه ولا تؤذوه ولا بكلمة واحده
فقالوا نقسم بالانجيل ما نخالف لك قولا ابدا فعندها
التفت الراهب منهاد وقال ايها العابد الصالح
اقسم عليك بمحمد صلى الله عليه وسلم انك تقوم قائما
على قدميك حتى تنظر العيون اليك قال فقام ابا يزيد
على قدميه والنور يتلالا على وجهه فقال منهاد
الى اصحابه انظروا اليه قالوا قد نظرنا فقال
الراهب السلام عليك يا شيخ فقال ابا يزيد السلام
على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى واطاع
العلى الاعلى قال الراهب يا شيخ ما اسمك قال ابا
يزيد فقال منهاد يا شيخ اتعرف شيئا من العلوم
قال اعرف ما علمنى الله اسال ما الذى تريد قال ايها
الشيخ اريد ان اسالك مسائل فان اجبتنى عنها
نعرف ان الحق معكم فقال ابا يزيد اسال عن ما تريد
فسوف تسمع الجواب باذن الملك الوهاب

فقال الراهب [illegible] واحد ماله ثانى وثانى
ماله ثالث وثالث ماله رابع ورابع ماله خامس
وخامس ماله سادس وسادس ماله سابع وسابع ماله
ثامن وثامن ماله تاسع وتاسع ماله عاشر وعاشر
ماله حادى عشر وحادى عشر ماله ثانى عشر
وثانى عشر ماله ثالث عشر فقال ابايزيد اسمع
ايها الراهب الجواب باذن الملك الوهاب اما قولك
عن واحد ماله ثانى فهو الله عز وجل لا شريك له
واما الثانى ماله ثالث فهو الشمس والقمر واما
الثالث ماله رابع فهو يمين الطلاق واما الرابع ماله
خامس فهوا المذهب واما الخامس ماله سادس فهو
الخمس صلوات الذى فرضها الله على عباده المؤمنين
واما السادس ماله سابع فهى الايام الستة الذى
خلق الله تعالى فيها السموات والارض واما السابع
ماله ثامن فهى السبع ايام التى اهلك الله [illegible] قوم
عاد واما الثامن الذى لا تاسع له حملت العرش
واما التاسع الذى ماله عاشر فهى التسعة اشهر الذى
تحمل

تحمل فيها المرأة واما العاشر الذى ماله حادى عشر
فهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واما الحادى
عشر الذى ماله ثانى عشر فهى الرؤيا التى راها يوسف
ابن يعقوب عليه السلام واما الثانى عشر الذى
ماله ثالث عشر فهى اشهر السنة هذا سؤالك
ايها الراهب فقال الراهب واسالك عن من خلق
من النار ومن هلك فى النار ومن حفظ فى النار
قال ابا يزيد اعلم يا راهب خلق من النار ابليس
وهلك فى النار ابى لهب وحفظ فى النار ابراهيم
عليه السلام قال الراهب واسالك عن من خلق
من الماء ومن حفظ فى الماء ومن هلك فى الماء فقال
ابا يزيد خلق من الماء ادم عليه السلام وحفظ فى الماء
يونس عليه السلام وهلك فى الماء فرعون قال
منهاد واسالك عن من خلق من الحجر ومن حفظ
فى الحجر ومن هلك فى الحجر قال ابا يزيد خلق من الحجر
ناقة صالح وحفظ فى الحجر اهل الكهف وهلك فى الحجر
اصحاب الفيل قال منهاد واسالك عن من خلق

من الخشب ومن حفظ في الخشب ومن هلك في الخشب
قال ابا يزيد خلق من الخشب عصاة موسى عليه
السلام وحفظ في الخشب نوح عليه السلام وهلك
في الخشب يحيى ابن زكريا عليه السلام قال منهاد
اخبرني عن من خلق من الهوى ومن حفظ في الهوى
ومن هلك في الهوى قال ابا يزيد خلق من الهوى
عيسى عليه السلام وحفظ في الهوى سليمان عليه
السلام وهلك في الهوى عاد وثمود قال منهاد وما
قولك في شجرة لها خمسة اغصان من مسك منها
غصنًا وتلك الباقي جعل في النار ولها خمسة اوراق
اثنين في الشمس وثلاثة في الظل فقال ابا يزيد اما
الخمسة اوراق فهي الصلوة الخمس الظهر والعصر في الشمس
والمغرب والعشا والصبح في الظل والثاني الصوم
والثالث الزكاة والرابع الحج والخامس الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر واصل الشجرة كلمة التوحيد
والايمان بالله ورسوله وباليوم الاخر قال صدقت
يا ابا يزيد فقال ابا يزيد يا راهب القيت على
ثماني

ثماني وثلاثين مساله فرديت لك جوابها واجبتك
عنها بعون الله تعالى وانا اريد اسالك فرد مساله
واحده ترد على جوابها قال منهاد اسال عن ماتريد
قال يامنهاد اخبرني ما مكتوب على باب الجنة وما
مكتوب على اوراق اشجار الجنة وما يطلب من العبد
عند الجواز على الصراط وما مكتوب على سماء الدنيا
وما مكتوب على سرادقات العرش وما يطلب من
الانسان عند خروج روحه قال فسكت منهاد عن
رد الجواب فقالت له الرهبان والنصارى يا ابونا
ارميت فينا العيب رد عليك هذا الفقير ثمانيه
وثلاثون مساله ورد لك جوابها ويسالك فرد
مساله ماترد جوابها قال منهاد انا ما غلبت عن رد
الجواب لكن اخشى ان رديت الجواب تقتلوني فقالوا
لا والذي انزل الانجيل على عيسى انا لك مجيبين
ومطيعين ومصدقين قل ولا تخف قال منهاد مكتوب
على باب الجنة لا اله الا الله محمد رسول الله من
مات عليها فتحت له ابواب الجنة الثمانية ثم انه

اسلم وقطع الزنار فقالت النصارى والرهبان والحاضرون
ونحن نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله وقطعوا زنانيرهم واسلموا اكثرا منهم وبقا منهم
خمس مائة رجل قالوا ما نسلم حتى يعطينا المسيح
ابن مريم دستور قال منهاد ويحكم اسلموا فانى مسلم
من ستين سنة وانا اكتم ايمانى خوفا من شركم
ان الدين عند الله الاسلام قال ابا يزيد قوموا معى
الى عند صورت عيسى فاتوا معه الى صنم على
صورة عيسى كان مصورا فى الكنيسه فقال ابا يزيد
ايها الصنم ترضى ان هولاء النصارى يعبدوك من
دون الله تعالى وما تعلموا ايها الاحجار ان من كفر
احترق بالنار فشالت الاصنام وجوهها الى فوق
ونكست رؤسها وقالت لا لا وانشق حائط الكنيسه
وتساقطت الصور على وجوهها فلما نظروا الى
الاصنام والصور قد تكلموا وشهدوا ان الدين
عند الله الاسلام اسلم الجميع واخرجوا الصور من
الكنيسه وعملوها جامع فسمعوا الهاتف وهو يقول
يا ابا

يا ابا يزيد شددت من اجلنا زنار قطعنا من اجلك
سبعة الاف زنار واقام ابا يزيد فيهم يعلمهم
شرايط الاسلام وسمع ابا يزيد الهاتف يقول

شعر

تجلت غيوم الصد عن قمر الشهب
واصبح نور النور في خلوة العتب
وهب نسيم من شذاها تعطفا
وجاءت اشارات الهداية من ربي
ولما دنينا زالت الحجب بيننا
ولولا مقال الصدق لم ترفع الحجب

ثم قال الهاتف الا ان حزب الله هم المفلحون نظم

الحمد لله حتى هداني الى طريق الهدا والرشد مولانا
وارسل لنا احمد المبعوث من مضر
هادى الانام الى دين وايمانا
طه البشير النذير المصطفى القرشى
احمد محمد رسول الهدى جانا
ارسله ربي بدين قيم وتقى

وملة قد حوت علما وتبيانا

هذا النبي الذى ترجا شفاعته

يوم الحساب جزاء جنات وولدانا

شكرا لله رب العرش خالقنا

منشئ الوجود والى الاسلام اهدانا

قال فلما سمع منهاد من ابا يزيد هذا الكلام طرب وقال احسنت فى نطقك واطربت المسامع من كلامك ياشيخ الاسلام وقدوة الانام انى اريد ان اجدد اسلامى على يديك واحج فى هذا العام الى بيت الله الحرام فانى كنت مسلما لكنى اوافق المشركين خوفا من شرهم ان يقتلونى حتى شد الله عضدى بك وبقدومك فلعل الله ان يغفر لى ذنوبى بزيارة محمد عليه افضل الصلاة والسلام قال فلما كان اوان الحج تجهز ابا يزيد ومنهاد وخرجوا الى بيت الله الحرام فلما وصلوا الى مكان الاحرام كان تبعهم قوم من الذين اسلموا فامروهم يغتسلوا غسل الاحرام والبسهم ابا يزيد مثل ما يعرف من الاحرام من

الوا

الواجبات وجعل يقول ذهب الباس وزال العنا وظهر
الحق ونلنا المنا وطابت الانفس عند اللقا ودار
كوس الوصال من بيننا حتى اذا اسكرنا قد قال لي
اشرب شراب الاس من قربنا قلت من الساقي قال
الذي قال لموسى انا الله وهو على العرش استوى
قال وعلمهم ابا يزيد مناسك الحج والعمرة هذا ولما
وصل منهاد الى الكعبة تعلق باستار الكعبة
وجعل يقول هذه الابيات شعر

ايا من ليس لي منه مجير بعفوك من عذابك استجير
انا العبد المقر بكل ذنب وانت السيد الرب الغفور
فان عذبتني فالذنب مني وان تغفر فانت بنا بصير
اجرني من عقابك يا الهي
فانت عليك فكاك كل عسير

قال منهاد يا ابا يزيد انني اشتهي ان اموت
في حرم الله تغسلني بيديك فلما حضرت وفاته كشف
له ما اعطاه الله من الثواب فرفع راسه وانشد
وجعل يقول شعر

ومن كان ذاخير اعطاه جنة الرضا
بدار النعيم بين حور وولدانا
بها درٌ و ياقوت ودار زمرد
وانها رخمر جاريات والبانا
ومعهم ثياب من حرير وسندس
يسيرون فى روضات ورد وريحانا
واحسن من هذا وصال مليكهم
فانواره تغشانا ايما كانا
فقال منهاد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله ثم انه توفى الى رحمة الله وغسله ابايزيد وكفنه
ودفنه فى حرم الله رحمة الله عليهم اجمعين تمّ حديث
ابايزيد مسائل موسى
قال كعب الاحبار رضى الله تعالى عنه كان موسى بارض
مدين وكان فيها نهر جارى وكان من وراه عشب كثير
ولم يكن الى الناس طريق الى ذلك العشب وكان موسى
عليه السلام يجعل نفسه جسر على ذلك النهر حتى
تمر عليه غنم شعيب كل يوم مرتين بالغداة والعشى
فلما

فلما علم الله من موسى ذلك وحسن تواضعه اوحى الله
اليه ان ياموسى اسمع منى البيان انا الله الملك الديان
ياموسى طهر قلبك من شهوات الدنيا ولسانك من قبيح
الكلام فانى اريد ان اجيك بلا ترجمان قال فاختار
موسى من قومه سبعين رجلا فامر الله ان يصعد الى
جبل طور سينا فصعد موسى عليه السلام وصلى
ركعتين فاذا بالندا من العلى الاعلى ياموسى خذ
ما اتيتك وكن من الشاكرين فاخذ موسى التورية
وهى فى خمسة الواح من الياقوت فنظر فيها واذا
بالندا ياموسى من لا يصبر على حكمى وقضائى ويشكر
نعمائى فاليطلب ربا سوائى قال موسى يارب اجد
فى التورية امة هم خير امة اخرجت للناس فاجعلهم
امتى قال تلك امة محمد صلى الله عليه وسلم قال موسى
يارب انى اجد فى التورية امة على قلوبهم مثل نور
الكواكب اجعلهم امتى قال تلك امة محمد قال موسى
يارب انى اجد فى التورية امة يصلون مع الامام
فكتبت لهم بكل صلاة خمس وعشرون صلاة فاجعلهم

امتى قال تلك امة محمد قال موسى يارب انى اجد
فى التورية امة اعطيتهم شهرا يصومونه فتغفر
لهم ذنوبهم احدى عشر شهرا فاجعلهم امتى قال
تلك امة محمد قال موسى يارب انى اجد فى التورية امة
يحجون الى بيتك الحرام فلا يرجعون الا مغفور لهم
فاجعلهم امتى قال تلك امة محمد قال موسى يارب
انى اجد فى التورية امة يدخلون الجنة ولا يحاسبون
فاجعلهم امتى قال تلك امة محمد قال موسى يارب
بما نالوا ذلك كله قال ببركة نبيهم محمد صلى الله
عليه وسلم قال موسى يارب انى اجد فى التورية امة
يفقهون فى الدين فتحشرهم فى زمرة الانبيا فاجعلهم
امتى قال تلك امة محمد قال موسى يارب انى اجد
فى التورية امة يجالسون علمائهم وعليهم من الذنوب
مثل اوزان الجبال فيقومون من عند علمائهم وليس
عليهم من الذنوب شيء فاجعلهم امتى قال تلك
امة محمد صلى الله عليه وسلم قال موسى يارب انى
اجد فى التورية امة يبدل الله سيئاتهم حسنات
فا

فاجعلهم امتى قال تلك امة محمد قال موسى يارب
انى اجد فى التورية امة حسنتهم بعشره وسيئاتهم
بواحدة قال تلك امة محمد قال موسى يارب انى اجد
فى التورية امة يعتق منهم فى شهر رمضان كل يوم
ستمائة الف عتيق من النار فاجعلهم امتى قال
تلك امة محمد قال موسى يارب انى اجد فى التورية
امة اخر الامم فى الاسلام وهم السابقين الى الجنة
قال تلك امة محمد قال موسى يارب فاجعلنى من
امة محمد صلى الله عليه وسلم قال قد فعلت ذلك وانا
على كل شيء قدير قال موسى يارب من احب الناس
اليك قال ازهدهم فيما عند الناس قال موسى يارب
اى عبادك احب اليك قال احسنهم خلقا قال موسى
يارب فاى عبادك اظلم قال من ظلم اخيه المسلم قال
موسى يارب فاى عبادك اسلم قال من سلم الناس من
يده ولسانه قال موسى يارب فاى عبادك ارفع قدرا
قال من عفى عند المقدره قال موسى يارب فاى عبادك
ابعد من رحمتك قال اكثرهم اكلا للحرام قال موسى

يارب فاى عبادك اخشع قلبا قال الذين تقشعر جلودهم
عند ذكري وتلاوة القران قال موسى يارب فاى عبادك
احلم قال الذى لا يدعوا على من ظلمه قال موسى يارب
فاى عبادك اقرب اليك قال اخوفهم منى قال موسى
يارب فاى عبادك ابخل قال من يبخل على اخيه المسلم
بالسلام قال موسى يارب فاى عبادك اولى الناس بك
قال كل سخى تقى هين لين قال موسى يارب ما لمن
قتل مومنا متعمدا قال ياموسى ادخله نارى قال موسى
يارب ما لمن اكل الربا قال تاخذه النار من كل
جانب يوم القيمة قال موسى يارب ما لمن زنا قال
ياموسى البسه درعا من النار ياموسى وعزتى
وجلالى لوان درع الزانى وقع على جبل شاهق عالى
فى الهوى لاصبح رماد قال موسى يارب ما لمن اكل
اموال الناس ظلما قال ياموسى يتقلب فى اطباق
جهنم قال موسى يارب ما لمن عاش فى الحرام قال
ياموسى ان دعانى لاخرته احرمته وان دعانى
لدنياه اعطيته قال موسى يارب ما لمن يوخر
الصلاة

الصلوة من وقت الى وقت قال ياموسى سوف
يلقون غيا ولا ابالى فى اى واد من اوديتها اهلكته
قال موسى يارب ما لمن شرب الخمر قال ياموسى
يموت عطشانا ملعون ويبعث سكرانا قال موسى
يارب مالمن استهان بعالم من علمائك قال ياموسى
فكانما استهان بى واشرك قال موسى يارب مالمن
احتكر شرابا وطعاما واشتهى الى الناس الغلاء
قال ياموسى هو عندى ملعون قال موسى يارب
مالمن اغتاب مسلما قال ياموسى اجعل حسناته
فى كتاب من اغتابه قال موسى يارب مالمن اقتطع
مال مسلما باليمين قال ياموسى اقطع حظه من
الجنة قال موسى يارب مالمن ظلم اجيرا فى اجرته
قال حرام عليه الجنه ونعيمها ولم يراها ابدا قال
موسى يارب مالمن اعان ظالما على ظلمه قال لا اقبل
له حسنه ولا ارفع له سيئه قال موسى يارب
مالمن احتقر مسكين قال اسلط عليه الا فاعى
والزبانية فى الموقف قال موسى يارب مالمن احب

ان يسمع الفاحشه فى المسلمين قال ياموسى اهتك
استاره واذيقه نارى التى وقودها الناس والحجارة
قال موسى يارب مالمن تحبب الى الناس بالكذب
قال تبغضه ملائكتى وادخله نارى قال موسى يارب
فما لمن نقص صلاته قال لا يجدها فى ميزانه يوم
القيمة وانا مسائله عنها قال موسى يارب مالمن
تفسد طهارته ويقوم يصلى قال تاخذه النار من
كل مكان وانا عليه غضبان ويعود الى النار حيران
قال موسى يارب مالمن قرا اية الكرسى عشر
مرات قال انظر اليه وابنى له قصرا فى الجنه قال
موسى يارب مالمن قرا سورة الاخلاص مائة مره
قال اكتب له بها حجه وعمره وعتق رقبه وصيام
سنه قال موسى يارب مالمن قراها الف مرة قال
ذلك اشترا نفسه منى ويدعا فى كل وقت عتيق الله
ولو بلغت ذنوبه وزن الجبال وسيئاته سيئات
الكهان ولو كان مانع الزكاه اجعله يوم القيمه شفيع
اهل بيته واغسل ما عليه من الذنوب قال موسى
يارب

يارب مالمن بنا لك مسجدا قال ابنى له قصرا فى الجنة
من ذهب قال موسى يارب مالمن قرا كتابك قال
يجوز على الصراط كالبرق الخاطف قال موسى يارب
مالمن تعلمه ثم نسيه قال ابعثه يوم القيمة اعمى
قال موسى يارب مالمن احسن الى عياله قال احسن اليه
فى الدنيا والاخرة وانزله منازل الابرار قال موسى
يارب مالمن يصلى بالليل والناس نيام قال اطلع عليه
وانشر عليه رحمتى وانور قبره وقلبه وسمعه وبصره
واستجيب دعاه واكتب له بكل صلاة وركعة ثواب
من صلى بالنهار ثم قال وعزتى وجلالى استحى
ان اعذبه فى النار وارزقه وعافيتى ومن سعة
رحمتى ويكون من السابقين الى الجنة قال موسى يارب
مالمن ذكرك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قال
اكتب له بعدد ما طلعت عليه الشمس وما غربت
حسنات وامحوا ما فى صحيفته من السيئات قال
موسى يارب مالمن يستغفرك فى الاسحار قال تستغفر
له ملائكتى وتشتاق اليه جنتى واغفر له ولا ابالى

قال موسى يارب ما لمن كفل يتيما قال يا موسى احشره
يوم القيمة فى زمرة الانبيا واكتب له بكل نفس
يتنفسه اليتيم حسنات الى ان يموت ولا يخاف اذا
خاف الناس واجري له اربعة انهار فى الجنة قال
موسى يارب ما لمن امر بالمعروف ونهى عن المنكر قال
اكتب له بكل كلمة يتكلم بها عتق رقبة واغفر
له ولا ابالى قال موسى يارب ما لمن كفل يتيما واحسن
اليه قال ادخله جنتى وافيض عليه من رحمتى قال
موسى يارب ما لمن اعان غازيا مجاهدا فى سبيلك •
قال اكتب له اجر من غزا من غير ان انقص من
اجورهم شيئا قال موسى يارب ما لمن اعان حاجا
على حجه قال اكتب له اجر من حج قال موسى يارب
ما لمن كسى عريانا قال اكسيه من حلل الجنة والبسه
ثياب العافيه فى الدنيا والاخرة قال موسى يارب
ما لمن كذب على انبيائك قال ما تخرج روحه من
جسده حتى ينظر مقعده فى النار قال موسى يارب
وجهك الكريم مستقبل البر ام البحر ام المشرق

ام

ام المغرب قال الله تعالى ياموسى اوقد نارًا ففعل
موسى ذلك فقال ياموسى اين ترا وَجْهِ هذه النار
قال ارى وجهها من كل مكان قال ياموسى اينما تولوا
فثم وجه الله قال موسى يارب انت تنام ام لا قال
ياموسى خذ بيدك قدحا واملاه ماءً ففعل موسى
ما امره الله سبحانه وتعالى فسلط الله عليه النوم
فوقع القدح وانكسر واندفق الماء فقال الله عز
وجل ياموسى وعزتى وجلالى لو اخذنى النوم طَرْفَةَ
عين لوقع العرش على الكرسى وسقطت السموات
على الارض قال موسى يارب اين انت قال ياموسى
انا على العرش قال موسى يارب وما على العرش قال
اعلم ياموسى انى خلقت اربعة انوار نور اخضر
ونور احمر ونور ابيض ونور اصفر فخلقت من هذه
الانوار العرش وخلقت للعرش ثمان مائة قائمه
طول كل قائمة ثلاث مائة وستون عام وخلقت
بين كل قائمتين ثلاث مائة الف صف من الملائكة
لكل واحد منهم مائتين الف راس فى كل راس مائتين

الف وجه فى كل وجه مائتين الف فم فى كل فم مائتين
الف لسانا يسبحون الله تعالى دائما وثواب ذلك
لامة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك قوله تعالى
الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم
ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا الاية قال موسى
يارب وما تحت العرش قال الكرسى الذى لا يتحرك
ولا يزول وعنده الفصل والقضا وانصاف المظلوم
واخذ حقه من ظالمه قال موسى يارب وما سعت
الكرسى قال ياموسى وسع السموات والارض بل هى
جانبه كحلقة ملقاة فى ارض فلاه قال موسى يارب
وما تحت الكرسى قال ياموسى ثلاثون الف قصر
كل قصر ملاء دنياكم هذه عشر مرات وحشوهن
رحمتى فاذا كان يوم القيمه اقسمها كلها على امة
محمد صلى الله عليه وسلم قال موسى يارب ارزقنى
معهم من سعت رحمتك قال قد فعلت ذلك وانا على
كل شيء قدير قال موسى يارب اين كنت قبل الكرسى
والسموات والارض قال كنت على درة عرضها

خمسماية

خمسمائة عام وطولها ثلاث مائة عام وكان عرشي
عليها قال موسى يارب فاين ذهبت تلك الدرّة قال
كلمتها فارتعدت وذابت وصارت ماء ثم نظرت الى
ذلك الماء فاضطربت بالامواج وازبدت فخلقت من
دخانها السموات ومن زبدها الاراضين ثم استويت
الى السماء وهي دخان فقلت لها وللارض ائتيا طوعا
اوكرها قالتا اتينا طائعين قال موسى يارب لو
لم تستطيعك السموات والارض فما كنت صانع بها
قال كنت اسلط عليها دابة من دوابي تبلعها
في لقمة واحدة والدابة من مرج من مروجي ملقاه
في ارض فلاه قال موسى يارب ما اول ما خلقت
قال خلقت نور محمد فهو اول المخلوقات واخر الانبيا
واول من يشفع في الخلق يوم القيمة واول من عبدني
قال موسى يارب حببه الى حتى اتقرب اليك
بمحبته قال الله تعالى قد فعلت ذلك وانا على كل
شيء قدير قال موسى يارب تغفر وترضى قال
نعم قال فما علامة ذلك قال يا موسى اذا غضبت

على عبدى صرفته عن خدمتى وسددت فى وجهه طريق الصواب قال موسى يارب ارنى ملائكتك فامر الله تعالى الى الملائكة ان يفتحوا باب السماء الى السماء السابعه الى منتهى العرش فنظر موسى الى ملائكة السبع سموات فراى منهم سجود لا يرفعون وجوههم ومنهم ركوع لا يرفعون غير ملائكة السماء السابعة فانهم قيام على فرد رجل واحد دائما تعظيما لله تعالى قال فسمع موسى بكاء من تحت العرش قال يارب من هولاء الذين يبكون قال ياموسى هولاء حملت العرش يبكوا على المذنبين من ذرية ادم قال موسى يارب انى اجد على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله وارى قبة تحت العرش من نور فما الذى فى القبة قال ياموسى فى القبة ارواح النبيين والمومنين والصديقين والشهداء والصالحين قال موسى يارب انى

ارى

ارى قنديلا يغلب نوره نور الشمس والقمر قال
ياموسى ذلك نور حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم
قال موسى يارب بما رفعت ادريس مكانا
عليا قال لانه لم يغفل عن ذكرى ولا ساعة
واحدة قال موسى يارب بما اصطفيت نوح قال
بصبره على قومه قال موسى يا رب بما اتخذت
ابراهيم خليلا قال بكرمه على قومه واكرامه الى
الضيفان ومحبته لهم قال موسى لم ابتليت
يعقوب بالمحبة العظيمه قال كان ياكل اللحم
دون جاره قال موسى يارب لم اصطفيت محمد
صلى الله عليه وسلم على جميع الخلق قال لانه تواضع
لعظمتى وقطع ليله ونهاره بذكرى وكف
نفسه عن الشهوات من اجلى وهو لليتيم كالاب
الشفوق وللارامل كالزوج العطوف اعلم ياموسى
انى خلقت الف جزء من النور اعطيت محمد
تسع مائة وتسعة وتسعون من النور فاخترته
واختارنى على كل شيء ونختار الاخرة على الدنيا

ياموسى اسمع ما اقول والحق اقول ما خلقت خلقا
اكرم ولا اعز ولا ارحم ولا افصح ولا انجح
ولا اتقا ولا انقا ولا ابهى ولا ازهد من حبيبى
محمد صلى الله عليه وسلم قد افلح من امن به
وصدق برسالته ياموسى اقرا لقسة اسطر
من التورية ثم اسالنى عن ما شئت فقرا موسى
عليه السلام تسعة اسطر واذا هى برسالاتى
وبكلامى فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين
قال فاخذ موسى التورية ورجع الى بنى
م اسرائيل وبلغ الرسالة م
م وادى الامانة والحمد م
م لله رب م
م العالمين م
م م م م
م م م
م م م

قصة الجاريه وما جرا لها

قال كان فى زمن على ابن ابى طالب كرم
الله وجهه جارية يقال لها روميّه اتت ذات
يوم الى عند الامام على كرّم الله وجهه فقالت
له انت ابن عم محمد صلى الله عليه وسلم
قال لها نعم فقالت اعلم يا امير المؤمنين انى
جارية اسمى روميّه ولست على دين الاسلام
وجئت اليك باربع مسائل فان اجبتنى بها
اسلمت وامنت وصدقت وان لم تجيبنى بها
ها انا على دينى فقال لها اسألى وبالله التوفيق
فقالت خلقنى ربى ولى ذكر كذكر بنى ادم
ولى فرج كفروج النساء ولى زوج يطانى
بالليل ولى زوجة اطأها فى النهار وهى حاملة
منى وجابت منى ولد ذكر وجبت انا من
بطنى ولد ومات ولدنا فان جئت الى الرجال
يقولون لى انتى من النساء وان جئت الى
النساء يقولون انتى من الرجال فقالت يا امام

اذا مت من يغسلني ان غسلني رجال فانا
امراة وان غسلتني امراة فانا رجال وان
وضعت جنازتي لما يقال على فان قيل الصلاة
على عبد الله فانا جارية وان قيل الصلاة
على امة الله فانا رجال فقال لها الامام
اسئلي قالت اني مرضت مرضا شديدا
فنذرت على نفسي ان عوفيت من مرضي
لاسلمن واجاهد في سبيل الله حق جهاده
فزادني الله مرضا على مرضي ثم اني نذرت
نذرا ان عوفيت من مرضي هذا لاكسين
الارامل والايتام فزدت مرضا على مرضي
ثم اني نذرت لله نذرا ان عوفيت من مرضي
هذا لاتركن فرجي على قارعة الطريق يستعملني
القادي والصادي والكلب والذيب والمسلم
والنصراني قالت ثم اني عوفيت على هذا النذر
وهذه مسائلي افتني يا امير المؤمنين فعندها
زعق الامام على قنبر على وكان عبدا له
خضر

فحضر اليه فى الحال فقال له ائتيني بماءٍ واناءٍ فاتاه
بماءٍ واناءٍ وطشت وعامود فقال الامام يا قنبر
على اكشف لى راس هذه الجارية واخرج منه
اربعة كؤس دم فتقدمت الجارية وهو يقول
لها اسمعى جوابك من هذا الدم الذى لا فم له
ولا يتكلم فقالت الجارية ان كان الدم
ينطق فانا مسلمة على يد الامام هذا وقد
خرج الدم فقال لها وقد نطق يا جارية
اما المسألة الاولى انك لا ترثى مع الرجال ولا
ترثى مع النساء بل ترثى نصف حصة امراة
المسئلة الثانية لا يغسلكى رجل ولا امراه
بل يغسلكى صبى دون البلوغ ما نظر قط الى
عورة النساء المسئلة الثالثه لا يقال
الصلاة على عبد الله ولا على امة الله بل
يقال الصلاة على عجيبة من عجايب الله
المسئلة الرابعه يا جارية هل لك زوج قالت
نعم قال لها هل لك على زوجك صداق

قالت نعم قال لها خذى صداقك من زوجك
واستكرى لك رجل يحفر بئرا على قارعة
الطريق وابنى على جانبه فستقيه يعنى
بحرة وادعى الرجل ينزع ماء من البئر يفرغه
فى البحرة حتى انه يستعمل منه القادى
والبادى والذيب والكلب والمسلم والنصرانى
فقالت الجارية امنت وصدقت الخ
قائلة اشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم ان علمها قواعد الاسلام وهذه
قصة الجارية على
التمام والكمال
والحمد لله
على كل
حال
تم
*

قصة الحجاج مع زين العابدين

ولما كان فى بعض الايام دخل زين العابدين
على الحجاج فقال له من اين انت يا صبى قال
من مدينة الرسول محمد ابن عبد الله مودن التنزيل
والتاويل والتحريم والتحليل اهل الايمان
والاحسان وانا من بنى غالب من سلالة الامام
على ابن ابى طالب وكل حسب ونسب
ينقطع الا حسبنا ونسبنا فانه لا ينقطع
ابدا الى يوم القيمة فلما سمع الحجاج ذلك
اغتاض وضاقت به المسالك واراد قتله
فقام اليه من كان حاضر فى المجلس وقالوا
له نفدى هذا الغلام بانفسنا سالناك بالله
توهب لنا هذا الغلام لانه لا يستحق القتل
قال لهم لا بد من قتله ولو نادى منادى
من السماء لا تقتله لا بد ان اقتله فقال
الصبى اخس يا حجاج فمن هو انت حتى

يناديك منادى من السماء فقال له الحجاج
ياويلك من يحول بينى وبينك فقال له الصبي
الذى يحول بين المرء وقلبه وهو لا يخلف
الميعاد فقال للحجاج هو الذى يعيننى على
قتلك فقال الصبى حاش لله ان يعينك على
قتلى وانما يعويك الشيطان وانا اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم فقال للحجاج قل عن
هذا القول لابد عن قتلك وان كان
ما اقتلك احتج عليك بحجه قال وماهى يا حجاج
قال اخبرنى بماذا يتقرب العبد الى الله تعالى
قال بالصلاة والصوم والحج الى بيت الله
الحرام قال الحجاج انا اتقرب الى الله تعالى
بدم رجل يقول ان الحسن والحسين اولاد
رسول الله والله تعالى يقول فى محكم كتابه
العزيز ما كان محمد ابا احد من رجالكم
ولكن رسول الله وخاتم النبيين فقال
الصبى يا حجاج اما سمعت قول الله تعالى

وما

وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا
واتقوا الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم
الحسن والحسين سبطاي وابنائي وقال الله
تعالى اندعوا ابنائنا وابنائكم ونسائنا ونسائكم
فقال الحجاج من اين انت يا صبي قال من ابي وامي
قال ومن اين جيئت قال من ورائي قال والى اين
تريد قال امامي قال وعلى اى شيئ جيئت
قال على الارض قال اخبرني عن اكرم العرب
واقراها الى الضيف قال بني طي قال ولم ذلك
قال لان حاتم طي منهم قال فمن اشرف العرب
قال مضر قال ولم ذلك قال لان محمد صلى
الله عليه وسلم منهم قال من اشجع العرب
قال بني هاشم قال ولم ذلك قال لان الامام
علي منهم قال من ابخل العرب قال بني ثقيف
قال ولم ذلك قال لانك انت يا حجاج منهم
قال فاغتاظ الحجاج من كلامه وامر بقتله
فقاموا اليه الحاضرين وتشفعوا فيه فارتجع

عنه ثم انه قال يا صبي اخبرني اين كان منشاك
قال بين ارض وسماء قال اخبرني عن هذا الجدي
الذي في السماء هل هو ذكر او انثى فقال
الصبي يا حجاج اكشف عن دينه حتى اقول
لك ما هو قال فتبسم الحجاج وقال اظنك
عاشق يا صبي قال نعم وانا بذلك معترم
صادق قال فما الذي تعشقه قال اعشق
ربي الذي يفرج كربي ومنك يخلصني قال
اين ربك قال اقرب الي من حبل الوريد قال
فيما عرفت ربك قال بكتابه المنزل على
نبيه المرسل قال وانت تحفظ القران
قال نعم قال اخبرني عن اي اية اعظم
وعن اي اية اعدل وعن اي اية اخوف
وعن اي اية فيها عشر ايات واي اية
كذبت فيها الانبياء واي اية صدقت
فيها اليهود والنصارى واي اية قالها الله
تعالى خالصة لنفسه واي اية فيها قول
اهل

اهل الجنة واي اية فيها قول اهل النار
واي اية فيها قول الملائكة واى اية فيها
قول ابليس لعنه الله قال الصبي يا حجاج اما
اعظم اية في القران فهي اية الكرسي
واما احكم اية فهي قوله تعالى ان الله يامر
بالعدل والاحسان واما اعدل اية فهي قوله
تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره واما اخوف اية
فهي ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة
نعيم واما ارجوا اية قال يا عبادى الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور
الرحيم واما الاية التي فيها عشر ايات فهي
قوله تعالى ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري
في البحر بما ينفع الناس الى اخرها واما الاية
الذي كذبت فيها الانبياء فهي قوله تعالى

وجاؤا على قميصه بدم كذب فهم اخوة يوسف
كذبوا على ابيهم يعقوب واما الذى صدقت
فيها اليهود والنصارى فهى قوله تعالى
وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت
النصارى ليست اليهود على شيء وصدقوا
جميعهم وليس هم على شيء واما الاية
التى قالها الله تعالى لنفسه خالصة فهى
قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون واما الاية التى قالتها الانبياء
فهى قوله تعالى وما كان لنا ان نأتيكم
بسلطان الا باذن الله واما الاية التى
قالتها الملائكة فهى قوله تعالى قالوا
سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت
العليم الحكيم واما الاية التى فيها قول اهل
الجنة فهى قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذى
اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور
واما الاية التى فيها قول اهل النار فهى
قوله

قوله تعالى ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون
قال فيجيبهم بعد خمسمائة عام اخسئوا فيها
ولا تكلمون واما الاية التى قالها ابليس
لعنه الله فهى قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين
الا عبادك منهم المخلصين فقال الحجاج احسنت
يا صبي اخبرني ما الذى يوجب عليك فى اليوم
والليلة قال خمس صلوات قال وفى السنة
قال صيام شهر رمضان قال وفى عمرك كله
قال الحج الى بيت الله الحرام قال وفى مالك
قال الزكاه قال فاى شيء اقرب اليك قال
الاخرة اقرب من الدنيا قال فاى شيء
ابعد قال الدنيا ابعد من الاخرة قال فاي
شيء احسن قال الجسد ما دام فيه الروح
قال واى شيء اوحش قال الجسد اذا خرجت
منه الروح قال اخبرني عن موضع العقل
منك قال فى الدماغ قال واين موضع البصر
منك قال فى العين قال واين موضع السمع منك

قال فى الاذنين قال واين موضع السمع منك
قال فى الانف قال واين موضع الخير منك قال
فى اللسان قال فاين موضع الماء منك قال
فى النفس قال واين موضع الريح منك قال
فى الريه قال واين موضع الرحمة منك قال
فى الكبد قال واين موضع الضحك منك قال
فى الطحال قال واين موضع الغضب منك قال
فى الكلوتين قال واين موضع الحلاوة منك قال
قال فى الحلق قال واين موضع الضعف منك قال
فى الساق قال واين موضع العلم منك قال
فى القلب قال واين موضع المعرفة منك قال
فى العقل فقال الحجاج سبحان الله العظيم
ما رايت صبى اعطاه الله العلم والعقل والحفظ
والادب والزكاوة الا انت ياصبى ولكن
اخبرنى ما كمال الدين قال الرضا بحكم الله
تعالى قال والوسيلة فقال التوكل على الله
تعالى فقال الحجاج فما الكفر قال كفران النعمه
قال

قال والكبر قال فما الرضا قال القناعة بالقضا
والاتباع لما مضى قال واى شيئ اخير فى الدنيا
قال المال قال وما خير من الجاه قال رحمة الله تعالى
قال واى العلوم افضل قال علم الشريعة وعلم الطبيعة
قال فما الحلم قال قلت الغضب وترك الغضب
وكظم الغضب قال فما السفاهة قال الشتيمه
والجواب قال فما السماحة قال بذل المال وترحيب
السؤال قال فما الشجاعة قال شدة الباس فقال
الحجاج احسنت يا صبى اخبرنى عن الزرع قال
خياره ما التفت سنبلته وجفت حبته وغلظت
قصبته قال فما تقول فى النخل قال خياره ما غلظ
جرمه ودنا ارتقاه وصغر فى الجميع نواه واخذ
حلاوته بلاهات قال فما تقول فى الكرم قال
خياره ما غلظ عاموده وكبر عنقوده قال فما
تقول فى السماء قال هى مد البصر ومسكن النجوم
والشمس والقمر قائمة بغير عمد مظلله
لمن تحتها من العدد قال فما تقول فى المطر

قال اجوده ما ملاء البرّيه وفاض الاوديه فقال
الجاع احسنت يا صبي اى الطعام اطيب والذ
قال من اراد التبقي ولا يبقا الا الله فاليباكر
فى الغدا ولا يتمسا فى العشا ويخفف فى الصيف
الردا ويحفظ الراس وما حوا والجوف وما وعا
ومن ابتدا فى اكله بالملح فهو يصرف احدى
وسبعون نوع من البلا ومن اكل ثلاث تمرات
على الريق قتل دود البطن ومن اكل سبع زبيبات
على الريق لا يرى فى باطنه كره ابدا ومن اكل
الجرجيره بعد العشا بات وعرق الجذام
ينازع الى الصباح ومن خلل سنانه فى عود
الريحان حرك عليه الاكل ومن تخلل بعود
المكنسه انتن فمه ومن كنس البيت بخرقه
صوف اسرع اليه الفقر ومن قلم اظافيره بسنانه
كان الله برئ منه ويورث البرص والزباله
تورث الفقر وتورث عماوة القلب والاكل على
الجنابة يورث النسيان والايمان الكذب تقطع
النسل

النسل ويورث الفقر ومن جامع امراة على جنبه
يورث وجع الجنب والنوم فى الحمام والحجامة فى الحمام
تورث ظلامة البصر وخذ من الحمام ولا يوخذ
منك ولا تجامع وانت شبعان ولا تعبان ولا
سكران ولا اول ليلة من الشهر ولا ليلة
النصف من الشهر ولا ليلة العيدين فهو مكروه
ولا تحت شجرة مثمره ولا تجامع امراة عجوز لانها
تاخذ منك ولا تعطيك ولا تكثر من اكل لحم القديد
فانه يضعف الحيل ويقلل المجامعه ولا تاكل
معلاق الغنم وكل راس الضان ينفع الراس والثريد
اكل قريش والشعير اكل العرب واللحم يثبت
الشحم وكل لحم البقر اذا ولبنه دوا وسمنه
شفا وجلده حذا والرايحه الطيبه الطيب الى
القلب والنظر الى وجه المليح عباده والعمل الصالح
طريق الى الجنه والنظر الى الماء الجارى يجلى
البصر وخير المذاهب الاسلام وشرب الماء
على الريق يضعف القلب والسواك يزيد الرجل

فصاحه ويذهب البلغم والتختم بالعقيق امان
من الفقر والكحل يجلي البصر ويحد النظر
والنظر الى وجه الوالدين عباده والنظر في المصحف
ينور القلب والذهن ينبت الشعر واكل
البارد ينفع الانسان وعليك يا حجاج بالمرهم
الاكبر فقال الحجاج وماهو فقال الكسره
اليابسه على الريق تلف جميع ما في الانسان
من البلغم والرطوبة واذا عطشت فاقرا
سورة يس تروا باذن الله تعالى فقال
الحجاج احسنت يا صبي ماتقول في جارية بنت
عشرين سنة قال قرة عين الناظرين قال
وبنت الثلاثين قال لذة للمتقين قال وبنت
الاربعين قال ذات شحم ولين قال وبنت الخمسين
قال ذات بنات وبنين قال وبنت الستين
قال ابت عنها السائلين قال وبنت السبعين
قال عجوز في الغابرين قال وبنت الثمانين
قال لا تصلح لا للدنيا ولا للدين

قال

قال وبنت التسعين قال لا تسالني عن اصحاب الجحيم وبنت المائه قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فلما سمع الحجاج بذلك الكلام ضحك وقال احسنت ياصبي لكن اشتهي عليك مثل ما وصفتهم نثرا توصفهم لي نظما فقال الصبي حبا وكرامه ثم انه انشد يقول

متى تلتقي بنت العشره قد قام نهدها ٠ كلؤلؤة الغوص يهتز جيدها

وبنت العشرون لا شي مثلها ٠ فتلك الذي تهوايها وتريدها

وبنت الثلاثين اشقا في حديثها ٠ هي العيش لم تكبر ولم ينسا عودها

وبنت الاربعين فغبطة ٠ خيار النساء طوبي لمن يستفيدها

وبنت الخمسين لله درها ٠ بالعقل والتدبير تربي ولدها

وبنت الستين قد رقّ جلدها

•وفيها بقايه ولحرير يريدها

وبنت السبعين لا اريدها

•لقد خلقت عمرا وبان جديدها

وبنت الثمانين الذى قد تضعفته

•من الكبر والقلا وقل مرادها

وبنت التسعين تعرش راسها

•فى الليل تصغر ان يقل رقادها

وان زادت العشرة اللواتى فليتهل

•تغرق فى بحر وحوت يعودها

فقال الحجاج احسنت يا صبى واجملت قال الاجناس فيهم احسن قال ذات الدلال الكامل والجمال الفاضل والمنطق القاتل التى يهتز جيدها ويرتج ردفها وقد رق خصرها وجلا وشاحها التى ليس لها فى الجمال نظير ولا فى البهجه خطير قرة عين الكبير والصّغير التى لها

وَجْهٍ كسوار الذهب وعينين كمصباح راهب لو وطئت صم الصفا لاعشب ولو نظرت الى السحاب لامطر ثغرها لؤلؤ وثغرها اعذب من الزلال واطيب وَنَفَسَهَا كالمسك الا زفر والعنبر الاشهب التى يزهر جبينتها ويلمع عرنينها ويهتز منكبها ويبان من الثياب ردفها التى من ملاء عينه منها اورثته الكمد كما قال فيها بعض واصفيها يقول شعر

ولو انها للمشركين تعرضت ٥ لا تخذوها دون اصنامهم ربا
ولو انها فى الغرب تبدو الراهب ٥ لخلا صلوة الشرق واتبع الغربا

قال فاعجب الحجاج ذلك وقال يا صبى زدنى وصفا فيهن قال نعم ينبغى يا حجاج ان يكون فى المراة اربعة اشياء سواد شعرها وحاجبها وعينها واربعة اشياء بياض اسنانها واظافرها وعنقها وساقها واربعة اشياء احمرار لسانها وشفافها ووجناتها واصابعها واربعة اشياء واسعات الجبهة والعيون والصدر والافخاد

واربعة اشياء ضيقات الفرج والفم والانف
والاذنات واربعة اشياء غلاظ الاكتاف
والسواعد والافخاد واربعة اشياء رقاق
الشفف والحواجب والمنطق والريق واربعة اشياء
طيبة الرايحه الانف والفم والفرج قال فتبسم
الحجاج واعجبه ذلك ثم قال اخبرني عن اول
من نطق في الشعر فقال ابونا ادم عليه السلام
حيث قال شعر

تغيرت البلاد ومن عليها •
• وعاد وجه الارض مغبرا قبيح
قتل قابيل هابيل اخاه •
• فوا اسفا على الوجه المليح
تغير كل ذي طعم ولون •
• وقل بشاشة الوجه المليح

فاجابه ابليس

تنوح على البلاد وساكنيها •
• وفي الفردوس ضاق بك الفسيح

وكنت

وكنت فيها وروحك فى نعيم •
• من الدنيا وقلبك مستريح
فلا زالت مكيدتى ومكرى •
• الى ان فاتك الخلد الربيح

فقال الحجاج احسنت يا صبى اخبرنى اى بيت شعر اجود فى الكرم قال حاتم طى حيث يقول

واكرم الضيف حتما حيث يطرقنى •
• قبل العال على عسر وليسر

واما قول ربيعه حيث قال شعر

يا واقد النار بكل فريق •
• فقرت والريح مع ذاتك ضرى
ارفع سنا النار لما يمرّوا •
• فان جلبت الضيف حرى

فقال الحجاج حسبك قد غرقتنا فى بحر فهمك ثم ان الحجاج التفت الى بعض خواصه وقال له اتينى فى بدله فيها عشر الاف دينار واتينى بجاريه من خواص جوارى وفرس من اجود

خيلى بسرج من الذهب وعلق عليها سيف
مليح وبدله من خاص ملبوسى قال فلم يكن
الا القليل واذا بالجميع حضروا فقال للجاج ياصبى
هذه جارية من جوارى وكانت الجاريه قريبه
من الصبى فاشارت اليه بعينها خذنى وخلى
الجميع فانشد الصبى يقول شعر

وقعقعت اللجام براس مهرى • احب الى مما تغمزينى
اخاف اذا وقعت فى مضيق • وجد السير فلا تصحبينى
اريد قرينة تفعل كفعلى • وتصبر عند غصات السنين

فاجابته الجاريه تقول شعر

معاذ الله ان نفعل ما تقوله • ولو قطعت شمالى مع يمينى
انا اكتم شرح حالى فى ضميرى • واقنع فى القليل وما يجينى

وان

وان سالتنى كيف حالك •
اقول بخير من رب معينى •
اذا عاشرتنى وعرفت طبعى •
ستعلم اننى خير القرينى •

فلما سمع الحجاج قولها اغتاظ غيظا شديدا وقال لها يا ملعونه بين الجوار انا ماكنت اعرف يطلع منك هذه الفصاحة يا صبى خذها وخذ الجميع لا بارك الله لك فيهم فقال الصبى اخذتهم لا خلف الله عليك فيهم ولا جمع الله بينى وبينك بعد هذا اليوم قال فغضب الحجاج غضبا شديدا وامر بقتله فشفعوا فيه اكابر دولته وقالوا له هذا عتيقك وعند احسانك فقال الصبى يا حجاج لك باب تهلكه وباب سلامه فقال الحجاج هذا باب التهلكه وهذا باب السلام اخرج من ايهما شئت فطلع الصبى وهو فرحان الذى خرج من عنده ولم يقتله وتوجه الى حال سبيله فقالوا اكابر

دولته وكيف دليته على باب السلوم فقال
الحجاج الصبي استشارني والمستشار يكون
امين لا يكون خوان فلاجل هذا لا يجوز عليه
• اللعنة لانه كان منصف من نفسه •
• ولا يجوز ان يترحموا عليه •
• لانه كان يحاجج الناس •
• ويقتل الاشراف •
• وهذا ما انتهى الينا •
• من قصة الحجاج •
• مع زين •
• العابدين •
• تم •
• تم •
• تم •





